

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية أصول الدين

قسم الكتاب و السنة

تخصص السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة.

الرقم التسلسلي.....

رقم التسجيل.....

الحرمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية
معالمها وسبل تفعيلها في عصرنا
وراسة موضوعية تأصيلية.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم ، تخصص السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة

بإشراف: أ.د/ نصر سلمان.

إعداد الطالب: مراد غول

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د أبو بكر عواطي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة
أ.د نصر سلمان	مشرفا مقرر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة
د/ سلاف لقيط	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة
أ.د عبد الرشيد زرواتي	عضوا	جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريج
د نور الدين تومي	عضوا	جامعة الشهيد لخضر حمة الوادي .
د نبيل زياني	عضوا	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف.

السنة الجامعية: 1440 - 1441 هـ / 2019 - 2020

نوقشت الأطروحة بتاريخ: 12 نوفمبر 2020 ، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى روح والدي رحمه الله تعالى.

وإلى الوالدة أطال الله في عمرها ورزقها العافية.

ولأم تقي الدين التي كانت نعم السنر والعون.

ولأبنائي تقي الدين، وتقوى، ورفيدة، وروينة.

حفظهم الله ورعاهم.

شكر وتقدير

للايسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان، لكل من ساعدني وأسرى إلي بحميل النصع، أثناء إعداد هذا البحث، من الأساتذة بالجامعة وخارج الجامعة، وأخص منهم بالذكر: السيد المشرف، الأستاذ الدكتور نصر سلمان، على ما أسراه من توجيهات جليلة لحرمة هذا البحث، وما ذلل لنا من صعب، كما أشكر الأستاذ الدكتور رشيد زرواتي على ما أتحفني به من مراجع قيمة في الموضوع، وكذا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بوجلل الذي طالما نورني بالكثير من المسائل المتعلقة بفقهاء الاقتصاء الإسلامي، والشكر الجزيل للسيد عمير كلية أصول الدين، والسيد رئيس قسم الكتاب والسنة، و/ سامي بن شعلال على الكتب القيمة التي زودني بها، وكل الشكر والتقدير والعرفان: للساورة الدكتوراة أعضاء لجنة المناقشة على حظيت به من كريم نظرهم في هذا البحث المتواضع ولكم أسعد بما يوجهونه من ملاحظات تشر بنيان البحث وتسند أركانه.

والشكر موصول لكل من ورست عنده وكان له علي فضل التعليم، ولا أنسى، زملائي الأفاضل الذين ظلوا أوفياء، وعلى رب المحبة أصفياء، فلهم خالص الود الذي يعلمه علام الغيوب، و الله أسأل لنا ولكم التوفيق آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على جزيل نعمائه ووافر عطائه، اقتضت حكمته في الخلق أن فاوت بين المراتب والمواهب ليتم ناموس العمارة وتستقيم الخلافة فرجع الناس بعضهم على بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ويتبادلون الخدمات والمنافع كل حسب موهبته وما يسره الله له، والصلاة والسلام التامين الدائمين على سيد ولد آدم عليه السلام، الذي علمنا من الجهالة وأخرجنا من الضلالة بما آتاه الله من الآيات والذكر الحكيم ترك لنا ما إن تمسكنا به كانت سعادتنا واستقامة أمورنا وكل شؤوننا صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه.

و بعد: فإن الخدمة الاجتماعية في عصرنا الحاضر أضحت مطلبا ملحا، وقد أخذت أبعادا تنظيمية ومؤسسية لدى الدول والجماعات الإنسانية، خصوصا مع التقدم التقني المتسارع وما فرضته العولمة والتقنية من متغيرات على الحياة، والخدمة الاجتماعية كمهنة تهدف إلى إقرار العدالة الاجتماعية وتحسين الظروف الحياتية ودعم كافة السبل والإمكانات التي توفر الرفاهية والرخاء لكل فرد وعائلة وجماعة في المجتمع. كما أنها تساهم في تطوير وسائل التعامل مع القضايا الاجتماعية والتوصل للحلول المعضلة لفئات معينة من المجتمع، هذا إلى جانب العمل على تطوير الوضع الاقتصادي للمجتمع ككل لا سيما بين الفئات الضعيفة كالفقراء والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة. لقد أصبحت الخدمة الاجتماعية في عصرنا هذا علما متعدد الفروع والروافديهم الأفراد الذين يمارسون العمل الاجتماعي "الإخصائيون الاجتماعيون" بتحديد المشكلات الاجتماعية ومعرفة أسبابها وحلها ومدى تأثيراتها على أفراد المجتمع. مستعينين في ذلك بعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التربية، وغيرها من مناحي المعرفة الإنسانية.

وبما أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر تقارب بين التجارب الإنسانية وتنافس بين أحسن خدمة ممكنة للإنسانية أحببت أن أسلط الضوء على الخدمة الاجتماعية في ضوء سنة نبينا الكريم صلى الله عليه و سلم لنحاول إبراز ما يمكن أن تسهم به السنة النبوية من إرشاد وتوجيه

للجهود العملية والفكرية في ميدان الخدمة الاجتماعية كأمة تنتمي إلى أعظم دين خاتم ومهيمن على الكافة.

إن مصطلح: "الخدمة الاجتماعية" لم يرد بهذه الصيغة في نصوص الكتاب والسنة، إلا أنه إذا عرفنا مدلولاته العامة، والتي تدور حول معاني المساعدة والتعاون وتحقيق الحياة الكريمة للفرد والتكفل بذوي الحاجات الخاصة والطبقات الهشة في المجتمع؛ فمما لا شك فيهما المصنفين في السنن والجوامع وغيرها، بوبوا في مصنفاتهم للكثير من الأبواب التي لها تعلق بالخدمة الاجتماعية.

وفي تضاعيف السنة النبوية المشرفة؛ مادة خصبة في هذا الموضوع، تساعد المختصين في علم الخدمة الاجتماعية في كثير من القضايا العملية والنظرية والتوجيهية، ذلك أن الإسلام اهتم بالحياة وسبل تحسين المعيشة فيها؛ كما اهتم بالعقائد والأخلاق على سواء، وكما اعتنى أيضا بوضع القواعد العامة للتقنين والتشريع لمختلف مناحي النشاط الإنساني، والواقع أن أئمة الحديث المصنفين في السنن، وإن غلب على تبويبهم للأحاديث جوانب معينة من عبادات، ومعاملات، وأخلاق، وفتن، وملاحم، فرضتها طبيعة الظروف المعرفية والاجتماعية في ذلك الوقت إلا أنهم لم يهملوا موضوع الخدمة الاجتماعية، وسبل تحسين الظروف المعيشية للإنسان، فنجد كثيرا من الأبواب والكتب في الحديث لها علاقة ماسة بموضوع الخدمة الاجتماعية، ككفالة اليتيم، والرفق بالكبير، ورحمة الصغير، وزيارة المريض، وسقي الماء وغيرها، مما سنطالعُه في هذا البحث بعون الله، إلا أنها لم تأخذ عند المحدثين والفقهاء بعدا موضوعيا وفكريا ومؤسسيا كما هو الحال في عصرنا الحاضر، وهو أمر طبيعي فكثير من المؤسسات الاجتماعية إنما هي في طابعها التنظيمي والهيكلي حديثة النشأة، لكن أصولها وأهدافها قديمة قدم التجمعات الإنسانية، وما تبتكره من علاقات وأنظمة اجتماعية، فالخدمة الاجتماعية نجدها حاضرة وبقوة؛ في ثنايا الأحاديث النبوية الشريفة، فما هي معالم واختصاصات هذه الهيئة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية؟ وكيف تتمكن من تفعيلها كمؤسسة خدمية مع الحفاظ على طابع الخصوصية المستوحى من ربانية

مصدرها. في رأبي هذا الموضوع يحتاج إلى أبحاث كثيرة، كما أن عصرنا بتحدياته الاجتماعية يحتاج إلى تكثيف البحث في مثل هذه القضايا.

أسباب اختيار الموضوع :

إن ما دفعني لاختيار موضوع الخدمة الاجتماعية فيضوء السنة النبوية هو: الرغبة في بيان مدى ثراء السنة النبوية في هذا الجانب المهم في حياة الإنسان، خصوصا وإذا ما قورن الوضع الاجتماعي للعالم الإسلامي بالعالم الغربي؛ وجدنا الفرق شاسعا فيما بيننا، فقد كشفت دراسة أعدها البروفسور حسين أسكاري من جامعة جورج واشنطن أن أيرلندا هي البلد الأكثر تطبيقا لتعاليم الإسلام؟ على مستوى العالم، وقد احتلت الدول العربية ذيل القائمة وصرح الباحث أنه اعتمد مؤشر كيفية تطبيق المبادئ التي أتى بها القرآن في الحياة الاجتماعية⁽¹⁾. فزادت معرفتي بهذا الخبر رغبة في الكتابة في موضوع الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية. ذلك أنه قد أسيل حبر وأهدرت أوقات في جوانب معينة لها تعلق بأبحاث قتلت بحثا من أتمتنا الأوائل، بينما رصيدنا في البحوث الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والحضارية قليل في حدود معرفتي، وكأن واقعنا يقول: أن الكتابة في شرحنا للسنة النبوية لا بد أن نلتزم فيه سنة الأولين، فإذا كان أجدادنا وسلفنا قد أشبعوا مواضيع العبادات بحثا وفق ظروف ظرفية اقتضت ذلك، فعصرنا يحتاج إلى أن نبوب بعض الأحاديث وفق معطيات عصرنا، مثلا :

أن تصنف أبحاث في الحديث الموضوعي وفق ما يخدم العصر، باب الخدمة الاجتماعية وفضلها، باب الأحاديث الواردة في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، رعاية المسنين في ضوء الحديث الشريف، الطفولة المسعفة وكيفية التعامل معها في ضوء السنة النبوية، إن البخاري ومسلما وأبا داود والنسائي بوبوا وشرحوا السنن لزمانهم، ونحن في حاجة ماسة إلى تطوير في العرض والشرح، وفق ما يخدم عصرنا وواقعنا، ثم إن الفريضة قائمة في أعناق أهل الكفاء من المسلمين، ليبينوا للعالم أجمع مدى أهمية ما لديهم من رصيد معرفي ثري، يسهم مساهمة فاعلة في تخفيف ينابيع

¹ موقع إسلام أون لاين www.raialyoum.com . بتصرف

المعانة، والآلام، التي تعاني منها الإنسانية جمعاء، وليسهموا في تقديم يد المساعدة والإرشاد أولاً، ونشر تعاليم الإسلام العالمية في شتى بقاع الأرض، بما يخدم ويتناسب مع المبادئ السامية والعالمية المهيمنة لديننا الحنيف، هذا ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع لعل الله أن ييسر فيكون إضافة مفيدة في هذا الميدان الاجتماعي خدمة منا لقضايا ديننا وللمسلمين بل وللعالم أجمع.

ثم إن الملاحظ للحياة الاجتماعية في الدول النامية، والمتطورة بله المتخلفة وماتعانيه من ويلات، وكذا ارتباطها الوثيق بالأيدولوجيات والمذاهب الفكرية، يرى مدى إفلاس هذه المذاهب من رأسمالية وشيوعية بل حتى ما سمي بالبديل الوسط أو الطريق الثالث الذي «هو طريق الوسط بين مفهومي الليبرالية الاقتصادية والاشتراكية الماركسية، فهو أسلوب يوائم بين رأسمالية السوق الحر والمفهوم الكلاسيكي عن الأمن والتضامن الاجتماعي. وتنبع جاذبية هذا المفهوم من كونه لا يتبني السقف الأعلى أو الحد الأقصى لكل نظرية، أي أنه جسر بين الأيدولوجيات».¹

فأنصار هذا المذهب الجديد، والذي رجع بقوة إلى الساحة السياسية التي هي المؤثر الأساس على الحياة الاقتصادية ومن ثم الاجتماعية؛ تبنا عدة مبادئ لضمان نجاحه على المدى الطويل من بين البنود التي تم تبنيها:

«- تخفيض الإنفاق الحكومي على الخدمات الاجتماعية، ولا تشمل تلك الخدمات فقط خدمات الصحة والتعليم، بل تمتد إلى أدوار الدولة الأساسية في الحفاظ على الأمن، وتعبيد الطرق، والإمداد بالمياه، وهي الأدوار التي ظلت تلازم الدولة حتى في ظل سيادة مفهوم العولمة. - إلغاء مفهوم الخدمة العامة أو الخدمة الاجتماعية وإحلال محله مفهوم المسؤولية الفردية وذلك من خلال الضغط على الطبقات الدنيا؛ لتبحث عن حلولها لمشاكلها التعليمية والصحية، وتأمين نفسها بعيداً عن موارد الدولة.

¹ علي بن نايف الحشود ، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: (31 / 225).

ويتضح مما سبق أن هذه الليبرالية الجديدة وإن كان أنصارها يدعون أنها في المدى الطويل تخدم فكرة تطبيق الطريق الثالث أو الاشتراكية الديمقراطية في تديرها التمويل اللازم لنفقات الدولة الاجتماعية، فإنها تعبر عن ضغط من المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد والبنك الدوليين. هذه الليبرالية الجديدة ظهرت آثارها بشكل واضح في الضغط الذي مورس على دول مثل شيلي والمكسيك من أجل خفض أجور العمال بمعدلات تتراوح بين 40 - 50%، في الوقت الذي زادت فيه تكلفة المعيشة بمعدل 80%، ونتج عن ذلك إفلاس أكثر من 20 ألف مشروع صغير ومتوسط.

بل حتى في الولايات المتحدة تضغط الشركات متعددة الجنسيات، مستهدفة الحد من الإنفاق على برامج الرفاهية الاجتماعية والهجوم على حقوق العمال، ويخشى الشعب الأمريكي أن يكون العقد الاجتماعي للجمهوريين في الألفية الثالثة هو ليبرالية جديدة محضة فالليبراليون الجدد يبذلون مجهوداً كبيراً للحد من برامج الحماية الاجتماعية للأطفال وللمسنين وللمتبطلين، أي المعاناة إلى ما لا نهاية.⁽¹⁾

و يؤكد ذلك ما قاله الفيلسوف المسلم روجي غارودي : « ويكفي لقياس درجة همجية تلك المنظومة التذكير بأن ثمانين بالمائة [80 %] من الموارد الطبيعية للكوكب الأرضي عام 1994 من بعد خمسة قرون من الاستعمار، هي تحت إدارة و استهلاك العشرين بالمائة [20%] من المحوظين أصحاب الامتيازات، من مجموع سكان العالم وهذا ما يؤدي في البلدان اللاغربية؛ بسبب الجوع وسوء التغذية إلى 30 مليون وفاة كل عام، ومن ضمنهم 13 مليوناً من الأطفال . أرقام اليونسيف .² »

يقول أيضا : « ولدنا في الأمريكي الرائد أكثر الصور إجرامية، تعبيرا عن هذا الانحطاط 250 مليون قطعة سلاح لمائتين وخمسين مليون نسمة عدد السكان، فأطفال قتلة في سن التاسعة، وآلاف السجناء، ومليارات الدولارات من الديون ... وثلاثة وثلاثون [33] مليون معوز، وواحد بالمائة [1%] من الشعب يمتلكون سبعين بالمائة 70 % من الثروة الوطنية،

¹ المرجع نفسه : (227 / 31)

² غارودي روجي، الإرهاب الغربي: الصفحة 43 .

وهناك طفل من كل ثمانية أطفال لا يجد ما يأكله، ويعيش جائعا في ذلك البلد الذي هو كما يقال عنه أغنى بلد في العالم»¹ .

هذا ما يفرض على الباحثين في الدول العربية والإسلامية ضرورة بيان المنهج النبوي الكريم في كل الأصعدة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية، قصد المساهمة الإيجابية في ترشيد الفكر الإنساني، وإثراء الحقل المعرفي بطروحات علمية نابغة من التصور الإسلامي المتكامل للحياة الإنسانية، في شكل أعمال علمية أكاديمية تبرز تميز الفكر الإسلامي ومدى قدرته على مواجهة كل التحديات التي تواجه الإنسان.

وكذا بيان وتوضيح مدى سبق السنة النبوية المطهرة، والتطبيق النبوي الراشد في وضع أصول التمدن والحضارة، وذلك عن طريق بيان تلك الخطة المحكمة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم وسار عليها من بعده من الخلفاء والملوك والأمراء.

فكثيرا ممن ألفت في أصول التمدن والحضارة لا ينكر فضل الحضارة الإسلامية، لكن - وخصوصا - الكتاب الغربيين يقفون بها في العهد الأموي، والعباسي، خاصة عند انتشار حركة الترجمة، ووقوفهم بأصول التمدن عند العهد العباسي؛ إنما مقصودهم منه: بيان أن التمدن والحضارة أصلها يونانية فارسية نشأت بعد أن عرف العرب الأمم المتحضرة واطلعوا على ثقافتهم، والنتيجة التي تحصل بعد ذلك أن المسلمين والعرب خصوصا لا فضل لهم في الحضارة والعمران والتمدن²، وعليه فهذه الدراسة لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقراء سيرته وأعماله ومنجزاته ستكون بإذن الله الجواب الشافي في هذا الموضوع حيث سنجد أصول الخدمة الاجتماعية، كعنصر له حضوره في الحضارة والمدنية، نجد ذلك ماثورا في تضاعيف الأحاديث النبوية، و يتأكد لنا أن أصول التمدن والحضارة ومنها الخدمة الاجتماعية؛

¹ المرجع نفسه : ص 44 .

² ينظر عبد الحي الكتاني ، التراتيب الإدارية : (12/1) حققه : د/ عبد الله خالدي ، دار الأرقم ، الطبعة الثانية ، بيروت لبنان .

أصلت أصولها و قواعدها في العهد النبوي الشريف في أحسن صورها، وأرقى تطبيقاتها الميدانية، مما كان سببا في انطلاقة حضارية هائلة أدهشت العالم .

إنه لتحقيق النجاح المرجو من الخدمة الاجتماعية، لا بد من توطين الخدمة الاجتماعية والمقصود منه مراعاة خصوصية المجتمع الإسلامي، لكي تتماشى مع الخصوصية الاجتماعية وهذا ما نوه به بعض الباحثين في الخدمة الاجتماعية، ومنهم من أكد على ضرورة التأصيل ثم التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، خصوصا وأن أكثر الأبحاث في الخدمة الاجتماعية غربية بعيدة عن واقع العالم الإسلامي والعربي فلا بد من محاولات تطوير بما يتماشى مع أصول ثقافة الدول المسلمة.

وكما أسلفت الحديث فإن مصطلح الخدمة الاجتماعية بهذه الصيغة من المصطلحات الحديثة المعاصرة، ذات المدلول المؤسسي والمهني، لكن مهما حمل المصطلح من مدلول جديد أو كانت دلالاته خاصة، فإن هناك قاسما مشتركا بين الممارسة الفعلية لمضمون المصطلح في سياق تطوره التاريخي والاجتماعي، وكذا في سياق الخصوصية المجتمعية بين مجتمع وآخر، لذا بحثنا هنا ليس بحثا عن معالم الخدمة الاجتماعية كما تطرحها وتصورها المدارس المختلفة المتخصصة في الخدمة الاجتماعية سواء في الغرب أو الشرق، وإنما هو عملية بحث عن معالم الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية، مع ربطها بالهيكل التنظيمي والتأطيري في الواقع المعاصر ليتبين مدى السبق الذي أحرزته السنة النبوية في ميدان الخدمة الاجتماعية لما للجانب الاجتماعي من أهمية في إتمام الوظيفة الشرعية المناطة في عنق الإنسان المسلم وكذا تحقيق ذاته الإنسانية المتمثل في إتمام الدور الحضاري المطلوب منه، والقاعدة الشرعية: أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

الإشكالية.

في ضوء ما سلف هي الخدمة الاجتماعية في ضوء الحديث النبوي الشريف، وكذا التطبيق النبوي الراشد في صدر الإسلام؟ ما الذي يميزها عن الخدمة الاجتماعية في المجتمعات

الغربية؟ ما هي مصادر وموارد الخدمة الاجتماعية؟ هل هي ذات بعد فردي أم هي مؤسسة اجتماعية؟ من يتحمل مسؤولية الخدمة الاجتماعية هل الأمراء والحكام أم أن المسلمين جميعا معنيين بهذه المؤسسة؟ ما هي سبل وطرق تفعيل الخدمة الاجتماعية في ضوء الإرشاد النبوي في عصرنا الحاضر؟ كيف نتغلب على القراءة النمطية للنص النبوي لكي تستقيم رؤيتنا لكل مطالب الدين الإسلامي الحنيف فلا نغلب جانبا على جانب كيف يصل المسلمون إلى الفهم السليم لدينهم فكما أن المسلمين يجتمعوا بالآلاف لدفن الميت و ينتظرون من وراء ذلك قيراطا من الأجر مثل جبل أحد، نجد في المقابل أنه قد يصل الحال بالمسلم أن يموت جوعا وحيدا ولا يجد ما يأكله والمسلمون متوافرون يرقبونه من بعيد فإذا مات اجتمعوا له لينالوا أجر موته؟ كيف نستثمر دور العبادة في التأكيد على أهمية الجانب الاجتماعي في حياة المسلم وتنظيم الخدمة الاجتماعية في دوائر تخدم كل منطقة حسب خصوصياتها.

كل هذه الأسئلة سأحاول الإجابة عليها في تضاعيف هذا البحث في حدود ما توصلت إليه من نتائج و قناعات .

الصعوبات التي واجهتني في البحث.

لكن أهم ما واجهني من صعوبات في هذا البحث هو قلة الكتابات الموضوعية الحديثة، لذا فكل ما كتبه في هذا البحث هو نتاج بحث شخصي، مما كان محفزا لي كي أجتهد في توفية الموضوع حقه خصوصا وهو يتعلق بجانب لطالما كان مهمشا في حياة المسلمين. كما أنني لم أستطع أن أطالع الكثير من الكتابات الغربية ذلك أنها في الغالب باللغة الإنجليزية وحظي منها متواضع. كما أنني لظروفي الاجتماعية والتزامات العمل لم أسافر للبلدان العربية الإسلامية للاستزادة من المعلومات التي تخدم البحث.

الدراسات السابقة.

فإن علم الخدمة الاجتماعية من الموضوعات المعاصرة التي واكبت النقلة النوعية للمجتمع الصناعي المعاصر، كان حظ الدراسات الإسلامية منها ضئيل خصوصا الدراسات الموضوعية

في ضوء السنة النبوية، إذا ما قورن بالدراسات الغربية والدول الصناعية الكبرى، بل نقول بعبارة أخرى أن محاولة البحث عن التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية لم يكتب فيه كثيرا خصوصا من منظور السنة النبوية، حيث أنني لم أعر على دراسة موضوعية حديثة متكاملة في هذا الموضوع، و لكن هناك دراسات عامة ومقالات علمية وثقافية لها تعلق ببعض جزئيات الخدمة الاجتماعية في المنظور الإسلامي عامة لعل الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي عثرت عليها والتي هي قريبة من بحثي هي:

- ما كتبه الطالب: وليد إبراهيم محمد الغرابوي، لنيل درجة الماجستير من جامعة غزة تحت عنوان: الرعاية الاجتماعية في السنة النبوية دراسة موضوعية، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: نافذ حسين حماد، وتقع في سبع وخمسين ومائتي (257) صفحة .

حيث تناول الباحث في الفصل الأول (49) صفحة، والفصل الثاني 125 صفحة والبقية فهارس.

ثم إن الباحث لم يتناول الكثير من قضايا الخدمة الاجتماعية، فصلب موضوع بحثه في فصل واحد قسمه إلى تسعة مباحث: المبحث الأول: رعاية السنة للأسرة. والمبحث الثاني: رعاية السنة للطفولة. والمبحث الثالث: رعاية السنة للمرأة. والمبحث الرابع: رعاية السنة للمسنين. و المبحث الخامس: رعاية السنة للشباب. والمبحث السادس: رعاية السنة للفقراء و المبحث السابع: رعاية السنة للأيتام .

المبحث الثامن: رعاية السنة للمرضى، المبحث التاسع: رعاية السنة للعبيد والخدم. ونشير هنا إلى أن هناك دراسات أكاديمية ذات طابع فكري فلسفي تحدثت عن الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي نذكر منها.

ومما تتميز به هذه الدراسة عن دراسة الغرابوي هو محاولة التأصيل الشامل والموسع لقضايا الخدمة الاجتماعية، وذلك بربط كل موضوعات الخدمة الاجتماعية بالحديث النبوي الشريف.

مع ربطها بالهيكل التنظيري للخدمة الاجتماعية في العلوم الاجتماعية ، و ذكر ما يمكن ذكره من القضايا الاجتماعية من الكتب العلمية المتخصصة. مثل كتب السيكولوجيا و غيرها .

فهذه الدراسة ميزتها أنها دراسة تأصيلية لعلم الخدمة الاجتماعية في منظور السنة النبوية المطهرة – من الدراسات السابقة: دراسة تحت عنوان: المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية رسالة دكتوراه، مقدمة إلى قسم خدمة الجماعة للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة، تخصص خدمة الجماعة من إعداد الطالبة: عفاف بين إبراهيم بن عبد الله الدباغ، إشراف الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن رجب، كلية الخدمة الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، وقد غلب على الدراسة الطابع النظري الفلسفي والمقارن، – ودراستنا دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية - وقد اعتمدت في بحثها من زاوية التأصيل على القرآن الكريم ومن جهة السنة النبوية على نصوص الحديث من صحيح البخاري فقط لأسباب منهجية ذكرتها في المقدمة، ينظر الصفحة (79) من أطروحة الباحثة. وقد حوت هذه الدراسة على ستة فصول: **الفصل الأول:** وفيه مشكلة الدراسة والجوانب المنهجية المتبعة، **الفصل الثاني:** المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية، وفيه ماهية الإنسان الغاية من خلقه... الخ، **الفصل الثالث:** وفيه المنظور الإسلامي للمجتمع والتنظيمات المجتمعية، التدرج الاجتماعي، التغير الاجتماعي... الخ **الفصل الرابع:** المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية، والمشكلات الاجتماعية، وفي **الفصل الخامس** تناولت الرعاية الاجتماعية، و**الفصل السادس:** تناولت موضوع: ممارسة الخدمة الاجتماعية، وفيه الأساس المعرفي لممارسة الخدمة الاجتماعية، نحو مدخل إسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية... الخ وكل الفصول ذات طابع فلسفي نظري بعيد عن الدراسة الموضوعية الحديثة التي نحن بصدددها، ورغم ذلك فالدراسة مهمة جدا في الجوانب الفكرية بالتركيز على جوانب التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامي.

- أيضا هناك دراسة للدكتور فؤاد عبد الله نويرة، الخدمة الاجتماعية في الإسلام وهي أطروحة دكتوراه: باللغة الانجليزية، من جامعة ميتشغان بالولايات المتحدة الأمريكية.، وقد

أشار إليها كل من كتب في الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي، ولم أستطع الحصول على نسخة منها رغم المحاولات المتكررة والكثيرة، بل لقد كلفت شخصيا فضيلة الدكتور محمد أشرف الوحش من جمهورية مصر العربية، وصاحب دار نشر - أقلام هادفة - لكنه لم يعثر عليها. لكن أشار إلى محتواها الدكتور عفاف الدباغ، وبينت أن الباحث « حاول أن يثبت في دراسته أن مبادئ الخدمة الاجتماعية لها أصول إسلامية وأن هناك توافقا وتطابقا بين المفاهيم الاجتماعية في الإسلام، بين المفاهيم الأساسية للخدمة الاجتماعية الغربية، ولا شك أن دراسة مبكرة في هذا الاتجاه - مثل هذه الدراسة - لا بد أن تقدر في ضوء الظروف التاريخية التي أجريت فيها كأول دراسة على مستوى الدكتوراه تحاول أن تربط بين الإسلام و الخدمة الاجتماعية، رغم ما قد تتسم به من تبسيط زائد¹ »

- المقالات والكتب الثقافية .

أما المقالات المتعلقة بالخدمة الاجتماعية، من المنظور الإسلامي، فهي كثيرة جدا اطلعت على كثير منها، وهي تعالج من الناحية الفكرية والنظرية مسائل متعلقة بالخدمة الاجتماعية تنوعت من دراسة في الأهداف، والمعوقات، والتوجهات، والأسلمة، والخصوصية، وهي جميعا ذات طابع فكري تحليلي، ولعل أهم فكرة عالجتها كل المقالات التي اطلعت عليها هي نقد نقل التجارب الغربية إلى البلاد الإسلامية و المخاطر المترتبة على التقليد الأعمى. نذكر من المقالات وكمثال لذلك؛ مقال للدكتور: مصطفى عبد العظيم فرماوي، المنظور الإسلامي للخدمة الاجتماعية في تحقيق التكافل الاجتماعي². مجلة المسلم المعاصر عدد 86، السبت 10 يناير 1998م.

- أما الدراسات العلمية والكتب الثقافية التي حوت بعض مضامين الخدمة الاجتماعية فمنها:

¹ عفاف إبراهيم الدباغ، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية: الصفحة(55).

² مصطفى عبد العظيم فرماوي، مجلة المسلم المعاصر عدد 86 ، السبت 10 يناير 1998م.

ما كتبه العلامة محمد أبو زهرة تحت عنوان: تنظيم الإسلام للمجتمع¹. وقد تناول فيه بعض الموضوعات التي لها تعلق بالخدمة الاجتماعية منها:

. الأهداف الاجتماعية في الشريعة، الحياة الزوجية وحقوق الأولاد، اليتامى، التبني اللقطاء التكافل الاجتماعي، الزكاة، الصدقات والكفارات، والوقف، التكافل في المجتمعات الصغيرة، وقد أشار المؤلف إلى جمل لطيفة لها تعلق بموضوعنا، سنستفيد منها إن شاء الله تعالى في موضعها .

وكذا ما كتبه: عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في السنة النبوية دكتوراه جامعة الأزهر، كلية أصول الدين.

أهداف الدراسة.

لعل أبرز أهداف هذه الدراسة تقديري، هو محاولة جمع وتصنيف الكثير من الأحاديث النبوية في ضوء موضوعات الخدمة الاجتماعية، مع ربطها بحاضر وواقع المسلمين، فهي إذا دراسة تأصيلية لعلم الخدمة الاجتماعية.

. التوسع في جمع النظائر المتعلقة بالخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية، مع التركيز على عنصر الابتكار في الطرح و طرح البدائل الموضوعية في المجال الخدماتي.

. تساهم هذه الدراسة في القراءة الاجتماعية للحديث النبوي، وإبراز مدى حيوية النص النبوي في التعامل مع الواقع الإنساني، فهو دين صالح لكل زمان و مكان.

. ربط الحديث بالتطبيق العملي في حياة المسلمين ومحاولة تفعيل الخدمة الاجتماعية كعبادة وواجب في عنق لأمة.

. محاولة الكشف عن بعض الفروق الجوهرية بين الخدمة في ضوء السنة والخدمة الاجتماعية في المجتمعات الغربية.

¹ صدر الكتاب عن دار الفكر العربي، القاهرة.

. محاولة الوصول لفكرة المعجم الموضوعي لأحداث الخدمة الاجتماعية، في ضوء المواد العملية لعلم الخدمة الاجتماعية، تكون سندا لكثير من الدراسات في المستقبل.

وللوصول لهذه الأهداف المرجوة من الدراسة استخدمت من المناهج: المنهج الاستقرائي عن طريق تتبع واستقراء ما استطعت من موضوعات الخدمة الاجتماعية في كتب الحديث النبوي الشريف المطبوعة، وكذا المنهج التحليلي عند تحليل النصوص، وتفسيرها وفق ما يخدم واقعنا المعاصر.

وكانت خطة البحث كالتالي: فصل تمهيدي، وأربعة فصول أساسية وتحت كل فصل مباحث، ومطالب، وفروع؛ في الفصل التمهيدي: تم ضبط التعريف بمفردات عنوان البحث وتوضيح مضامينه، مع بيان أنواع وخصائص الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية، مع إطلالة على تاريخ الخدمة الاجتماعية.

وفي الفصل الأول تناولت موضوع الخدمة الاجتماعية الخاصة في ضوء الأحاديث النبوية وفيه خمسة مباحث: **المبحث الأول:** الخدمة الاجتماعية للأرملة في ضوء السنة النبوية **المبحث الثاني:** وتناولت فيه الخدمة الاجتماعية اليتيم في ضوء السنة النبوية، وفي **المبحث الثالث:** فتناولت موضوع الخدمة الاجتماعية ورعاية المرضى وذوي الاحتياجات. أما **المبحث الرابع:** فبينت فيه منهج السنة النبوية في خدمة اللقيط اجتماعيا. وفي **المبحث الخامس:** فأبرزت مفهوم الخدمة الاجتماعية ودورها في رعاية الأحداث من منظور السنة. أما **الفصل الثاني** فعالجت فيه موضوع الخدمة الاجتماعية العامة وخدمة الأزمات في ضوء السنة النبوية وفيه مباحث: **المبحث الأول:** الخدمة الاجتماعية العامة وخدمة الأزمة في ضوء السنة النبوية **المبحث الثاني:** نماذج الخدمات الاجتماعية العامة من منظور السنة النبوية **المبحث الثالث:** نماذج من خدمة الأزمة في ضوء السنة النبوية.

أما **الفصل الثالث:** فتحدثت فيه سبل تطوير الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية وفيه مباحث **المبحث الأول:** وفيه بيان المؤسسات الخدمية الاجتماعية من منظور السنة النبوية وفيه مطالب

المبحث الثاني: نتعرف على روافد تمويل مؤسسة الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة و فيه مطالب .

أما الفصل الرابع و الأخير فتناولت فيه وسائل ترسيخ ثقافة الخدمة الاجتماعية.

المبحث الأول: أدوات تحفيز روح الخدمة الاجتماعية في نفسية الفرد و فيه مطالب

أما المبحث الثاني: ففيه تفعيل الخدمة الاجتماعية ميدانيا في ضوء السنة النبوية و أثرها و دورها في دعم الخدمة الاجتماعية .

المبحث الثالث: تفعيل الطابع المؤسسي للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة .

الخاتمة و فيها أهم نتائج البحث.

و في الأخير ذيلت الدراسة بفهارس.

القادر للعلوم الإسلامية

المفاهيم .والمصطلحات في الأطروحة.

اولا المفاهيم.

- بالخدمة الاجتماعية في ضوء هذه الطروحة هي جملة الخدمات المقدمة للإنسان في الجانب الصحي والنفسي والمادي، والتعليمي، في كل مجالات الحياة، مع ملاحظة الخصوصية المجتمعية في ضوء السنة النبوية.
 - الدراسة الموضوعية، تدرج ضمن فن الحديث الموضوعي؛ أي جمع الأحاديث المتعلقة بفن واحد و استقراؤها من السنة النبوية المطهرة. مع عرضها على الواقع العلمي للقضية.
 - جمعت هذه الأطروحة ما يقارب من أربعمئة حديث مع الآثار، وهي تعتبر لبنة وأساس لتأصيل علم الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية المشرفة.
 - بالنسبة للمقارنة بين الخدمة في المنظور الإسلامي والخدمة الغربية فأني أذكره في تضاعيف الدراسة و لم أفرده بجدول أو بعنوان.
 - جانب التأصيل للخدمة الاجتماعية هو الغرض المهم من الدراسة وهي عملية تحتاج إلى عمل مستمر وجهد متواصل من الباحثين، وهذه الدراسة لبنة أولية في هذا الموضوع المهم.
- ### ثانيا - الاصطلاحات الفنية.

- التزمت في هذه الأطروحة بعدة أمور منهجية واصطلاحية منها.
- فيما يتعلق بالآيات القرآنية فقد كتبها برسم المصحف سواء في صلب الموضوع أو الهوامش واعتمدت في ذلك مصحف المدينة الإلكتروني.
- بالنسبة للأحاديث الضعيفة الموجودة في الدراسة التي نص بعضهم على ضعفها كما هو مبين في تخريجها فقد سقت البعض منها في مواضعه جريا على عمل بعض العلماء في الاستشهاد بالضعيف إذا كان في الترغيب لم يعارض أصلا من الأصول، خصوصا وأن الكثير الأئمة المصنفين في السنن بوبوا عليها قضايا عملية، وهذا الإمام الحافظ الحاكم أبو عبد الله صاحب المستدرک حيث أنه ساق أحاديث في الترهيب من غلاء الأسعار وهي ليست على شرطه. وقال

في ذلك رحمه الله: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها من هذا الكتاب احتساباً لما فيه الناس من الضيق والله يكشفها وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب¹».

- بالنسبة للتخريج فإن الحديث إذا كان في صحيح البخاري أو مسلم اكتفيت في التخريج في الإحالة إليهما معا أو أحدهما.

- وكذا التزمت في التخريج ذكر المؤلف، ثم الكتاب، ثم رقم الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث إن وجد في الطبعة في الغالب، ثم الكتاب ثم الباب، فعلى سبيل المثال طبعة المستدرك التي اعتمدها غير مرقمة، وكذا طبعة السنن الكبرى للبيهقي غير مرقمة أيضاً.

- غالباً عند تخريج الحديث فإن المصدر الأول الذي أذكره في الهامش فإن المتن له.

- وما ذكرته من تصحيح أو تحسين للحديث من المعاصرين فإنما هي من أحكامهم التي ذكروها أثناء تحقيقهم لهذه الكتب مثل الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، وحسين سليم أسد في تحقيقه لمسند أبي يعلى الموصلي و هكذا.....

- بالنسبة لأحكام الشيخ ناصر الدين الألباني فقد ذكرت المصدر الذي أخذت منه الحكم الذي أطلقه على الحديث وذلك في كتبه المشهورة.

- بالنسبة للفهارس فقد رتبها جميعاً على حروف المعجم.

- بالنسبة لفهرس المصادر و المراجع والأعلام، فقد رتبها على حروف المعجم، على أسماء

المؤلفين معتمدا الحرف الأول والثاني، و قد أسقطت كلمة ابن، وأبو، وأم، فلم اعتبرها، مثلاً

أبو يعلى نجده في الياء، من ياء "يعلى"، وابن بطلال في حرف الباء، من كلمة بطلال. إلا إذا

كان بعد حرف: ابن وأبو حرف آخر كأبي أو ابن، كابن أبي عاصم مثلاً، فإني أعتبر الألف

من أبي عاصم كحرف ترتيب وهكذا. وكذا لم أعتبر الألف واللام في اسم المؤلف كحرف

ترتيب بل ما بعدها مثلاً الأزهري، والألباني نجده حرف الألف. والصنعاني في حرف الصاد

وهكذا

¹ الحاكم، المستدرك : (2/ 13.12).

- بالنسبة لبيانات المصادر والمراجع فإنني لم أذكرها في صلب التهميش، وذكرتها في فهرس المصادر والمراجع: اذكر اسم المؤلف كاملا مبتدئا باسم الشهرة كما هو محال عليه في الهامش، ثم اذكر اسم المصدر أو المرجع كاملا كما وجدته على صفحة عنوان الكتاب حسب الطبعة المعتمدة، ثم أذكر المحقق، ثم تاريخ الطبعة، ثم دار النشر، ثم البلد .
- فإن اعتمدت طبعتين ذكرت جميع البيانات لكل طبعة .
- نظرا لكثرة ورود أسماء الأعلام في صلب الموضوع، وتجنبنا لإثقال الهوامش، اكتفيت بالترجمة لمن له شديد التعلق بالموضوع فقط، خصوصا غير المشاهير.
- والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم والموفق و الهادي إلى سبيل الرشاد
- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الفصل النهج

وفيه:

التعريف بالخدمة الاجتماعية

ومفهوم أنواعها

وخصائصها

ونماذجها.

المبحث الأول: شرح وتعريف بمفردات ومفاهيم عنوان الدراسة.

المطلب الأول: تعريف الخدمة الاجتماعية لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: الخدمة الاجتماعية لغة.

أولا - الخدمة لغة: تدل كلمة خدمة [بكسر و فتح الخاء]، في ضوء المعاجم التي طالعناها على معنى المساعدة، وتوفير الاحتياجات، وقد وجدت معنى لطيفا لابن فارس أشار إلى أن اشتقاق الخدمة من معنى الدوران حول الشيء، فكأن الخادم يطوف ويدور حول من يرعاه ويخدمه. قال ابن سيده: «خدمه و يخدمه و يخدمه، الكسر عن اللحياني، خدمته، عنه أيضا... وقيل الفتح المصدر، والكسر الاسم، والذكر: خادم؛ والخدم اسم للجمع كالعزب والروحوالأنثى: خادم وخادمة؛ عربيتان فصيحتان... وحكى اللحياني لا بد لمن لم يكن له خادم أن يخدم أي يخدم نفسه»⁽¹⁾

قال ابن فارس: «الخاء و الدال و الميم أصل واحد منقاس، و هو إطافة الشيء بالشيء. فالخدم الخلاخيل، الواحد خدمة... والمخدم موضع الخدام من الساق،... قال الخليل الخدمة سير محكم مثل الحلقة، تشد في رسغ البعير ثم تشد إليه سريحة النعل.... وسمي الخلال خدمة بذلك... ومن هذا الباب الخدمة. و منه اشتقاق الخادم؛ لأن الخادم يطيف بمنخدمه»⁽²⁾
قال في القاموس: «خدمته يخدمه و يخدمه خدمة، ويفتح⁽³⁾، فهو خادم، ج [جمع] خداموخدم، وهي خادم وخادمة. واختدم: خدم نفسه، واستخدمه واختدمه فخدمه: استوهبه خادما فوهبه»⁽⁴⁾ وقيل: «خ د م (خدمته) يخدمه ويخدمته خدمة - ويفتح - فهو خادم ج [جمع] خدام وخدم⁽⁵⁾»، «و منه : خدموم [مفرد]: صيغة مبالغة منخدم: كثيرالخدمة، ميّال للمساعدةالغير.»⁽⁶⁾

⁽¹⁾ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (5 / 90)، وابن منظور، لسان العرب: (12 / 167).

⁽²⁾ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (2 / 162-163).

⁽³⁾ المقصود أن الخاء المعجمة قد تفتح و هي لغة.

⁽⁴⁾ الفيروز آبادي، القاموس المحيط: الصفحة: 1099

⁽⁵⁾ الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: (2 / 24).

⁽⁶⁾ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (1 / 622).

ثانيا - اجتماعية لغة : كلمة "اجتماعية"، من المصادر الصناعية،¹ وأصل الكلمة التي صيغ منها المصدر هي: " اجتماع "، وأصل الكلمة من مادة "جمع" « جمع المتفرق جمعا ضم بعضه إلى بعض» ومن ثم قيل مجتمع؛ «والمجتمع موضع الاجتماع. والجماعة من الناس»² فكأن الناس ينظمون إلى بعضهم بعضا فلا تستقيم حياتهم إلا بالاجتماع، وفي المثل السائر الإنسان اجتماعي بطبعه.

«ويقال رجل اجتماعي مزاول للحياة الاجتماعية كثير المخالطة للناس»³.

وقد وجد في عبارات المتقدين من المصنفين - محدثين وفقهاء - كلمة: " اجتماعية"، لكن المقصود من كلامهم من خلال السياق، هو الهيئة الإجمالية و العامة، ولا يقصدون بها مفردة المجتمع أو الجانب الاجتماعي، كما تم تخصيصها بذلك في كتابات المعاصرين⁴.

ثم إن « من بين الظواهر الاجتماعية الأصيلة ظاهرة التجمع الإنساني؛ فاجتماع الإنسان بأخيه الإنسان ظاهرة تلقائية لا تخضع للتلقين أو للتدريب وإنما تنبثق عن طبيعة الوجود الإنساني ومقتضيات الحياة الاجتماعية»⁵، وعليه اقتضت ضرورة تطور العلوم و التخصص العلمي أن أصبحت الخدمة الاجتماعية علما من العلوم المتخصصة والتي يسهم في إثرائها الجهود

¹المصدر الصناعي: يطلق على: كل لفظ "جامد أو مشتق، اسم أو غير اسم" زيد في آخره حرفان، هما: ياء مشددة بعدها تاء تأنيث مربوطة؛ ليصير بعد زيادة الحرفين اسماً دالاً على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة. وهذا المعنى المجرد الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ، مثل كلمة: إنسان؛ فإنها اسم، معناه الأصلي: "الحيوان الناطق" فإذا زيد في آخره الياء المشددة، وبعدها تاء التأنيث المربوطة، صارت الكلمة: "إنسانية" وتغيرت دلالتها تغيراً كبيراً؛ إذ يراد منها في وضعها الجديد معنى مجرد، يشمل مجموعة الصفات المختلفة التي يختص بها الإنسان، كالشفقة، والحلم، والرحمة، والمعاونة ... ولا يراد الاقتصار على معناها الأول وحده، ومثلها: الاشتراك والاشتراكية، الأسد والأسدية، الوطن والوطنية، التقدم والتقدمية. ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: (3 / 186 - 187)، وشعبان عبد المعطي عطية، و أحمد حامد حسين وجمال مراد حلمي، المعجم الوسيط: الصفحة (525 - 526).

²شعبان عبد المعطي عطية، و أحمد حامد حسين، و جمال مراد حلمي، المعجم الوسيط: (الصفحة 136).

³المرجع نفسه:الصفحة (135).

⁴ ونورد مثالا لذلك و الأمثلة كثيرة جدا في كتب الأوائل، قال ابن الملقن "« ثبت في "الصحيح" أن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه عالية أصواتهن ، فيحتمل أن يكون قبل النهي، أو أن يكون علو الصوت بالهيئة الاجتماعية لا بانفراد كل منهن. «ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح : (23/268). فكلية اجتماعية عند ابن الملقن غير مراد بما المعنى الاصطلاحي الحادث في عصرنا.

⁵ محمد طلعت عيسى و عدلي سليمان، خدمة الجماعة: الصفحة (10).

المتواصلة يوماً بعد يوم، وعليه صيغت لها تعاريف قد يختلف سياقها من مفكر لآخر ومن بيئة لأخرى لكن محتواه العملي يصب في مصب واحد؛ وهو خدمة المجتمعات الإنسانية.

الفرع الثاني: تعريف الخدمة الاجتماعية كمركب لقي.

ويراد بالمركب اللقي أن مصطلح "خدمة اجتماعية" مركب من كلمتين صارت في عصرنا لقباً لمعنى خاص من العلوم متميز عن غيره.

إن الخدمة الاجتماعية أضحت في عصرنا مهنة وعلماً مستقلاً يدرس في الجامعات كفرع من فروع العلوم الاجتماعية، وذلك ما فرضته مقتضيات تعقد الحياة الاجتماعية و تطور المعارف والعلوم و تخصصاتها؛ لذا تم تعريف الخدمة الاجتماعية بتعاريف اصطلاحية اقتضتها ضرورة التخصص المهني في هذا الميدان الاجتماعي، والذي أضحي مؤسسة اجتماعية قائمة بذاتها فلو أردنا أن نعرف الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية كمركب لقي، فلا بد لنا من الناحية المنهجية أن نعرض على جملة من التعاريف المعاصرة للخدمة الاجتماعية، ثم نقوم بصياغة التعريف الإجرائي الخاص بالخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية مع التركيز على نقاط الاشتراك و التلاقي لكي يتم وضع الإطار النظري الخاص بالخدمة الاجتماعية النبوية أو الخاصة بالمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص .

قال الأستاذ أحمد مختار: ((الخدمة الاجتماعية نشاط فني مهني لمساعدة الأفراد والجماعات و المجتمعات، لتحسين أو استعادة قدراتهم على القيام بوظيفتهم في المجتمع، وإعادة الظروف المواتية في المجتمع لتيسير الوصول إلى تحقيق هذا))⁽¹⁾.

ومنه: مصطلح: النظم الخدمية؛ نظم تحتوي على مصادر الخدمات المادية، و العاطفية والروحية التي يحتاجها الإنسان ليعيش))⁽²⁾.

يقول الدكتور عبد الناصر سليم حامد: «تعتبر الخدمة الاجتماعية مهنة تهدف إلى السعي وراء إقرار العدالة الاجتماعية، وتحسين الظروف الحياتية، ودعم كافة السبل والإمكانات التي توفر الرفاهية والرخاء لكل فرد وعائلة وجماعة في المجتمع، كما أنها تسعى جاهدة في الوقت نفسه إلى التعامل مع القضايا الاجتماعية والتوصل لحلول بشأنها وذلك على كافة مستويات المجتمع هذا

¹ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة : (1/ 621).

² المرجع نفسه : (1/ 621).

إلى جانب العمل على تطوير الوضع الاقتصادي للمجتمع ككل ولاسيما بين الفقراء والمرضى (...).⁽¹⁾

يقول الدكتور رشيد زرواتي: «من الأوائل الذين استخدموا مصطلح الخدمة الاجتماعية نجد ماكس فيبر حيث رأى أنها تعني كل النشاط الاقتصادي الموجه كما تعني الخدمة الاجتماعية ذلك النشاط الذي تقوم به بعض المنظمات لمساعدة الناس بهدف التقليل من عدم المساواة الاجتماعية بين الأفراد، مثل مساعدة المعوقين و ذوي السكنات الرديئة... وأما محمد كامل البطريق، فقد ربط مفهوم الخدمة الاجتماعية بمفهوم الرعاية الاجتماعية على أنها : الخدمات المباشرة التي تقدمها الهيئات والمؤسسات لمعالجة عدم التكيف أو سد العوز أو التفكك والحياة العائلية الصحيحة والتكيف والتأهيل الاجتماعيين و تقدم الصحة وارتفاع مستوى التعليم ونشره وحسن استغلال أوقات الفراغ والنمو الذاتي للفرد والجماعة نحو مزيد من الخبرات والتجارب... ولقد عرفت هيئة الأمم المتحدة عام 1960م الخدمة الاجتماعية : بأنها تهدف إلى تحقيق التكيف والتفاعل المتبادل بين الأفراد وبيئاتهم الاجتماعية . وتخصص لذلك مجموعة من البرامج و الأنشطة المنظمة.

و لقد عرفها المؤتمر الدولي للخدمة الاجتماعية الذي عقد في باريس سنة: 1928م بأنها عبارة عن مجموع الجهود لتقديم المساعدة في النواحي الآتية :

- 1- تخفيف الآلام التي تنشأ عن البؤس و هذه هي ناحية الخدمة الاجتماعية الملطفة .
 - 2- وضع الأفراد والأسر و الجماعات في ظروف ملائمة وهي الخدمة الاجتماعية الشفائية
 - 3- منع وقوع الويلات الاجتماعية وهي الخدمة الاجتماعية الوقائية.
- تحسين حال المجتمع ورفع مستوى المعيشة وهي الخدمة الاجتماعية الإنشائية²».
- الفرع الثالث: المفهوم الإجرائي للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية.

ليس هناك تعريفا جامعا للخدمة الاجتماعية في كتابات علمائنا المتقدمين، ذلك أن مصطلح: الخدمة الاجتماعية، الذي هو دلالة على علم متخصص يشرف عليه الأخصائيون الاجتماعيون، لم يكن موجودا بهذه الصورة المؤسسة المنظمة، في تاريخنا الثقافي والاجتماعي

¹ عبد الناصر سليم حامد، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية: الصفحة: (3).

² زرواتي رشيد، مدخل إلى الخدمة الاجتماعية : الصفحة (15 - 16).

لكن وُجد كمحتوى ومضمون بصور وأشكال أخرى، فرضتها الضرورة الاجتماعية المرتبطة بتطور المهارات التطبيقية للعلوم والمعارف عبر العصور، فمضامين الخدمة الاجتماعية كممارسة بشرية عامة هي قديمة، وقد تعددت أساليبها ومجالاتها حسب العصور، وطبيعة المجتمعات الإنسانية، فالهدف منها متفق عليه في الغالب، وهو خدمة الإنسان، وتيسير سبل الحصول على أهدافه وتحقيق ذاته وحماية مصالحه المادية والمعنوية، وتطوير مهاراته، لكن تختلف في الواجهة والتصوير والتطبيق حسب التشريعات المعمول بها في كل عصر، وهي بهذا المنظور كان لها الحضور القوي والتميز في صدر الإسلام وعبر تاريخه المشرق بإجازاته وإبداعاته.

« ذلك أن من أساسيات الأصول الفكرية لعلم الخدمة الاجتماعية، التأسيسات الإسلامية النبوية الشريفة¹ التي وجدت في عهد النبوة، فشكلت سبقا لا نظير في مجال حماية الحقوق الأساسية للأفراد و الجماعات. في ضوء التعاريف السابقة للخدمة الاجتماعية، أستطيع أن أتبين التعريف الإجرائي للخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية، و التطبيق النبوي الراشد مع التأكيد على أن هناك تميزا في الخدمة الاجتماعية من الواجهة النبوية و ذلك لربانية مصدرها، و خلوها من مجازفات و عثرات الخدمة الاجتماعية في التصور الغربي و عليه أقول : " الخدمة الاجتماعية هي: عبارة عن تلك النشاطات في المجال الاجتماعي والنفسي والصحي، والتي لها أصولا: فكرية، ونظرية، وآلية (تقنية)، في ضوء السنة النبوية المشرفة.

ولا بد هنا من توضيح بعض المصطلحات الواردة في التعريف.

أ. فكرية: أي رؤية إسلامية محمدية نبوية شريفة .

ب. نظرية: أي أن هناك حديث أو بعض الأحاديث الشريفة؛ يمكننا في ضوءها صياغة نظرية إسلامية علمية محمدية شريفة.

ج. آلية: تقنيات، ومهارات تنفيذ تقديم الخدمة الاجتماعية.

في ضوء هذا التعريف سنحاول بمشيئة الله وعونه تلمس مضامين ومجالات الخدمة الاجتماعية والتي حوتها نصوص الأحاديث الشريفة.

¹ قيدت هذه العبارة أثناء مقابلة مع فضيلة الأستاذ الدكتور رشيد زرواتي ، عميد كلية العلوم الاجتماعية جامعة العناصر ولاية برج بوعرييج ، يوم 22 / 05 / 2018 الموافق لـ 06 رمضان 1439 هـ بجامعة العناصر، ولاية برج بوعرييج .

المطلب الثاني: التعريف بمصطلحي السنة، والدراسات الموضوعية.

الفرع الأول: تعريف السنة لغة واصطلاحاً.

أولاً - السنة لغة. قال في المصباح المنير: «السيرة حميدة كانت أو ذميمة والجمع سنن¹» وقال في تاج العروس: «السنة: (السيرة) حسنة كانت أو قبيحة. وقال الأزهري: السنة: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة ... وقال شمر: السنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريقسنه أوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم²».

ثانياً. السنة في الاصطلاح. للسنة عدة تعاريف اصطلاحية عند الفقهاء والمحدثين والأصوليين فالسنة عند المحدثين: « ما أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها³».

يقول الدكتور عجاج الخطيب: « والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي⁴».

والسنة في اصطلاح علماء أصول الفقه: يقول مصطفى السباعي: «وهي عند الأصوليين: ما نقل عن النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير⁵» هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه و سلم غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي⁶».

أما السنة في اصطلاح الفقهاء فهي: « كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب⁷».

ومصطلح السنة في دراستنا هي السنة عند المحدثين وهي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، مع الاستئناس بالآثار المروية عن الخلفاء الراشدين.

¹ الفيومي، المصباح المنير: (396/1).

² الزبيدي، تاج العروس: (232 . 231/35).

³ السباعي، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي: الصفحة (65)

⁴ محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين: الصفحة (16).

⁵ السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: الصفحة (65).

⁶ محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين: الصفحة (16) .

⁷ المرجع نفسه: الصفحة (18).

الفرع الثاني: مفهوم الدراسات الموضوعية.

الدراسة الموضوعية هي عملية استقراء وجمع للأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الخدمة الاجتماعية من مصادرها المتعددة، ثم تحليلها للخروج بالتصور الواضح حول مضمون الخدمة الاجتماعية ضوء التطبيق النبوي الراشد، مع بذل الجهد في استنتاج النظرية العامة التي تنتظم تفاصيلها، لتكون نموذجاً يحتذى وطريقاً يلتمس، مع الموازنة بينها وبين النظريات الغربية. وللدراسة الموضوعية أهمية بالغة ذلك أنها تساعدنا على تكوين تصور كامل إلى حد ما حول موضوع من الموضوعات خصوصاً في حقل السنة النبوية، كما أنها تسهم في إثراءه من خلال التوسع في جمع و مللمة أطرافه وجمع فروعها بردها إلى أصوله.

المطلب الثالث: مميزات وخصائص الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية.

إن من أهم خصائص الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية هو البعد العقدي، فسلوك المسلم وتصرفاته مقصود بها مرضاة ربه عز وجل، والسير على هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول الأستاذ الدكتور رشيد زرواتي: «إن العامل في الإسلام في الخدمة الاجتماعية، ولو كان له راتب شهري ثابت فإنه يؤديها ويديرها ويسيرها و يوصلها إلى أهلها على أكمل وجه لأن الله يراه في ذلك الفعل وإن لم يكن هو يراه، وهذا ما يؤدي إلى كمال علم الخدمة الاجتماعية في الإسلام، أكثر منه في العلم الوضعي¹». كذلك من خصائصها التميز والمرونة: فهي متميزة بالالتزام بضوابط الشريعة الإسلامية لا تحيد عن مبادئها وأصولها. مرجعيتها: القرآن، وأحاديث سيد الأنام، و أصول الشريعة ومقاصدها وكذا المرونة في معالجة أكبر المشكلات بوضع الحلول المناسبة. من خصائص الخدمة الاجتماعية النبوية: الشمولية بمعنى أنها تشمل كل مناحي الحياة الإنسانية وتسهم فيها الدولة وكذا الأفراد بما أمكنهم من وسائل، ومبادرات. من خصائص الخدمة الاجتماعية من منظور السنة: أنها خدمة وقائية، فهي تركز في تعاليمها على تلافي الأمراض والعاهات الاجتماعية قبل وقوعها، وذلك بسد ذرائع الانحلال والانفلات الاجتماعي.

¹ قيدت العبارة في مقابلة مع فضيلة الأستاذ الدكتور رشيد زرواتي خبير في الخدمة الاجتماعية والتنمية، عميد كلية العلوم الاجتماعية جامعة برج بوعرييج، وذلك يوم: 22 / 05 / 2018، الموافق لـ 06 رمضان 1439 هـ.

. وكذا الالتزام بالقيم والأخلاق الفاضلة والذي غالبا من نجده مفقودا في الخدمة الغربية.
- إذا قلنا أن البذور المؤسسية لمؤسسة الخدمة الاجتماعية موجودة في السنة النبوية، فهذا لا يعني أنها لا تمارس مهامها داخل الإطار المؤسسي وخارجه وذلك إذا اقتضت الضرورة، فكثير من النشاطات العادية للفرد ولو داخل الأسرة الصغيرة تعتبر خدمة لها قيمتها وهدفها في منظور السنة النبوية ورتبت عليه السنة المطهرة الأجور العظيمة عند الله تبارك و تعالى.

المطلب الرابع: أنواع وخصائص الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية.

الفرع الأول: أنواع الخدمة الاجتماعية.

أولا- الخدمة الخاصة بفئة معينة في المجتمع،: «خاصة [مفرد]: جمعخاصٌ.

أ - **ضِدْعَامَةٌ قَالَتْ تَعَالَى: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]:** لا تختص بإصابتها بمن يباشرا الظلم منكم بل تعمه وغيره".

ب - **بمعنى التفضيل، و قر الكبير وبخاصة والداك، ... سادعو أصدقائي و بخاصة محمد و خاصة محمدا، المال لفلان خاصة: مقصور عليه دون غيره، و هذا لك خاصة : على وجه الخصوص)) (1).**

فالخدمة الخاصة هي: الخدمة الموجهة للفئات محددة ومنها الفئات الهشة في المجتمع من أرامل وأيتام ومرضى ومعاقين وطفولة مسعفة ومساجين وأحداث... الخ، وما يقدم لهؤلاء من خدمات اجتماعية، ونفسية، وصحية.

ثانيا . الخدمة العامة .

الخدمة العامة: ضد الخاصة، وهي الخدمة الموجهة لكل شرائح المجتمع، لا تخص فئة دون أخرى ذلك أن الخدمة الاجتماعية من خصائصها في السنة النبوية المطهرة أنها لعموم الناس فهي ليست قاصرة على المحتاجين، والفقراء، فقط بل تشمل الخدمة الاجتماعية حتى الأغنياء حسب نوع الخدمة التي يحتاجونها .

يقول الدكتور رشيد زرواتي: « كما يجب أن ننبه الأذهان إلى أن الخدمات الاجتماعية ليست محدودة لخدمة الناس أصحاب المشاكل فقط أو ذوي الفاقة في المجتمع ... لكن تقديم

¹ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة : (1/ 651. 652).

الخدمات الاجتماعية يشمل أيضا الأسوياء بهدف إسعاد جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن فئاتهم الاجتماعية والاقتصادية¹».

ثالثا : الخدمة الاجتماعية الواجبة: وهي الخدمة التي تكون في عنق ولي الأمر أو من تعينت عليه من المسلمين للمحتاجين والفقراء. فالكثير من الخدمات هي مسؤولية الدولة، وعلى الحاكم النظر في مصالح المسلمين وتوفير الخدمات اللازمة لهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يشرف على توفير الكثير من الخدمات للمسلمين، وعليه استمر عمل الخلفاء الراشدين من بعده، وكذا الخلفاء والملوك في الدول الإسلامية المتعاقبة على مر الزمان وإن كان هناك اختلاف في الصيغة، والكفاءة، والوسائل. يقول الإمام ابن جماعة رحمه الله: «النظر الخامس: الأيتام ... ومصالحهم وأموالهم... هي داخلية في ولاية القضاة، عند الإطلاق، كما تقدم في الأوقاف، فإن خص الإمام بذلك من هو كاف للقيام به، فله ذلك، ولا فرق في ذلك بين من له وصي خاص، و بين من لا وصي له، فإن كان الوصي قائما عليه من النظر في مصالح اليتيم...استمر الحاكم أو السلطان به، ولم يتعرض له، وإن كان مقصرا أو متهما أسند معه غيره وإن كان مستحقا للعزل عزله.²»

رابعا - الخدمة التطوعية. وهي الخدمة التي تسهم فيها كل فئات المجتمع فيما بينه من باب التضامن والتكافل الاجتماعي، وأحيانا يكون مردودها من الناحية الواقعية والعملية كبير جدا وأفضل من الخدمة الإلزامية التي في عنق الحاكم، وذلك لتوفرها الكثير المميزات؛ منها: سرعة التنفيذ وقرب حصول المحتاج على المساعدة، ذلك أن كثيرا من الخدمات المتعلقة بالإدارة قد تكون سبب في تأجيل الكثير من الخدمات الفورية، بسبب الإجراءات الإدارية ذات البعد الشكلي، ومع ذلك تبقى الخدمة التطوعية في بعض الأحيان قاصرة، لكونها فردية وغير دائمة. لكن هذا لا يعني الغض من شأنها بل لها حضور قوي في ضوء السنة النبوية المشرفة.

الفرع الثاني: خصوصية الخدمة الاجتماعية في الإسلام من منظور السنة.

الخدمة الاجتماعية في منظور السنة النبوية خدمة دائمة في أي مكان يحل به الإنسان، فلا بد أن يحصل على الكفاية من الخدمات التي تمكنه من أداء وظيفته ورسالته في الحياة من سكن

¹ رشيد زرواتي ، مدخل إلى الخدمة الاجتماعية : الصفحة (14- 15) .

² ابن جماعة ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام : الصفحة : 93 .

ومأكل ومشرب وتعليم... وغيرها، وليست الخدمة حكرا على جماعة دون آخرين، ومن هذا المنظور جاء في الحديث عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما قرية أتيتموها، أو أقمتم فيها، فسهمكم فيها...»¹.

وقد فسر المتقدمون من العلماء السهم هنا بأنه سهم الفيء، على مقتضى أحوال الاجتماع في ذلك الزمان، وأوضاعه السياسية والعسكرية، حيث يقول الإمام النووي رحمه الله: «قال القاضي يحتمل أن يكون المراد بالأولى الفيء الذي لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب بل جلا عنه أهله أو صالحوا عليه فيكون سهمهم فيها أي حقهم من العطايا كما يصرف الفيء»² ويمكن في عصرنا أن يحمل الحديث على أن للإنسان حرية اختيار مكان الإقامة، في أي بقعة أراد إلا ما خصصه النص من دار أو أرض يخشى فيها على دينه ونفسه، فإذا ثبت له حق الإقامة فتثبت له سائر الحقوق في تلك الدولة سواء في الجانب المادي أو الحقوق الاجتماعية فالتعبير "بالسهم" يتناول في عصرنا الحق في الموارد الطبيعية والخدمات الاجتماعية والحماية من الأخطار وغيرها.

والذي يعنينا هنا هو الإشارة المبكرة من السنة النبوية في ضوء الحديث السابق إلى حق الفرد في الخدمة الاجتماعية، والتي جاء التعبير عنها بـ"السهم"، وهو النصيب الذي يتحصل عليه الفرد من المداخل العامة للدولة سواء كانت فيئا في الزمن الأول أو مداخل الدولة في زماننا فللفرد نصيبه في كل قرية سكنها أو دولة آوى إليها، وعليه فإن الحقوق ليست عنصرية أو جنسية وإنما هي طبيعية تتبع الفرد حيثما حل وارتحل. والعلم عند الله.

الفرع الثالث: تقليد المجتمعات الغربية في تجربة الخدمة الاجتماعية و نتائجه.

مما هو معلوم ضرورة لكل ملاحظ لأحوال العالم العربي والإسلامي المعاصر، أن المعسكر الغربي قد أحكم سيطرته على كل مناحي الحياة المادية والأدبية، وأضحت زمام الأمور بيده، ولم يقف الأمر عند الهيمنة السياسية والاقتصادية بل تعدى إلى محاولات غير يائسة للهيمنة الثقافية التي هي مفتاح السيطرة المطلقة، وهو يعمل جاهدا ليل نهار معتمدا روح النفس الطويل من خلال كل الوسائل للوصول إلى هدفه، وتحقيق حلم العولمة؛ عولمة النموذج الغربي اجتماعيا، وسياسيا

¹ أخرجه، مسلم، صحيح مسلم: الصفحة : 728 ، رقم الحديث : 1756 ، كتاب الجهاد و السير، باب حكم الفيء.

² النووي، صحيح مسلم بشرح النووي : 69 / 12 .

واقصاديا، قصد الوصول إلى عوامة الأفكار الغربية والنظرة إلى الحياة، والخدمة الاجتماعية كعلم من فروع علم الاجتماع، وبمضامينها المعاصرة الذي يدرس في شتى جامعات العالم إنما هو نتاج ذلك التراكم الفكري من الكتابات الغربية، مع محاولة الكثير من المفكرين في الدول الإسلامية استزراع الخبرة الغربية ونقلها إلى البلدان الإسلامية ذات الخصوصية الدينية والثقافية.

وعليه صار من واجب المسلمين تكثيف الأبحاث النظرية والفكرية في هذا الموضوع من زاوية الخصوصية المجتمعية، والرؤية الإيديولوجية؛ أي المنظور الفكري، وضرورة مراعاة القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع الإسلامي، ففي زمن ليس ببعيد لم تكن هناك في البلاد الإسلامية، دار للمسنين، أو دار للأمهات العازبات، كما هو الحال في زماننا، نظرا لكون المجتمع في ذلك الوقت كانت مناعته قوية ضد الكثير من الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية، لكن لا يعني هذا أن الانحرافات كانت منعدمة أو أن الوضع الاجتماعي كان مزدهرا، فمقصودنا أن المجتمع الإسلامي ولو في حالات البؤس والشقاء فإن الجانب الأخلاقي والعقدي لم يُغيب في نفسية المسلم وبقيت السمة الحضارية بارزة فيه، ولقد حافظ على خصوصيته طوال قرون من الزمن رغم كثرة التحديات.

والملاحظ لجملة من الدراسات في حقل الخدمة الاجتماعية يلاحظ غلبة الدراسات الغربية على الكثير من مضامين الخدمة الاجتماعية؛ ولا يخفى أن نقل واستزراع التجارب الغربية دون مراعاة لخصوصياتنا الثقافية والدينية فيه خطر عظيم على الكينونة الحضارية للأمة، وعليه نؤكد مرة ثانية على الواجب الكفائي في عنق المتخصصين والعلماء أن يؤسسوا لعلم الخدمة الاجتماعية الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، و بما أننا نلاحظ في الساحة الفكرية أن هناك سعيا حثيثا للتأسيس النظري والميداني للاقتصاد الإسلامي، كذا علم النفس الإسلامي، فليزِم أيضا أن يواكب ذلك إعداد اجتماعيا، فجوهر الخصوصية في المجتمعات لا يمكن تلافيه البتة.

المبحث الثاني: نظرة في تاريخ الخدمة الاجتماعية.

لا بد هنا قبل بحث موضوعنا من إطلالة خاطفة على الحالة الاجتماعية للمجتمعات القديمة وكيف كانت الخدمات الاجتماعية في تلك العصور، وذلك في مطالب أربعة.

المطلب الأول: الخدمة الاجتماعية عند الرومان.

تعتبر الفترة الممتدة من سنة 96 م إلى غاية 180 م هي فترة العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية حيث وصلت الإمبراطورية إلى أقصى درجات التوسع والازدهار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي نتيجة لسيادة السلام الروماني في الخارج وكفاءة الإدارة في الداخل، ولذا عرف هذا العصر بعصر الأباطرة الصالحين¹ عرفت الحضارة الرومانية في عهد الأباطرة الصالحين اهتماما بحياة الطبقات الضعيفة في المجتمع، خصوصا في زمن هادريانوس² فقد بذل هذا الأخير « جهده الأكبر لحماية الضعفاء من الأقوياء، والفقراء من الموسرين، عملا بتعاليم المدرسة الرواقية³... ولهذا حرم هادريانوس على السيد أن يقتل عبده أو يعذبه أو يخصيه، أو حتى يبيعه كجلاد (gladiator) يبارز حتى يقتل أو يُقتل لأي سبب، و كان هذا أول تشريع روماني يعامل العبيد كبشر لهم حق الحياة كغيرهم، كما ألغى حق رب الأسرة القديم في منح أو رفض الحياة بالنسبة لأبنائه... و الذي كان جزءا من سلطات رب الأسرة الروماني... كماوضع التشريعات اللازمة لحماية أموال الأيتام و القصر من جشع الأوصياء عليهم، و جعل من حق القصر أن يرثوا ويمارسون⁴ [كذا] التصرف فيما آل إليهم من إرث دون الرجوع لوصي... و أما في مجال الرعاية الاجتماعية و الخيرية و التعليمية... فقد خصص جزءا من أموال الدولة لرعاية وتعليم أبناء الفقراء والمعوزين الإيطاليين، ومن ثم عين نقيباً لرعاية الطفولة ومدّها

¹ ينظر الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية: الصفحة (231)، بتصرف.

² هادريانوس أو هديان كما يعرف في اللغات الحديثة، ولد في مدينة روما عام 76 ميلادية، كان ميالا إلى الثقافة الإغريقية متأثرا بأفلاطون تولى عدة مناصب إدارية، وتقلد الحكم كإمبراطور بعد وفاة تراجانوس من (117. 138 م) . ينظر: الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية: الصفحة (247 - 248 - 249).

³ الرواقية «(f) stoicism (e) stoicism»، مذهب إحدى المدارس الفلسفية اليونانية الكبرى... سميت كذلك نسبة للرواق الذي كان يعلم فيه مؤسسها زينون، والرواقية صورة من صور مذهب وحدة الوجود... و اشتهرت بأراءها الأخلاقية التي تقوم على أن الخير الأسمى مجهود لا يخضع إلا للعقل و لا يبالي بالظروف الخارجية من صحة و مرض من غنى أو فقر... ينظر، مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي: الصفحة (93).

⁴ لعله خطأ مطبعي، فالفعل هنا ينصب بحذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة. التي تجزم و تنصب بحذف النون.

بالغذاء... كما خصص جزءا من الميزانية للإنفاق على المدارس في أجزاء الإمبراطورية وتخصيص
مرتبات للأساتذة المسنين¹»

لكن عندما ساءت أوضاع الإمبراطورية بعد سنة 180 م أي بنهاية حكم الأباطرة الصالحين
تدهورت أوضاع الإمبراطورية من الناحية السياسية والاقتصادية، و سادت الفوضى و الحروب
الأهلية² مما أثر على الحياة الاجتماعية تأثيرا بالغا .

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة رحمه الله: « كان الرومان قد سادها نظام لا يجعل للضعيف حقا
بجوار القوي، فقد كان لها قانون منظم، بلغ أوج عظمته في الصياغة في القرن الخامس في عهد
جوستينيان³، ولكن هذا القانون، وإن نظم العقود والتعامل إلى حد ما ، فقد حمى
الأشراف وفرض لهم حقوقا ليست للضعفاء فقد قرر ما يأتي:

- أن بعض الرعايا ممن ليسوا رومانا بالسلالة، ليست لهم حقوق الرومان... فالأقاليم التابعة
للدولة الرومانية كالشام ومصر، متمتعة بحقوق إلا ما كان مستمدا من قانون الغلب، فهي
رعايا مغلوبة على أمرها تتحكم فيها الدولة الرومانية من غير معقب ولا محاسب، وكانت
خيرات هذه البلاد من زرع وضرع كلها تعود إلى الرومان ، ولا يبقى لأهلها إلا النزر اليسر فهم
جميعا كالعبيد يعملون لأجل الرومان ...

- وفرض ذلك القانون أن العبيد لا يعملون معاملة الأدميين، بل يعملون معاملة الأشياء...
فمن زنى من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني فعقوبة جريمته غرامة يسيرة تنفق مع مركزه
الاجتماعي، أي تصغر لمركزه الاجتماعي، وإذا زنى العبد من حرة فعقوبته القتل لا محالة وعقوبتها
هي دون ذلك ...

لقد كان الأب له السلطان المطلق على بنيه فليست لهم حرية، إلا ما يمنحها لهم أبوهم فالابن
ولو بلغ رشده و بلغ أربعين سنة ليس له سلطان على نفسه بل ولايته كاملة في يد أبيه ...

¹ الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية : الصفحة (266 - 267)

² الناصري ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية : الصفحة (231) . بتصرف .

³ جوستينيانوس الأول البيزنطي، (527- 565 م)، جمع إصلاحات هديرانوس في مجال التشريع ، في موسوعة قانونية
DIGESTA ، نسبها إلى نفسه، و تعرف الآن بمدونة جوستينيان. ينظر:الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية:
الصفحة (264).

- ولم تكن الأسرة مع ذهاب الحرية الشخصية وتركيز السلطة المطلقة - في رب الأسرة - مستقرة ثابتة، لأن للأب الذي له هذه الولاية المطلقة ، أن يجعل له ابنا من غير سلالته . ومن غير ذريته، ولو كان ذلك الذي تبناه له أب معروف، ونسب ثابت، فكان النسب سلعة تنتقل من حوزة إلى حوزة...

- إن نظام الميراث كان يتجه إلى تجميع الثروة في قريب واحد أو شعبة واحدة من القرابة دون سائرها، وبذلك تكون الثروة كلها في بعض القرابة، ويحرم منها باقيها [البقية]»¹.

المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية عند المصريين القدامى.

المجتمع المصري القديم كان مجتمعا زراعيا في غالبيه، وارتبط في ديانته وتقديسه للآلهة المصرية بجملة من الآداب والطقوس، بقصد خصب الأرض، و جريان الأنهار، كان للحكام والكهنة والمعابد والمقابر الحظ الأوفر من الدخل العام، وكان حظ الفلاحين والطبقات الكادحة منقوصا، لكن رغم ذلك وجد في بعض كتابات الحكماء والوزراء في مصر القديمة من أمثال: «بتاح حوتب²» عناية بالجانب الاجتماعي لدى الإنسان المصري وكذا رعاية الطبقات المحرومة.

«ويمكن القول بأنه قد ارتبط بالعدل الاجتماعي قيم أخرى عديدة من العمل و الحب والصدق والمسؤولية عن أفعال الإنسان و لكن من أهم القيم التي ارتبطت بالعدل و كانت لازمة له هي قيم المساواة، و هي ما عبرت عنه نصوص الدولة الوسطى ففي نص «امنمحات إلى ابنه اسنوسرت الأول» ... ما يمكن أن نستشف منه بعض القيم الدالة عليها حيث يقول: « لقد أعطيت من لا يملك (الفقير) و ربيت اليتيم و ساعدت من لم يكن شيء (ذو قيمة أو منزلة) على بلوغ هدفه مثل من كان (شخص ذو مكانة) أعطيت الأرملة مثل التي كان لها زوج و لم أعلي من شأن العظيم (المكانة) فوق (على حساب) الصغير في كل ما أعطيت³»

¹ أبو زهرة ، تنظيم الإسلام للمجتمع : الصفحة : 6 - 7 .

²بتاح حوتب: كان وزيرا للملك أسيسي، الأسرة الخامسة (2450 . ق. م) تقريبا ، و هناك أكثر من وزير يحمل نفس الاسم عاصروا ذلك الفرعون. ينظر: محمد علي سعد الله ، تطور المثل العليا في مصر القديمة :الصفحة (74)

³ محمد علي سعد الله، تطور المثل العليا في مصر القديمة: الصفحة (214).

لكن الفراغنة لم يسيروا سيرة واحدة مع شعوبهم، فهناك فراغنة دب الضعف إلى حكمهم حيث لم يكن هناك توازن في التعامل مع الرعية فالمعابد والمقابر والكهنة كان لهم الحظ الأوفر ولغيرهم الوكس¹، وهذا أحد أسباب انهيار الأسرة السادسة من الأسر الفرعونية .

« وكما يرى (ولسون² wilson) أن العامل الاقتصادي كان له أثره الفعال - بجانب العوامل الأخرى - في ذلك الضعف الذي هدد كيان الدولة المصرية وأجمل عدة أسباب منها عبء تشييد مبان تهدد اقتصاد الدولة، مثل قيام كل ملك جديد ببناء مقبرة له، وتخصيص المخصصات، والأوقاف الدائمة للإنفاق على مقابر الملوك والملكات و الأمراء الأمر الذي يجرم الدولة من جزء كبير من الدخل نتيجة حرمانها من هذه الأوقاف، كذلك احتمال انقطاع الموارد التي كانت تأتي من التجارة الخارجية و خاصة حينما عجز الملوك عن توفير الأمن و الاستقرار في البلاد و في الأنحاء البعيدة في بلاد النوبة و السودان و غيرها مما كان له أثره السيئ على مصر اقتصاديا و سياسيا »³

« واتجهت نصوص تلك الفترة إلى اقتراح حلول مختلفة للقضاء على ما يتهدد حياتهم من فوضى شاملة والرغبة في وضع قيم جديدة قد يكون في بعضها تخلص من تلك القيم القديمة المنهارة والاعتماد على أسس إنسانية جديدة وقيام حاكم عادل افتقدته البلاد مما يحيي الأمل في إعادة الأمان و الاستقرار و الخير و بمعنى آخر توفير العدل الاجتماعي لهذا المجتمع »⁴

¹الوكس كالوعد: النقصان، ومنه حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه "لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط"، أي لا نقصان ولا زيادة. والوكس أيضا : التنقيص، يقال: وكست فلانا ، أي نقصته. ينظر الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس : (18/17) مادة : وكس .

² جون ألبرت ولسون (1899م . 1976 م) عالم أمريكي متخصص في تاريخ مصر القديمة تخرج من جامعة برنستون عام 1920 م، و عمل أستاذ بالجامعة الأمريكية، ببيروت، له عدة مؤلفات في تاريخ مصر القديم . ينظر :

مقال في الموقع الإلكتروني على النت : <https://www.washingtoncitypaper.com>

³محمد علي سعد الله ، تطور المثل العليا في مصر القديمة : الصفحة (130) .

⁴المرجع نفسه: الصفحة : (129).

كما وجد في تعاليم " بتاح حوتب " ¹ والتي هي على شكل وصايا قدمها لابنه اهتماما بالفقراء والأسرة وغيرها من القضايا التي لها علاقة بالخدمة الاجتماعية.

يقول حوتب: « إذا زرعت حقولك وأثمرت، وإذا أعطاك الإله بغزارة فلا تملأ فمك دون حساب أقبائك » ²

والأسرة كان لها الحضور في وصايا "بتاح حوتب" وذلك لما تكتسبه من أهمية في المجتمع المصري وفي هذا الصدد يقول: «...إذا كنت رجلا ناجحا (رجل [كذا] محترما) اجعل لك عش زوجية (بيتا)، حب [كذا] امرأتك بحرارة أسعد قلبها طالما فيه نبض لك، ولا يجب أن تهملها وأحسن إليها بسبب الخير الذي حصلت عليه منها...» ⁽³⁾.

المطلب الثالث : الخدمة الاجتماعية عند الفرس .

« إنه منذ فتح الإسكندر المقدوني أرض فارس، والمجتمع الفارسي في اضطراب مستمر، إن الإسكندر وإن لم يدم حكمه طويلا في فارس إلا أن أثره استمر طويلا، وهذا الأثر هو حل الوحدة الفارسية. وذلك أنه عند مغادرته فارس و انسيابه إلى ما وراءها من بلاد الهند، قد جزأ البلاد بين أشرفها، فجعل على كل مقاطعة شريفا يحكمها، وبذلك تفرقت فارس سياسيا، ومع التفرق السياسي كان التفرق الاجتماعي، وإذا كان الحكم هو للأشراف فهو بلا شك مذك لئيران الحقد في قلوب الفقراء، فإنه حيث اشتد التفرق الاجتماعي اشتدت معه الأحقاد وفسدت الأخلاق ... وإذا كان القانون الروماني قد قوى نظام الطبقات وفرق بين المجتمعات فإن الدعوات الدينية كانت سببا في تردي الأوضاع الاجتماعية حيث دعا ماني إلى تحريم الزواج ليتسارع فناء العالم فكان يرى الإنسان لعنة في هذا الكون

¹ و المخطوط الرئيسي المتضمن تلك التعاليم هو : بريدية باريس وقد قام بترجمتها عدد من العلماء منهم "ولسون" ينظر: محمد علي سعد الله ، تطور المثل العليا بمصر القديمة، الصفحة : (12).

² المرجع السابق: الصفحة (87).

³ المرجع السابق: الصفحة : (83).

وجاء من بعد ماني¹، مزدك² وأراد أن يعالج الأمر فزاد الحالة الاجتماعية سوءاً حيث رأى إباحة كل شيء بين الناس من أموال و نساء، ليزيل الحقد من قلوب الطبقات المحرومة، ... انهار المجتمع الفارسي جراء هذا المذهب الفوضوي و لم تخف الفوضى إلا بعد قتل مزدك³.» وجرأ هذا الوضع الذي وُصف، فإن الخدمة الاجتماعية للفرد الفارسي كانت متدنية جداً تسودها الفوضى و عدم الاستقرار و الوضوح، ذلك أن طبيعة المجتمع الطبقي، إنما يقوم على استغلال الطبقات المحرومة، و المجتمع المزدكي الاشتراكي يقوم على أساس الظلم و أخذ حقوق الآخرين.

المطلب الرابع: الخدمة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام.

المضارب التي تقلب في العرب لأجيال سحيقة ضاربة في القدم، شملت الجزيرة العربية و طرفاً من بلاد الرافدين و بلاد الشام، وتميزت الجزيرة العربية على الخصوص بطبيعة قاسية أثرت على ترابط الجماعات والقبائل المتناثرة هنا و هناك، واستتبع ذلك تدني مستوى الحياة الاجتماعية نظراً لقلة الموارد الطبيعية، وقيام الحياة على التجارة و الغارة و الصيد، و رغم ذلك فإن أصول الخدمة الاجتماعية كانت موجودة في تصرفاتهم و التي نبعت من أخلاق الفرد العربي فقد تميز العرب منذ زمن ضارب في القدم بخلال الخير وخصال الشهامة والمروءة وقد عرفوا أنواع الخدمات الاجتماعية في شتى المجالات، وتميزت طريقتهم بما يناسب طبائعهم و معتقداتهم وبيئتهم، وقد سجل التاريخ أروع الصور في خدمة الجار والضيف و المسكين و عابر السبيل

¹ إليه تنسب نحلة المانوية، كان رجلاً نقاشاً خفيف اليد، ظهر في زمن سابور بن ازدشير بن بهرام، و ادعى النبوة، و قال إن للعالم أصلين النور والظلمة، فقبل سابور قوله، و لما انتهت نوبة الملك إلى بهرام قتله، و تفرق أتباعه في بلاد الصين وهناك انتشرت نحلته. و وضع كتاب الزند، و هو بلغتهم، التفسير، يعني به تفسير زرادشت، اعتقد فيه أنواعاً من الكفر، فأمر الملك بسلخ جلده حياً على باب مدينة. ينظر: الرازي، اعتقادات المسلمين والمشركين: الصفحة: (88)، ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه: (5/8).

² مزدك بن نامدان كان موبد موبدان في زمن قباذ ابن فيروز والد أنوشروان العادل، قيل أصله من كرمان وقيل نسا دعي النبوة، وأظهر دين الإباحة، وانتهى أمره إلى أن ألزم قباذ إلى أن يبعث امرأته ليمتدح بها غيره فتأذى أنوشروان من ذلك الكلام غاية التأذي، وقال لوالده: اترك بيني وبينه لأنظره فإن قطعتي طوعته وإلا قتلته فلما ناظر مع أنوشروان انقطع مزدك وظهر عليه أنوشروان فقتله. ينظر: الرازي، اعتقادات فرق المسلمين و المشركين: الصفحة (89)، ابن السمعاني، الأنساب: (273/5).

³ أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع: الصفحة: (9 - 10)، بتصرف.

وإن ند بعضهم عن هذه الخلال فهو الشاذ الذي لا تنفك عنه حال أمة من الأمم، والعبرة بالغالب من أمرهم، ففي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير، أن حكيم بن حزام أخبره أنه قال يارسول الله: «أرأيت أمورا كنت أتحنثُ أو أتحنثُ بها في الجاهلية، من صلة وعتاقة وصدقة هل لي فيها أجر؟ قال حكيم رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلمت على ما سلف لك من خير¹».

وفي رواية: عن هشام [بن عروة] أخبرني أبي: «أن حكيم بن حزام رضي الله عنه أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير، فلما أسلم حمل على مائة، بعير وأعتق مائة رقبة، قال: فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أصنعها في الجاهلية كنت أتحنث بها يعني أتبرر بها؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلمت على ما سلف لك من خير²».

ويحدثنا الإمام ابن قتيبة رحمه الله فيقول: «وكذلك الأمم فيها أمة كرم بلبانها، كالعرب، فإنها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم، والحياء، والتدب، وتعاير بالبخل، والغدر، والسفه، وتتنزه عن الدناءة والمذمة، وتتدرب بالنجدة، والصبر، والبسالة، وتوجب للجار من حفظ الجوار، ورعاية الحق فوق ما توجهه للحميم، والشقيق؛ فرمما بذل أحدهم نفسه دون جاره، ووقى ماله بماله وقتل دون حميمه... ولهم الضيافة عامة شاملة في جميع البادين منهم، والإيثار على النفس والجود بالموجود و أفضل العطاء جهد المقل³».

الأستاذ محمد أبو زهرة يصور لنا طرفا من الطابع العام للحياة الاجتماعية فيقول: «لم يكن لهذه الأمة اجتماع يؤلف مجتمعا موحدًا، مؤتلف العناصر، بل كانت أجزاء متفرقة وكانت العادات أيضا متفرقة والأخلاق متباينة والفقر يسود الأكثرين، والثروة في يد عدد قليل، ولكن كان مع الفقر قناعة، و رضا بالقليل، لا يطمع الفقير في مال الغني و لا يحسده على ما آتاه الله... ولم تكن المرأة ذات شأن في الكيان العربي إلا في بعض كبار القبائل إذا كانت المرأة تنتمي إلى بيت رفيع كما كان الشأن في بعض نساء قريش... كانت بعض القبائل تعد البنات

¹ أخرجه البخاري ، صحيح البخاري : (119/2)، رقم الحديث : (2220) كتاب البيوع ، باب شراء المملوك من الحربي و هبته و عتقه .

² أخرجه البخاري ، صحيح البخاري : (218/2)، رقم الحديث (2538)، كتاب العتق ، باب عتق المشرك .

³ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، فضل العرب والتبنيه على علومها: (1 / 63 . 66) .

خشية العار ... ولم تكن المرأة تأخذ ميراثا، بل كان الميراث للرجال ... كانت الأسرة في كثير من الأحوال أو في أغلب الأحوال تقوم على الزواج، لكن النسب كما كان يثبت بالنكاح كان يثبت بالسفاح، و لذلك كان للرجل عدة أولاد من علاقات مختلفة أحيانا، فبعضهم من زواج صحيح و بعضهم من سفاح و الجميع ينتمي إليه... كان النسب كما يثبت بالنكاح و السفاح يثبت بالإلحاق، فكان التبني سائدا عند العرب، كما كان سائدا عند الرومان»¹

¹ أبو زهرة ، تنظيم الإسلام للمجتمع: الصفحة(11 إلى 14) .

الفصل الأول

الخدمة الاجتماعية الخاصة

في ضوء السنة النبوية.

المبحث الأول: الخدمة الاجتماعية للأرملة في ضوء السنة النبوية.

سبق بيان أن الخدمة الاجتماعية الخاصة هي الخدمة الموجهة لفئة اجتماعية معينة من الفئات الضعيفة في المجتمع من يتامى و أرامل ومن شاكلهم، والسنة النبوية المطهرة نلمس فيها التأكيد في أحاديث كثيرة ترغيب كل المسلمين كل حسب جهده وطاقته في مد يد العون اجتماعيا للفئات الهشة في المجتمع.

يقول جفري لانغ¹: «فالأعمال الصالحة والسعادة الدائمة تنجم عن الإيمان؛ والأعمال الحسنة عندما تنجز بنية طاهرة فإنها تغذي إيماننا أعمق، وطمأنينة، وعيشة هنيئة، ولا شك أن الله ليس بحاجة إلى أعمالنا، ولكن علينا أن نؤمن، وإلا فلن تكون لدينا النية الحسنة؛ ذلك أن الخلاص لا يتم الوصول إليه عن طريق الالتزام بالشعائر الدينية، أو التمسك بالأشكال الخارجية، ففي العلاقات الإنسانية يترجم الإيمان الصادق بالفعالية الاجتماعية والقلق العميق تجاه أخيك

الإنسان يقول تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: 177].

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: 36] ... إن القرآن يربط سعادتنا وشقاءنا في الدنيا وفي الآخرة بعقائدنا ومدى تطبيقنا لهذه العقائد في علاقاتنا الإنسانية، ومن هنا فإننا نواجه امتحان وابتلاء الله لنا في كل عنصر من

¹ الدكتور جفري لانغ، أستاذ الرياضيات الأمريكي الأصل، تخرج من الجامعة في كانون الأول سنة 1981 م، كان ملحدا لسنوات، ثم أكرمه الله في نهاية المطاف بالإسلام، فصار داعية، كان لانج الرياضي اللامع يرى أن المنطق و القرآن صنوان لا يفترقان ، ألف كتابه المشهور صراع من أجل الإيمان . ينظر كتاب المؤلف . صراع من أجل الإيمان .

عناصر حياتنا : في أزواجنا، وأولادنا، ووالدينا، وأقاربنا، واليتامى، وابن السبيل، وأموالنا
وصراعاتنا ...»¹.

المطلب الأول: تعريف الأرملة لغة واصطلاحاً.

أولاً - الأرملة لغة: قال في الصحاح: « الأرملة هي المرأة التي لا زوج لها. وقد أرملت المرأة إذا
مات عنها زوجها. قال الشاعر :

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها كفن حاجة هذا الأرملة الذكر.
قال ابن السكيت: الأرامل: المساكين من رجال ونساء. قال: يقال لهم وإن لم يكن فيهم نساء
ويقال: قد جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين»²

قال في تهذيب اللغة: « قال القُتَيْبِيُّ: يقال للمرأة التي لا زوج لها: أرملة. وجمعها: أراملوالعرب
تقول للرجل الذي لا امرأة له: أرملة... قال ابن الأنباري: الأرملة: التي مات عنها زوجها:
سُميت " أرملة " لذهاب زاده وفقدتها كاسبها ومن كان عيشها صالحاً به؛ من قول العرب: أرملة
الرجل، إذا ذهب زاده. قال: ولا يقال للرجل إذا ماتت امرأته: أرملة، إلا في شذوذ، لأن الرجل
لا يذهب زاده بموت امرأته: إذا لم تكن قِيَمَةً عليه؛ والرجل قيم عليها تلزمه عيولتها ومؤنتها،
ولا يلزمها شيء من ذلك. ورُذِّ على القُتَيْبِيِّ قوله: فيمن أوصي بماله للأرامل أنه أعطى منه الرجال
الذين ماتت أزواجهم؛ لأنه يقال: رجل أرملة، وامرأة أرملة»³.

ثانياً - الأرملة في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح: فالأرملة هي: من مات عنها زوجها، يقال أرملة فلان، نسبة إلى زوجها
المتوفى.

قال في تحفة الأحمدي: «والأرملة من لا زوج لها سواء تزوجت قبل ذلك أم لا، وقيل: التي
فارقها زوجها»⁴.

¹ جفري لانغ، الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام : الصفحة : (99 - 100) .

² الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية : 4 / 1713 .

³ الأزهرى، تهذيب اللغة : (205/15) .

⁴ المباركفوري ، تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي : 104/6 .

المطلب الثاني: خدمة الأرملة في ضوء السنة النبوية.

الأرملة: هي المرأة التي فقدت المعيل، وراحت تواجه أعباء الحياة بمفردها، ويزداد عناؤها إذا كانت ذات أولاد صغار، فكفاحها وصبرها على لأواء الحياة جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل القربات، يؤكد ذلك حديث: «عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وامرأة سفعاء¹ الخدين كهاتين يوم القيامة، وأوما يزيد بالوسطى والسبابة امرأة آتمن زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها² على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا⁽³⁾».

هذا الحديث الشريف فيه الإشادة والتنويه بفضل الأرملة الخادمة لليتيم، وأنه من أجل القربات عند الله تبارك وتعالى، فهذا الحديث يرفع من قيمة الخدمة الاجتماعية التي يُرديها الإنسان لمن يستحقها من يتيم و ضعيف إلى درجة مجاورة النبي صلى الله عليه و سلم في الجنة وهو مطلب

¹ «السفعاء هي التي تغير لونها إلى الكمودة والسواد من طول الأيمة كأنه مأخوذ من سفح النار وهو أن يصيب لفحها شيئا فيسود مكانه، يريد بذلك عليه السلام أن هذه المرأة قد حبست نفسها على أولادها ولم تتزوج فتححتاج إلى أن تتزين وتصنع نفسها لزوجها» ينظر: ¹ العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود (58/ 14) .

² " حبست نفسها " قال في عون المعبود : «... أي منعته عن الزواج صابرة أو شفقة (على يتاماها) أي اشتغلت بخدمة الأولاد، وعملت لهم فكأنها حبست نفسها » ينظر: عون المعبود: (59/14).

³ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود: (الصفحة: 554)، كتاب الأدب، باب في فضل من عال يتيما، وأحمد في المسند : (203 / 17) ، حديث رقم : (23888 - 23890) ، عن عوف بن مالك رضي الله عنه. قال العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (750/1) إسناده ضعيف. قال المنذري فيما نقله عنه : العظيم آبادي في عون المعبود(60/14): «في إسناده النهاس بن قهم أبو الخطاب البصري القاضي ولا يحتج بحديثه وهو بالنون وبعد الألف سين مهملة وقهم بالقاف آخره ميم «قلت: الحديث في الترغيب، فلا بأس في الاحتجاج به. و قد قال في مثله البغوي في شرح السنة 143/4 وأخرج له حديث أبي هريرة : « من حافظ على ركعتي الضحى ... الحديث ». وقال : " هذا الحديث لا يعرف إلا من حديث النهاس، وقد روى عنه الأئمة ". وسكوت أبي داود دليل على صلاح روايته هذه. ثم إن له شاهدا من حديث أبي أمامة عند البيهقي في شعب الإيمان: (131 / 7) ، حديث رقم : 4773، وفيه : «قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا أبا أمامة ما أنا وأمة سفعاء الخدين شفعاء المعصمين آمنت برهما و تحننت على ولدها إلا كهاتين و فرق بين السبابة و الوسطى و الله اذهب فخر الجاهلية و تكبرها بأبائها كلكم لآدم و حواء... » الحديث. وقال البيهقي بعد إيرده الحديث : «سلم بن سالم البلخي غير قوي، وقد رواه عن رجل مجهول» قال مختار أحمد الندوي محقق شعب الإيمان : إسناده ضعيف.

عزیز ومرتبة منیفة، لذا قال الإمام ابن بطال رحمه : « حق علی من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة و لا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك¹».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال شيخنا في شرح الترمذي: لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي [صلى الله عليه و سلم أو منزلة النبي [صلى الله عليه و سلم] لكون النبي [صلى الله عليه و سلم] شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا ذنياه ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك اه ملخصا»⁽²⁾

كما نجد أن الأرملة الموفقة هي من تضرب أروع الأمثلة في التضحية والفداء حماية لأولادها فتؤثرهم على نفسها في المطعم والمشرب. تحدثنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن موقف أعجبها من أرملة وقفت عندها ذات يوم تطلب مساعدة غذائية لأولادها وقد أعجبت أم المؤمنين بهذه المرأة؛ ومن شدة عجبها حدثت بها رسول الله صلى الله عليه.

«فغن عبد الله بن أبي بكر أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: «من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار»⁽³⁾.

وفي لفظ عند مسلم، قالت: «جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، و رفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " إن الله قد أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار"⁴.

¹العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود : (60/ 14)

² ابن حجر، فتح الباري : (437/10).

³أخرجه، البخاري، الجامع الصحيح: (91-4)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: (5994)، ومسلم، صحيح مسلم: الصفحة: (2/ 1215)، حديث رقم: (2629)، كتاب البر و الصلة والآداب باب فضل الإحسان إلى البنات، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها .

⁴أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: (2/ 1215)، حديث رقم: (2630).

في الحديث: " فأحسن إليهن". قال الحافظ ابن حجر: «والذي يقع في أكثر الروايات بلفظ الإحسان وفي رواية عبد المجيد فصبر عليهن ومثله في حديث عقبة بن عامر في الأدب المفرد وكذا وقع في ابن ماجه، وزاد وأطعمهن وسقاهن وكساهن وفي حديث ابن عباس عند الطبراني فأنفق عليهن وزوجهن وأحسن أدبهن وفي حديث جابر عند أحمد وفي الأدب المفرد يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن زاد الطبري فيه ويزوجهن وله نحوه من حديث أبي هريرة في الأوسط وللترمذي وفي الأدب المفرد من حديث أبي سعيد فأحسن صحبتهن وأتقى الله فيهن وهذه الأوصاف يجمعها لفظ الإحسان... وقد اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر به على قدر الواجب أو بما زاد عليه، والظاهر الثاني، فإن عائشة أعطت المرأة التمرة فأثرت بما ابتيتها فوصفها النبي صلى الله عليه و سلم بالإحسان بما أشار إليه من الحكم المذكور، فدل على أن من فعل معروفًا لم يكن واجبا عليه، أو زاد على قدر الواجب عليه، عد محسنا والذي يقتصر على الواجب وإن كان يوصف بكونه محسنا، لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزواج أو غيره، كما أشير إليه في بعض ألفاظ الحديث والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله، وقد جاء أن الثواب المذكور يحصل لمن أحسن لواحدة فقط»¹

قال ابن بطل رحمه الله: «وفي حديث عائشة أن النفقة على البنات، والسعي عليهن من أفضل أعمال البر، وأن ذلك ينجي من النار»².

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة³ والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»⁴.

¹ ابن حجر، فتح الباري: (10/ 428).

² ابن بطل، شرح صحيح البخاري: (3/ 417).

³ قال النووي رحمه الله: «المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما» قال المباركفوري رحمه الله: «قال الطيبي وإنما كان معنى الساعي على الأرملة ما قاله النووي لأنه صلى الله عليه و سلم عداه بـ"على" مضمنا فيه معنى الإنفاق». ينظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي: (18/ 113). و المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: (104/6).

⁴ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (3/ 424)، حديث رقم: (5353)، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ومسلم، صحيح مسلم: (2/ 1360)، حديث رقم: (2982)، كتاب الزهد والرقائق، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

قال الإمام ابن بطلال رحمه الله: ((من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار فليعمل بهذا الحديث وليسع على الأرامل والمساكين ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون أن يخطو في ذلك خطوة ، أو ينفق درهماً، أو يلقي عدوًا يرتاع بلفائه، أو ليحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجاتهم وهو طاعم نهاره نائم ليله أيام حياته ، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لاتبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى فيريح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء¹)).

والعاملون في ميدان الخدمة الاجتماعية الموجهة للأرامل ينالهم بفضل الله هذا الكرم الإلهي وهذا الجزاء العظيم؛ لأنهم يقدمون الخدمة وهم يرجون الثواب من الله تبارك و تعالی، وبالتالي فإن مردود عملهم يكون نابعا من هذا المعتقد وعليه يفترض أن نرى تمام الإخلاص والإتقان والكمال في عمل العامل المسلم في الخدمة الاجتماعية ، ذلك ورغم أنه ينال أجره على أعماله إلا أن أعظم جزاء يناله عند الله سبحانه وتعالى، عكس العامل الذي لا يحركه معتقد، فتراه يقدم على العمل ولا تحركه إلا عواطف الشفقة أو الأجرة بخلاف المسلم فتحركه عقيدته، ورجاء الثواب من الله على هذه العبادة الاجتماعية، وهذا ما يميز الخدمة الاجتماعية في السنة النبوية عن الخدمة في المجتمعات الغربية.

ومؤسسات الخدمة على مستوى العالم العربي والإسلامي مطالبون بتطوير وسائل وأدوات كثيرة جدا، من أجل تحسين مستوى الخدمة المقدمة للأرامل، سواء في الجوانب المادية أو الصحية والنفسية، وكذا ابتكار الوسائل التي تساعد الأرامل على تجاوز الأزمات النفسية من جراء وفاة الزوج، كما تسهم المؤسسات الخدمية في إدماج الأرملة في العملية الإنتاجية كي تتحول الأرملة إلى عنصر إيجابي منتج في المجتمع عوض أن تكون عبئا عليه، وذلك بتشجيع المؤسسات الإنتاجية الصغيرة في البيوت، أو غيرها من البدائل التي تتناسب مع قدرات ومواهب الأرملة .

¹ ابن بطلال، شرح صحيح البخاري: (218/9).

المطلب الثالث: الخدمة الاجتماعية ودورها في رعاية الأرملة في ضوء السنة النبوية.

لقد أكدت السنة النبوية المطهرة على رعاية الأرملة، وحذرت من مغبة أن تترك لعوادي الزمن تقاسي الأزمات الاجتماعية لوحدها خصوصا إذا كانت ذات أولاد صغار، وخدمة الأرملة وإن نظر البعض إليها أنها في باب فضائل الأعمال والتبرعات فالأمر ليس كذلك؛ فهناك خدمة واجبة في عنق من انتخبه الشعب، - ولي أمر المسلمين - و هذه نسميها الخدمة الاجتماعية العمومية الواجبة في عنق الدولة بمؤسساتها المتخصصة و التي يفترض في ضوء التعليمات النبوية أن تخصص للأرملة كل ما تحتاجه من مسكن و غذاء و لباس و دواء و تعليم و غير ذلك .

وهناك التبرعات التطوعية التي هي في عنق الأفراد، و ليست دائما تبرع فقد ترتقي في بعض الحالات إلى مستوى الواجب بمعنى الفرض و ذلك في حق الموسرين و من وجبت عليهم فريضة الزكاة فإن من واجبه الديني إغاثة الأرملة و أن لا تترك هملا بلا راعي . و ما يلاحظ في الساحة الاجتماعية من تفشي للظواهر السلبية و الانحرافات الأخلاقية فإنما مصدره، الحاجة وقلة الرعاية الاجتماعية لهذه الفئات الهشة .

حذر النبي صلى الله عليه و سلم من الاستتار و الاحتجاب عن أصحاب الحاجات ، كالأرامل والمساكين، وجعل قضاء حوائج الأرملة عزيمة لا تحتاج إلى التأخير فهناك الخدمات الاستعجالية والتي لو تأخر قضاؤها فقدت معناها الخدمي .

فعن أبي مریم الأزدي¹ رضي الله عنه أخبره قال: «دخلت على معاوية فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان وهي كلمة تقولها العرب، فقلت: حديثا سمعته أخبرك به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من ولاه الله عز وجل شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره» قال فجعل رجلا على حوائج الناس²».

¹ عمرو بن مرة أبو مریم الأزدي رضي الله عنه، ويقال لأسدي ويقال للجهنى، له صحبة، قدم دمشق على معاوية، روى عن النبي صلى الله عليه و سلم. روى عنه أبو المعطل الكلبي، و القاسم بن مخيمرة، و أبو الشماخ الأزدي. ينظر: ابن حجر الإصابة : (175/7)، والبخاري، التاريخ الكبير : (308/6)، و ابن عساکر، تاريخ دمشق: (208/67).

² أخرجه أبو داود : سنن أبي داود، الصفحة : (334)، رقم الحديث : (2948)، كتاب الخراج، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية و الحجة عنه ، و ابن عساکر، تاريخ دمشق: (208/67 - 209). عن أبي مریم الأزدي رضي الله عنه =

وساقه الترمذي في سننه بلفظ آخر وصرح بذكر اسم أبي مريم الأزدي فأخرج فإسناده: «... قال عمرو بن مرة [أبو مريم الأزدي] معاوية إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : «ما من إمام يغلق بابه دون ذي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس¹» وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ولي من أمر المسلمين شيئا، فاحتجب عن ضعفة المسلمين، احتجب الله عنه يوم القيامة²».

وفي هذا دلالة واضحة أنه في عنق أولياء الأمور ومن ينوب عنهم من المسؤولين في الأمصار واجب النظر في حوائج الناس وضرورة أن يقوموا بكافة الإجراءات التنظيمية التي تكفل النظر في حوائج المحتاجين خاصة الضرورية منها، وعليه نقول أن توفير المكاتب المتخصصة للنظر في أحوال الأراامل والتكفل بكل متطلباتهم من الواجبات المؤكدة في عنق الدولة وأن التفريط في مثل هذه الأمور يعد من أكبر الذنوب التي تكون سببا في الحرمان من رضوان الله جل و علا .

قال في عون المعبود: «(احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره) أي أبعده ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية أو الدنيوية فلا يجد سبيلا إلى حاجة من حاجاته الضرورية³» . قال الإمام الجويني: «ومما يجب الاعتناء به أمور الولايات التي كانت منوطة بالولاية كتنزويج الأيامي والقيام بأموال الأيتام⁴» .

قلت: وهناك من الخدمات ما يتطلب السرعة في التنفيذ والتأخر في تقديمها يفقدها معناها ومقصدها الشرعي، مع ما يلحق المحتاج من العنت والعذاب النفسي لذا نعت السنة النبوية عن تأجيل الخدمة لغير مبرر وعذر شرعي وجعلته من دلائل إهانة صاحب الحاجة فقد جاء في

= قلت و الحديث سكت عنه أبو داود، و قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله : حديث صحيح . ينظر السلسلة الصحيحة : (205/2).

¹ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (610/3) ، رقم الحديث(1332) ، كتاب الأحكام ، باب ما جاء في إمام الرعية . قال الترمذي حديث عمرو بن مرة حديث غريب، والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة : (205/2).

² أخرجه ، أحمد، المسند : (394/36)، رقم الحديث (22076)، الطبراني ، المعجم الكبير : (20 /152) رقم الحديث (316). و حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة : (206/2).

³ العظيم آبادي، عون المعبود : (165/8).

⁴ الجويني ، غياث الأمم في التياث الظلم : الصفحة : (280).

الحديث «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والإقراء¹، قال يكون أحدكم أميرا أو عاملا فتأتي الأرملة، واليتيم والمسكين فيقال: انتظر حتى ننظر في حاجتك، فيتركون مقردين لا تقضى لهم حاجة ولا يؤمروا فينصرفوا ويأتي الرجل الغني الشريف فيقعده إلى جنبه ثم يقول: ما حاجتك فيقول: حاجتي كذا وكذا، فيقول اقضوا حاجته وعجلوا»² و في عالم اليوم أصبحت هناك الكثير من الإجراءات الإدارية والوثائق التي تحول دون وصول المساعدات المرجوة إلى مستحقيها خصوصا في البيئات ذات المستوى التعليمي المتدني مع غياب الثقافة القانونية خصوصا في الأرياف والبادية، فلا تصل الكثير من المساعدات المخصصة للأرامل لأسباب وصور متعددة من الإقراء الذي جاءت إليه في الحديث الشريف، لذا فإن الخدمة الاجتماعية لكي تؤتي ثمارها فلا بد من إعداد العميل إعداد دينيا قويا، لكي يؤدي وظيفته، وهو يستشعر الرقابة الإلهية في أثناء عمله، عكس أن يستشعر رقابة المسئول فقط؟ كما هو الحال في الخدمة الغربية، و هذا أيضا من الفوارق الجوهرية بين الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية و الخدمة في الدول غير الغربية .

ولهذا المعنى الذي ذكرنا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض الأحيان يشرف شخصا على وصول المساعدة للأرملة و أولادها.

¹ قال الخطابي: « أخبرني أبو عمر عن أبي العباس ثعلب قال: يقال أجرد الرجل إذا سكت حياء و أقرد إذا سكت ذلا ... قال أبو العباس وقال لي خلف بن هشام البزار جمعت بين الكسائي واليزيدي فقال له اليزيدي يا أبا الحسن إنه يأتينا من قبلك أشياء من اللغة لا نعرفها فقال له الكسائي وما أنت وهذا ما مع الناس من هذا العلم إلا فضل بزقي قال فأقرد اليزيدي . والأصل في الإقراء، أن يقع الغراب على ظهور الإبل ورؤوسها فيلقط ما عليها من قراد وحمنانة ونحوهما فتقر الإبل عند ذلك وتهدأ لما تجد له من الراحة، فيقال عند ذلك: أقردت الإبل، ولصوص العرب إذا جاء الواحد منهم إلى إبل مناخة بالليل ليأخذ منها بعيرا دنا من البعير، فحكه بيده، ثم نزع منه قرادا فيسكن إليه ثم يحطمه ولا يرغب ويشد عليه الرجل، ويركبه، فيقال: قد أقرد . ينظر، الخطابي، غريب الحديث: (1/ 441 . 442) .

² أخرجه: الطبراني، مسند الشاميين: 2/ 33 . 34، حديث رقم 866، أبو نعيم، حلية الأولياء و طبقات الأصفياء : (108/6)، في ترجمة أبي عمرو الشيباني، ترجمة رقم: 342، كلاهما عن أبي هريرة من طريق بقرية بالإسناد نفسه . قال أبو نعيم في الحلية (108/6): « حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث ثنا محمد بن مضافي ثنا بقرية بن الوليد حدثني الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي مريم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إياكم و الإقراء... الحديث . لكن عند أبي نعيم: " أباي و الإقراء". و لم يصرح بقرية بالتحديث عند الطبراني، و الحديث ذكره: الهندي، كنز العمال : (6/ 29) .

يقول الحافظ ابن كثير¹ رحمه الله: «قال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فإذا فيه امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها، فقالت: أنا امرأة غريبة وليس عندي شيء. فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقا وشحما، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاء، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث، فوضعت المرأة غلاما فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم²، حتى إذا كنا بصرار³ إذا بنار فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيانهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام قال: ادنو؟ قالت: ادن أو دع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع. فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء. أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر. فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق، فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار وقال: آتني بصحفة. فأتى بها فغرف فيها ثم جعلها بين يدي

¹ هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري الأصل الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ، ولد سنة 701 هـ، تفقه بالشيخ برهان الدين الفزاري، سمع القاسم بن عساكر وغيرهم من مؤلفاته، التفسير والبداية والنهاية في التاريخ والمهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن، المعروف بجامع المسانيد، وغيرها ينظر: الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ: الصفحة 57-58.

² حرة واقم: هي إحدى حرقى المدينة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وكان قد نزلها في الدهر الأول، وقيل: واقم اسم أطم من أطام المدينة، وإليه تضاف الحرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/249.

³ صرار: بكسر أوله و آخره مثل ثانيه، وهي الأماكن المرتفعة التي لا يعلوها الماء يقال لها صرار، و صرار اسم جبل... وقيل: موضع على ثلاثة أميال من المدينة، على طريق العراق؛ قاله الخطابي... وقيل: صرار ماء قرب المدينة محتفر جاهلي على سمت العراق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/398.

الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم»¹.

ففي هذا الأثر يتجلى مدى حضور الحس الاجتماعي في عهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذلك إلا من أثر التربية النبوية المباركة التي جمعت بين التزكية، وتعليم أصول الاجتماع وقواعد العيش السليم.

¹ ابن كثير ، البداية و النهاية : 10 / 187 . 186 . وأخرجه أحمد ، كتاب فضائل الصحابة : (1 / 290 . 291 . 292) ، و قال محققه إسناده حسن .

المبحث الثاني: السنة النبوية ودعوتها لخدمة ورعاية اليتيم اجتماعياً.

المطلب الأول: تعريف اليتيم لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف اليتيم لغة.

قال في الصحاح: «الْيَتِيمُ جمعه أَيْتَامٌ وَيَتَامَى، وقد يَتِمُّ الصَّبِيُّ بالكسر يَتِمُّ يُتَمُّ وَيَتَمَّ بِالْتَسْكِينِ فِيهِمَا. وَالْيَتِيمُ فِي النَّاسِ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ، وَفِي الْبَهَائِمِ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ. يُقَالُ: أُيْتِمَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَوْتَمٌ، أَيْ صَارَ أَوْلَادُهَا أَيْتَامًا»¹.

قال تهذيب اللغة: «قال الليث: اليتيم الذي مات أبوه [فهو]² يَتِيمٌ حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم، واليتيم من قبل الأب في بني آدم، وقد يتم يتيماً وقد أيتمه الله. قال الفراء: يقال: يتم [بكسر التاء] يتيماً وقد أيتمه الله، وحكيت لي: ما كان يتيماً، ولقد يتم يتيماً وجمع اليتيم يتامى وأيتام. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْيَنَ أَخْوَالَهُمْ﴾ [النساء: 2] سماهم يتامى بعد بلوغهم وإيناس رشدهم للزوم اليتيم إيّاهم. كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد كبره يتيماً أبي طالب لأنه ربّاه»³.

الفرع الثاني: اليتيم في الاصطلاح.

أما اليتيم في الاصطلاح: «فهو من فقد أباه وهو دون البلوغ، أخذاً من حديث الرسول " لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل"⁴، مع اختلاف بين الفقهاء في وقت انقطاع حكم اليتيم عنه، لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «إن الرجل لتنتب لحيته، وأنه لضعيف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتيم»⁵، وهذا في أحكام التصرف المالي أما اسم اليتيم فهو ينقطع بالبلوغ لما ورد في حديث الرسول " لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل"⁶»⁷.

¹ الجوهري، الصحاح: (5 / 2064).

² كذا في الأصل، قال محقق الكتاب فيالهامش: ساقط من الأصل و زيادة من ج . ينظر : الأزهرى، تهذيب اللغة : (339/14)

³ الأزهرى، تهذيب اللغة: (339/14).

⁴ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (325)، رقم الحديث: (2873)، كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . سكت عنه أبو داود و قال الألباني صحيح .

⁵ أخرجه مسلم، صحيح مسلم : الصفحة (878) رقم الحديث (1812) ، كتاب الجهاد و السير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم ، وهو جزء من حديث طويل فيه سؤالات نجدة الحروري لابن عباس رضي الله عنه .

⁶ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود : الصفحة (325) ، رقم الحديث (2873) ، كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (208/2).

⁷ السدحان، فضل كفالة اليتيم : الصفحة (12).

المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية المقدمة لليتم في ضوء السنة النبوية.

الرفق باليتيم فطرة إنسانية وعاطفة نبيلة مشتركة بين جميع البشر، ولا يذهل عن اليتيم إلا من قست طباعه وذهبت عنه روح الإنسانية، والمجتمعات إنما تمدح وتذم تبعاً للأخلاق اللصيقة بها الملازمة لحالها وحال أفرادها، ورفي الأمم وتقدمها إنما هو منوط بالأخلاق فكلما ارتفعت أمة من الأمم في خلق من الأخلاق إلا ازدادت رفعة وكثر عليها الثناء، ورسول الله صلى الله عليه و سلم إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق وصالح الخلاق، ومن أبرز الأخلاق الفاضلة في الإنسان خلق العطاء والإحساس بالآخرين من الضعفاء واليتامى والمساكين، وقد جاء وصفهم في صحيح مسلم: بأنهم: «خيرهم لمسكين ویتيم وضعیف»¹، ونحن نرى في عالم اليوم أن تطور نظام الخدمة الاجتماعية في المجتمعات الغربية في أعلى مستوياته عكس الدول العربية والإسلامية التي مازالت في بدايات التجربة، والتي تستحق أن نبذل جهوداً مضنية في سبيل اللحاق بالأمم المتحضرة مع مراعاة الهدى النبوي في ذلك. وقد جاءت الكثير من الأحاديث النبوية في الوصية باليتيم، نخلص في ضوئها إلى معرفة الطريقة المثلى في خدمة اليتيم ونكتشف الحقائق العلمية النبوية المتميزة في ذلك.

الفرع الأول: الكفالة كخدمة اجتماعية لليتم في ضوء السنة النبوية.

لقد اهتم الإسلام بشأن اليتيم اهتماماً بالغاً من حيث تربيته ورعايته ومعاملته وضمان سبل العيش الكريمة له، حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع المسلم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝١﴾ [الضحى: آية 9] وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۝١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿[الماعون: آية 1-2] ، وهاتان الآيتان تؤكدان على العناية باليتيم والشفقة عليه كي لا يشعر بالنقص عن غيره من أفراد المجتمع ، فينحرف ويصبح عضواً هادماً في المجتمع المسلم .

¹ جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه : الصفحة:(2/ 1324. 1325) ، كتاب الفتن و أشرطالساعة، عن المستورد القرشي.و الحديث بتمامه: (قال المستورد القرشي ، عند عمرو بن العاص : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : « تقوم الساعة و الروم أكثر الناس» فقال له عمرو : أبصر ما تقول قال : أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، و أسرعهم إفاقة بعد مصيبة و أوشكهم كرة بعد فرة، و خيرهم لمسكين و يتيم و ضعيف، و خامسة حسنة جميلة : و أمنعهم من ظلم الملوك) .

«ومما يؤكد حرص شريعة الإسلام على اليتيم والتأكيد المستمر على العناية به وحفظه هو ورود كلمة: "اليتيم" ومشتقاتها في ثلاث وعشرين آية من آيات القرآن العظيم، وبالنظر في نصوص القرآن العديدة في شأن اليتيم ، فإنه يمكن تصنيفها إلى خمسة أقسام رئيسة، كلها تدور حول: دفع المضار عنه، وجلب المصالح له في ماله، وفي نفسه، وفي الحالة الزوجية، والحث على الإحسان إليه، ومراعاة الجانب النفسي لديه. يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة ، آية : 83] ، فالإحسان إلى اليتيم متعين كما هو للوالدين ولذي القربى، كما قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ [الماعون : آية 1-2] وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ ﴾ [الضحى : آية 9] . قال ابن كثير عن تفسير هذه الآية : فلا تقهر اليتيم : أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به، وكن لليتيم كالأب الرحيم»¹.

1 - تعريف الكفالة لغة: قال الفيومي: «كفَلْتُ الرَّجُلَ والصغير من باب قتل كَفَّالَةً أيضا علته وقمت به ويتعدى بالتضعيف إلى مفعول ثان فيقال كَفَّلْتُ زيدا الصغير والفاعل من كَفَّالَةٍ المال كَفِيلٌ بملل الرجل والمرأة، وقال ابن الأعرابي وكَافِلٌ أيضا مثل ضمين وضامن وفرق الليث بينهما فقال: الكَفِيلُ الضامن والكَافِلُ هو الذي يعول إنسانا وينفق عليه»².

2- تعريف الكفالة اصطلاحا: «من الكفل وكافل اليتيم هو الذي يكفله ويقوم بأمره وينظر له»³.

أولا - الترغيب في كفالة اليتيم في ضوء السنة النبوية .

لقد رغبت السنة النبوية في كفالة اليتيم، وجعلته بمثابة دعوة إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وذلك لما يترتب عن الكفالة من آثار إيجابية في المجتمع الإسلامي حيث تصير الكفالة سببا في تجنيب المجتمع الكثير من الويلات والأزمات والانحرافات التي يتعرض لها اليتيم

¹ السدحان، فضل كفالة اليتيم: الصفحة، (15 - 16).

² الفيومي، المصباح المنير : (2 / 736 - 737) .

³ الباجي ، المنتقى شرح الموطأ : 398 / 9 .

إن ترك في مهب الريح، حيث إن المجتمع بكامله من سيحني ثمار تقاعسه عن التكافل الاجتماعي ورعاية مثل هذه الفئة الهشة في المجتمع.

فعن عبد العزيز بن أبي حازم قال حدثني أبي قال: سمعت سهل بن سعد عن النبي صلى اله عليه وسلم قال : «أنا و كافل اليتيم في الجنة هكذا ، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى»¹

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة» و أشار مالك بالسبابة و الوسطى².

وأرسله³ مالك عن صفوان بن سليم⁴؛ أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :«أنا و كافل اليتيم له أو لغيره كهاتين في الجنة إذا اتقى » و أشار بإصبعيه الوسطى و التي تلي الإبهام.⁵

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (4 / 92) حيث رقم : 6005 ، كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيماوأبو داود، سنن أبي داود : الصفحة : 554 ، حديث رقم : 5150 ، كتاب الأدب ، باب في ضم اليتيم ، كلاهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه و اللفظ للبخاري.

² أخرجه، مسلم، صحيح مسلم: 2 / 1360 حديث رقم : 2983 ، كتاب الزهد و الرقائق ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

³ المرسل هو: قال الذهبي في الموقظة : (علم على ما سقط ذكر الصحابي من إسناده ، فيقول التابعي : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم) وقال الحافظ ابن حجر في النزهة: (ما سقط من آخره من بعد التابعي و هو المرسل و صورته أن يقول التابعي سواء كان كبيرا أو صغيرا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كذا، أو : فعل كذا ، أو فعل بمحضته كذا ، أو نحو ذلك) ينظر : الشريف حاتم بن عارف العوني، شرح موقضة الذهبي: الصفحة (68) الحافظ ابن حجر العسقلاني، النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: الصفحة : 109 - 110 .

⁴ قال الإمام البخاري: « صفوان بن سليم مولى حميد عبد الرحمن ، قال بن عيينة : كنت إذا رأيته علمت أنه يخشى الله، وقال علي: عن ابن عيينة حدثني صفوان وكان ثقة ، سمع عطاء بن يسار ونافع بن جبير وأبا سلمة، مدني. » ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (4 / 308).

⁵ مالك، الموطأ: 2/537، حديث رقم: (2730) ، كتاب الجامع ، السنة في الشعر، عن صفوان بن سليم، مرسلا . قال ابن عبد البر في التمهيد : 16/245 : «هذا الحديث قد رواه جماعة عن النبي عليه السلام من وجوه صحاح وحديث صفوان هذا يتصل من وجوه ويستند من غير رواية مالك من حديث الثقات سفيان ابن عيينة وغيره.» .

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «معنى قوله في هذا الحديث له أو لغيره يريد من قرابته ومن غير قرابته والله أعلم¹».

قال الإمام الباجي رحمه الله: «وقوله صلى الله عليه وسلم: "له أو لغيره"، يحتمل - والله أعلم - أن يكون الكافل امرأة فتكفل اليتيم وهو ابنها، ويحتمل أن يريد الرجل يكفل يتيما من أقاربه؛ لأن اليتيم في بني آدم بموت الأب دون موت الأم وقوله صلى الله عليه وسلم: أو لغيره يريد أن لا يكون من عشيرته، والله أعلم وأحكم²».

ثانيا : صيغ كفالة اليتيم في ضوء السنة النبوية.

إن من أحسن الصيغ والطرق وأنجعها لكفالة اليتيم كفالة تؤتي ثمارها وتحقق أهدافها المرجوة منها، هو تشجيع المجتمع عن طريق كل القنوات ووسائل صناعة الرأي العام، على ما يسمى: نظام الأسرة البديلة لكفالة اليتيم، أي أن يتم دمج اليتيم فاقد الأبوين معا، في نظام أسري تكون بديلا عن الأسرة التي فقدتها اليتيم، «ويهدف نظام الأسر البديلة إلى جعل الطفل فاقد الرعاية، ينشأ بين أحضان أسرة طبيعية تعوضه عما فقدته من حنان وبفقدان والديه أو عجزهما عن رعايته، ومن المعلوم تفوق رعاية الأسرية البديلة للطفل على الرعاية المؤسسية بمراحل عديدة، إذ يتوافر للطفل العيش وسط أم وأب يغدقان عليه من الحنان والعطف ما قد يفتقده من عاش في بيئة مؤسسية إيوائية أو في دور التربية الاجتماعية³».

والكفالة ولا شك تخضع لجملة من الشروط قد تختلف من دولة إلى أخرى في بعض التفاصيل لكن الجامع المشترك المفترض توفره في كل القوانين هو: "مسألة الرضاع" حيث إنه عند إرضاع اليتيم المكفول من طرف الأم أو أختها أو إحدى قريباتها، ستتكون للطفل اليتيم المكفول صلة قرابة جديدة تربطه بالأسرة الكافلة وهي: الأخوة بالرضاع فتزول كل المحاذير الشرعية، وهذا مما تتميز به الخدمة الاجتماعية عن الخدمة الغربية حيث إن نظام التبني قد وقف منه الإسلام صارما بتحريمه وتجريم من يفعله ذلك أنه تعدي على الفطرة الإنسانية بتسبب الطفل إلى والد مزور، وهذا من شهادة الزور، وعليه فإن السنة النبوية حين جعلت من الرضاع سببا لانتقال

¹ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (246/16).

² الباجي، المنتقى: (399 /9).

³ السدحان، فضل رعاية اليتيم: الصفحة (39).

المحرمة فقد كان هذا الأمر حلاً لكثير من المعضلات الأسرية التي تتخبط فيها المجتمعات الغربية.

الفرع الثاني: الخدمة النفسية لليتيم في ضوء السنة النبوية.

وتتضمن العطف على اليتيم، واللفظ في معاملته، أثره في تنشئته الاجتماعية السليمة. لقد كانت السنة النبوية المشرفة سباقية حين أكد النبي صلى الله عليه و سلم على ضرورة العناية والتكفل باليتيم نفسياً، بإزداء كل ألوان العطف، والمودة، والمرافقة الاجتماعية في حال الأزمات ليكون اليتيم في المستقبل من الأيام شخصاً سويًا يعتمد عليه، فقد جعل النبي صلى الله عليه و سلم، من إمرار اليد بعطف ومرحمة على رأس اليتيم؛ من أجل القربات عند الله جل وعلا، ففي الحديث الشريف: «عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من مسح رأس يتيماً لا يمسه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيماً عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين إصبعيه»⁽¹⁾

قال المناوي: «وإطلاق الأخبار شامل لأيتام الكفار ولم أر من خصها بالمسلم»².

قلت: وهذا يدل على أن الخدمة الاجتماعية في الإسلام، ومن منظور السنة النبوية، ذات بعد إنساني عالمي، لا عنصرية في إسدائها، ولا غرض من ورائها، وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "من مسح رأس يتيماً لا يمسه إلا الله"³ إي أن أعمال المسلم خالصة لوجه الله يتغني بها مرضاة الله، عكس الكثير من المنظمات الإغاثية الدولية التي تحمل المضامين التبشيرية والتوجهات الإيديولوجية، فالكثير من دور رعاية الأيتام يتم فيها استغلال ضعف هذه الفئات الهشة لتوجيههم التوجيه الذي يراد به الوصول إلى الهدف المسطر وهو التنصير أو غيرها من الأهداف المسبقة .

وكذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم من أرفق الناس في معاملة اليتيم، ولكن غلب على طابع خدمة اليتيم طابع اجتماعي خاص أملته الحالة الاجتماعية و أعراف المجتمع

¹ الطبراني، المعجم الكبير : 202/8 حديث رقم 7821 عن علي بن يزيد، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، مرفوعا . قال الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه المناوي في فيض القدير:(1/ 141) : إسناده ضعيف . قلت: لا بأس به في الفضائل على ما جرى عليه العمل عند بعض العلماء في الاستشهاد بالضعيف في الفضائل.

² المناوي، فيض القدير: (1/108).

³ سبق تخريجه ، الهامش السابق رقم 1 .

الإسلامي في صدر الإسلام، فكان اليتيم تتم كفالته داخل الأسرة، فيعيش اليتيم كفرد من أفرادها، له ما لها، وعليه ما عليها، ففي الجو الأسري يتم تعويض العاطفة و الحنان التي فقدتها بفقده الأبوين، أو أحدهما، في الجو الأسري المفعم بالعطاء والبذل والرفق باليتيم، تحت ظلال الوصايا النبوية التي تؤكد على أهمية وضرة الرفقه به، و بذلك ينشأ اليتيم نشأة سوية.

وهناك الكثير من المشاهد في عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم تعبق بالإنسانية والرفق والتألق الإنساني إلى أسمى درجات العطاء مع التوجيه التربوي والشحن العاطفي لليتيم، فقد جعل النبي صلى الله عليه و سلم حسن ولاية اليتيم سببا لحظ وافر من الحسنات بعدد شعر رأس اليتيم: فعن عن عبد الله بن أبي أوفى قال : بينما نحن قعود عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه غلام فقال: يا رسول الله، غلام يتييم، و أم لي أرملة، أطعمنا أطعمك الله مما عنده حتى ترضى قال : فقال : ما أحسن ما قلت يا غلام، يا بلال انطلق إلى أهلنا فأتنا بما وجدت عندهم من طعام فأتاه بلال بواحد و عشرين ثمرة فوضعها في كف رسول الله صلى الله عليه و سلم فأشار رسول الله صلى الله عليه و سلم بكفيه إلى فيه و نحن نرى تلك الساعة أنه يدعو بالبركة لليتيم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم للغلام : سبعة لك و سبعة لأمك سبعة لأختك و تعش بتمره و تعد بأخرى فانصرف الغلام و كان من أبناء المهاجرين فقام إليه معاذ بن جبل فوضع يده على رأسه فقال : يا غلام جبر الله يتمك و جعلك خلفا من أبيك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذلك: "والذي نفس محمد بيده لا يلي أحد من المسلمين يتيما فيحسن ولايته ثم يضع يده على رأسه إلا جعل الله له بكل شعرة حسنة و كف عنه بكل شعرة سيئة¹».

إن أفضل كفالة لليتيم في ضوء السنة النبوية، إنما تتم عن طريق دمج داخل الأسرة، وهو ما يسمى الأسر البديلة، في عصرنا، مع مراعاة آداب الإسلام العامة داخل البيت، وتقديم الدعم المادي والمعنوي للأسر التي تقدم على كفالة اليتيم، فقد جاء «في تقرير لمنظمة الصحة العالمية يتضح أن الطفل الذي لا يحصل على الحب الكافي خلال الست سنوات الأولى من عمره يظل

¹ أخرجه البيهقي، شعب الإيمان : (7 / 474)، حيث رقم 11041، باب في رحم الصغير و توقير الكبير .عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.قال البوصيري في إتخاف الخيرة المهرة ، 5 / 487 : « رواه أحمد بن منيع والحارث بن أبي أسامة ، ومدار إسناديهما على فائد بن عبد الرحمن، وهو ضعيف . »

بقية حياته يعاني قصورا في تكوينه البيولوجي والعقلي والاجتماعي. إذ تأكد أن حرمان الطفل من الجو العاطفي له تأثير سيء على نمو عظامه، وعلى درجة التكيف الاجتماعي الانفعالي لديه¹ ولقد كان دين الإسلام سباقا في مثل هذه الأمور المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية وفي السنة النبوية توجيهات قيمة تدعوا لرعاية الطفل اليتيم وكفالاته داخل الجو الأسري لينمو نمو سليما بعيد عن كل انحراف.

ويزيد هذا المعنى تأكيدا، ما روي عن عمر بن الخطاب رفوعا: "أحب بيوتكم إلى الله عزوجل بيت فيه يتيم مكرم"²، وقوله صلى الله عليه و سلم: "يتيم مكرم"، واضح أن السنة النبوية لا تكتفي في كفالة اليتيم بمجرد الإيواء والإطعام وإنما زادت قيمة خلقية واجتماعية وهي أن يكون اليتيم مكرما أي أن تحفظ كرامته ويتلقى كافة ألوان التكريم مبالغة في رعايته الرعاية النفسية والعقلية و الجسدية. وهنا نسجل سبق السنة إلى حماية اليتيم من العنف وألوان القهر التي يتعرض لها الكثير من اليتامى في دور الرعاية الاجتماعية.

¹ محمد طلعت عيسى، و عدلي سليمان، خدمة الجماعة، الصفحة: 26، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، 1962

² البيهقي، شعب الإيمان: (13/ 391)، حيث رقم: (10526)، عن عمر رضي الله عنه . و أخرجه الطبراني المعجم الكبير: (12/ 388) رقم الحديث (13434). ولفظه: (إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم) والقضاعي في مسند الشهاب: (2/ 229 - 230)، رقم الحديث: (1249)، جميعهم من طريق إسحاق بن إبراهيم الحنيني عن مالك بن أنس عن يحيى بن محمد بن طحلاء عن أبيه عن عمر: قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم . و وقع في رواية الطبراني: يحيى بن محمد بن طلحة عن أبيه عن ابن عمر، [قلت: لعله وهم من الناسخ]. قال ابن أبي حاتم في كتاب العلل: 5/ 334، المسألة رقم: 2021: « وسألت أبي عن حديث رواه الحنيني، عن مالك بن أنس، عن يحيى بن محمد بن طحلاء، عن أبيه، عن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم. قال أبي: هذا حديث منكر.» قلت: لكن قال الخليلي في الإرشاد: الصفحة (112) « تفرد به الحنيني عن مالك و الحديث صحيح». قال ابن عدي في الكامل: (500/2): هذا الحديث لا يرويه عن مالك غير الحنيني. قلت: و إسحاق بن إبراهيم الحنيني المدني قال فيه البخاري (1/ 379): في حديثه نظر، و قال ابن عدي في الكامل: (501/2) يكتب حديثه، و أورده ابن حبان في الثقات (2/ 115) و قال: كان ممن يخطئ، و قال ابن أبي حاتم في الجرح و التعديل (2/ 208): سمعت أبي يقول: رأيت أحمد بن صالح لا يرضى الحنيني، وسئل عنه أبو زرعة فقال: صالح.

الفرع الثالث: الخدمة المادية لليتم وأثرها على حياته الاجتماعية.

وتشمل أنواع المساعدات المادية والمالية لليتم، والمراد بالمساعدة المادية كل ما يقدم من خدمات لليتم، من رعاية لماله، وكذا ما يقدم له من مسكن ومشرب ولباس وغذاء ودواء ومركب وما شابهه. فلا يخفى ما للجانب المادي في الحياة الإنسانية من أهمية، فبالمال تحفظ وتستقيم الضروريات التي بها تستمر الحياة، فالسعي لتوفيره المسكن والمأكل والمشرب... الخ لليتم ضميمة للإيمان والتقوى في القلوب وهي من الرحمة التي وضعها الله في القلوب، و لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "الصدقة برهان"¹ ، فهي برهان الإيمان واليقين، والمجتمع إذا حفظت فيه مصالح وحقوق الضعفاء من اليتامى والأرامل والعاجزين فهو مجتمع متراحم يستحق الرحمة من الله جل وعلا، فيزداد خيره وتكثر موارده، وقد توعد الله من ينسى هذه الفئات الهشة في المجتمع بأن يلقي نفس المصير فلن يجد من يرحمه عند فاقته و حاجته، بل إن المجتمع الإسلامي ينبغي أن تتعدى رحمته لغيره من المجتمعات غير المسلمة لأن الخدمة الاجتماعية في منظور السنة النبوية خدمة إنسانية عامة فقد ثبت في الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»².

قال الإمام ابن بطال رحمه الله : «في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم وجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان، فلم يخلق الله عبثاً، وكل أحد مسئول عما استرعيه ومملكه من إنسان أو بهيمة لاتقدر على النطق وتبين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا ترى أن الذي سقى الكلب الذي وجدته بالفلاة لم يكن له ملكاً فغفر الله له، بتكلفه

¹ جملة من حديث أخرجه ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بليان : 123/3 - 124 ، كتاب الرقاق، باب تفضل الله جل و علا على حامده بإعطائه ملء الميزان ثوابا في القيامة الترمذي : سنن الترمذي : 5 / 535 ، حديث رقم : 3517 ، كتاب الدعوات ، باب ، كلاهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه مرفوعا ، لكن عند ابن حبان وقع قوله : " الزكاة برهان و الصدقة ضياء " . و عند الطبراني : (207/9) ، رقم الحديث : (8911) عن عبد الله بن مسعود . قال الدرويش في بغية الرائد في تحقيق جمع الزوائد و منبع الفوائد : (409/10) رواه الطبراني و إسناده جيد .

² أخرجه : البخاري ، الجامع الصحيح : (91/4) ، حديث رقم: 5997 ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته : (219/ 9)

النزول فيالبئر وإخراجه الماء في خفه وسقيه إياه، وكذلك كل ما في معنى السقي من الإطعام
1«...»

أولاً : خدمة اليتيم من الجانب الجسمي. ويتناول الطعام والشراب والدواء وغيره.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ [الإنسان: 8 . 9] .

قال الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «خصص الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من
إيثاره على النفس كما أفاد قوله: « على حبه». والتصريح بلفظ الطعام مع أنه معلوم من فعل
«يطعمون» توطئةً ليبنى عليه الحال وهو: «على حبه» فإنه لو قيل: ويطعمون مسكيناً ویتيماً
وأسيراً لفات ما في قوله « على حبه » من معنى إيثار المحاويع على النفس، على أن ذكر
الطعام بعد « يطعمون » يفيد تأكيداً مع استحضر هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد
الهيئة². جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله
الله الجنة البتة، إلا أن يكون قد عمل ذنباً لا يغفر له³».

قال في تحفة الحوذني : قوله:«من قبض يتيماً بين المسلمين» أي تسلم وأخذ وفي رواية شرح
السنة "من آوى يتيماً" كما في المشكاة " إلى طعامه وشرابه" الضميران لمن والمعنى من يضم
اليتيم إليه ويطعمه " أدخله الله الجنة البتة" أي إدخالاً قاطعاً بلا شك وشبهة " إلا أن يعمل
ذنباً لا يغفر" المراد منه الشرك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ ﴾ [النساء: 48] كذا ذكره الطيبي⁴.

¹ ابن بطال ، شرح صحيح البخاري : 219/9 .

² ابن عاشور ، التحرير و التنوير : 348/ 29 .

³ أخرجه الترمذي سنن الترمذي : (320/4) ، حديث رقم : (1917) ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة
اليتيم و كفالته ، أبو يعلى ، مسند أبي يعلى : (4/ 342) ، رقم الحديث (2457) ، و زاد فيه : " من عال ثلاث
بنات فانفق عليهن ... الحديث . كلاهما عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال حسين سليم أسد محقق
مسند أبي يعلى، إسناده ضعيف، و قال الشيخ الألباني : ضعيف ، ينظر : الألباني، ضعيف سنن الترمذي : الصفحة
(181) .

⁴ المباركفوري، تحفة الأحوذني:(6/ 44-45) .

وأخرج الإمام البيهقي بإسناده عن الزهري قال: حدثني سعيد بن المسيب: أن أول شيء عتب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي لبابة بن عبد المنذر، أنه خاصم يتيما له في عذق¹ نخلة فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة بالعذق فضج اليتيم واشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة: «هب لي هذا العذق يا أبا لبابة لكي نرده إلى اليتيم». فأبى أبو لبابة أن يهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا لبابة أعطه هذا اليتيم ولك مثله في الجنة». فأبى أبو لبابة أن يعطيه فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت إن ابتعت هذا العذق فأعطيت اليتيم ألي مثله في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم». فانطلق الأنصاري وهو ابن الدحاح حتى لقي أبا لبابة فقال: «يا أبا لبابة أبتاع منك هذا العذق بحديقتي». وكانت له حديقة نخل فقال أبو لبابة: نعم فابتاعه منه بحديقة فلم يلبث ابن الدحاح إلا يسيرا حتى جاء كفار قريش يوم أحد فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم فقتل شهيدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رب عذق مذلل لابن الدحاح»²

¹ العذق بالفتح : النخلة ، وبالكسر العرجون بما فيه من الشماريخ ويُجمع على عذاقٍ ، ومنه حديث أنس [فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمي عذاقها] أي نخلاتها ، ومنه حديث عمر [لا قطع في عذق معلق] لأنه ما دام معلقا في الشجرة فليس في حرز ، ومنه [لا والذي أخرج العذق من الجرمة] أي النخلة من النواة ، ومنه حديث السقيفة [أنا عذيقها المرجب] تصغير العذق : النخلة وهو تصغير تعظيم . وبالمدينة أطم لبني أمية بن زيد يقال له : عذق . ينظر ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر : 199/3 .

² ثابت بن الدحاح بن نعيم بن غنم بن إياس حليف الأنصار وكان بلويا حالف بني عمرو بن عوف ويقال ثابت بن الدحاح، ويكنى أبا دحاح، وأبا الدحاح. ينظر ابن حجر الإصابة : (1 / 199) رقم الترجمة : 874 . وقال النووي في تهذيب السماء و اللغات (2 / 228) : «أبو الدحاح: ويقال: أبو الدحاح الأنصاري الصحابي، بفتح الدالين وبجائين مهملتين. قال ابن عبد البر: لا أقف على اسمه، ولا على نسبه، غير أنه من الأنصار حليف لهم. وقال غيره: اسمه ثابت، وفي صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "كم من عذق معلق أو مدلى في الجنة لابن الدحاح»

في الجنة»¹.

ثانياً: استثمار أمواله و ما ورد من الترهيب من أكل ماله كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.

لقد ورد في السنة النبوية جملة من التعليمات والتوجيهات التي تبين لنا كيفية التعامل مع مال اليتيم منها:

1 - مخالطة اليتيم في ماله وحسن التدبير لذلك.

«عن ابن عباس قال: لما أنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 34] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاحْوِزْهُمْ﴾ [البقرة: 220] فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه»²

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «قال أبو عبيد³: ومخالطة اليتامى أن يكون لأحدهم المال ويشق على كافلة أن يفرز طعامه عنه ولا يجد بدا من خلطه بعياله ، فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه

¹ بهذا السياق أخرجه البيهقي، السنن الكبرى : 6 / 158 . كتاب الوقف، باب من قضى فيما بين الناس بما فيه صلاحهم ودفع الضرر عنهم على الاجتهاد . و الجملة الأخيرة من الحديث في مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : 429 رقم الحديث (965)، كتاب الجنائز ، باب ركوب المصلي على الجنائز إذا انصرف ، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، و لفظه: «فقال رجل من القوم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كم من عذق معلق أو مدلى في الجنة لابن الدحداح أو قال شعبة لأبي الدحداح» وفسر ابن حبان في صحيحه : (113/16) رقم الحديث: (7159) سبب صدور هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذكر السبب الذي من أجله قال صلى الله عليه وسلم هذا القول. ثم ساق الرواية عن أنس رضي الله عنه، بما يقارب رواية البيهقي، و قال البيهقي في سننه الكبرى: (64/6) : «رواه البخاري في الصحيح عن عبدان دون قصة أبي لبابة . قلت : وقد تتبعته حديث عبدان في البخاري فلم أجده، وذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين : (343/1) في أفراد مسلم رقم الحديث (537) . فالله أعلم .

² أخرجه: أبو داود سنن أبي داود :الصفحة : (325)، رقم الحديث : (2871)، كتاب الوصايا باب مخالطة اليتيم في الطعام .

³ القاسم بن سلام أبو عبيد البغدادي مولى بني أمية وقد قيل مولى الأزدي كان من خراسان يروى عن شريك، وإسماعيل بن جعفر، روى عنه أهل العراق، وكان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس ممن جمع وصنف وذب عن الحديث ونصره وقمع من خالفه وحاد عنه، له من تصنيفات منها: غريب الحديث، والأموال =

كافيه بالتحري، فيجعله مع نفقة أهله، وهذا قد يقع فيه الزيادة والنقصان، فجاءت هذه الآية الناسخة بالرخصة فيه. قال أبو عبيد: وهذا عندي أصل لما يفعله الرفقاء في الأسفار أنهم يتخرجون النفقات بينهم بالسوية وقد لا يتساوون في كثرة المطعم وقتته، وليس كل من قل طعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه، فلما كانهذا في أموال اليتامى واسعاً كان في غيرهم أوسع ، ولولا ذلك لخنفت أن يضيق فيه الأمر على الناس» .

2. الترغيب في الاتجار بماله في ضوء السنة النبوية.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اتجروا¹ في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة " لم يرو هذا الحديث عن يحيى إلا عمارة ولا عن عمارة إلا عبد الملك ولا عن عبد الملك إلا شجرة ولا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد²

وعن « عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس

= وغيرها، مات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير : 172/7، و ابن أبي حاتم : الجرح و التعديل : 111/7 ، ابن حبان ، الثقات : 16 /9 - 17. و الذهبي ، تذكرة الحفاظ : 417/2 .

¹ قال المناوي : « " اتجروا " بكسر الهمزة والجيم أمر من التجارة وهي تقليب المال للربح. قال الزمخشري : التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشترى للربح . " في أموال اليتامى " قال الطيبي : أصله اتجروا بها نحو كتبت بالقلم لأنه عدة للتجارة ومستقرها كقوله تعالى ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرَيْبِي ﴾ [الأحقاف:15] أي أوقع لي الصلاح فيهم وفائدة جعل المال مقررا للتجارة أن لا ينفق من أصله بل يخرج الصدقة من الربح» المناوي ، فيض القدير : 107/1 .

² أخرجه، مالك في الموطأ: (342/1) ، حديث رقم : (677) كتاب الزكاة ، زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها والطبراني، المعجم الأوسط : (264/4) و عبد الرزاق ، المصنف : 68/4 . من قول عمر رضي الله عنه. وأخرجه: البيهقي، السنن الكبرى: (107 / 4)، من طريق الشافعي عن يوسف بن ماهك مرفوعا، وقال البيهقي: وهذا مرسل إلا أن الشافعي رحمه الله أكده بالاستدلال...، وبما روي عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك. وقد روي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا اهـ. قال الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير: 295 / 1 : «رمز المصنف لحسنه وقال الهيثمي: أخبرني شيخي -يريد العراقي- أن سنده صحيح، واقتصر الحافظ ابن حجر على تحسينه» و في رواية محمد بن الحسن لموطأ مالك : الصفحة : 111 ، كتاب الزكاة، باب زكاة الحلي: «قال محمد : أما ما كان من حلي و جواهر ولؤلؤ، فليست فيه الزكاة على كل حال إلا أن يكون للتجارة ، وأما ما كان منذهب أو فضة ففيه الزكاة على كل حال إلا أن يكون ذلك ليتيم أو يتيمة لم يبلغا، فلا تكون في مالها زكاة . وهو قول أبي حنيفة رحمه الله» .

فقال: «ألا من ولي يتيما له مال فليتجر فيه ولا يتركه حتى تأكله الصدقة¹».

قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «ففي الكل دلالة على وجوب الزكاة في مال الصبي كالمكلف ويجب على وليه الإخراج وهو رأي الجمهور وروي عن ابن مسعود أنه يخرج الصبي بعد تكليفه وذهب ابن عباس وجماعة إلى أنه يلزمه إخراج العشر من ماله لعموم أدلته لاغيره لحديث "رفع القلم"² قلت: ولا يخفى أنه لا دلالة فيه وأن العموم في العشر أيضا حاصل في غيره كحديث: «في الرقة ربع العشر³ ونحوه»⁴.

وعليه يستفاد من هذا الحديث أن إخراج الزكاة من مال اليتيم يتولاها ولي اليتيم، وهو مستأمن في ذلك، والقائلون بإخراج الزكاة من مال الصبي اليتيم إنما نظروا إلى أن الزكاة حق يؤخذ من المال، دون نظر إلى مالكه، وهذا النظر من الفقهاء، ذو بعد مقصدي، وهو الإبقاء على واجب التكافل بالمال والتبرع بالخدمات بين أفراد المجتمع ولو كان صاحب المال صبيا صغيرا، وهذا النظر يستقيم مع غايات الخدمة الاجتماعية وتوسيع مواردها لتشمل عدة فئات، و المانعون نظروا إلى المسألة من زاوية أخرى وهو الإبقاء على مال الصغير في حياته لشدة حاجته إليه لعجزه وتوقف تمام مصالحه على سعي غيره، فكأنهم جعلوا من الصغر مظنة للعجز، وعدم التكليف بالزكاة، فأسقطوا عنه واجب المساهمة في التكافل الاجتماعي لداعية الضعف والعجز عن القيام على النفس انفرادا، وهو نظر اجتماعي يصب في

¹ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (23/3 24)، كتاب الزكاة ، باب ماء في زكاة مال اليتيم ، و البيهقي، السنن الكبرى : (4 / 107) . عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . قال الإمام الترمذي: «وإنما روى هذا الحديث من هذا الوجه وفي إسناده مقال لأن المثني بن الصباح يضعف في الحديث» قلت: الحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، الصفحة: (66) .

² طرف من حديث أخرجه : أبوداود :الصفحة 481 ، رقم الحديث :4403 ، كتاب الحدود ، باب في المخنون يسرق أو يصيب ، و الترمذي، سنن الترمذي : 4 / 32 ، كتاب الحدود ، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد ، رقم الحديث :1423 ، كلاهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا . قال الترمذي حديث علي حديث حسن غريب .

³ " في الرقة ربع العشر" ، هي جملة من حديث أبي بكر الصديق الطويل في الصدقات أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (449/1)، رقم الحديث: (1454)، كتاب الزكاة ، باب زكاة الغنم ، أخرجه ابن خزيمة، صحيح بن خزيمة: (4 / 33) رقم الحديث : (2296)، كتاب الزكاة ، باب ذكر مبلغ الزكاة في الورق إذا بلغ خمس أواق ، كلاهما عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

⁴ الصنعاني، سبل السلام: (2 / 571).

مصلحة الصغير لوحده، وهدفه حفظ مال اليتيم وأن لا يبذل للغير إلا بدليل قاطع، حتى يكبر اليتيم و يتولى شؤونه المالية . الله أعلم .

فإذا حدث واحتاج إنسان حاجة ضرورية وهو يتولى أمر مال اليتيم، وكان لليتيم فضل مال فإن السنة النبوية هنا تبيح للإنسان أن يتناول من مال اليتيم و طعامه ما يسد به الرمق و يرد به الحاجة الضرورية أما أن يتوسع في استهلاك ماله فممنوع . فقد جاء في الحديث عن «عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رجلا، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتييم، قال: «كل من مال يتييمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل¹» قال الإمام البغوي رحمه الله: باب ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِيتِمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة : 220] وقال : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا﴾ [النساء : 6] أي : مبادرة ، يقول : لا تبادروا بلوغ اليتامى بإنفاق أموالهم، وقال عزوجل : ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء : 6] قالت عائشة : أنزلت في ولي اليتيم الذي يقيم عليه ، ويصلح في ماله إن كان فقيرا يأكل منه بالمعروف فيروى عنها أنها قالت : يأكل الوصي بقدر عمالته ، وقيل : يأكل بالمعروف قدر ما يسد به خلته³ .

قال الإمام العيني: «ومن كان في غنية عن مال اليتيم فليستعفف عنه و لا يأكل منه شيئا. قال الشعبي⁴ : هو عليه كالميتة والدم، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف، يعني بقدر قيامه عليه

¹ قال الإمام البغوي: «قوله: غير متأثل، أي: غير متخذ منه أصل مال، وأثلة الشيء: أصله» ينظر: البغوي، شرح السنة: (305/8).

² أخرجه، النسائي: سنن النسائي : (567/6)، رقم الحديث : (3670) كتاب الوصايا ، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه . و أبو داود سنن أبي داود: الصفحة : (325)، رقم الحديث () كتاب الوصايا ، باب ما جاء في ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم . و ابن ماجه ، سنن بن ماجه : (907 /2) ، رقم الحديث : (1718)، كتاب الوصايا باب قوله [تعالى] : ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 6] ، و البغوي، شرح السنة : (305 / 8) ، رقم الحديث: (2205) ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . رضي الله عنهم . قلت الحديث حسنه الشيخ ناصر الدين الألباني، في إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل : (277/5) .

³ البغوي، شرح السنة : 304/8 .

⁴ هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الشعبي كوفي، الفقيه، رأى على بن أبي طالب وروى عن الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، مات سنة أربع و مائة، و بلغ ثنتين و ثمانين سنة، ينظر ترجمته في : البخاري، التاريخ الكبير : 450 / 6 ، و ابن أبي حاتم، الجرح و التعديل : 322/3 ، أبو نعيم، حلية الأولياء: 310/4 رقم الترجمة : 276 .

وقال أبو جعفر النحاس¹: منع جماعة من أهل العلم الوصي أن يأخذ شيئاً من مال اليتيم قال أبو يوسف القاضي²: لا أدري لعل هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29] فلا يجز لأحد أن يأخذ من مال اليتيم شيئاً، إذا كان معه مقيماً في المصر، فإن احتاج أن يسافر من أجله فله أن يأخذ ما يحتاج إليه و لا يقني شيئاً، وهو قول أبي حنيفة ومحمد... ثم افترق الذين قالوا الآية محكمة فرقا فقال بعضهم: إن احتاج الوصي فله أن يقتض من مال اليتيم، فإن أيسر قضاءه، وهذا قول عمر بن الخطاب، وعبيدة و أبي العالية، وسعيد بن جبير، قال أبو جعفر و هو قول جماعة من التابعين و غيرهم، و فقهاء الكوفيين عليه أيضا. قال أبو قلابة: [قوله تعالى] فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ³ مما يحبي من القلة، فأما المال الناض³ فليس له أن يأخذ منه شيئاً قرضاً و لا غيرهن و ذهب قوم على ظاهر الآية منهم: الحسن البصري، فقالوا: له أن يأكل منه مقدار قوته، و قال الحسن: إذا احتاج ولي اليتيم أكل بالمعروف وليس عليه إذا أيسر قضاؤه، والمعروف قوته، وهو قول النخعي وقتادة⁴»

¹ هو محمد بن عبيد بن محمد بن المحاربي من أهل الكوفة كنيته أبو جعفر النحاس، يروى عن وكيع، وعبد الله بن الأجلح مات سنة خمس وأربعين ومائتين، ينظر ترجمته في: ابن حبان الثقات: (108/9)، المزي، تهذيب الكمال: (70/26).

² هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبة أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، لزم أبا حنيفة النعمان بن ثابت فتفقه وغلب عليه الرأي، و هو المقدم من أصحاب الإمام، و لي القضاء لثلاث خلفاء: المهدي و الهادي و الرشيد، مات لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة، في خلافة هارون. ينظر ترجمته في: القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية 3/ 611. 612. 613، و ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير: 332/9-333، الذهبي، المعين في طبقات المحدثين: الصفحة 70.

³ والنَّضُّ الدرهم الصامِتُ والناض من المتاع ما تحول ورقاً أو عيناً، قال الأصمعي: اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجازالناض والنض وإنما يسمونه ناضاً إذا تحوّل عيناً بعدما كان متاعاً لأنه يقال ما نضَّ بيدي منه شيء ابن الأعرابي النَّضُّ الإظهار والنض الحاصل يقال: خذ ما نضَّ لك من عَرِيْمِكَ وخذ ما نضَّ لك من دِينِ أَي تيسر وهو يَسْتَيْسِرُ حقه من فلان أي يستنجزه ويأخذ منه الشيء بعد الشيء" ابن منظور: لسان العرب: الصفحة: (4456).

⁴ العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (18/ 219).

المبحث الثالث: الخدمة الاجتماعية والعناية بالمرضى و ذوي الاحتياجات

الخاصة في ضوء السنة النبوية .

المطلب الأول : السنة النبوية ونظرتها للأمراض والابتلاءات .

الفرع الأول: تعريف المرض لغة واصطلاحا.

أولا - المرض لغة. المرض:السقم، وقد مرض فلان وأمرضه الله، قال يعقوب: يقال أمرض الرجل، إذا وقع في ماله العاهة. والممرض: الرجل المسقام. ومرضته تمريضا، إذا قمت عليه في مرضه.¹

ثانيا المرض اصطلاحا .

المرض كما يشير إليه قدماء الأطباء هو انحراف في الطبيعة؛ و التي هي القوة المدبرة للحيوان عن حد الاعتدال؛ والذي هو تكافؤ الطبائع الأربع؛ و هي الجاذبة و الماسكة و الهاضمة والدافعة² .

الفرع الثاني: نظرة السنة للمرض كخدمة نفسية للمريض.

لقد سجلت السنة النبوية سبقا لا نظير له في مجال مراعاة الجانب النفسي للمرضى حرصا على حماية الإنسان من الانهيار النفسي والنزول في مهاوي الشكوك والضلالات، ومن ثم يصبح فريسة سهلة للضياع والهلاك، فالسنة النبوية المشرفة، نظرت للأمراض والابتلاءات نظرة استثنائية لا نجدها إلا في ثناياها، وذلك لتعطي للمرضى جرعة من الأمل و الرجاء في انتظار الشفاء، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم جملة من الأحاديث التي تؤكد الأجر العظيم الذي يناله المرضى و المصابون، فالأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم، خارجه مخرج البشارة بموعد الله على الأجر العظيم لمن صبر على ما أصيب به من مرض؛ وخارجه مخرج التسلية للمصاب لكي لا يفقد رباطة جأشه واحتماله للمرض نسأل الله العافية

وقد تفتن المحدثون وجماع الآثار النبوية، منذ بداية عصر التدوين، فجمعوا أحاديث المرضى خصوصا من صنف على طريقة الكتب المبوبة، كأصحاب السنن، والجوامع، بل لا يخلو كتاب

¹ الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية : (3/ 1106) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين

،بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ ، 1987 م .

² العشاب، المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض : الصفحة 38 ، بتصرف .

من كتب الحديث المصنفة من " كتاب المرض والطب " ، بل هناك من سبق إلى ما نسميه اليوم بالحديث الموضوعي، وهو عملية جمع واستقراء لأحاديث الموضوع الواحد . وأشهر من عرف عنه هذا اللون من التصنيف الحافظ ابن أبي الدنيا¹ . رحمه الله . المتوفى سنة 281 هـ فقد ترك لنا ثروة هائلة من المصنفات الموضوعية في السنة النبوية؛ ومنها كتابه الجليل، تحت عنوان: **المرض والكفارات**²، وقد جمع فيه أكثر من 250 مائتين وخمسين حديثاً، وأثراً، تشكل هذه الأحاديث ثروة علمية رائدة، للمشتغلين في قطاع الصحة، والإرشاد النفسي، لكن كيفية توظيف هذه الأحاديث النبوية والأدوية المصطفوية لا بد أن يكون تحت إشراف مختصين وخبراء في الصحة النفسية.

ففي المجتمعات غير المسلمة نسمع بكثرة الانتحار، وهناك ما اصطالحوا على تسميته: الموت الرحيم؛ وهو أن تعطى جرعة قاتلة للمريض مرضاً حاداً، ولا نقول الميئوس من شفائه لأنه لا يأس و لا قنوط في دين الإسلام، و في ضوء سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وعليه أكدت السنة ما ورد في كتاب الله من مجازاة الصابرين وبشرتهم بالأجر الجزيل .

فعن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قال: قلت ذلك أن لك أجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»³ .

¹ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي مولا هم البغدادي صاحب التصانيف: ولد سنة ثمان ومائتين، قال الذهبي : و تصانيفه كثيرة جدا فيها مخبآت و عجائبقال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق. وقال الخطيب: أدب غير واحد من أولاد الخلفاء . ينظر ترجمته : الذهبي، تذكرة الحفاظ : 677/2 . 678 . و سير أعلام النبلاء : 399/13 .

² عنوان الكتاب : " المرض و الكفارات " للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان المعروف بابن أبي الدنيا، (ت 281 هـ) طبع الكتاب : بالدار السلفية، بومباي، الهند، تحقيق : عبد الوكيل الندوي ، الطبعة الأولى، 1411هـ 1991م .

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (4/ 24)، حديث رقم : 5647 ، كتاب المرضى ، باب شدة المرض ، و ابن أبي الدنيا ، المرض و الكفارات: (ص 16- 17) . عن عبد الله و اللفظ لابن أبي الدنيا .

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «قال المهلب: فيه أن السنة أن يخاطب العليل بما يسليه من ألمه ويغبطه بأسقامه بتذكيره بالكفارة لذنوبه وتطهيره من آثامه، ويطمعه بالإقالة لقوله: لا بأس عليك مما تجده بل يكفر الله به ذنوبك ثم يفرج عنك فيجمع لك الأجر والعافية لئلا يسخط أقدار الله، واختياره له وتفقده إياه بأسباب الرحمة ولا يتركه إلى نزعات الشيطان والسخط فرما جازاه الله بالتسخط سخطا وبسوء الظن عقاباً فيوافق قدرًا يكون سبباً إلى أن يحل به مالفظ به من الموت الذي حكم على نفسه»¹.

وعن «عطاء بن يسار؛ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين، فقال: انظرا ماذا يقول لعوده، فإن هو، إذا جاءوه، حمد الله و أثنى عليه، رفعنا ذلك إلى الله عز وجل، و هو أعلم، فيقول: لعبي علي، إن توفيته، أن أدخله الجنة، و إن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيراً من لحمه و دماً خيراً من دمه، وأن أكفر عنه سيئاته»².

قال الإمام الباجي رحمه الله في المنتقى: «ظاهر هذا أنهما ملكان لا يكونان معه في غير حين المرض لأنهما مخصوصان بحفظ ما يقول للعود؛ لأن الملائكة الحفظة الملازمين له في الصحة يكتبون كل شيء فإن حمد الله تعالى المريض وأثنى عليه بما هو أهله رفعنا ذلك إلى الله عز وجل على حسب ما يستعمله الناس رفع فلان إلى الرئيس كذا وكذا بمعنى أنها إليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم: فيقول الله تعالى: لعبي علي إن توفيته يريد - والله أعلم - من ذلك المرض أن أدخله الجنة وإن شفيته أن أعيده إلى صحة أفضل من صحته بأن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ويحتمل والله أعلم - أن يريد به خيراً في صحته وقوته وسلامته من الأسقام ويحتمل أن يريد به أنه خير لما يريد الله تعالى من استعماله بالطاعة وإثابته من عوضه إياه وقوله: وأن أكفر عنه سيئاته إتمام نعمته عليه بما عوضه من صحته، والله أعلم»³.

¹ ابن بطال، شرح صحيح البخاري: 382/9.

² أخرجه مالك، الموطأ: (529/2)، حديث رقم: 2711، كتاب الجامع، ما جاء في أجر المريض. مرسلًا وابن أبي الدنيا، في المرض والكفارات: الصفحة (78)، والحاكم في المستدرک: (348/1 - 349) كلاهما من طريق عبد الله بن سعيد المقبري عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً. و قال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. قلت: قال الشيخ ناصر الدين في صحيح الترغيب و الترهيب (340/3): الحديث حسن لغيره.

³ الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك : 379/3.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يتلى من جسده، إلا أمر الله تعالى الحفظة، فقال: اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو صحيح، ما كان مشدوداً في وثاقي»¹.

عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة، إلا حط الله به خطيئته»².

«عن عائشة [رضي الله عنها] زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى، ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - ألا كفر الله بها من خطاياها»³.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «وفيه دليل علأن الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض والأسقام، وهذا أمر مجتمع عليه والحمد لله»⁴.

الفرع الثالث: الأمر بالتداوي في السنة النبوية.

مما استقر تجربته عند الكافة، أن المرض والسقم أمر غير ملائم، ويسعى الإنسان جاهداً للتخلص من منه، ذلك أن الصحة والعافية من أجل نعم الله عز وجل على الإنسان، وبالصحة تستقيم حياته، وتتم له عمارة الأرض، والتداوي من الأمراض والبعد عن المهلكات فطرة إنسانية

¹ أخرجه أحمد، المسند: 11/ 422- 423 و الدارمي، سنن الدارمي: 3/ 1823 . 1824، رقم الحديث: 2813 كتاب الرقاق، باب أحر المريض، والحاكم في المستدرک: (348/1) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعاً. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، و وافقه الذهبي في التلخيص .قلت: الحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (336/3) ، حديث رقم : (3421) .

² أبو يعلى، مسند أبي يعلى الموصلي: (200/4)، رقم الحديث: 2305، أخرجه أحمد ن المسند: (67/23). كلاهما عن جابر رضي الله عنه، مرفوعاً، قال محقق مسند أحمد شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وقد توبع، تابعه: ابن جريج، وزيد بن أبي أنيسة. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (338/3)، حديث رقم: (3425).

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (23/4)، رقم الحديث: (5641) كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض عن أبي هريرة، وأخرجه مالك، الموطأ: (2/ 529)، حديث رقم (2712)، والترمذي، سنن الترمذي: (288/3)، رقم الحديث: (965)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب المريض، وابن أبي الدنيا، المرض والكفارات: الصفحة (26). وعند الترمذي: «إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة»، بدل إلا قص بما ... كلهم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

⁴ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (26/23) .

والإسلام دين الفطرة فلا عجب أن دعت السنة إلى التداوي، وبما أحل الله، وأن الله لم يجعل الشفاء فيما حرم.

فعن أبي الدرداء¹، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداواوا، ولا تداواوا بحرام²»
جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله³»

وعن أسامة بن شريك، رضي الله عنهما، قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله، وعليهم السكينة، كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت، ثم قعدت، فجاءت الأعراب من ها هنا وها هنا يسألونه، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوي؟ قال: «تداواوا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، وهو الهرم⁴»

وعن زيد بن أسلم، رضي الله عنه: أن رجلا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه جرح، فاحتقن الجرح بالدم، وأن الرجل دعا رجلين من بني أثمار، فنظرا إليه، فرعما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: «أيكم أطب؟» فقالا: «أو في الطب خير يا رسول الله؟ فرعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: «أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء⁵».

¹ عويمر بن عامر ويقال عويمر بن قيس بن زيد. وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج أبو الدراء الأنصاري مشهور بكنيته . ينظر: أحمد، الأسامي والكنى : الصفحة 30، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: الصفحة 517.

² أخرجه أبو داود: سنن أبي داود: الصفحة : (425)، حديث رقم: 3874، كتاب الطب، باب في الترياق. قال الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود الصفحة : (311 - 312): ضعيف .

³ أخرجه، مسلم: (2/ 1050)، رقم الحديث : 2203، كتاب السلام، باب لكل داء دواء و استحباب التداوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

⁴ أخرجه أبو داود: سنن أبي داود: الصفحة (424)، حديث رقم: 3855، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، و اللفظ له، والترمذي، سنن الترمذي : (383)، حديث رقم: 2083، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء و الحث عليه . عن أسامة بن شريك رضي الله عنه . و قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

⁵ أخرجه : مالك، الموطأ : (2/ 531)، رقم الحديث : 2718، كتاب الجامع، [باب] تعالج المريض. قال ابن عبد البر في التمهيد : (263/5): «هكذا هذا الحديث في الموطأ منقطعاً عن زيد بن أسلم عند جماعة رواه فيما علمت ... فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى بغير هذا اللفظ آثار مسندة صحاح».

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»¹.

الفرع الرابع: زيارة المريض ومقاصدها الخدمية في ضوء السنة النبوية.

إن التكاسل عن زيارة المريض تفريط في واجب اجتماعي عظيم، هذا الواجب دعت إليه السنة النبوية ورغبت فيه، لما فيه من المصالح والفوائد التي لا تحصر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من رجل يعود مريضاً ممسياً إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصباحاً أتاه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي وكان له خريف في الجنة»² فهل بعد هذا الترغيب والترغيب عن التماسالرحمات الربانية، فهذا الحديث ترغيب في البدار إلى عيادة المرضى، لتكون سبباً لغفران الذنوب.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة»³... الحديث.

وفي كتب السنة جملة مباركة من الأحاديث التي ترغب في زيارة المريض، والاطلاع على حاله ومما لا شك فيه أن لزيارة المريض مقاصد اجتماعية وخدمية، فالزيارة في حد ذاتها تعد خدمة اجتماعية، فهي:

- دليل على قوة رابطة الأخوة التي هي مقصد من مقاصد الشريعة، بين أفراد المجتمع وهي مؤشر على سلامة المجتمع من الأمراض الاجتماعية والتفكك الذي هو سبب ضياع الوحدات الاجتماعية، ومن حسن فقه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم ومراعاتهم للجانب الاجتماعي في حياتهم أن عبد الله بن عمر ترك الجمعة لأجل زيارة المريض، لما فيها من المقاصد الشرعية والأجور الكبيرة.

¹ أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح: (32/4) ، رقم الحديث : 5678 ، كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

² أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : (351) رقم الحديث (3098) كتاب الجنائز ، باب في فضل العيادة على وضوء . و سكت عنه أبو داود . و الحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب:(358/3).

³ أخرجه أحمد، المسند : (47/2)، و أبو يعلى ، مسند أبي يعلى : (1 / 227) رقم الحديث : (262) ، قال شعيب الأرنؤوط في التعليق على مسند أحمد : صحيح موقفاً رجاله ثقات رجال الشيخين لكن اختلف في وقفه و فعه و الوقف أصح. قال حسين سليم أسد في التعليق على مسند أبي يعلى: رجاله رجال الصحيح .

- فعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما ذكّر له : أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - وكان بدريا - مرض في يوم جمعة، فركب إليه بعد أن تعالي النهار واقتربت الجمعة، وترك الجمعة¹ .

قال الخطاب في المواهب: «ورد في الحديث: "داووا مرضاكم بالصدقة"²، سئل ابن رشد عن هذا الحديث ومعناه فأجاب: بأني لست أجد في نص من المصنفات الصحيحة ولو صح فمعناه الحث على عيادة المرضى؛ لأن ذلك من المعروف، وكل معروف صدقة، فيحصل له السرور والدعاء له ولا شك في رجاء الإجابة له والشفاء فينفعه في الدواء»³

- وفيها الإعلام بحال المريض فإذا كان محتاجا للمساعدة المادية أمكن مساعدته، فلا يعقل أن يترك المريض طريح الفراش دون أن يزوره أحد لذا جاء التشديد من السنة النبوية في التأكيد على حق المريض إلى درجة أن جعل الله زيارة المريض مدرجة في القرب منه ففي الحديث الشريف : عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»⁴

¹ أخرجه البخاري : (89/3 - 90) ، رقم الحديث : 3990 ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدرا، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

² أخرجه البيهقي، السنن الكبرى: (382/3) عن موسى بن عمير عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد عن عبد الله مرفوعا، وقال البيهقي: وإنما يعرف هذا المتن عن الحسن البصري عن النبصلي الله عليه وسلمرسلا. قال الشيخ الألباني في تعليقه على الترغيب و الترهيب (1/335): وطرقه كلها ضعيفة، لكن الجملة الثانية [داووا مرضاكم بالصدقة] قد ثبتت عندي بمجموع طرقها. وعليه حسنه في صحيح الجامع (1/634) من حديث أبي أمامة، عند أبي الشيخ في كتاب الثواب.

³ الخطاب، مواهب الجليل بشرح مختصر خليل : 8 / 3 - 4 .

⁴ أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: (2/1196) ، رقم الحديث (2569) ، كتاب البر و الصلة و الآداب، باب فضل عيادة المريض .

وعن ثوبان، قال: قال قال رسول صلى الله عليه و سلم: « عائد المريض في مخرفة¹ الجنة حتى يرجع² » وفي لفظ آخر: عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " من عاد مريضاً لم يزل في خُرْفَةِ الجنة " قيل يا رسول الله وما خُرْفَةُ الجنة ؟ قال: جناها³ .

- وزيارة الصالحين للمرضى والدعاء لهم، قد تكون علاجاً لأمراض استعصى على الأطباء علاجها، والسنة النبوية ترشدنا إلى أدب رفيع أثناء الزيارة؛ فرغبت في اللجوء إلى الدعاء ليُرفع الضر عن ذلك المريض، فعن جابر رضي الله عنه قال: مرضت مرضاً، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، وأبو بكر، وهما ماشيان، فوجداني أعغمي علي، فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي، فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث⁴.

ومما لا شك فيه أن ماء وضوء النبي صلى الله عليه و سلم علاج لا علاج بعده، وهذا في حق النبي صلى الله عليه و سلم خاصة، و منه نأخذ دعاء الرجل الصالح ورقيته للمريض، الله أعلم. فلنا أن نستعمل الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في التخفيف عن المريض. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله عز وجل من ذلك المرض»⁵.

¹ قال ابن الأثير رحمه الله: «مُخْرِفٌ بالفتح وهو الحائط من النخل : أي أنَّ العائد فيما يَجُوز من الثَّواب كأنه على نخل الجنة يَخْرِفُ ثَمَارَهَا وقيل المخارف جمع **مُخْرِفَةٌ** وهي سَكَّةٌ بين صَعْفَيْنِ من نخل يَخْرِفُ من أيَّهما شاء : أي يجتني . وقيل المخرفة الطريق : أي أنه على طريق تؤدِّيه إلى طريق الجنة .» ينظر ابن الأثير النهاية في غريب الحديث و الأثر : 24/2 .

² أخرجه : مسلم صحيح مسلم : (1195/2)، رقم الحديث : 2568، كتاب البر و الصلة و الآداب ن باب فضل عيادة المريض . عن ثوبان رضي الله عنه .

³ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: (1195 / 2 - 1196)، رقم الحديث (2568)، كتاب البر و الصلة و الآداب، باب فضل عيادة المريض، عن ثوبان رضي الله عنه.

⁴ أخرجه، البخاري: (25 / 4) ، رقم الحديث : 5651 ، كتاب المرضى، باب عيادة المغمى عليه، و مسلم ، صحيح مسلم : (2 / 758) ، رقم الحديث : 1616، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة . عن جابر رضي الله عنه

⁵ أحمد، المسند: (40/4)، رقم الحديث: (2137)، وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (352)، رقم الحديث: 3106 كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، والترمذي، والترمذي، سنن الترمذي: (410/4) حديث رقم: (2083) =

- ومن الدليل على أن لزيارة المريض مقاصد خدمية اجتماعية ما جاء في الحديث:
عن عائشة بنت سعد أن أبها قال: تشكيت بمكة شكوى شديدة، ف جاءني رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعودني، فقلت: يا نبي الله، إني أترك مالا، وإني لم أترك إلا بنتا واحدة
فأوصي بثلاثي مالي وأترك الثلث؟ فقال: لا، فقلت: فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال:
لا، قلت: فأوصي بالثلث، وأترك لها الثلثين؟ قال: الثلث، والثلث كثير. ثم وضع يده
على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: اللهم اشف سعدا، وأتمم له
هجرته، قال سعد: فمازلت أجد برده على كبدي - فيما يخال إلي - حتى
الساعة¹. فنحن نلاحظ أنه أثناء زيارة المريض، تم مناقشة قضايا اجتماعية ومالية ذات تعلق
بمستقبل الأسرة، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي إلى السبيل الأمثل للتبرع بالمال
ومقداره، وكذلك في زماننا يمكن تدارك الكثير من الأخطاء التي يقع فيها الآباء والأمهات عند
كتابة الوصية، ففي بعض الحالات يتم استغلالهم في فترة المرض فيُحرم في بعض الورثة من
الميراث والسبب هو غياب التواصل، والنصيحة بين الأسر وبالتالي نرى في زماننا كثر الظلم
الاجتماعي وما نجم عنه الكثير من العلل الاجتماعية .
ونحن نلاحظ في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم تدارك بالإرشاد والتوجيه
المسلك الذي نحى إليه ذاك الصحابي الجليل وعن حسن نية منه وكمال حب للبذل
والعطاء، قاصدا التبرع بأكثر ماله، فأرشده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطريق
الأمثل فكذلك ينبغي أن يكون حالنا في أسرنا و مجتمعنا وأن لا نترك المريض لحاله دون نصيحة
فرمما وقع في خطأ فادح يجر أخطاء تتضخم مع الزمن وتكبر؛ بحيفه في الوصية، ولا يتم ذلك
إلا عن طريق زيارة بعضنا البعض، وزيارة المريض فرع منها، وهذا اللون من الخدمة الاجتماعية
للمريض، لا نجد في الخدمة الغربية تلك الخدمة الجافة التي لا روح فيها، والله الحمد والمنة.

= عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قلت: صححه الشيخ ناصر الدين في
صحيح الترغيب و الترهيب: (361/3)، رقم الحديث : (3480)

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (27 /4)، رقم الحديث:(5659)، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض
عن سعد بن مالك رضي الله عنه.

ولهذه المقاصد الشريفة جاء في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضاً أو زار أخاه في الله ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً»¹.

- كما أن لزيارة المريض مقاصد دعوية فالمسلم دعوته إلى الحق لا تتوقف وعلى المسلم أن يغتنم كل الفرص المتاحة لينقذ عباد الله من مخالب الشيطان والمرضى فرصة لتوجيه النداء إلى الضمير عسى أن تسقط حجب الضلال وتستبين الطريق لمن ضل عنها، و النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف يعلمنا أن نكون رسل خير للأصحاء و للمرضى على حد سواء.

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن غلاماً ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم و سلم يعود، فقال: أسلم، فأسلم. و عند أبي داود في سننه: « فنظر إلى أبيه و هو عند رأسه فقال له أبوه : أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم و هو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»².

قوله عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار» يا لها من كلمة تعبر عن مدى عمق وروحانية الدعوة النبوية والسيره المصطفوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام فالهدف الأسمى ليس هو أن تكثر الأتباع وأن تدخل كماً أكبر في زمرك دون مراعاة مقصد وهدف أسمى كما يفعل المبشرون المسيحيون، مع المرضى وذوي الفاقة والحاجة، لكن هذا اللون من الخدمة والتربية و التوجيه لا نجده إلا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ هو إنقاذ البشرية من براثن الكفر والشرك والضلال ومهاوي الردى، والخروج بالإنسانية إلى أفق أرحب تعرف فيه ربها، وتعرف طريقها على بينة من أمرها. وهذا اللون من الخدمة الدعوية للمرضى لا نجده إلا في ضوء السنة النبوية.

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (4/ 365) رقم الحديث: (2008)، كتاب البر و الصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان، وابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان: (7/ 228)، رقم الحديث: (2961)، كتاب الجنائز ذكر بناء الله جل و علا منزلاً في الجنة لمن زار أخاه المسلم أو عاداه في الله جل وعلا، كلاهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي حسن غريب. قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب و التهيب (3/357): حسن لغيره .

² البخاري، الجامع الصحيح: (4/ 26)، حديث رقم: (5657)، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك، و أبو داود سنن أبي داود: (الصفحة 351)، حديث رقم: (3095)، كتاب الجنائز ، باب في العيادة، عن أنس رضي الله عنه.

- المطلب الثاني: رعاية المريض كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.

الفرع الأول: الطب في العهد النبوي.

لقد نبغ في الطب من العرب القدامى جماعة من الرجال و النساء كالحارث بن كلدة¹ وكان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الطب في جنديسابور² إحدى مقاطعات خوزستان³ بفارس، وابنه النضر بن الحارث بن كلدة، وعبد الملك بن أيجر الكناني⁴، وابن أبي رمثة التميمي⁵، كان جراحاً مشهوراً، والشمردل بن قباب الكعبي النجراي، كان في وفد نجران بني الحارث بن كعب فنزل الشمردل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إني كنت كاهن قومي في الجاهلية، وإني كنت أتطبب، فما يحل لي فإني تأتيني الشابة؟ قال: «فصد العرق ومجسه الطعنة إن اضطرت، ولا تجعل من دوائك شبرماً وعليك بالسنا ولا تداوي أحدا حتى تعرف داءه»⁶. «و لم يقتصر النبوغ في حقل الطب على الرجال، بل كان للنساء دور كبير فقد بنغ عدد ليس بالقليل: كأم عطية الأنصارية، وهي نسيبة بينت الحارثوالشفاء بنت عبد الله ورفيدة [رضي الله عنهن أجمعين]...»⁷

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: «وللبادية من أهل العمران طب بينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، ويتداولونه متورثاً عن مشايخ الحي وعجائزه؛ وربما يصح

¹الحارث بن كلدة الثقفي كان من الطائف، وسافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس، وعرف الداء والدواء، وبقي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهم. ينظر ترجمته في: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: الصفحة (161).

²جنديسابور بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح الدال وياء ساكنة وسين مهملة وألف وياء موحدة مضمومة وواو ساكنة وراء مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سي الروم وطائفة من جنده. ينظر معجم البلدان: (170/2).

³هي إقليم الأهواز، وسمتها العرب سوق الأهواز، يريدون سوق هذه الكورة، المحوزة أو سوق الأخواز بالخاء المعجمة لأن أهل هذه البلاد بأسرها يقال لهم الخوز وقيل إن أول من بنى الأهواز أردشير. ينظر: الحموي، معجم البلدان (284/1).

⁴كان طبيباً عالماً ماهراً، تولى تدريس الطب بالإسكندرية لما كانت تحت النصارى، أسلم على يد عمر بن عبد العزيز وصحبه، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أيجر ويعتمد عليه. ينظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص (171)

⁵قال ابن أبي أصيبعة: "كان طبيباً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مزاولاً لأعمال اليد و صناعة الجراح" ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: الصفحة (170 - 180).

⁶أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام: الصفحة: (9).

⁷عبد الله عبد الرزاق، الطب و رائداته المسلمات: الصفحة 75.

منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعي. ولا عن موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون، كالحارث بن كلدة¹ وغيره، **الطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، ليس من الوحي في شيء،** وإنما هو أمر كان عاديا للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنه صلى الله عليه وسلم، إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات²»

هذا رأي العلامة والمؤرخ وفيلسوف علم الاجتماع؛ وهو واضح في أن مذهبه: أن أحاديث الطب لا مدخل لها في باب الوحي، وإنما هو مما تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل البادية، وما توارثوه من تراكم الخبرة عبر السنين، أو مما يدخل تحت مسمى الطب الشعبي.

والمسألة من المسائل التي كثر فيها القيل والقال بين مؤيد لهذا الرأي الذي ذهب إليه ابن خلدون وبين معارض له³، ومما لا شك فيه أن بحثنا هذا لا يتسع لبسط وبحث المسألة وعرض وعرض آراء المختلفين، لكن اكتفي بالقول أن تصرف أئمة الحديث، في إدراجهم لأحاديث الطب في كتبهم كاف في القول أن مذهبهم واضح في اعتبار أن للسنة النبوية مدخلا في الطب في زوايا محددة، لكن إثراتها وبسطها و التعامل معها كدليل طبي يبقى موقوفا على المتخصصين من الأطباء العارفين بشأن الطب، وخصائص الأعشاب، وأن هذا الرأي الذي ذهب إليه ابن خلدون رحمه الله فيه تعميم، و البرهان على عدم صحة ما ذهب إليه على عمومه، هو الواقع العلمي في القديم والحديث .

¹ تقدمت ترجمته في الصفحة السابقة.

² ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة بن خلدون: الصفحة : 405

³ و ممن انتصر إلى مسألة اعتبار الطب النبوي من الوحي و صرح بذلك : ابن القيم في كتابه الطب النبوي ، و الكتاني في التراتيب الإدارية ، ينظر: مصطفى خضر دنومز التركي، في مقدمته الدراسية لكتاب: موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني.

- ففي القديم لم يخل عصر من العصور من التصنيف في الطب النبوي، من زمن المتقدمين إلى عصرنا هذا¹، لما في إرشادات الطب النبوي المميزات والخصائص.

يقول الدكتور مصطفى التركي²: « يقول الكاتب علي رضا قره بولوط: " إن النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان دائما تحت رقابة الوحي وإرشاده، لم يرسل ليعلم الشريعة فقط، إنه قد شكل أحسن نموذج في المواضيع الدنيوية، ولا سيما **المواضيع الطبية**، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام بتطبيق ما كان يطبقه العرب من المعلومات الطبية بعد الإصلاح والتصحيح إضافة إلى تطبيق الأوامر التي تلقاها عن طريق الوحي، فبدأ كمعجزة بطب جديد، وقام ببيانات وتطبيقات نالت اهتمام طب يومنا الحاضر، في مواضيع كثيرة. وقد تأسى به الصحابة والتابعون من بعده، في المواضيع الدينية و الطبية على حد سواء" اهـ . وبعد هذه التوضيحات عدّ مصادر الطب النبوي كما يأتي: القرآن الكريم، و الأحاديث الشريفة المستندة إلى الوحي، والقياس، والتجربة، والتعديل والتصحيح ... ولا بد إلى جانب هذا من التذكير إلى أن هناك نقطة هامة أخرى وهي: أن الدين لا شك قد تعرض للمواضيع الصحية أيضا، من حيث إنها عبارة عن مجموع الأوامر والنواهي والتوصيات التي أوحاها الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم كي ينال الناس من خلالها سعادتي الدنيا و الآخرة . يعني بذلك أن للمواضيع الطبية أقساما تستند إلى الوحي، فمثلا الأحاديث التي تبين الحكم الديني حول التداوي وتحرم الرقى التي تتضمن الشرك، لا شك في أنها تفيد حكما منهله الوحي³».

¹ فقد أحصى الدكتور مصطفى التركي في مقدمة دراسته لكتاب الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني أن عدد المصنفات في الطب النبوي؛ فأوصلها إلى تسعة وثلاثين (39) كتابا، من الصفحة: 116 إلى الصفحة : 123 . نذكر البعض منها: الطب النبوي، لعبد الملك بن حبيب، الطب النبوي لضياء الدين المقدسي، التذكرة في الطب النبوي لابن جماعة الطب النبوي لابن القيم، ضمن كتاب زاد المعاد، الطب النبوي كبير الحجم في ثلاث مجلدات للدكتور محمد ناظم النسيمي ، كتاب الرسول الطيب، للدكتور حسام الراوي ، و غيرها كثير راجع المرجع المذكور في بداية التهميش .

² هو الدكتور مصطفى خضر دنومز التركي، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة أوروبا الإسلامية هولندا . ينظر غلاف الكتاب موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم من تحقيقه .

³ أبو نعيم الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، الدكتور مصطفى التركي، مقدمة التحقيق: (111 - 112) .

- وفي عصرنا الحاضر دلت الكشوف العلمية والبحوث المقارنة في أبحاث الإعجاز العلمي في الطب النبوي؛ تميز وتفرد الطب النبوي بدلائل الإعجاز¹ التي لا تدع مجالاً للشك في أنه صدر من مشكاة النبوة²، كل ذلك حثاً للأمة أن تسلك كل المسالك و أن تتفوق في كل الميادين العلمية لتتولى زمام قيادة العالم وخدمة البشرية .

أقول أيضاً إن صنيع المحدثين في نقل أحاديث الطب هو من باب الأمانة العلمية في نقل أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم الدالة على سنته وهديه في باب الطب والذي نستفيد منه في عصرنا في الكثير من المجالات منها: الطب الوقائي والعلاج بالرقية أو ما يسميه البعض الطب الروحاني³، وخصائص بعض الأدوية المفردة، وكذا خواص النباتات المنقولة في الأحاديث النبوية، ومما لا شك فيه أن الخدمة الاجتماعية ذات البعد الإسلامي، هي في حاجة ماسة إلى كتب الطب النبوي، لكن يبقى على المتخصصين في ميدان الطب أن يجروا الكثير من الدراسات المتخصصة لتبيين الأحاديث المتصلة بالوحي أي مصدرها الوحي و الأحاديث التي هي مصدرها التجربة و المعرفة الشخصية، و عليه يُعلم أن الأحاديث التي « ليست وليدة الوحي فهي ليست ملزمة إلزاماً شرعياً»⁴ .

¹ ينظر على سبيل المثال : كتاب الدكتور : السيد عبد الحكيم عبد الله، إعجاز الطب النبوي.

² «منها حديث : أنه ذكر الطاعون عنده فقال : " رجس أو رجز ، عذب به أمة من الأمم، و بقيت منه بقايا ، فإذا سمعتم به في أرض، فلا تقدموا عليه، و إذا وقع و أنتم بها فلا تفروا منه « فهذا الحديث يشير إلى تطبيق الحجر الصحي ، و يبيئ عن مبدأ هام فيما يتعلق بالصحة العامة ، و مثله حديث : لا عدوى ن و لا طيرة و لا هامة و لا صفر ن و فر من الجذوم فرارك من الأسد " . « ينظر مصطفى التركي ، مقدمة تحقيق الطب النبوي لأبي نعيم الصفهاني : (1 / 113 - 114) .

³ ولاين الجوزي، كتاب سماه : الطب الروحاني.

⁴ مصطفى التركي ، مقدمة الدراسة والتحقيق لكتاب الطب النبوي لأبي نعيم: (1 / 115) .

الفرع الثاني: أحاديث الطب في السنة النبوية، منهج التعامل معها.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه إلى التداوي بجملة من الأدوية النافعة وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم جملة من الأحاديث التي تدعو إلى التداوي بأنواع خاصة من الأدوية اصطلاح على تسميتها فيما بعد: بالطب النبوي أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر عنه استعمالها، أو الأمر باستعمالها، وقد أدرج المصنفون في السنن والآثار هذه الأحاديث في مصنفاتهم؛ تحت عنوان: كتاب الطب أو الطب و المرضى و بوبوا لكل دواء بابا خاصا. ونضرب أمثلة من صحيح مسلم: قال الإمام مسلم في صحيحه :

1 - باب التداوي بالحبة السوداء، وفيه حديث: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن في الحبة السوداء¹ شفاءً من كل داء²».

2 - باب التداوي بسقي العسل.

3 - باب اجتناب المجدوم ونحوه.

والأمثلة كثيرة جدا من كتاب البخاري والنسائي والترمذي وأبي داود، فقد بوبوا جميعا لأحاديث الطب الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوابا كثيرة، تدل دلالة قاطعة على مدى عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الطب ومدى حرصه على موضوع الصحة، بما يشكل رافدا معرفيا في تطوير سبل الحفاظ على الصحة عامة.

¹ قال الإمام البخاري في صحيحه (34/4): « قال ابن شهاب : ... و الحبة السوداء الشونيز » قال الحافظ ابن حجر : « والشونيز بضم المعجمة وسكون الواو وكسر النون وسكون التحتانية بعدها زاي . وقال القرطبي: قيد بعض مشايخنا الشين بالفتح، وحكى عياض عن بن الأعرابي، أنه كسرهما، فأبدل الواو ياء، فقال: الشينيز، وتفسير الحبة السوداء بالشونيز لشهره الشونيز عندهم إذ ذاك، وأما الآن، فالأمر بالعكس، والحبة السوداء أشهر عند أهل هذا العصر من الشونيز بكثير ، وتفسيرها بالشونيز هو الأكثر الأشهر، وهي الكمون الأسود، ويقال له أيضا: الكمون الهندي، ونقل إبراهيم الحرابي في غريب الحديث عن الحسن البصري: أنها الخردل، وحكى أبو عبيد الهروي في الغريين: أنها ثمرة البطم بضم الموحدة وسكون المهملة، واسم شجرتها الضرو، بكسر المعجمة وسكون الراء، وقال الجوهري: هو صمغ شجرة تدعى الكمكام، تجلب من اليمن ورائحتها طيبة وتستعمل في البخور. قلت: وليست المراد هنا جزما وقال القرطبي تفسيرها بالشونيز أولى من وجهين أحدهما أنه قول الأكثر والثاني كثرة منافعها بخلاف الخردل والبطم » ينظر ابن حجر ، فتح الباري: (145/10).

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (34/4)، رقم الحديث (5688)، كتاب الطب ، باب الحبة السوداء، ومسلم صحيح مسلم: (153/2) رقم الحديث: 2215 ، كتاب السلام. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

— وقد أفرد الإمام البخاري في صحيحه، كتابا للمرضى، وكتابا للطب.

ففي كتاب المرضى: بوب لاثنتين وعشرين بابا (22)، وتحت كل باب ما صح فيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

وفي كتاب الطب بوب لثمانية وخمسين بابا،(58)، وتحت كل باب ما صح عنه من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم . ومن أمثلة أبواب البخاري في كتاب الطب من صحيحه: باب هل يداوي الرجل المرأة و المرأة الرجل، باب الحمامة من الداء، باب الجذام، باب ما يذكر في الطاعون.

— وكذا الإمام مسلم في صحيحه، بوب لإحدى وعشرين بابا (21) تتعلق بالطب ضمن كتاب السلام، حيث لا يوجد عنوان: كتاب الطب، في صحيح مسلم.

أما الإمام النسائي، فلم يخرج أحاديث الطب في سننه المعروفة بسنن النسائي¹، أو المسماة بالمتجتي، ولعلها تكون ذريعة لمن لا يعتبر الطب من السنة.

أما في سننه المعروفة بالسنن الكبرى، ففيها كتاب الطب وفيه أربعة وسبعون بابا² (74) ، مرقمة و ليست مذكورة بعنوان " باب " .

— و مثلهم بوب الترمذي، لخمسة وثلاثين (35) بابا في الطب.

— وكذا بوب أبو داود، لأربعة و عشرين(24) بابا في الطب.

و هنا أسجل وقفات أراها ضرورية في فقه أحاديث الطب النبوي الشريف.

أ — كل هذه الأحاديث في هذه الأصول من كتب الحديث الشريف، تدل على مدى عناية النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الجانب الحيوي في حياة الناس، لكن الذي غاب عن أذهان كثير من الناس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، لم يكن طبيبا بالمعنى المهني للكلمة فهذه الأحاديث الغالب الأعظم فيها خرج مخرج الإرشاد، وأما الكيفية فهي موكولة للأطباء العارفين، وليست مباحة لكل الناس ليعملوا بها ويستعملونها، ويدل عليه أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يوكل أمر التطبيب للأطباء فكان يستدعي الأطباء المتخصصين لعلاج الصحابة الكرام، ففي صحيح مسلم : «عن جابر رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه

¹السبب في نظري هو أنه اجتبه من السنن الكبرى، فرأى حذف كتاب الطب اجتهادا منه، وقيل غيره.

²النسائي، السنن الكبرى (45 / 7) ، كتاب الطب .

و سلم إلى أبي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا، ثم كواه عليه¹» ولم يكن يباشر معالجتهم بنفسه صلى الله عليه و سلم، إلا في حال الندرة، كما جاء عن جابر رضي الله قال: «رمي أبي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله صلى الله عليه و سلم²»

حتى إن هذا اللفظ " كواه " محتمل فقد يكون أمر طبيبا بذلك، وعلكلك، فهذا ليؤكد لنا النبي صلى الله عليه و سلم: أنه لا بد أن يوكل كل أمر لأهله، و قد كان من هديه عليه السلام أن يوكل كل مهمة للماهر فيها.

قال في تاريخ البيمارستانات: « وكان العرب قبل الإسلام يستمدون أطبائهم من خريجي جنديسابور، واستطب النبي صلى الله عليه و سلم والخلفاء الراشدون من بعده أطباء تخرجوا من جنديسابور كالحارث بن كلدة، واستطب خلفاء بني أمية ابنأثال الطبيب النصراني الجنديسابوري...»³

ب - لكن رغم كل ذلك يبقى السؤال مطروحا كيف نتعامل مع هذه الثروة الحديثة في الطب النبوي، و كيف نضع المنهج السليم لتوظيفها في المجال الخدمة الاجتماعية الصحية، مع علمنا أن الطب في عصرنا قد وصل إلى درجة من التخصص لا يفهمها إلا المتخصصون، بله عامة الناس.

في كتاب الطب الوقائي في الإسلام: « لقد آن لنا أن يكون لدينا (طب إسلامي) يدرس في كليتنا العلمية إلى جانب ما ندرسه منة الطب الغربي. كما يدرس في كليتنا الدينية والنظرية النظرية إلى جانب علوم الفقه والشريعة.

ويقوم هذا العلم الجديد على استخلاصنا في الإسلام كدين و تشريع من تعاليم طبية و وضعها في الأسلوب و التنسيق العلمي الحديث..

- و ليس القصد من هذا العلم مجرد الفخر بأجداد الإسلام الغابرة ..

- إن الهدف منه أعظم من ذلك بكثير ..

¹ مسلم، صحيح مسلم: (2 / 1051)، حديث رقم : 1207 ، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء عن جابر. رضي الله عنه.

² مسلم، صحيح مسلم: (2 / 1051)، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء و استحباب التدوي ، عن جابر رضي الله عنه .

³ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات: الصفحة 44 .

- إنه أسلوب علمي جديد في الطب و الوقاية.

- بتعاليم الإسلام وحدها ... وفي عصرنا هذا نستطيع أن نخلق المجتمع الصحي المثالي الذي يتمتع بيئة صحية نظيفة خالية من القذارة و الذباب و الحشرات ... وأن نتخلص من كل الآفات الاجتماعية و الصحية كالمخدرات و السكر...¹»

ج - وعليه فإنه من الواجب الشرعي الأكيد أن يمنع منعاً صارماً، و بقوانين صارمة ذات بعد جنائي، تعاطي ما يسمونه الطب البديل، أو طب الأعشاب، إلا من الأطباء المتخصصين وأن كل متعاطي مهنة الطب البديل لا بد أن يكون طبيباً متخرجاً من الكليات الطبية التابعة لمؤسسات العلمية المشهورة في العالم .

وقد أغلظ الإمام الرازي القول لمن تعاطى مهنة تطيب الناس وهو ليس بطبيب، كما هو حال هذا العصر الذي تحولت فيها مهنة الطب البديل أو طب الأعشاب وما شاكله إلى ذريعة للتكسب والتكاثر في الأموال دون مراعاة أخلاق المهنة، وصحة الأفراد.

فيقول الرازي: « واعلم أن اللصوص وقطاع الطريق خير من أولئك نفر، الذين يدعون الطب، وليسوا بأطباء، لأنهم يذهبون بالمال، وربما أتوا على الأنفس، وهؤلاء كثيراً ما يأتون على الأنفس النفيسة. وأكثر هؤلاء يرجعونهم إلى الزهد، وصيانة النفس، ولو أمسكوا عنه لكان جزاء لهم دينا ودينا، وآخرة وأولى، فإن من أصعب الأمور التحكم على الأرواح بغير معرفة والأمر بشيء، والنهي عن غيره من غير بصيرة²».

د - أن تعاطي عامة الناس والانتهازيين لهذه المهنة يعد نوعاً من النصب والاحتيال، واستغلال عواطف الناس باسم القرآن والسنة أو الطب الروحاني، والشريعة الإسلامية تجرم مثل هذه الأفعال، لأنها قد تؤدي بحياة الناس.

هـ - إنه ينبغي أن يدرس في الكليات الطبية الأحاديث النبوية المتعلقة بأخلاقيات الطب وآدابه و هناك دائماً في كل ميدان لا بد أن نجد أسئلة لا يجيب عليها إلا الدين، مثل التبرع بالأعضاء و حكم نقل أعضاء الموتى و التلقيح الاصطناعي، و غيرها من التساؤلات ذات البعد الأخلاقي و العقدي .

¹ الفنجري أحمد شوقي، الطب الوقائي في الإسلام تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث: الصفحة: (8) -

(9).

² الرازي، أخلاق الطبيب: الصفحة: (81.82) .

- أن لا يدرس الطب دراسة مادية بحتة ذات بعد مادي صرف، بل يدرس الطب في بعد الإنسان الديني والعقدي والأخلاقي.

ز - إن هذه الثروة الحديثة في الطب النبوي يمكن أن تكون قاعدة و يرجع إليها ويستأنس بها في المستشفيات والمصحات النفسية، كما أنها تشكل مادة دسمة لقواعد وأخلاقيات الطبوالطبيب، وفن التمريض، وفن التعامل مع المرضى، والطب النفسي، وذلك عن طريق فتح تخصصات طبية في الطب النبوي ذات طابع قانوني، مرتبطة بالقانون الجنائي لوضع حد للمتلاعبين بأزمات الناس النفسية والعقلية بحجة الرقية الشرعية .

ع - كان ينبغي لنا نحن المسلمين أن تكون لنا مدرسة نفسية خاصة ذلك أن المدارس النفسية كلها ذات نشأة غربية، ونحن نعلم أن الجهد الإنساني مرتبط بالعقيدة مهما حاول الإنسان التملص منها، و عليه كانت نتائج أبحاث هذه المدارس النفسية، ذات طابع مادي صرف لا تؤمن بما تؤمن به نحن المسلمين من وجود كائنات أخرى لها تأثير على حياة الإنسان مثل "الجن" الذين هم في عقيدتنا كائنات حية متصرفة مكلفة .

ف - إننا فقراء في الطب النفسي، إلى حد الشفقة علينا من العارفين بهذه التخصصات العلمية، فكثير من الأمراض النفسية تعالج على أساس الرقية الشرعية من جهلة لا صلة لهم بالعلم لا العلم الشرعي ولا العلم بالطب، الرسول عليه الصلاة و السلام ترك لنا هذا الميراث الضخم من السنة المطهرة، و الذي نقله لنا أئمة الحديث ونقله الآثار، لا ليتلاعب به الجهلة والانتهازيون، وإنما المفترض أن يكون نافذة للتخصص العلمي الدقيق، و لقد أساء الكثير من الناس، وعامتهم للسنة النبوية المطهرة، وذلك بتعاملهم مع القضايا الطبية ذات البعد النفسي والطب العقلي، تعاملًا سطحيًا أورث الكثير من الأزمات النفسية والاجتماعية بل أحيانًا الجنائية، فقد يودي بحياة الكثير من الناس.

ص - النبي صلى الله عليه وسلم في تقديري أحاديثه في الطب ذات طابع عام وفهمها وتنزيلها على الأشخاص يحتاج إلى مهارة الأطباء المتخصصين، سواء ما تعلق بالرقية الشرعية أو ما تعلق بالأدوية المفردة أو المركبة الموصوفة في السنة النبوية.

والرقية كمصطلح موجودة قبل الإسلام، وكان لها متخصصون فيها من كهنة وعرفان ومنجمين، وما يعرف باسم الرقية الشرعية، أصبحت في عصرنا الحاضر سهوة جواد لكل راكب، ركب الناس فيها الصعب والذلول، وتعاطاها الجاهل والمتعلم، حتى اشتبه أمرها على الناس حتى من

العارفين، ما بين منكر ومعترف بها، وبين منكر لتلبس الجن بالإنس¹ وبين معترف، والخلاف عميق، ولا يحسمه إلا العلم والتخصص، فهي عوض أن تكون خدمة طبية ومساعدة روحية، أصبحت ملفا تجاريا مربحا، ومعتادا، أربك حياة الناس ولا مخرج منه، إلا بالعودة بها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي علاج روحاني من رجل صالح، مخرجها الدعاء والابتهاال إلى الله. ولم يكن هناك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضوء ما تبين لي بالبحث؛ رقاة مُرصدون للرقية، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم الرقية كتعوذات وأدعية. وأما مصطلح "الراقي"² بالمعنى المهني، فلم يكن ضمن الصناعات والمهن، وقد عرف مصطلح الراقي في الجاهلية، فقد اشتهر بها جماعة من الأطباء التقليديين، كما في صحيح مسلم: «عن ابن عباس:» أن ضمادا قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الريح³...» الحديث. [والمراد بالريح الجنون] وفي عصرنا ونظرا لتشعب العلوم، و تأزم الوضع النفسي للفرد، صار لزاما على أولياء الأمور تقنين الرقية، أي وضع قوانين واضحة تنظم هذا الأمر. وذلك عن طريق جملة من التدابير منها:

أ- الترخيص من ولي الأمر (الهيئة المخولة بذلك تابعة لوزارة الصحة).

الرسول صلى الله عليه وسلم ثبت عنه: فيما رواه جابر بن عبد الله قال: «رخص النبي صلى الله عليه وسلم لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: " مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة " ، قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، فقال: " ارقهم " قالت: فعرضت عليه، فقال: ارقهم⁴»، وعن جابر أيضا: قال: «أرخص النبي

¹ قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوما يزعمون أن الجن لا يدخل بدن الإنسي!! فقال: يا بني يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه». ينظر: ابن تيمية، الدليل و البرهان على صرع الجن للإنسان: الصفحة: (11).

² لكن الإمام الخزاعي التلمساني في كتابه تخرج الدلالات السمعية: الصفحة 683، أدرجه ضمن الصناعات التي كانت موجودة في عهد النبوة فقال: " الباب السابع في الراقي". لكن في ضوء ما ذكر لا يتضح أنه صنعة مشتهرة.
³ مسلم، صحيح مسلم: (1 / 385)، رقم الحديث: 868، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة و الخطبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

⁴ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 1048، رقم الحديث: 2198، كتاب السلام، باب في رقية المريض بالمعوذات والنفث.

صلى الله عليه و سلم في رقية الحية لبني عمرو»¹، في هذه الأحاديث دلالة على أن الرقى كانت تعرض على النبي صلى الله عليه و سلم، بل أصرح من هذا الحديث في صحيح مسلم « عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: "أعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"²»
ب - التأكد من أهلية ممارس الرقية .

ج - إدراج الرقية ضمن تخصص الطب النفسي بمنظور إسلامي، فهناك حالات تحتاج إلى العلاج النفسي عن طريق أساليب الطب النفسي، وتجد الرقاة يستخدمون أساليب عشوائية وارتجالية في التعامل مع المرضى³.

قال في كتاب الاكتئاب المرض والعلاج: « وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الخطوات للتخلص من مشاعر القلق والاكتئاب وتحقيق اتزان النفس منها قوله صلى الله عليه و سلم: " لا تغضب"⁴، وتوجيهه صلى الله عليه وسلم إلى " انتظار الصلاة بعد الصلاة"⁵، والأمر بالصدقة التي " تطفى الخبيثة كما يطفى الماء النار"⁶، وقوله صلى الله

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 1048، رقم الحديث: 2199، كتاب السلام، باب في رقية المريض بالمعوذات و النفث.

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 1049، رقم الحديث: 2200، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .

³ و للإمام ابن الجوزي رحمه الله كتاب : الطب الروحاني ، و قد أحصيت فيه أكثر من ثلاثة و ثلاثين حديثا لها مدخل في العلاج النفسي بالطريقة الإسلامية .

⁴ أخرجه مالك، الموطأ: (2/492)، رقم الحديث : 2636 ، كتاب الجامع ، ما جاء في الغضب، عن عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه. وابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان: (1/531-532) ، كتاب البر والإحسان ذكر رجاء الأمن من غضب الله لمن لم يغضب لغير الله جل وعلا، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

⁵ جزء من حديث أخرجه: ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان: (3/313)، رقم الحديث (1038)، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، والترمذي ، سنن الترمذي : (1/72-73) ، رقم الحديث : (51) ، أبواب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء . كلاهما : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الترمذي حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح .

⁶ جزء من حديث أخرجه ابن حبان ، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان : (5 / 9) ، رقم الحديث : (1723) ، كتاب الصلاة ، باب فضل الصلوات الخمس ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

عليه و سلم الذي ورد في حديث آخر: «اتبع السيئة الحسنة تمحها و خالق الناس بخلق حسن¹». وكل هذه الخطوات البسيطة من شأنها أن تخفف من مشاعر القلق والاكتئاب بصورة عملية تؤدي إلى سكينه النفس، وهي علاج يسير وفعال لا يكلف شيء ، وعلى كل منا أن يجربه وهو على ثقة من الشفاء بإذن الله.

كما يقدم لنا المنظور الإسلامي النموذج الذي يكفل لنا الوقاية من الاضطرابات النفسية فإنه يقدم لنا أيضا العلاج لما يمكن أن يصيب الإنسان من أمراض واضطرابات، و قد ثبت من خلال التجربة أن تقوية الوازع الديني، واللجوء إلى الله ، و التمسك بالعبادة ، والإيمان القوي بالله تعالى من الأمور التي تفيد عمليا في علاج حالات الاكتئاب و قد أجريت الأبحاث للمقارنة بين الأشخاص الذين يتمتعون بعبادة قوية و يحافظون على العبادات ولديهم إيمان قوي بالله تعالى مقارنة بغيرهم تبين أن قابليتهم للشفاء والتغلب على أعراض الاكتئاب أكثر من المجموعات الأخرى رغم استخدام نفس أنواع العلاج الطبي في كل الحالات»⁽²⁾.

د . توعية الناس بالبعد عن أسباب القلق والأمراض النفسية وملازمة الذكر والدعاء، وأن لا يغتروا بكثرة الناس حول من يعرف بالرقاة، فالعمل على رفع المستوى الثقافي وتصحيح المعتقد عند الناس من شأنه أن يصرف الناس عن التصرفات الشاذة.

قال الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «وجماع القول فيها أن كل فرد مأمور بصحة التفكير في دائرة ما يحتاجه من الأعمال تفكيراً يعصمه من الوقوع في مهاوي الأخطاء ... العقيدة هي أصل الإسلام، فالدعاء إلى تصحيح التفكير فيها تأصيل للتفكير عند المسلم في أول تلقيه للإسلام، وقد عاب القرآن عقائد الضالين من المشركين وغيرهم بإقامة الحجة عليهم و بإظهار ما في مطاوي عقائدهم من أفن الرأي واضطراب الحجة³»

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : (355/4)، رقم (1987)، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في معاشره الناس ، عم أبي ذر رضي الله عنه . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، و أحمد ، المسند : (36 / 313) رقم الحديث: (21988). عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

² الشريبي، الاكتئاب المرض و العلاج، الصفحة : (259 - 269)

³ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: الصفحة: (53).

هـ - ضرورة إبعاد المساجد وأماكن العمل عن ممارسة الرقية، وإنما لا بد أن يكون هناك قسم خاص في العيادات والمستشفيات خاص بالرقية، وما المانع في ذلك؟ ونحن نلاحظ النشاط العشوائي للرقاة وما أحدثوه في المجتمع من مفاسد.

الفرع الثالث: الأمر بالعلاج وتوفير مراكزه للمرضى في ضوء السنة النبوية.

النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لنا: «تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء»¹. فهو أمر عام بكل ما تحمل كلمة التداوي من معاني، من ضرورة التخصص في الطب ومن ضرورة توفير الدواء والبحث في أنواعها، وكذا توفير أماكن العلاج الصحية من مستشفيات وعيادات متخصصة، وإبعاد المريض عن الضوضاء، لأن الأمر بالشيء أمر بلوازمه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب²، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرف شخصيا على توفير الراحة الصحية لأصحابه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكحل، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب...»³

قال في تاريخ البيمارستانات: «يفهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أول من أمر بالمستشفى الحربي المتنقل، وقال تقي الدين المقرئ: أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى، الوليد بن عبد الملك الأموي، في سنة: 88هـ / 706 م، وجعل في البيمارستان

¹ سبق تخريجه جزء من حديث شريك الصفحة :

² ينظر السبكي، الأشباه والنظائر: (120/1) . و ابن اللحام الحنبلي، القواعد و الفوائد الأصولية : (94) قال ابن اللحام : «القاعدة 17 ما لا يتم الواجب إلا به للناس في ضبطه طريقان أحدهما وعى طريقة الغزالي وأبى محمد المقدسي وغيرهما أنه ينقسم إلى غير مقدور كالقدرة والأعضاء وإلى فعل غيره كالإمام والعدد في الجمعة فلا يكون واجبا . وإلى ما يكون مقدورا له كالطهارة وقطع المسافة إلى الجمعة والمشاعر فيكون واجبا . قال أبو البركات وهذا ضعيف في القسم الأول إذ لا واجب هناك وفي الثاني باطل باكتساب المال في الحج والكفارات ونحو ذلك . الطريقة الثانية أن ما لا يتم الوجوب إلا به فليس بواجب كالقسم الأول وكالمال في الحج والكفارات . وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب مطلقا وهذه طريقة الأكثرين من أصحابنا وغيرهم . قال أبو البركات وهي أصح وسواء كان شرطا وهو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم أو سببا وهو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم » القواعد و الفوائد الأصولية : الصفحة (94) .

³ أخرجه : البخاري، الجامع الصحيح : (3 / 119) رقم الحديث : 4122 ، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب و مخرجه إلى بني قريظة، و محاصرته إياهم ، عن عائشة رضي الله عنها .

الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق¹».

قال الإمام الكتاني: « باب في المارستان² دار المرضى المستشفى اليوم وقيام النساء الصحايات به في زمنه صلى الله عليه وسلم. قال الجوهري في الصحاح: المارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكيت قال زاهد العلماء أبو سعيد نصر بن عيسى أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط وذلك أنه عمل بالقرب من داره من بستان كان له موضعا مفردا للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم ، ففي صحيح مسلم عن عائشة أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد خيمة يعودده من قريب وقال ابن إسحاق في السيرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لإمرأة من أسلم يقال لها رفيدة³ في مسجده صلى الله عليه وسلم كانت تداوي الجرحى وتحبس نفسها على خدمة من كان فيه ضيعة من المسلمين فهذا أوسع ما علمنا عن المستشفيات في حياته صلى الله عليه وسلم⁴»

ومن دلائل السبق الذي سجلته السنة النبوية في ميدان ترشيد الطب واختيار مكان المستشفيات والمصحات؛ الإرشاد النبوي على ضرورة إبعاد المريض عن العمران وتوفير المكان الصحي له، الملائم له. فقد أخرج الإمام البخاري رضي الله عنه، عن أنس رضي الله عنه: « أن ناسا كان بهم سقم قالوا: يارسول الله آونا وأطعمنا فلما صحوا قالوا: إن المدينة وخمة، فأنزلهم الحرة في ذود [إبل] له، فقال: اشربوا من ألبانها فلما صحوا قتلوا الراعي...» وفي لفظ آخر عن

¹ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام: الصفحة : 9 - 10 .

² المارستان: بفتح الراء، دار المرضى، وهو معرب نقله الجوهري، عن يعقوب. قلت: وأصله بيمارستان، بكسر الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء، ومعناه: دار المرضى، كما قاله يعقوب، قال : بيمار، عندهم هو المريض و"أستان" بالضم: المأوى، ثم خفف فحذفت الهمزة، ولما حصل التركيب أسقطوا الباء والياء عند التعريب«ينظر الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: 500/16 مادة مرس. و أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام : الصفحة: (7).

³ رفيدة امرأة من أسلم، ويقال الأنصارية، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمتها في مسجده ليعودده من قريب، وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ذكره

ابن إسحاق. ينظر : ابن حجر الإصابة : 81/8 ، و ابن عبد البر ، الاستيعاب : الصفحة : 905

⁴ الكتاني ، الترايب الإدارية : 350/1 .

أنس رضي الله عنه: أن ناسا اجتمعوا¹ في المدينة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يلحقوا براعيه فشرّبوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم، فقتلوا الراعي...²»

الفرع الرابع: توفير الراحة للمريض والجو الصحي في ضوء السنة النبوية.

توفير الراحة للمريض من أهم الأسباب المساعدة على شفائه بإذن الله تعالى، وأول أسباب الراحة أن لا تُسمع المريض ما يكره، أو نزعجه بكلام جارح، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، فالكلمة الطيبة صدقة كما في حديث أنس مرفوعاً: "...ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة"³

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في أجله، فإن ذلك لا يرد شيئاً ويطيب بنفسه⁴».

جاء في كتاب المرشد في الفقه الطبي: «كما يستحب تسليّة المريض بما يجب من حلال، في القول أو الفعل وقد كان المسلمون يفهمون ذلك فوقفوا الأوقاف على المرضى ومن تلك الأوقاف "وقف مؤنس المرضى" و"وقف تبشير المرضى".

وقف المؤنس: يسمع المريض بصوت رخيم حسن أمثلة الصبر وآياته ورحمة الله وإحسانه ولطفه وكرمه ...

¹ قال الحافظ ابن حجر: «قال بن فارس: "اجتويت البلاد إذا كرهتها، وإن كنت في نعمة". و قيده الخطابي: بما إذا تضرر بالإقامة. وهو المناسب لهذه القصة، قال القزاز: اجتمعوا أي لم يوافقهم طعامها، و قال ابن العربي: الجوى داء يأخذ من البواب،... و قال غيره الجوى داء يصيب الجوف « ينظر ابن حجر، فتح الباري: (1/574)، حديث رقم:

(233)، باب أبوال إبل و الدواب و الغنم و مراضها . اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، الطبعة الأولى، (142هـ 2005 م)، دار طيبة للنشر و التوزيع . ينظر كلام ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : (1 / 491) .

² أخرجه : البخاري، الجامع الصحيح : (4 / 33)، رقم الحديثين : (5685)، (5686)، كتاب الطب، باب الدواء بألبان الإبل ، و باب الدواء بأبوال الإبل ، عن أنس رضي الله عنه .

³ أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : (2 / 1059) ، حديث رقم (2224) . كتاب السلام ، عن أنس

⁴ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (4/412)، رقم الحديث: 2087، كتاب الطب ، باب ، وابن ماجه ، سنن بن ماجه : (1/462)، رقم الحديث : 1438 ، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. عن أي سعيد الخدري رضي الله عنه ، و اللفظ للترمذي . و قال الترمذي هذا حديث غريب ، قلت : الحديث ضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة : (1/336).

وقف تبشير المريض: وهي من وظائف المستشفيات المعالجة في ذلك الزمان، وهي تكلف اثنين من المرضين أن يقفا قريبا من المريض بحيث يسمعهما ولا يراهما. فيقول أحدهما لصاحبه ماذا قال الطبيب عن فلان المريض؟ فيرد الآخر عليه: عن الطبيب يقول: إنه لا بأس به فهو مرجو البرء ولا يوجد في علته ما يشغل البال، وربما نهض من فراشه بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أيام¹.

فلاحظ أنه وجد في تاريخ الطب عند المسلمين وقف يسمى: بوقف تبشير المريض أي أن يسمع المريض البشارة بالشفاء فتكون عوناً له على تقوية مناعته، والنهوض من ذلك المرض فمما لا ريب فيه أن الجو الصحي المناسب يرفع من معنويات المريض ويحسن حالته النفسية وأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الحالة النفسية والحالة الجسمية فتحسن الحالة النفسية من شأنه أن يقوي جهاز المناعة لدى الإنسان، ولا شك أن مثل هذه الاجتهادات مستقاة من روح السنة النبوية المطهرة ففي الحديث:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا حضرتم الميت أو المريض فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله ما أقول قال: «قولي اللهم اغفر لنا وله وأعقبنا منه عقبى صالحه»². ففي ضوء هذا الحديث دعوة لنا أن نحسن ونختار الكلام الطيب الذي نسمعه للمريض «قولوا خيراً» لما للكلمة من أثر على المريض سلبي أو إيجابي، وهي خدمة ميسورة بإمكان كل فرد أن يساهم فيها دون جهد أو عناء، و جاء الأمر بعموم الخير لتكون لنا كامل الحرية في اختيار العبارات المناسبة التي تخدم الغرض المطلوب دون تعدي أو إجحاف.

¹ توفيق الواعي، و أحمد أبو الفضل، أحمد رجائي الجندي، المرشد الإسلامي في الفقه الطبي: الصفحة 198 - 199
² أخرجه مسلم صحيح مسلم: الصفحة: (409)، رقم الحديث: (919) كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت، و البيهقي، السنن الكبرى: (539/3)، رقم الحديث: (6601)، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من الكلام عنده. عن أم سلمة رضي الله عنها.

المطلب الثالث : خدمة ذوي العاهات في ضوء السنة النبوية.

الفرع الأول: تعريف العاهة.

قال في لسان العرب: «العاهة الآفة، ... و البلايا والآفات أي فساد يصيب الزرع ونحوه من حر أو عطش... وأعاه الزرع إذا أصابته آفة من اليرقان ونحوه فأفسده وأعاه القوم إذا أصاب زرعهم خاصة عاهة. ورجل معية ومعو في نفسه أو ماله أصابته عاهة فيهما¹»
قال في تهذيب اللغة: قال الليث: العاهة: البلايا والآفات، أي فساد يصيب الزرع ونحوه من حر أو عطش².

الفرع الثاني : الخدمة الاجتماعية لذوي العاهات في ضوء السنة النبوية .

لقد توجهنا لاهتمام في معظم الدراسات المتعلقة بذوي العاهات، قديما وحديثا، في دراساتنا الشرعية على جوانب معية تتعلق بالبحث عن الحلول المتعلقة بكيفية أداء العبادات سواء الصلاة، أو الحج أو الطهارة، تحت مسمى: أصحاب الأعدار، لكن الذي لم تتم دراسته ولم تتوسع فيه الأبحاث من الناحية الشرعية، هو منهج السنة النبوية، والإسلام على العموم في معاملة ذوي العاهات، من الجوانب النفسية والاجتماعية ومنها على سبيل المثال ما يسمى: التأهيل المهني³، وبحث مثل هذه القضايا في ضوء الإرشاد النبوي، و كيف يمكن إعادة دمج هذه الفئة في دورة الحياة والإنتاج، وما هو المنهج النبوي في معاملة ذوي العاهات من الجوانب الاجتماعية، وما هي الخدمة الاجتماعية التي تلقاها ذوا العاهات في ضوء السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم أسئلة كثير تطرح في هذه الجوانب المهمة جدا وسنحاول أن نلقي بعض الأضواء على هذه الجوانب لتلمس هدي النبي صلى الله عليه و سلم في ذلك. جاء في الحديث: «عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

¹ ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب : (4/ 3281) .

² الأزهرى محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة : (21/3 - 22) .

³ التأهيل المهني: ميدان من أهم ميادين الرعاية الاجتماعية ، أساس العمل فيه معاونة من يعجزون عن العمل بسبب حوادث تعرضوا لها، أو نتيجة لأمراض أصيبوا بها، ليتمكنوا من أستئناف أعمالهم، أو مزاولة أعمال جديدة تلائمهم، فيقومون بما كغيرهم من العمال الذين يعملون و ينتجون و يساهمون في بناء أوطانهم و رفاهية بلادهم . ينظر : د/ مختار حمزة ، سيكولوجية ذوي العاهات : الصفحة (17) .

«لا قدست أمة لا يُعطى الضعيف فيها حقه غير متمتع¹»².

يقول عبد الله ناصح علوان: «لو ألقينا نظرة فاحصة في الواقع الذي نعيش فيه لرأينا كثيرا من هؤلاء المنكوبين الذين أصيبت أجسامهم، وحواسهم بأمراض مزمنة، وعاهات مختلفة، وأصبحوا في حالة... من العجز والضعف وعدم القدرة على مواصلة أعباء العمل وتكاليف الحياة وأهم هذه الفئات هم: الصم البكم، الصرعى، المعتوهون، العاجزون بسبب ضعف البنية أو الشيخوخة، ذوو العيوب الكلامية، نقص في النطق، أصحاب الأمراض المزمنة³».

هذه الفئة من الناس لا بد أن تجد الرعاية والعون والحياة الكريمة في ضوء تعاليم سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، وليس مقبولا أن تبقى فريسة للضياع، القرآن الكريم أعفى ذوي الاحتياجات الخاصة من كثير من التكاليف، التي تلحقهم بمزاولتها المشقة والعنت، وذلك في نصوص عدة، وعليه وضع الأصوليون القاعدة الشرعية المشهورة: " المشقة تجلب التيسير

"⁴ وهذا انطلاقا من قوله تبارك و تعالي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] وقوله تعالي ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78] وقوله تعالي نصا في حق ذوي الاحتياجات الخاصة: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: 17].

وجاءت السنة النبوية لتؤكد هذا الأصل العامالذي تندرج تحته قضايا كثيرة يشملها مفهوم رفع الحرج، بل إن السنة لم تكتف برفع الحرج بإسقاط التكاليف المرهقة عليهم، فأكد النبي صلى الله عليه و سلم على مراعاة ضعف هذه الفئة حتى أثناء العبادات اليومية، فعن «أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إذا صلى أحدكم بالناس، فليخفف، فإن

¹ بفتح التاء أي من غير أن يُصيبه أذى يُفلقه ويُزعجه . ينظر ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر: (190/1)

² أخرجه ، أبو يعلى ، مسند أبي يعلى الموصلي: 344/2 رقم الحديث :1091، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حسين سليم أسد محقق الكتاب : إسناده صحيح.

³ عبد الله ناصح علوان ، التكافل الاجتماعي في الإسلام : (51- 52) .

⁴ الزحيلي ، القواعد الفقهية و تطبيقاتها في المذاهب الأربعة : ص (257) .

فيهما الضعيف، والسقيم، والكبير. وإذا صلى أحدكم لنفسه، فليطول ما شاء»¹. وهذا مراعاة منه صلى الله عليه وسلم لحالهم من الضعف، لكي يدفع عنهم المشقة الحاصلة ولو في عبادة كالصلاة فما بالك بغيرها، فلذا أكدت نصوص السنة النبوية على ضرورة مد يد العون للعاجزين من مرضى ومعاقين من النواحي الاجتماعية والنفسية والصحية والتأهيلية... الخ مع تسجيل السبق للسنة النبوية في مجال التأهيل الاجتماعي ومنه المهني، كي لا تصاب هذه الفئة بالإحباط التام، وبالتالي نزيد من إحساسها يوماً بعد يوم أنها عالية على المجتمع، و لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ذوي الحاجات الخاصة وما يتناسب مع مهارتهم، بل كان يعبئهم بعنصر الثقة بالنفس عن طريق تكليفهم بمهام عامة مثلما كلف ابن أم مكتوم وهو أعمى بالأذان⁽²⁾، وكذا إمامة الناس⁽³⁾ و لم يعف النبي صلى الله عليه وسلم الأعمى من حضور صلاة الجماعة⁽⁴⁾ مع المسلمين، كل ذلك من أجل اعتباره عنصراً يمكن أن يكون له مردوداً إيجابياً في المجتمع، وزرعاً لعنصر الثقة بالنفس في نفوس هذه الفئة في المجتمع.

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (233/1) رقم الحديث (703) كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، مالك، الموطأ: (1/195)، رقم الحديث: 355، كتاب الصلاة، العمل في صلاة الجماعة. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² ففي الحديث: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم. أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (1/209)، رقم الحديث: (620) كتاب الأذان، باب الأذان بعد الفجر و أخرجه مالك، عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بن أم مكتوم قال وكان بن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت". أخرجه: مالك، الموطأ: (1/122)، رقم الحديث: 195، كتاب الصلاة، قدر السحور من النداء.

³ ففي الحديث: عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى. أخرجه أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (87 - 88)، حديث رقم (595)، كتاب الصلاة، باب إمامة الأعمى.

⁴ ففي الحديث عن أبي هريرة قال: " أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يرخص له فيصلني في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال: نعم، قال: فأجب ". أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: الصفحة (257) رقم الحديث (653)، كتاب المساجد، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء.

أولاً : رعاية الأعمى كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.

تعريف العمى في اللغة: قال في اللسان: « العمى ذهاب البصر كله، وفي الأزهري: من العينين كليهما... رجل أعمى، وامرأة عمياء ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة¹».

والعمى في الاصطلاح الطبي الحديث هو: نقص حاد في الرؤية أو انعدامها تماماً. يقول الدكتور مختار حمزة: « إن أي شخص تنقصه حدة الإبصار إلى الدرجة السابق تعريفها ويقدر الأطباء هذا الفقدان بمقدار 80 %، و كذلك أي شخص يقاسي من عيب في مدى الإبصار بالكيفية المذكورة يعتبر أعمى⁽²⁾».

أ - هداية الكفيف كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.

لقد رغبت السنة النبوية المطهرة في مساعدة الأعمى والأخذ بيده³ للوصول به إلى وجهته، قصد تخفيفه مخاطر الطريق و وقايته من الحوادث، وكذا مساعدته في كل ما يحتاج إليه من قراءة أو وصف مباح أو غيره، وهذا الترغيب رتبت عليه الأجر الجزيل، وفيه دعوة مباشرة إلى العناية بهذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، ونمد لهم يد العون . فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مشى مع أعمى ميلاً يرشده كان له بكل ذراع من الميل عتق رقبة وإذا أرشدت الأعمى فخذ بيده اليسرى بيدك اليمنى فإنه صدقة⁽⁴⁾».

¹ ابن منظور : لسان العرب : (95/15) .

² مختار حمزة، سيكولوجية ذوي العاهات: الصفحة (117).

³ وللشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني، كتاب تحت عنوان : نيل الحظوة بقيادة الأعمى أربعين خطوة ذكره الأستاذ : نظام بن محمد صالح اليعقوبي ضمن مؤلفات الشيخ رحمه الله، في مقدمة تحقيقه لكتاب / تحقيق الآمال في إخراج زكاة الفطر بالمال، للغماري.

⁴ أخرجه الديلمي، الفردوس : (5 / 350) ، رقم الحديث : (8397) و الهندي ، كنز العمال : (592/6)، رقم الحديث : (17037) . عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال الأستاذ السعيد بسيوني زغلول في تحقيق الفردوس للديلمي : « إسناد هذا الحديث في زهر الفردوس (322/4) أخبرنا أبو سعيد العجلي أخبرنا العشاري أخبرنا ابن شاهين حدثنا أحمد بن عمرو الزبيري بمصر حدثنا أحمد بن عبد الرحيم الرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا إبراهيم بن عبد الله البصري عن علي بن ثابت البصري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً . قلت : زهر الفردوس هو من تصنيف الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله و هو تعليق على مسند الفردوس لأبي منصور الديلمي .

- عن ابن عمر: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة"⁽¹⁾.

- وعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً «...وفي فضل بصرك على الضرب البصر تهديه الطريق صدقة وفي فضل قوتك على الضعيف تعينه صدقة...» و عند الطبراني بلفظ: في فضل بصرك للمنقوص بصره لك صدقة، و فضل سمعك للمنقوص له سمعه لك صدقة، و فضل شدة ذراعيك للضعيف لك صدقة، و إرشادك سائلاً أين فلان؟ لك صدقة...² الحديث.

ب - الرفق في معاملته من الناحية النفسية.

من التوجيهات النبوية في خدمة الكفيف مراعاة الجانب النفسي وأن نساعدته على تقبل وضعه لكي تستمر حياته طبيعياً وذلك بتقديم كل أوجه الدعم والتحفيز ليتم انسجامهم في المجتمع بصورة طبيعية، وأن نتجنب كل صور الإضرار وتعابير الاحتقار والانتقاص، فهي من شأنها أن تشكل عبئاً نفسياً فوق العبء الذي يعاني منه الكفيف، وتساهم في خلق ونمو عقدة الشعور بالنقص: وفي هذا الصدد يقول الدكتور مختار حمزة: « ذكرنا أن عوامل متعددة تعمل على خلق الشعور بالنقص عند المصاب ويسهم في إبراز هذه الحالة أفراد المجتمع فهم يفترضون أن

¹ أخرجه أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى الموصلي: (9 / 466)، رقم الحديث: (5614). من طريق علي بن عروة عن محمد بن المنكدر عن ابن عمر رضي الله عنهما، البيهقي في شعب الإيمان، بعدة طرق: (10 / 95 - 96 - 97 - 98)، وفيه متابعة: ثور بن يزيد و محمد بن عبد الملك الأنصاري لعلي بن عروة و متابعة ثور بن يزيد أخرجه ابن عدي، الكامل: (290/2). و أخرجه أيضاً البيهقي، شعب الإيمان: (10 / 97) و الطبراني في الأوسط: (55/4)، رقم الحديث (3594)، و أحمد بن منيع كما في ابن حجر المطالب العالية: (568/11) كلهم من طريق يوسف بن عطية الصفار عن سليمان التيمي عن أنس قال د/ عبد العلي حامد محقق شعب الإيمان: إسناده ليس بالقوي، و أخرجه البيهقي، شعب الإيمان: (10/98)، رقم الحديث: (7224) عن عمر بن عمران عن الحجاج عن أبي نضرة رضي الله عنه، قال البيهقي هكذا وجدته عن أبي نضرة. قال الندوي محقق شعب الإيمان: إسناده ضعيف. و أخرجه ابن عدي في الكامل: (5/250) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عبد الله بن أبان الثقفي عن الثوري عن ابن دينار به قال ابن عدي: و هذا الحديث بهذا الإسناد باطل. و على كل فالمتابعات و الشواهد كلها ضعيفة، و حسنه السيوطي في الجامع الصغير، ينظر المناوي، فيض القدير: (6/188).

² أخرجه البيهقي: السنن الكبرى: 82/6، و الطبراني، مسند الشاميين: (1/458-459)، رقم الحديث: (810) عن أبي ذر رضي الله عنه. قال الهندي في كنز العمال: (6/593) سنده حسن.

المصاب بعاهة شخص أقل منهم، لا في الناحية التي فقدتها فحسب بل تتعدها إلى باقي النواحي فتصبح النظرة عامة إلى الشخص بأكمله.. و لا يرى الكثيرون من أفراد المجتمع مانعا من إظهار هذا الشعور بكل قوة و إشعار المصاب بأنه شخص ناقص أو تافه، و أنه يجب أن يخجل من منظره، و قد يحدث كل هذا للمصاب من أقرب المقربين إليه .

و لا يكتفي بعضهم بإظهار هذا الشعور البغيض أمام صاحب العاهة بل يرون أنه يجب أن يشعر هو في قرارة نفسه بهذه الحقارة ، فلا يحق له أن يتطلب نفس الحقوق التي يتطلبها الشخص سليم البنية¹.

النبي الرؤوف الرحيم صلى الله عليه و سلم وجه اللوم لأولئك الذين سخروا من الكفيف فجعل القهقهة التي هي سبب السخرية من الكفيف سببا لبطلان الوضوء، ومن ثم الصلاة كل ذلك قصد التنفير، من هذا السلوك غير المقبول في معاملة هذه الفئة في المجتمع.

فأخرج الدارقطني في سننه: عن قتادة عن أبي المليح² عن أبيه³ قال : كنا نصلي خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء رجل ضريب البصر فتردى في حفرة كانت في المسجد فضحك ناس من خلفه فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة⁴.

¹ مختار حمزة، سيكولوجية ذوي العاهات: الصفحة (41-42) .

² قيل اسمه عامر و قيل زيد بن أسامة يروي عن أبيه، و بريدة ، و عوف بن مالك، روى عنه : ، أبو قلابة، و قتادة، قال البخاري: «عامر بن أسامة بن عمير البصري الهذلي عن أبيه، قال أحمد عن أبي عبيدة: اسمه زيد بن أسامة». قال ابن حبان في الثقات: «كان عامل الحجاج على الأبله مات سنة ثمان وتسعين ومن زعم أن اسمه زياد أو زيد بن أسامة فقد وهم». ينظر البخاري التاريخ الكبير: (449/6). و ابن حبان ، الثقات : (190/5) .

³ هو أسامة بن عمير بن عامر الهذلي والد أبي المليح، قال البخاري البصري من مضر له صحبة صحبة روى عنه ابنه أبو المليح عامر بن أسامة ، ابن أبي حاتم ، الجرح و التعديل : (283/2) ينظر ابن حجر الإصابة : (30/1)،

⁴ أخرجه الدارقطني : (295/1)، حديث رقم : (602)، كتاب الطهارة، أحاديث القهقهة في الصلاة و عللها، عن الحسن بن دينار عن قتادة عن أبي المليح عن أبيه و هو أسامة بن عمير رضي الله عنه. و ساق الدارقطني له عدة طرق و بين رحمه الله : أن كل من أسنده عن قتادة فقد أخطأ، و أن الثقات من أصحاب قتادة إنما رووه عن أبي العالية الرياحي مرسلًا. و لا يصح مسندا. قال الدارقطني رحمه الله السنن (301/1): هذا هو الصحيح عن قتادة [يريد عن قتادة عن أبي العالية مرسلًا] اتفق عليه معمر وأبو عوانة وسعيد بن أبي عروبة وسعيد بن بشير فرووه عن قتادة عن أبي العالية وتابعهم عليه سلم بن أبي الذبيل عن قتادة فأرسله فهؤلاء خمسة ثقات رووه عن قتادة عن أبي العالية مرسلًا . وأيوب بن خوط وداود بن المخبر وعبد الرحمن بن عمرو بن جبلة والحسن بن دينار كلهم متروكون وليس فيهم من يجوز الاحتجاج بروايته =

وليكتمل الشعور بالرضى عن الوضع الحالي الذي نزل وأنه أمر واقع لا مفر منه، ويتم التقبل للوضع فإن هدي النبي صلى الله عليه و سلم هو إشراك هذه الفئة من المجتمع في المهام التي تتناسب والمقدرة عليها، فقد كان يكلف ابن أم مكتوم بالأذان والإمامة، وهي من الخطط التي لها مكانتها في المجتمع الإسلامي لما توفرت فيه من الكفاية ، و فيها إشارة و إرشاد لنا أن نوظف هذه الفئات فيما يتناسب و قدراتها .

كما كان صلى الله عليه وسلم يكلفه أيضا ببعض المهام الاجتماعية كإيواء المطلقات مؤقتا لأجل العدة الشرعية في حالات الضرورة¹ ففي الحديث: «عن أبي سلمة بن عبد الرحمن

= لو لم يكن له مخالف فكيف وقد خالف كل واحد منهم خمسة ثقات من أصحاب قتادة واما حديث الحسن بن دينار عن الحسن بن أبي المليح عن أبيه فهو بعيد من الصواب أيضا ولا نعلم أحدا تابعه عليه وقد رواه عبد الكريم أبو أمية عن الحسن بن أبي هريرة وعبد الكريم متروك والراوي له عنه عبد العزيز بن الحصين وهو ضعيف أيضا

¹ و ذلك أن فاطمة بنت قيس إنما أذن لها النبي صلى الله عليه و سلم بالعدة في بيت ابن أم مكتوم لأجل ضرورة و هي الخوف، حيث أن الإمام البخاري لم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في نفى السكنى والنفقة عن المعتدة، وأخرج في الجامع الصحيح (418/3) حديث رقم (5326) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: (إن فاطمة كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها فلذلك أرخص لها النبي صلى الله عليه وسلم)، وعندما حدثت فاطمة على التعميم بهذه الرخصة استنكرت عائشة فقالت فيما أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (418/3)، رقم الحديث (5324): « ما لفاطمة ألا تتقي الله يعني في قولها: لا سكنى ولا نفقة». واحتفى مسلم في صحيحه: (686/2)، في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها؛ بسرد روايات متعددة لحديث فاطمة بنت قيس، وذكر في آخر الروايات بإسناده: «عن أبي إسحاق قال كنت مع الأسود بن يزيد جالسا في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي فحدث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل لها سكنى ولا نفقة، ثم أخذ الأسود كفا من حصي فحصبه به فقال: ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة قال الله عز وجل: (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ

مُبِينَةٍ [الطلاق: 1] ». وقد قال الفخر الرازي في المحصول (91/3) : في معرض سرد حجج المانعين من تخصيص عموم الكتاب بخبر الآحاد فقال: « و احتج المانعون : بالإجماع، والخبر ، والمعقول . أما الإجماع فهو : أن عمر رضي الله عنه رد خبر فاطمة بنت قيس، وقال: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري لعلها نسيت أو كذبت » قال البيهقي في السنن الصغرى : «والذي روي عن عمر بن الخطاب من إنكار على فاطمة بنت قيس فإنما أنكر عليها ترك السكنى وكنمان السبب، كما أنكرت عائشة وهو قول الرواة الحفاظ في حديث عمر : (لا ندع كتاب ربنا)، دون قوله: (وسنة نبينا)، قال أحمد بن حنبل: « لا يصح ذلك عن عمر»، و قاله أيضا: الدارقطني، ففي الكتاب إيجاب السكنى دون النفقة، وليس في السنة إيجاب النفقة لها إذا لم تكن حاملا والله أعلم» ينظر : الأعظمي المنة الكبرى شرح و تخريج السنن الصغرى (542/6 - 544)

فاطمة بنت قيس¹ أن أبا عمرو بن حفص² طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال: والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال: ليس لك عليه نفقة فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك³ ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدى عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فأذيني، قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال، له أنكحي أسامة بن زيد فكرهته ثم قال أنكحي أسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به⁴. بل لقد ساهم الكثير من المكفوفين في الميادين الحساسة ومنها الخدمة الاجتماعية، فقد عقد صاحب كتاب تاريخ البيمارستانات باب تحت عنوان: الأطباء المكفوفون. ذكر منهم جملة فقال: «كان أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس⁵ طبيا

¹ فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس. رضي الله عنها، كانت من المهاجرات الأول وكانت ذات جمال وعقل وكانت عند أبي بكر بن حفص المخزومي فطلقها فتزوجت بعده أسامة بن زيد وهي التي روت قصة الجساسة بطولها فانفردت بما مطولة، رواها عنها الشعبي لما قدمت الكوفة على أخيها وهو أميرها، وفي بيتها اجتمع أهل الشورى لما قتل عمر. ينظر ابن حجر الإصابة: (164/8)، و ابن حبان الثقات: (336/3).

² قال الإمام السيوطي: «قال الأكثرون: اسمه عبد الحميد. وقال النسائي: اسمه أحمد. وقال آخرون: اسمه كنيته.»، ينظر السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: (103/4).

³ هي: غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاي، نسيها بن الكلبي فقال: بنت دودان بن عوف بن عمرو بن خالد بن ضباب بن حجر بن معيص بن عامر. وقال بن سعد: غزية بنت جابر بن حكيم كان محمد بن عمر [الواقدي] يقول: هي من بني معيص بن عامر بن لؤي وكان غيره يقول هي دوسية من الأزدي. وقيل إن اسمها غزيلة بالتصغير ويقال غزية بتشديد الياء بدل اللام وقيل بفتح أولها وقال بن منده: فاختلف في اسمها. قال ابن حجر: والذي يظهر في الجمع أن أم شريك واحدة اختلفت في نسبتها أنصارية أو عامرية من قريش أو أزدية من دوس واجتماع هذه النسب الثلاث ممكن كأن يقول قرشية تزوجت في دوس، فنسبت إليهم، ثم تزوجت في الأنصار فنسبت إليهم، أو لم تتزوج بل هي أنصارية بالمعنى الأعم. وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عبد البر: وقد ذكرها بعضهم في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصح من ذلك شيء لكثرة الاضطراب فيه والله أعلم. ينظر ابن ماكولا الإكمال: (20/7). و ابن حجر: الإصابة: (248/8). و ابن عبد البر، التمهيد: الصفحة (955).

⁴ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة (686)، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها.

⁵ هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس [بالمهمله] كان طبيا مشهورا، و كان مثل أبيه في النقل، و قال عن أبيه نقله مرغوب فيه توفي سنة 394هـ. ينظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة: 283.

مكفوفاً، وكان فاضلاً عالماً بصناعة الطب ... وأبو عبد الله محمد بن سليمان الحنطاط¹ ... كان حاذقاً بالطب والفلسفة ... كان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده ، فيهدي منها إلى ما لا يهدي إليه البصير²»

ثانياً - الخدمات المقدمة للضم البكم في ضوء السنة النبوية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل: 76]. قال

في فتح البيان: (أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) أي العبيّ المفحم، وقيل، هو الأقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام، وقيل هو الذي ولد أخرس، فكل أبكم أخرس، وليس كل أخرس أبكم، وروى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه الذي لا يسمع ولا يبصر.

ثم وصف الأبكم فقال (لا يقدر على شيء) من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره لعدم فهمه وعدم قدرته على النطق، وهو إشارة إلى العجز التام³.

في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر فقال: «ألستم تصلون، وتصومون، وتجاهدون.» قال: قلت: بلى وهم يفعلون كما نفعل، يصلون، ويصومون ويجاهدون، ويتصدقون، ولا نتصدق، قال: «إن فيك صدقة كثيرة إن في فضل بيانك عن

¹ محمد بن سليمان الرعيني القرطبي، أبو عبد الله، ابن الحنطاط: طبيب شاعر ضريب، أندلسي. يعرف ابن الحنطاط (437 هـ) كان أبوه يبيع الحنطة فنسب إليها ، ولد أعشى البصر، وكف بصره بعد أن تعلم . ، فتفرغ للعلم. وغلب عليه المنطق، فنفي أو فر من قرطبة. واستقر بالجزيرة الخضراء، عند أميرها محمد بن القاسم بن حمود، ومات بها، له رسالة سماها (وشي القلم وحلي الكرم) . ينظر : الزركلي : الأعلام : (149/6).

² أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام : الصفحة (15) .

³ القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن : (286/7) .

الأرتم¹ تعبر عنه حاجته صدقة وفي فضل سمعك على السيئ السمع تعبر عنه حاجته صدقة... الحديث»².

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وجاء في بعض رواية أبي ذر: وبيانك عنا لأرتم صدقة يعني من لا يطيق الكلام إما لآفة في لسانه أولعجمة في لغته فبين عنه ما يحتاج إلى بيانه³.
و عن أبي ذر رضي الله عنه في شعب الإيمان عند البيهقي بلفظ: «قلت يا رسول الله من أين نتصدق وليس لنا أموال؟ قال: «إن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأستغفر الله وتأمراً بالمعروف وتنهي عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدي الأعمى وتسمع الأصم الأبكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك»⁴.

ففي هذا الحديث الإرشاد إلى العناية بالكفيف والأصم، وأن الخدمات المقدمة لهم من أجل القربات عند الله فالسعي في ابتكار الوسائل والأدوات التي تساعدهم على التواصل مع المجتمع وحسن الاندماج فيه، مما ينبغي أن يتنافس فيه أصحاب الابتكار ومواهب الاختراع

¹الأرتم: قال ابن الأثير: «في حديث أبي ذر "في كل شيء صدقة حتى في بيانك عن الأرتم" كذا وقع في الرواية فإن كان محفوظاً فلعله من قولهم: رتمت الشيء إذا كسرتَه ويكون معناه معنى الأرت وهو اللذي لا يُفصح الكلام ولا يصححه ولا يُبينه، وقال الزبيدي: "الأرتم: الذي لا يُفصح الكلام ولا يُفهمه، كأنه كُسر أنفه، قد جاء ذكره في الحديث، ويُروى بالثلثة "اه. ينظر: النهاية في غريب الحديث: (194/2). مادة: رتم و الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: 216/32.

²أخرجه البيهقي: السنن الكبرى: (82/6)، و في شعب الإيمان: (92/10)، رقم الحديث: (7213) أحمد، مسند الإمام أحمد بلفظ آخر قريب: (291/35) رقم الحديث: (21363)، و اللفظ للبيهقي، كلاهما من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة، عن أبي البخترى، عن أبي ذر رضي الله عنه قال شعيب الأرنؤوط محقق المسند: حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين إلا أنه منقطع، فإن أبا البخترى سعيد بن فيروز لم يدرك أبا ذر فيما قاله أبو حاتم. قلت قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب الصفحة 240 ترجمة رقم 1380: سعيد بن فيروز أبو البخترى بفتح الموحدة والمثناة بينهما معجمة بن أبي عمران الطائي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فيه تشيع قليل كثير الإرسال.

³ ابن رجب، جامع العلوم والحكم: (247/1).

⁴ أخرجه البيهقي: شعب الإيمان: 488/13، رقم الحديث: 10657.

وفي الحضارة الحديثة طُورت وسائل متعددة لهذه الفئة للتواصل والتعلم والتعبير، لكن معظمها لم يسهم فيه المسلمون¹ رغم حث السنة النبوية على ولوج هذه الميادين والإبداع فيها. وأن كل ما يساعدهم، ويرشدهم، داخل تحت موعود رسول الله صلى الله عليه و سلم.

ثالثا - خدمة الشيخوخة في ضوء السنة النبوية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: 67]

و قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل: 70].

شاءت إرادة الله عز وجل أن جعل حياة الإنسان أطوارا يبدأ ضعيفا محتاجا لغيره ثم يشتد فيصير شابا وكهلا ثم شيخا وهرما فيعود إلى ضعيف كما بدأ سنة في خلقه، وجعل الله في عنق كل إنسان أمانة رد الجميل، وعدم كفران العشير، فكما تم رعايته صغيرا من والديه و أقاربه، أو كافلة، ف كذلك في عنقه واجب أخلاقي تجاه من ضعف عوده وقلت حيلته، بحمايته بخدمته ورعايته، وتوفير أسباب حياته ودفع ما يضره.

وفي كل مجتمع من المجتمعات توجد فئة كبار السن، هذه الفئة التي تراجعت قواها وقدراتها في مزاولة مشاغل الحياة وتلبية متطلبات المعيشة، فهل تترك هذه الفئة لعوادي الزمن تكابد الحياة وتقاسي ويلات المعيشة والأمراض المزمنة؟ كيف نعني بهذه الفئة الضعيفة في المجتمع؟ فهم بمثابة أطفال كبار؟ ما هي توجيهات السنة النبوية في خدمة المسنين، والعناية بهم، ما هو مقدار الخدمة الاجتماعية الموجهة إليهم في ضوء السنة النبوية .

أ - إكرام فئة المسنين وتوقيرهم في ضوء السنة النبوية.

الإكرام والتوقير للمسن هو من أجل الخدمات في ضوء التوجيهات النبوية، فالتقدير و الاحترام و مراعاة مشاعر المسن، ليحصل المسن على التقدير الاجتماعي» و هو شعور الفرد بالتقبل

¹ ومنها طريقة برايت للقراءة المخصصة للمكفوفين. و غيرها كثير.

والحب والاعتراف به، والسماح له بالمشاركة في صنع القرارات وحرية التعبير عن الرأي و الثناء على ما قدمه و ما يفعله»¹ .

ففي الحديث « عن أنس بن مالك يقول : جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه و سلم فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي صلى الله عليه و سلم : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا »² .

و«عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا " »³ .

و«عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه »⁴ .

وحسب الدراسات العلمية المعاصرة في علم النفس فإن الصلابة النفسية للمسن إنما يتم دعمها عن طريق التقدير الاجتماعي ولهذا الأخير نتائجه على حياة المسن فهو يساعد المسن على:

أ - «الالتزام: وهو نوع من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد تجاه نفسه وأهدافه وقيمه والآخريين من حوله، وينظر إلى المواقف الضاغطة أن ورائها معنى، وأنها شيء يدعو إلى المتعة

¹ جمال السيد تفاحة، الصلابة النفسية و الرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين دراسة مقارنة -:الصفحة:276

² أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : 4 / 321، رقم الحديث : 1919 ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة الصبيان . عن أنس رضي الله عنه . و أبو داود ، سنن أبي داود: الصفحة : (535) رقم الحديث (4943) كتاب الأدب، باب في النصيحة . عن عبد الله بن عمرو يرويه قال ابن السرح ، مرفوعا . و أحمد ، مسند الإمام أحمد : (11 / 345) ، رقم الحديث : (6733) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، والحديث صححه الألباني ينظر: السلسلة الصحيحة : (230/5).

³ أحمد ، مسند الإمام أحمد : (37 / 416)، و أخرجه الطبري، تهذيب الآثار: (543/2) عن عبادة بن الصامت . و حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (5 / 231) .

⁴ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 4 / 372، رقم الحديث: 2022، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير و الطبراني ، المعجم الأوسط: (6/94) ، رقم الحديث : (5903)، و القضاعي ، مسند الشهاب : (20/2) جميعهم من طريق يزيد بن بيان العقيلي حدثنا أبو الرجال الأنصاري، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ يزيد بن بيان. قلت: و قد وقع تصحيح في اسم يزيد بن بيان في طبعة مسند الشهاب (20/2) فوقع فيه : يزيد بن سنان العقيلي .

ب - التحكم: يشير بأن لديه القدرة على التحكم فيما يلقاه من أحداث، و يتحمل المسؤولية الشخصية عما يحدث له، و هذا الفرد يرى أن الضغوط ليست أمورا ثابتة ولكنها متغيرة.

ج - التحدي: فهو اعتقاد الفرد أن ما يطرأ على جوانب حياته من تغير هو أمر مثير وفرصة ضرورية للنمو أكثر من كونه تهديدا له، و هو يمثل جانبا طبيعيا في الحياة...¹

فنظرا لأهمية الجانب النفسي في حياة المسن أكد النبي صلى الله عليه و سلم على عبارة التوقير والتكريم فهي ذات بعد وقائي للمسن من كثير من الأزمات النفسية، والأزمات الاجتماعية .

وهذا اللون من الخدمة لا نجده إلا في التوجيهات النبوية الشريفة، ولا يتم الالتزام بها إلا من منطلق الإيمان الحق، والعقيدة الدينية الصحيحة، كدافع يضمن الحد الأدنى من الحماية للمسنين. عكس الخدمة الغربية في دور الرعاية الاجتماعية فهي ذات بعد مادي بحت لا تلتفت للمتطلبات النفسية للمسن، بل تهتم بخدمته غالبا من الجانب المادي فقط.

ب . خدمة المسن من الناحية المادية.

جاء في الحديث عن «عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»² و في رواية عند الترمذي: «يعرف حق كبيرنا»³.

وقد فصلت السنة في مواضع أخرى حقوق المسلمين على بعضهم بعضا و حقوق الأقارب وحقوق الجوار، والمسن واحد من هذه الأصناف، فثبت له إما حقه: كجد، وإما حقه: كجار و إما حقه: بموجب الأخوة و الولاية العامة بين المسلمين.

وبالتالي فله حق الطعام والشراب، وأن يجد بيتا يسكنه و كذا حقه في العلاج، وكل متطلبات الحياة. ونصوص السنة متوافرة في الدعوة على التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع فإن قصرت نفقة من ذكرنا، فكفايته من الخزينة العمومية بتخصيص مخصصات للمسنين ثم إن كفاية المسن في الضروريات وحفظ ماء وجهه، هو من تمام إكرامه و توقيره كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم.

¹ جمال السيد تفاعلة، الصلابة النفسية و الرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين دراسة مقارنة -:الصفحة: 274 .

² أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : 322/4 ، رقم الحديث : 1920 ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة الصبيان . صححه الباني في صحيح الترغيب و التهيب: (107/1) و قال حسن صحيح.

³ المصدر نفسه : 322 /4 .

ونؤكد هنا على أن منظور السنة النبوية في خدمة المسن اجتماعياً، هو إقرار مبدأ مسؤولية الأسرة، الأبناء تجاه الأصول وإن بعدوا، فخدمة المسن في عنق الأبناء أولاً، قبل أن تلقى المسؤولية على مصلحة الخدمة العامة. لذا أكدت نصوص القرآن الكريم حق الأقارب في آيات كثيرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: 83]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: 36]

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النور: 22]

قال الإمام أبو حيان في تفسير سورة الروم الآية 38: « فالظاهر أن لحق ليس الزكاة و إنما يصير حقاً بجهة الإحسان و المواساة . وللاهتمام بذي القربى قدم على المسكين وابن السبيل لأن بره صدقة وصلة»¹.

¹ أبو حيان ، تفسير البحر المحيط : 169 / 7 .

المبحث الرابع: منهج السنة النبوية في خدمة اللقيط اجتماعيا.

تضافرت النصوص القاطعة في القرآن والسنة على تجريم العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج الشرعي، وذلك يعد علاجا حاسما لمشكلة الطفولة المسعفة من أصلها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] .

إن من أبشع ما ارتكب في حق المرأة بل والإنسانية جمعاء، من الحضارة الغربية المعاصرة والمادية الملحدة، ما عرف عنها من تساهل إباحة العلاقات الجنسية بين الجنسين بل ما بين المثليين، وما انجر على هذا التصرف من ويلات اجتماعية، ومن ثم وصلوا إلى ما عرف بمصطلح «تنظيم البغاء»¹، فصار عندهم وعند من واكبهم أشبه بمؤسسة ذات طابع خدمي لخدمة الرذيلة فتحول تنظيم البغاء في المجتمعات الغربية إلى مؤسسة اجتماعية، تنظمها تشريعاتهم الظالمة.

لكن شريعة الإسلام وفي ضوء نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، اعتبرت الزنا جريمة وانحرافا عن الفطرة، يمكن التخلص منها عن طريق مجموعة من التوجيهات التربوية و مجموعة من العقوبات الزاجرة، فكانت التوجيهات في ضوء السنة موجهة لحماية الإنسان من البداية من ولوج هذه السبيل المعوج، «عكس الكثير من التشريعات البشرية التي قننت البغاء، بل في بعض الديانات الوثنية اعتبرته مقدسا²» وضروريا. لذا فإن التصدي لهذا الإسفاف الذي وصلت إليه الحضارة الغربية، وحماية مجتمعاتنا الإسلامية من آثاره، يكمن في البديل الإسلامي في ضوء الهدى النبوي؛ الذي يضع جملة من التدابير الوقائية لحماية المجتمع من المهالك المحققة عكس ما نعرف في عالم اليوم، من خدمات اجتماعية تقدم للبغياء بحجة الحق، و الحرية الشخصية، وما مصطلح "الأم العازبة" الذي أصبح يقرع أسماعنا في بلداننا الإسلامية، إلا أثر من آثار الانزلاقات الأخلاقية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية ذات الطابع المحافظ، وفي حقيقة الأمر هو اسفاف بالمرأة وانتهاك لكرامتها وإنسانيتها، لكن بالرجوع للسنة النبوية نجد البدائل التربوية و التوجيهات الوقائية لحماية المجتمع من هذه الحالات المرضية .

¹ نجية إسحاق، سيكولوجية البغاء: الصفحة (46) .

² المرجع نفسه : الصفحة (44 - 45)، بتصرف .

فمن بين التوجيهات الوقائية في السنة النبوية أن عدت كثيرا من مقدمات الزنا، زنا، وأطلقت عليه مصطلح "الزنا"، تنفيرا للنفوس وسدا لذرائع الانحلال الموصل إلى الحرام، كما أن السبب في نظر السنة النبوية كالنتيجة، لأنه ذريعة إليها، فأضافت السنة النبوية الزنا للعين واليد والرجل والفم، كل ذلك زجرا للنفوس عن تعاطي أسباب الزنا الموقعة في المهالك، ووقاية للمجتمع الإنساني من كثير من المشاكل الاجتماعية الناشئة عن العلاقات المحرمة، النبي صلى الله عليه وسلم حذر في الكثير من الأحاديث من هذه الجريمة الاجتماعية التي تتعدى آثارها إلى فئة لا ذنب لها وهي - فئة أبناء الزنا - أو ما يصنف في عصرنا: **ضمن الطفولة المسعفة**، والتي تظل طيلة حيلتها تدفع ثمن جريمة لم ترتكبها، فلا غرو أن غلظت السنة النبوية العقوبة فكانت رجما بالحجارة، زجرا للنفوس عن الولوغ في هذا المستنقع العفن، والسلوك الأفن، وتجنبا للمجتمع من كارثة إنسانية لا يعرف لها نظير، وهي أن يولد المولود ولا حضن له؟ ولا أبوة له؟ ولا نسب له؟ ولا عطف يتلقاه في لحظات وجوده الأولى، وصرخاته المبكرة؟ فلا أحد يعرف ألمه، ولا فرحه، ولا حزنه، ولا أحد يشاركه آلام الحياة و فرحتها، إنه ألم لا يمكن قياسه بأي مقياس بشري، إلا مقياس السنة النبوية التي كانت صارمة في وضع كل أسباب الحسم لهذه الجريمة، وثن كل هذه الآلام وهذه المعاناة التي يعيشها الطفل المسعف؛ لحظة عابرة؟ و نزوة ماكرة، تجردت من الإنسانية فأوغلت في الحيوانية، فلم تقدر عواقب ذاك التصرف، وما تنجم عنه من مسؤولية لذا كانت العقوبة قاسية، و لن تكون أقسى مما يعانيه الطفل المسعف طيلة حياته .

ونسوق هنا جملة من الأحاديث التي شنت رذيلة الزنا و توعدت فاعله بما يستحق من عقوبة في الدنيا و الآخرة .

- عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد¹ ».

¹ أخرجه البخاري صحيح البخاري : (201/2) ، رقم الحديث : (2475)، كتاب باب النهي بغير إذن صاحبه، وابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان : (260/10)، رقم الحديث : (4412)، كتاب الحدود، ذكر نفي للإيمان عن الزاني، و أبو داود: سنن أبي داود :الصفحة (511)، رقم الحديث : (4689)، كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان و نقصانه ، ، و ، جميعهم عن أبي هريرة رضي الله عنه و اللفظ لأبي داود . زاد البخاري : " ولا ينتهب =

- عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما زنى زان وهو مؤمن، وإنه إذا فعل من ذلك شيئاً رُفِعَ عنه الإيمان، فإن أحدث له توبة وعرف الله منه الصدق، رد فيه الإيمان»¹.

- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«ما ظهر في قوم الزنى والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله جلا وعلا»².
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل لهن سبيلا، البكر بالبكر : جلد مائة، ونفي سنة، والثيب بالثيب : جلد مائة والرجم»³.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن: بنفي عام، وإقامة الحد عليه»⁴. كل هذا الزجر لردع النفوس عن مواجهة هذه الخطيئة، وإلا فالنتيجة الحتمية لهذه الجريمة البشعة هو أبناء غير شرعيين، وأطفال غير موصولين برحم تعرف ولا نسب يشتهر، فكيف تعاملت السنة مع هذه الفئة من الأطفال المظلومين والأبناء المبتورين، وكيف وضعت الحلول لحياة كريمة يعيشونها في أمة عنوانها العريض أمة الرحمة متبعة لسنة نبي سمته البارزة، رحمته بالمؤمنين، هذا ما سنعرفه في المطلب الموالي، بعد أن نقدم بمطلب نعرف فيه باللقيط.

= نوبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن " قال البخاري بعده : وعن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله إلا النهبة.

¹ أخرجه الطبري ، تهذيب الآثار: (620/2). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

² أخرجه ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان : (10 / 258) ، رقم الحديث (4410) ، كتاب الحدود باب الزنا وحده. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: حديث حسن لغيره .

³ أخرجه مسلم : صحيح مسلم :الصفحة (806)، رقم الحديث : (1690)، كتاب الحدود باب حد الزنى، و أخرجه: أبوداود، سنن أبي داود : الصفحة (482 . 483) ، حديث رقم : (4415) ، كتاب الحدود ، باب في الرجم، و أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (41/4) ، رقم الحديث : (434) ، كتاب الحدود ، باب؟ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

⁴ البخاري، صحيح البخاري : (257/4)، رقم الحديث : (6833) كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

المطلب الأول: مفهوم الطفل اللقيط.

الفرع الأول: تعريف الطفل لغة و اصطلاحا.

أولاً - الطفل لغة: قال الجوهري: الطفل: المولود، وولد كل وحشية أيضا طفل، والجمع أطفال. وقد يكون الطفل واحدا وجمعا، مثل الجنب. قال تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾¹. قال في المصباح المنير: (الطفل): الطفل الولد الصغير من الإنسان والدواب قال ابن الأنباري ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع قال تعالى ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث فيقال طفلة وأطفال وطفلات وأطفلت كل أنثى إذا ولدت فهي مطفل قال بعضهم ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبي وحزور ويافع ومراهق وبالغ وفي التهذيب يقال له طفل إلى أن يحتلم².

ثانيا - **الطفل اصطلاحا:** « في علم النفس التربوي يطلق مصطلح الطفولة على الفترة التي يقضيها الصغار من أبناء البشر من حياتهم منذ الميلاد إلى أن يكتمل نموهم و يصل إلى حالة النضج³».

« وقد أشار علماء نفس النمو، وعلم النفس التربوي، ووثائق حقوق الطفل العالمية، ومعاهد دراسات الطفولة، إلى أن مرحلة الطفولة تمتد حتى سن الثمان عشرة سنة، حتى صار عرفا لدى الجميع فالمرحلة التي تحتاج إلى الرضاعة و التربية والود والرعاية و المحبة والحنان، والتوجيه كمرحلة عمرية، وقد قسمت إلى ثلاث مراحل عمرية يتميز فيها الطفل بخصائص جسمية ونفسية محددة.

وهذه المراحل الثلاث يتميز فيها الكائن الإنساني بالصيورة إلى النمو الجسمي والارتقاء العقلي والمعرفي من الضعف إلى القوة والطفولة بهذا المعنى تنقسم إلى:

- 1 - مرحلة الطفولة المبكرة من سن سنتين إلى أقل من ست سنوات.
- 2 - مرحلة الطفولة الوسطى من ست إلى أقل من تسع سنوات .

¹ الجوهري، الصحاح : (5 / 1751) .

² الفيومي، المصباح المنير: (1 / 511) .

³ غماري محمد، الخدمة الاجتماعية لرعاية الأحداث المنحرفين: الصفحة (14) .

3 - مرحلة الطفولة المتأخرة من تسع إلى نحو اثني عشر [ة] عاما يعقبها مرحلة البلوغ والمراهقة¹ .»

الفرع الثاني : تعريف اللقيط لغة واصطلاحا.

أولا - اللقيط لغة: قالفي اللسان: اللَّقِطُ أَخَذَ الشَّيْءَ مِنَ الْأَرْضِ لِقَطَهُ يَلْقَطُهُ لَقْطًا وَالتَّقْطَهُ أَخَذَهُ مِنَ الْأَرْضِ يُقَالُ لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ أَيْ لِكُلِّ مَا نَدَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْ يَسْمَعُهَا وَيَذِيعُهَا ... قال الليث² وَاللُّقِطَةُ بِتَسْكِينِ الْقَافِ سَمِ الشَّيْءِ الَّذِي تَجِدُهُ مَلْقَى فَتَأْخُذُهُ وَكَذَلِكَ الْمُنْبُوذُ مِنَ الصَّبِيَانِ لُقِطَةٌ وَأَمَّا اللَّقِطَةُ بِفَتْحِ الْقَافِ فَهُوَ الرَّجُلُ اللَّقَّاطُ يَتَّبِعُ اللَّقْطَاتِ يَلْتَقِطُهَا قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ لِأَنَّ الْفُعْلَةَ لِلْمَفْعُولِ كَالضُّحْكَةِ وَالْفُعْلَةُ لِلْفَاعِلِ كَالضُّحْكَةِ³

قالفي تاج العروس: الصبي المنبوذ يجده إنسان فهو اللقيط عند العرب، لا كما زعمه الليث، وهو المولود الذي ينبذ على الطرق، أو يوجد مرميا على الطرق لا يعرف أبوه ولا أمه⁴ .

ثانيا - اللقيط اصطلاحا: جاء في بداية المجتهد: «واللقيط هو الصبي الصغير غير البالغ وإن كان مميزا»⁵ . وعبارات سائر الفقهاء تدور حول هذا المعنى، لكن اختلفوا في مسألة الولاء والميراث وغيرها من المسائل الفقهية التي تراجع في مطولات الفقه.

قال الإمام الدسوقي في حاشيته على الدردير: «قوله (نُبذ) فيه إشارة إلى اتحاد معنى اللقيط والمنبوذ كما عند الجوهري والمتقدمين وقيل اللقيط ما التقط صغيرا في الشدائد والبلاء وشبه ذلك والمنبوذ بخلافه وقيل المنبوذ ما دام مطروحا ولا يسمى لقيطا إلا بعد أخذه وقيل المنبوذ ما وجد بغور ولادته واللقيط بخلافه»⁶

¹ عبد الباري محمد، الصحة النفسية للطفل: الصفحة (12 . 13) .

² هو الليث بن المظفر، قال السيوطي: يقال الليث بن نصر، والليث بن رافع بن نصر. حكى الأزهرى أنه هو صاحب كتاب العين، للخليل وقيل انتحلته، وحكى عن ابن راهويه أنه قال هو رجل صالح، وساق عنه أن الخليل لم يتم كتاب العين فأتمه الليث، و نسب لسانه للخليل: ينظر، السيوطي بغية الوعاة: (270/2)، والأزهرى، تهذيب اللغة: (1 / 28 - 29).

³ ابن منظور، لسان العرب: الصفحة 4060

⁴ الزبيدي، تاج العروس: 76/20 .

⁵ ابن رشد ، بداية المجتهد : 309/2 .

⁶ الدسوقي، حاشية الدسوقي: (4 / 124)، وقال ابن قرقول في مطالع الأنوار: 117/4 « و قوله : "وجدتمنبوذا" أي مطروحا، واللقيط والمنبوذ سواء ، وقيل: المنبوذ ما طرح صغيرا أول ما ولد، واللقيط: ما التقط صغيرا في الشدائد والجلاء وشبه هذا. وقيل: اللقيط إذا أخذ، والمنبوذ ما دام مطروحا ولا يسمى لقيطا إلا بعد أخذه، وقال مالك لا أعلم المنبوذ إلا ولد زنى .»

المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية للقيط في ضوء السنة النبوية.

جاء في السنة النبوية جملة من الأحاديث التي تحدثت عن اللقيط، وفي ضوءها يمكننا أن نستشف المنهج النبوي في خدمته، وكتب الفقه تحدثت عن الأحكام الفقهية المتعلقة باللقيط لكن الذي يعيننا في بحثنا هو جانب الخدمة الاجتماعية التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم. فمما لا شك فيه أن للسنة النبوية منهجا فذا وفريدا في خدمة الطفل اللقيط، شأنه شأن كل إنسان محترم في كل حقوقه المادية والأدبية. فما هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع هذه الفئة من المجتمع؟ و التي هي في واقع الحال ضحية أخطاء بعض المتهورين ومرضى النفوس.

الفرع الأول: حق اللقيط في النفقة و الكفالة كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية

بواب الإمام البيهقي رحمه الله في سننه الكبرى فقال: «باب التقاط المنبوذ وأنه لا يجوز تركه ضائعا. ثم ساق بإسناده: إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر على مسلم ستره الله يوم القيامة»¹.

- عن جراد بن طارق² قال: «جئت أو أقبلت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من صلاة الغداة حتى إذا كان في السوق فسمع صوت صبي مولود يبكي حتى قام عليه فإذا عنده أمه فقال لها: ما شأنك؟ قالت: جئت إلى هذا السوق لبعض الحاجة فعرض لي المخاض فولدت غلاما قال وهي إلى جنب دار قوم في السوق فقال: هل شعرك أحد من أهل هذه الدار وقال: ما ضيع الله أهل هذه الدار أما إني لو علمت أنهم شعروا بك ثم لم ينفعوك فعلت بهم

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح (2/190)، رقم الحديث (2442)، كتاب المظالم و الغصب ، باب لا يظلم المسلم المسلم و لا يسلمه، و البيهقي، السنن الكبرى: 201/6. عن عبد الله بن عمر . و اللفظ للبيهقي.

² هو جراد بن طارق وهو ابن نسيط التيمي، ويقال له العائشي، وقيل نسيط قاله ابن حبان، وقيل شبيط قال ابن ماكولا في الإكمال : «شبيط أوله شين معجمة مكسورة وياء معجمة باثنتين من تحتها مكررة فهو جراد بن شبيط وهو جراد بن طارق» روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع منه فيل بن عرادة، يعد في البصريين، قال يحيى بن معين ليس به بأس. ينظر البخاري التاريخ الكبير : (2/244)، ترجمة رقم: (2337)، و ابن ماكولا ، الإكمال: (7/339). و ابن حبان، الثقات (6/154 - 155) . ابن أبي حاتم الجرح و التعديل : (2/538).

وفعلتكم دعا لها بشرية سويق فقال: «اشربي هذه تقطع الحشا وتعصم الأمعاء وتدر العروق ثم دخلنا المسجد فصلى بالناس¹».

- عن سُنَيْنِ أَبِي جَمِيلَةَ² رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ أَنَّهُ وَجَدَ مِنْبُودًا زَمَانَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَخْذِ هَذِهِ النَّسْمَةِ؟ فَقَالَ: وَجَدْتُهَا ضَائِعَةً فَأَخَذْتُهَا فَقَالَ لَهُ عَرِيفِي³: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ قَالَ: أَكْذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ عَمْرٌ: اذْهَبْ فَهُوَ حَرٌّ وَلَكَ وَلَاؤُهُ وَعَلَيْنَا نَفَقَتُهُ. لَفْظُ حَدِيثِ الشَّافِعِيِّ وَحَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مُخْتَصَرًا: أَنَّهُ التَّقَطُّ مِنْبُودًا فَجَاءَ بِهِ إِلَى عَمْرِ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: هُوَ حَرٌّ وَلَاؤُهُ لَكَ وَنَفَقَتُهُ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ⁴».

قال ابن الأثير في كتاب الشافعي: «و إنما قال له عمر ما حملك على أخذه؟ لأنه اتهمه في أمره؛ فإن ذلك ربما كان لزنبة منه، أو لريبة فعلها، فلما شهد له عريفه بالصلاح أقره عليه ولم يحقق معه بالإنكار، والذي ذهب إليه الشافعي أن التقاط المنبوذ واجب على الكفاية، و لو تركه الكل أثموا، و على الملتقط تربيته وكفالتة، ونفقته في بيت المال...»⁵

¹ أخرجه البيهقي، السنن الكبرى: (201/6).

² سُنَيْنِ أَبُو جَمِيلَةَ الضمري ويقال السلمي. روى عنه ابن شهاب قال البخاري في التاريخ الكبير: أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه، و أورده في ابن عبد البر في الاستيعاب و قال : قال مالك عن ابن شهاب أخبرني سُنَيْنِ أَبُو جَمِيلَةَ أَنَّهُ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ، وَ قَالَ الْعَجَلِيُّ مَدَنِي تَابِعِي ثِقَّةٌ، يَنْظُرُ: الْبُخَارِيُّ التَّارِيخَ الْكَبِيرَ : (209/4)، تَرْجُمَةُ رَقْمٍ : (2525)، وَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، الْاِسْتِيعَابُ : الصَّفْحَةُ (328) ، تَرْجُمَةُ رَقْمٍ (1145)، وَ الْعَجَلِيُّ، الثَّقَاتُ: (438/1) تَرْجُمَةُ رَقْمٍ : (688).

³ أشار ابن حجر في الإصابة (136/3) إلى أن العريف هو: سنان الضمري ترجمته في الإصابة تحت رقم: (3506). قال ابن حجر في الإصابة : (136/3) : « سنان الضمري ... ووقع في قصة سنين أبو جميلة حين وجد اللقيط أن عمر سأل عنه عريفه فقال أنه رجل صالح فذكر الشيخ أبو حامد أن اسم العريف سنان فيحتمل أن يكون هو هذا».

⁴ أخرجه مالك، الموطأ : (282/2) كتاب القضية ، القضاء في المنبوذ ، البيهقي ، السنن الكبرى: (201/6) - (202). من طريق مالك عن ابن شهاب عن أبي جميلة رضي الله عنه . و ابن أبي شيبة ، المصنف : (359/16)، رقم الحديث (32223)، في اللقيط لمن ولاؤه ؟ . من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب عن أبي جميلة . و الحديث صححه الباني في الإرواء : (23/6). و في طبعة لمسند الشافعي : (138 /2) أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سفيان بن جميله رجل من بين سليم أنه وجد منبوزا ... الحديث . قلت و هو تصحيف من الناسخ و الله أعلم ، بدليل أنه في كتاب ابن الأثير المعروف بالشافعي شرح مسند الشافعي : (244/4): "سُنَيْنِ" .

⁵ ابن الأثير ، الشافعي في شرح مسند الشافعي : (245/4) .

قال في المسالك: «وعلينا نفقته" يريد: في بيت المال، وهذا حكم اللقيط إن أمكن ذلك لأنه من فقراء المسلمين مع عجزه عن التكسب وخوف الضياع عليه، فإن تعذر الإنفاق من بيت المال، فقد قال مالك في "الموازية"¹: إن على ملتقطه نفقته حتى يبلغ ويسعى، وليس له أن يطرحه»².

كان في صدر الإسلام في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه قد حدد عطاء للأطفال، وهو ما يسمى في عصرنا: بالمنحة الاجتماعية كمساعدة للأسر على رعاية الطفل و القيام باحتياجاته، فأخرج ابن سعد قال: «وأمر عمر فكتب له عيال أهل العوالي فكان يجري عليهم القوت، ثم كان عثمان فوسع عليهم في القوت والكسوة وكان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم فإذا بلغ زاده وكان إذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر ما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة وكان يوصي بهم خيرا ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال»³

بل كان عمر بن الخطاب رضي الله يفرض للفطم، قال الإمام ابن سعد في طبقاته: «حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن بن عمر قال: قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه اتقي الله و أحسني إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد إلى مكانه فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال ويحك إني لأراك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت: يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة، إني أريغه عن الفطام، فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرا، قال: ويحك لا تعجله، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديا فنادى ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق إنا نفرض لكل مولود في الإسلام»⁴.

¹ هو كتاب الموازية، لمحمد بن المواز. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات الصفحة (191).

² ابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك: 371/6.

³ ابن سعد، الطبقات الكبرى: (277/3 - 278).

⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى: 280 - 281.

قال الأستاذ محمد بن أحمد الصالح¹ في كتابه: "الطفل في الشريعة الإسلامية": «متى وجد اللقيط في الطريق أو في الأماكن العامة وجب² التقاطه، و لزم الملتقط العناية به والمحافظة عليه لقوله تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى، ولأن في التقاطه وصيانته إحياء نفس فكان واجبا، كإطعامه³ في حالة الاضطرار وإنجائه من الغرق، ويكون التقاطه فرض كفاية في حالة رؤيته من جماعة بحث إذا تركوا أحده أثموا جميعا، وكان عليهم تبعة هلاكه إذا هلك، وإذا أخذهم سقط الإثم عن الباقيين»⁴

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: «جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان يغبط الرجل بالوحدة، كما يغبط اليوم أبو العشرة»⁵. معناه أن الأئمة كانت في صدر الإسلام يرزقون عيالات المسلمين وذريعتهم من بيت المال. فكان أبو العشرة مغبوطا بكثرة ما يصير إليه من أرزاقهم، ثم يقطع السلطان ذلك فيما بعد فيُغبط الرجل بالوحدة لخفة المؤونة، ويرثي لذي العيال»⁶

وهذا يؤكد أن في عنق الدولة مسؤولية رعاية هذه الفئة المهشة في المجتمع، و أن لا تترك لعوادي الزمن تصارع المآسي والآلام، كما لا ينبغي أن نهمل دور التكافل الاجتماعي في مد يد العون أيضا لهذه الفئة .

¹ أستاذ الفقه بكلية الشريعة الرياض، كما هو في صفحة العنوان الأول للكتاب .

² قال القرابي: "وفي الجواهر: التقاط المنبوذ من فروض الكفاية، وقال الأئمة قياسا على إنقاذ الغريق والطعام المضطر وهو مندرج في قاعدة حفظ النفوس اجمع عليها في سائر الملل والكتب المنزلة فمتى خفت عليه الهلاك وجب عليك الأخذ وإن أخذته بنية تربيته حرم عليك رده وإن أخذته لترفعه للإمام فلم يقبله منك جاز رده لموضع أخذه قال أبو الوليد ومعنى ذلك عندي أن يؤمن عليه اهلاك بمسارعة الناس لأخذه بعد رده" ينظر : القرابي ، الذخيرة : 131 / 9

³ قال الإمام الدردير في الشرح الكبير : " و وجب حضانته، و نفقته على ملتقطه حتى يبلغ قادرا على الكسب، و لا رجوع له عليه ، لأنه بالتقاطه ألزم نفسه ذلك، و هذا إن لم يعط ما يكفيه من الفيء فإن أعطي منه لم يجب على الملتقط " ينظر الدسوقي ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : 124- 125 .

⁴ محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية: الصفحة 146

⁵ أخرج الحاكم في المستدرک: 4/446 . عن عبد الله بن الصامت قال * وددت أن أهلي حين تعشوا عشاءهم واغتبقوا غبوقهم، أصبحوا موتى على فرشهم، قيل: يا أبا فلان، ألسنت على غنى، قال: بلى، ولكني سمعت أبا ذر يقول: يوشك يا بن أخي إن عشت إلى قريب، أن ترى الرجل يغبط بخفة الحال، كما يغبط اليوم أبو العشرة الرجال ... الحديث قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

⁶ ابن قتيبة ، غريب الحديث : (764/3 - 765).

الفرع الثاني: حق اللقيط في الحياة كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.

رفع الإسلام من شأن حق الحياة إلى أسمى الدرجات بأن جعل الاعتداء على نفس واحدة هو بمثابة الاعتداء على سائر الناس و أن من أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا، يستوي في الناس جميعا المسلمون مع غير المسلمين، من ولد في ظروف طبيعية و من ولد في ظروف استثنائية كاللقيط، بل تعدت العناية بالحياة في نظر الإسلام إلى الحيوان بل إلى النبات، و كانت سنة رسول الله وتطبيقه العملي لنصوص القرآن الكريم، النموذج المثالي لحفظ **حق الحياة**، فحق الحياة حق مقدس في نظر الإسلام، وهبه واهب الوجود، و الإنسان بنيان الله¹، و لا يحق لأي إنسان أن يهدم هذا البنيان، وعليه فرغم الظروف القاسية التي ولد فيها الطفل اللقيط، فإن حقه في الحياة مكفول، وحرته ثابتة فهو إنسان مكتمل الإنسانية بكل معانيها لذا ثبت عن عمر رضي الله عنه أن اللقيط حر²، يتمتع بكافة الحقوق، فالمؤكد هو حفظ السنة النبوية لحقوقه جمعاء و منها حقه في حفظ حياته³ مهما كانت ظروف ولادته، و اللقيط طفل ولد في ظروف استثنائية كان نتيجة لخطيئة وأثم من الطرفين أو طرف واحد، لذا فقد انصب اهتمام السنة النبوية في أولى الخطوات لعلاج المشكلة على حماية حق الطفل في الحياة لذا عندما اعترفت الغامدية بالزنا في محضر رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرها أن تذهب **حتى تضع جنينها** ثم ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم باعتباره قاضيا ليقم الحد الذي شرعه الله على لسان

¹ قال ابن قتيبة : جاء في الحديث: " أن سليمان النبي صلوات الله عليه قال منهدم بُنيان ربه فهو ملعون بين يديه، يعني مَنْ قتل النَّفْسَ لأنَّ الجسمين **الله** وتركيبه فإذا أبطله فقد هدم بنيان ربه". ينظر: ابن قتيبة : غريب الحديث: 3/764

² قال ابن حجر في فتح الباري (39/12 - 40) : « **وقال عمر اللقيط حر** »، هذه الترجمة معقودة لميراث اللقيط فأشار إلى ترجيح قول الجمهور: **أن اللقيط حر**، وولأوه في بيت المال، و إلى ما جاء عن النخعي أن ولأوه للذي التقطه واحتج بقول عمر لأبي جميلة في الذي التقطه: اذهب فهو حر وعلينا نفقته و لك ولأوه ، وتقدم هذا الأثر معلقا بتمامه في أوائل الشهادات، وذكرت هناك من وصله وأجبت عنه بأن معنى قول عمر : **لك ولأوه**، أي أنت الذي تتولى تربيته والقيام بأمره فهي ولاية الإسلام، لا ولاية العتق، والحجة لذلك صريح الحديث المرفوع: " إنما الولاء لمن أعتق " فاقضى أن من لم يعتق لا ولأه له، لأن العتق يستدعي سبق ملك، واللقيط من دار الإسلام، لا يملكه المتلقط ، لأن الأصل في الناس الحرية » .

³ و عليه فعمليات الإجهاض للحمل الذي يكون من زنا جريمة في نظر الإسلام.

رسوله عليه السلام. ففي صحيح مسلم عن بريدة قال: «أن ماعز بن مالك الأسلمي¹ أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني، فرده، فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله إني قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فقال: تعلمون بعقله بأسا؟ تنكرون منه شيئا؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل منصالحينا فيما نرفأته الثالثة، فأرسل إليهم أيضا، فسأل عنه؟ فأخبروه أنه لا بأس به، ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرجم. قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني، وإنه ردها، فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله، لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا، فوالله إني لحبلى قال: إما لا، فذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته قال: فذهبي فأرضعيه حتى تفضميه، فلما فطمته، أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها... الحديث²».

¹ ماعز بن مالك الأسلمي. يقال أن اسمه: عريب، وماعز لقب. معدود في المدنيين، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بإسلام قومه، وهو الذي اعترف على نفسه بالزنا تائباً منيباً وكان محصناً فرجم. روى عنه ابنه عبد الله بن ماعز حديثاً واحداً. ابن حجر الإصابة: (16/6). و ابن عبد البر الاستيعاب: (686).

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة 704-705، رقم الحديث: 1695، كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا. ساق مسلم كعادته في ترتيب الروايات رواية لهذا قبل هذه الرواية: الصفحة: 704، من طريق غيلان و هو بن جامع المحاربي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه و فيه: "قد وضعت الغامدية فقال إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إني رضاعه يا نبي الله قال فرجمها" قال الإمام النووي في شرح مسلم، 202/11: «وفي الرواية الأخرى أنها لما ولدت جاءت بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته قال فذهبي فأرضعيه حتى تفضميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: يا نبي الله هذا قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فرجموها، فهاتان الروايتان ظاهرهما الاختلاف فإن الثانية صريحة في أن رجمها كان بعد فطامه، وأكله الخبز، والأولى ظاهرها: أنه رجمها عقب الولادة، ويجب تأويل الأولى وحملها على وفق الثانية لأنها قضية واحدة والروايتان صحيحتان والثانية منهما صريحة لا يمكن تأويلها والأولى ليست صريحة فيتعين تأويل الأولى ويكون قوله في الرواية الأولى قام رجل من الأنصار فقا إلي رضاعه إنما قاله بعد الفطام، وأراد بالرضاعة كفالته وتربيته وسماه رضاعا مجازا، وأعلم أن مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق والمشهور من مذهب مالك أنها لا ترحم حتى تجد من ترضعه، فإن لم تجد أَرْضَعْتَهُ حتى تفضمته ثم رجمت وقال أبو حنيفة ومالك في رواية عنه إذا وضعت رجمت ولا ينتظر حصول مرضعة وأما هذا الأنصاري الذي كفلها فقصد مصلحة وهو الرفق بها ومساعدتها على تعجيل طهارتها بالحد لما رأى بها من الحرص».

« وفي الحديث دلالة قاطعة على حماية الجنين، والحفاظ عليه حتى ولو كان ابن زنا، فلو أن قتله جائزاً لأمر النبي [صلى الله عليه و سلم] بقتلها أول ما جاءته و هي حامل، بل تركها حتى وضعت ثم تركها حتى أفطمته ثم أتى بها فرجمت. قال النووي : " فيه أن لا ترجم الحبل حتى تضع، سواء كان حملها من زنا أو غيره، و هذا مجمع عليه ؛لئلا يقتل جنينها، وكذا لو كان حدها الجلد وهي حامل لم تجلد بالإجماع حتى تضع¹».

قال الإمام البغوي رحمه الله: «في الحديث دليل على أنه إذا وجبت على الحامل عقوبة لا تقام عليها ما لم تضع الحمل، لأن في معاقبتها قبل الوضع إهلاك البريء بسبب الجرم، سواء كانت العقوبة لله سبحانه وتعالى، أو للعباد، فإذا وضعت الحمل، فإن لم يكن ثم من ترضع الولد فتؤخر حتى تفتطم الولد، وإن كان هناك من ترضعه، فاختلفت الرواية عن بريدة في أمر الغامدية أنها هل رجمت بعد ما وضعت، أو رجمت بعد الفطام، فروبشير بن المهاجر أنها : رجمت بعد الفطام، وإليه ذهب أحمد، وإسحاق، وروى سليمان بن بريدة أنها رجمت بعد ما وضعت، وهو الأصح²».

وقد أثبتت الدراسات الحديثة في ميدان الأمومة وصحة الأطفال من الناحية الجسدية والنفسية مدى أهمية السنوات الأولى التي يقضيها الطفل مع أمه أثناء فترة الرضاع منها :
« - الفائدة في إرضاع المولود من والدته، لا تعود إليه وحده و إنما تشاركه والدته، فالفائدة تبادلية، فكل من المولود والوالدة يحس بعاطفة الآخر، ولهذا فإن تغذية الطفل تعتمد على التعاون بين الأم و طفلها...»

- لبن الأم معقم جاهز ليس به ميكروبات.

- لبن الأم خلق ليفي بحاجات الطفل يوماً بعد يوم ، منذ ولادته و حتى سن الفطام .

- اللبأ³ يحتوي على كميات مركزة من البروتينات المهضومة، و على المواد المحتوية على مضادات الجراثيم و الميكروبات، و بذلك ينقل مناعة ضد الأمراض .

¹ رأفت فريد ، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية : الصفحة (71) . ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم: 301/11

² البغوي، شرح السنة: (470/5).

³ اللبأ : كضلع ، بكسر الأول وفتح الثاني مهموز مقصور، ضبطه الليث [ابن المظفر]. ولو قال كعنب، كما في المحكم والعباب كان أحسن (أول اللبن) في التاج، وزاد ابن هشام: قبل أن يرق. والذي يخرج بعده الفصيح، وسيأتي قال أبو زيد : أول الألبان اللبأ عند الولادة . وأكثر ما يكون ثلاث حلبات ، وأقله حلبة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس : 414/1 .

- يحتوي لبن الأم على كمية كافية من البروتين و السكر تناسب الطفل ن عكس لبن الأبقار و الأغنام .

- نمو الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم أسرع و أكمل من أولئك الذين يعطون حليب القارورة و أمراضهم أقل .

- أطفال القارورة تكثر بينهم العلل النفسية و الشذوذ .

- أشار تقرير هيئة الأمم سنة 1980م إلى أن أكثر من عشرة ملايين طفل لاقوا حتفهم، نتيجة عدم إرضاعهم من أمهم¹

فلبعض هذه الأسباب أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم المرأة أن ترضع وليدها وتكمل رضاعته ثم تأتية ليقيم عليها الحد، حفظا لحق المولد و حفاظا على صحته فصلى الله وسلم على معلمنا الخير والرشد .

ومثله حديث عبد الله بن أبي مليكة؛ أنه أخبره: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته : أنها زنت وهي حامل، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهبي حتى تضعي" ، فلما وضعت جاءته ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : "اذهبي حتى ترضعيه، فلما أرضعته جاءته، فقال : اذهبي فاستودعيه، قال : فاستودعته، [ثم جاءت] ، فأمر بها فرجمت"².

فقوله صلى الله عليه وسلم: " استودعيه " إرشاد للأمة كي يكون لها عناية بالأطفال المسعفين وأن رعايتهم والعناية بهم دين في عنق الأفراد والدولة على السواء، وفي الحديث ترغيب إلى كفالة

¹ الخطيب إبراهيم ياسين، أحمد محمد الزبدي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية : الصفحة 14 . 42 .

² أخرجه مالك ، الموطأ : 382/2 ، رقم الحديث : 2378 ، كتاب الحدود، ما جاء في الرحم، عن زيد بن طلحة عن عبد الله بن أبي مليكة كما هي رواية يحيى بن يحيى الليثي للموطأ قال ابن عبد البر في التمهيد(127/24): «هكذا قال يحيى فيما رأينا من رواية شيوخنا في هذا الحديث عن مالك عن يعقوب بن طلحة عن أبيه زيد بن طلحة عن عبد الله بن أبي مليكة فجعل الحديث لعبد الله بن أبي مليكة مرسلا عنه. وقال القعني وابن القاسم وابن بكير عن مالك عن يعقوب بن زيد بن طلحة عن أبيه زيد بن طلحة بن عبد الله بن أبي مليكة. وقال أبو مصعب كما قال يحيى زيد بن طلحة عن عبد الله بن أبي مليكة فجعلوا الحديث لزيد بن طلحة مرسلا عنه وهذا هو الصواب إن شاء الله وقد جوده ابن وهب فرفع الإشكال فيه لأنه لم ينسب زيد بن طلحة وجعل الحديث له». و أخرجه أبو داود، سنن أبي داود : الصفحة : (485) رقم الحديث (4440) كتاب الحدود، . باب المرأة التي أمر النبي صلى الله عليه و سلم برجمها من جهينة عن عمران بن حصين رضي الله عنه. و حديثه صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : (67. 66/3).

هذه الفئة، ففي بعض طرق الحديث السابق «عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك إلا أن فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من يكفله" فقال رجل من الأنصار: أنا أكفله»¹، ومثل هذه الأعمال الاجتماعية في المنظور النبوي، ينبغي أن يتحول من الفردية إلى المؤسسية التي هي ذات فاعلية وفعالية أكبر، ففي الحديث إرشاد إلى ضرورة وجود مؤسسات اجتماعية إسلامية ذات خصوصية تربوية لرعاية مثل هذه الفئات. وتوجد في السنة النبوية حلولاً لهذه العضلات ومنها معضلة دمج و رعاية أبناء الزنا، و منها ما سنعالجه في الفروع الموالية.

الفرع الثالث: استلحاق اللقيط كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.

تعريف الاستلحاق: جاء في المعجم الوسيط: استلحقفلانا ادعاه ونسبه إلى نفسه² قال بن منظور: **والمُلْحَقُ الدَّعِيُّ المَلصَقُ وَاسْتَلْحَقَهُ أَي ادعاه، الأزهري عن الليث اللِّحْقُ الدَّعِيُّ المَوْصَلُ** بغير أبيه قال الأزهري سمعت بعضهم يقول له الملحق³

«النسب من الكليات الأساسية في الشريعة الإسلامية، لذا يعتبر الفقهاء و الأصوليون النسب من الكليات الخمس التي يجب حفظها، و من هنا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم"⁴ لأن النسب ترتيب عليه آثار كثيرة منها :

- 1 - الميراث 2 - ثبوت المحرمية لما يترتب عليه من جواز الخلوة و رؤية الزينة المباحة 3 - النفقات له أو عليه . 4 - الدية له أو عليه في القتل الخطأ و شبه العمد 5 - الحضانة و التربية 6 - الولاية في التزويج، والولاية على مال الصغير.

من الأمور المؤكدة أن الإسلام لا يقبل أن يضيف الإنسان إلى نفسه من ليس من نسبه كما لا يجوز أبداً أن ينتفي الإنسان من نسب ثابت»⁵.

¹ ابن عبد البر، التمهيد: (24 / 128) .

² إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات ، حامد عبد القادر . محمد النجار ، المعجم الوسيط: (2 / 818) .

³ ابن منظور ، لسان العرب : (10 / 327) .

⁴ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : 351/4 ، رقم الحديث : 1979 ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في تعليم النسب، عن أبي هريرة رضي الله عنه . و الحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (1 / 558) و قال إسناده جيد رجاله ثقات .

⁵ القرضاوي، الاستلحاق: الصفحة: (15 - 16) بتصرف .

وعليه كان موقف الشريعة الإسلامية صريحاً في تحريم التبني بنص القرآن الكريم، فلا يجوز للإنسان أن يضيف شخصاً غريباً إلى نسبه، لأنه زور و تغيير لحقيقة الأمر، فهو ليس ابناً له فكيف يسوغ له أن يدعيه لذا قال الحق تبارك و تعالى : ﴿... وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ... ﴿الآية [الأحزاب: 4 - 5].

وبالتالي فإن جعل اللقيط في نسب العائلة واعتباره ابناً وأخاً لإخوة ليسوا إخوة له حقيقة خطيئة؛ كبيرة من الكبائر، وتعدي لحدود الله، وإن كان يظن من يفعل هذا أنه فاعل خير و هو أمر في مصلحة اللقيط، فهي مصلحة موهومة تنجر عنها الكثير من المخالفات الشرعية في قابل الأيام، في المقابل عوض أن نتعدى حدود الله في خدمة اللقيط فإن السنة النبوية رغبت في حماية اللقيط اجتماعياً بكفالاته و تعليمه و تربيته و العطف عليه و كل ما من شأنه أن يصون كرامته و يحفظ كيانه .

لكن بقيت مسألة مهمة تتعلق بمسألة النسب في حق اللقيط، لا بد أن نطرحها في موضوعنا هذا، وقد تكلم عليها الفقهاء في باب الاستلحاق أو "الإقرار بالنسب" ، أثناء حديثهم عن الأمور التي يثبت بها النسب من إقرار، وبينة، وقيافة . فتحدثوا عن شروط الاستلحاق وذكروا من الشروط : ألا يقول: أنه من الزنا.

و عليه يطرح السؤال الذي كثر الحديث عنه في عصرنا وهو:

ما حكم من يستلحق ولد الزنا؟ إذا لم يكن هناك فراش؟ بمعنى آخر: لم تكن المرأة المزني بها ذات زوج، وأنجبت من زنا، هل يجوز للزاني استلحاق المولود من الزنا في هذه الحالة ؟ ونؤكد هنا أن الذي تكلم عليه الفقهاء في كتبهم وأجازوه هو: « أن يقر إنسان بينوة شخص ما، يقول هذا ابني»¹ هذا أجازته الفقهاء، وأجازته المذاهب جميعاً بشروط معينة، من هذه الشروط :

- **الشرط الأول:** أن يكون المقر له مجهول النسب، فلا يأتي إلى شخص معروف ويقول هذا ابني....

¹ قال الخطاب المالكي في شرح المختصر: (قال ابن عرفة هو ادعاء المدعي أنه أب لغيره)، ينظر الخطاب مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. (248/7).

- **الشرط الثاني:** أن يولد مثله لمثله، أن يكون في سن يسمح بأن يولد مثله لمثله ...

- **الشرط الثالث:** أن يصدقه المقر له إذا كان ممن يعبر عن نفسه، يعني إذا كان بالغاً يستطيع أن يقول نعم أو لا... أما إذا كان المقر له من غير أهل التعبير، كان يكون صغيراً أو مجنوناً لا عبارة له فلا يشترط إذن تصديقه .

وما الحكم إذا بلغ؟ هل يجوز له الرجوع أو لا يجوز؟ كلام كثير في هذه المسألة و الأغلب أنه لا يجوز بعد تقرر وثبوته، و ترتب الكثير من الأمور عليه، فلا نبطلها لأن هناك قاعدة: " إذا ثبت النسب بطريق من الطرق الشرعية : بالفراش ، أو بالبينة، أو بالاستلحاق، فلا يجوز إسقاطه"

- **الشرط الرابع:** [و هنا نصل إلى الجواب عن السؤال الذي طرحناه في بداية المسألة : هل يجوز استلحاق ولد الزنا] المذاهب الأربعة زادت شرطاً رابعاً: ألا يقول إنه ولده من الزنا، فإذا قال هذا لا يثبت نسبه ... لكن جاء عن عدد من فقهاء السلف: عروة بن الزبير، و الحسن البصري، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم ، أنهم أجازوا استلحاق ولد الزنى إذا لم يكن فراش أي لم تكن المرأة متزوجة - بأن لم تتزوج قط - أو كانت مطلقة، أو أرملة، و ادعى مدعي أن هذا ولده، جاز أن يستلحق ولد الزنا، ورحج هذا شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم «...»¹

يقول ابن القيم رحمه الله : « فإن قيل فقد دلَّ الحديث² على حكم استلحاق الولد، وعلى أن الولد للفراش، فما تقولون لو استلحق الزاني ولداً لا فراش هناك يُعارضه، هل يلحقه نسبه ويثبت له أحكام النسب؟ قيل: هذه مسألة جليلة اختلف أهل العلم فيها، فكان إسحاق بن راهويه يذهب إلى أن المولود من الزنا إذا لم يكن مولوداً على فراش يدعيه صاحبه، وادعاه الزاني، ألحق به، وأوّل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الولد للفراش"، على أنه حكم بذلك عند تنازع الزاني وصاحب الفراش، كما تقدم، وهذا مذهب الحسن البصري، رواه عنه إسحاق بإسناده في رجل زنى بامرأة، فولدت ولداً، فادّعى ولدها فقال: يُجلد ويلزمه الولد، وهذا مذهب عروة بن الزبير، وسليمان بن يسار ذكر عنهما أنهما قالوا: أيُّما رجل أتى إلى غلام يزعم أنه ابن له،

¹القرضاوي ، الاستلحاق : الصفحة (23) و ما بعدها .

²حديث: الولد للفراش و للعاهر الحجر. أخرجه البخاري: الجامع الصحيح: (118 / 2) رقم الحديث : 2218

وأنه زنى بأمه ولم يدع ذلك الغلام أحد، فهو ابنه، واحتج سليمان، بأن عمر بن الخطاب كان يُلِيظُ أولادَ الجاهلية بمن ادعاهم في الإسلام، وهذا المذهب كما تراه قوة ووضوحاً وليس مع الجمهور أكثر من "الولد للفراش" وصاحب هذا المذهب أول قائل به والقياس الصحيح يقتضيه، فإن الأب أحد الزانيين، وهو إذا كان يلحق بأمه، وينسب إليها وترثه ويرثها ويثبت النسب بينه وبين أقارب أمه مع كونها زنت به، وقد وجد الولد من ماء الزانيين، وقد اشتركا فيه، واتفقا على أنه ابنهما، فما المانع من لحوقه بالأب إذا لم يدعه غيره؟ فهذا محض القياس، وقد قال جريح للغلام الذي زنت أمه بالراعى: من أبوك يا غلام؟ قال: فلان الراعى وهذا إنطاق من الله لا يمكن فيه الكذب.¹

قلت: وهذا المذهب يمكن أن يلجأ إليه في عصرنا كضرورة، باستدراك وتصحيح ما يمكن تصحيحه، وستستفيد الساحة الاجتماعية من ذلك خصوصا وأن «بعضهم قال: يلحق به إذا حكم به الحاكم، أي إذا قضى القاضي، وذلك أنه أمر اختلف فيه الفقهاء، فقضاء القاضي يرفع الخلاف. ومثل هذا حكم الإمام أو قرار الدولة، فإذا صدر قانون من الدولة في مثل هذا فإن الخلاف يرفع».

قال الخطابي: وأما مذهب العلماء في هذا فليست أعلم خلافا في أن الطفل المجهول النسب إذا ادعاه رجل ولدا ثم لم ينازعه أحد فيه فإن نسبه لاحق به يرثه ويدعى إليه، فأما إذا التقط لقيطا وادعاه ولدا فإن عامة أهل الفتوى على أن يلحقه نسبه ويرثه إذا مات إلا في قول بعض أهل المدينة فإنه قال لا يلحقه إلا ببينة تشهد له أو سبب يدل عليه.²

و إذا كان الجمهور قد منعوا منح النسب للمولود من زنا، فإن الشريعة الإسلامية قد عوضت الطفل اللقيط الذي ترك لعوادي الزمن؛ بما يتناسب مع وضعه الاجتماعي، كان هناك مصطلحا اجتماعيا يعرف بالولاء، وهو نظام اجتماعي كان له حضوره في المجتمع الإسلامي في القرون الأولى، فرضته الظروف السياسية والمتغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي - الحروب والفتوحات - لكن يعوضه في زماننا ماذهب إليه بعض المعاصرين ومنهم أحمد حماني رحمه الله أنه يجوز منح اللقيط أو الطفل مجهول النسب لقب العائلة الواسعة ولا غضاضة في ذلك .

¹ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد: (5 / 425 - 426).

² الخطابي، غريب الحديث: (34/3) .

وقد صدر عن مركز الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية بحثا في الموضوع أيد فيه الباحث القول بجواز منح اللقب العائلي للطفل مجهول النسب سواء ذكرا كان أم أنثى.

وفيما يلي نص الدراسة التي حملت عنوان: **منح اليتيم أو مجهول النسب لقب عائلة كافله:**»

فإنه يجوز شرعا لكافل الطفل اليتيم أو مجهول النسب أن ينسب لقب عائلته للطفل اليتيم (معلوم الأبوين أو الأب فقط) أو مجهول النسب (مجهول الأبوين، أو الأب فقط)، يستوي في ذلك أن يكون الكافل رجل أو امرأة .

وذلك يكون بإضافة لقب عائلة الكافل (الاسم الأخير) إلى الاسم الأخير للطفل، بحيث يظهر مطلق الانتماء إلى العائلة دون الإخلال أو التدليس بأنه ابنه أو ابنته من صلبه؛ حتى لا يدخل في نطاق التبني المحرم شرعا، بل إن تلك الإضافة التي تكون في آخر اسم الطفل اليتيم أو مجهول النسب ستكون مثل **عُلقة الولاء** التي كانت بين القبائل العربية قديما، وليس في ذلك شيء من التبني المحرم في الشرع؛ فالتبني: وهو إضافة ولد غيره إليه، وإقامته مقام ولده في الميراث، والنسب، والخلوة بنساء العائلة على أنهن محارمه، وغير ذلك مما كان شائعا في الجاهلية وصدر الإسلام ثم حرّمه الإسلام حرصا على عدم اختلاط الأنساب.

أما مجرد الانتماء للكافل فإنه مما لا يترتب عليه أي أثر من آثار التبني المحرم شرعا، بل ذلك مثل ما كان حاصلًا مع العلماء والرواة المنسوبين إلى غير قبائلهم، فإنه قد أُطلقت النسبة في كل منهم بحيث يُظنُّ أنه ممن نسب صليبية، أي: من ولد الصُّلب.

وفي كلام المفسرين إشارة إلى هذا، فقد ذكر العلامة الطاهر بن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾ [الأحزاب: 5] أن المراد بالولاء في قوله وَمَوَالِيكُمْ ولاء المخالفة .

وقال العلامة الألوسي: قوله وَمَوَالِيكُمْ أي وأولياؤكم فيه، أي في الدين، فادعوهم بالأخوة والمولوية بتأويلهما بالأخوة والولاية في الدين، وبهذا المعنى قيل لسالم: بعد نزول الآية، مولى حذيفة وكان قد تبناه قبل، وقيل: ومواليكم أي بنو أعمامكم، وكان دعاءهم بذلك لتطيب قلوبهم ولذا لم يؤمر بدعائهم بأسمائهم فقط"

وقال أيضاً: "وظاهر الآية حرمة تعمد دعوة الإنسان لغير أبيه، ولعل ذلك فيما إذا كانت الدعوة على الوجه الذي كان في الجاهلية، وأما إذا لم تكن كذلك كما يقول الكبير للصغير على سبيل التحنن والشفقة: يا ابني، وكثيراً ما يقع ذلك فالظاهر عدم الحرمة.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: "ولا يجرى هذا الجرى -أي مجرى التبني المحرم- ما غلب عليه اسم التبني كالحال في المقداد بن عمرو فإنه كان غلب عليه نسب التبني فلا يكاد يعرف إلا بالمقداد بن الأسود فإن الأسود بن عبد يغوث كان قد تنبأه في الجاهلية وعرف به. فلما نزلت الآية قال المقداد: أنا ابن عمرو ومع ذلك فبقى الإطلاق عليه .

وقال الإمام ابن كثير في التفسير: «فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهي عنه في هذه الآية، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي... عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب على حُمُرَات لنا من جَمْع، فجعل يَلطِّخُ أفخاذنا ويقول: "أُبَيَّي لا ترموا الجمره حتى تطلع الشمس"¹، قال أبو عبيد وغيره: "أُبَيَّي" تصغير بني. وهذا ظاهر الدلالة، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر²

وفي الصحيح ما يشهد لهذا؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال: "هل فيكم أحد من غيركم"، قالوا: لا، إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ابن أخت القوم منهم"

قال المناوي: "قوله: «ابن أخت القوم منهم» لأنه ينسب إلى بعضهم وهي أمه فهو متصل بأقربائه في كل ما يجب أن يتصل به كنصرة ومشورة ومودة وإفشاء سر ومعونة وبر وشفقة وإكرام ونحو ذلك" ففي هذا الحديث بيّن النبي صلى الله عليه وسلم الابن ينتسب إلى قبيلة أمه وليس هو منها على الحقيقة.

وما نحن فيه من منح اليتيم لقب كافله يتخرج على مثل هذه الصور التي مرت في الأحاديث وهذه النسبة تحقق مصالح كثيرة للطفل، فإن ذلك يضيف إلى حياة الطفل الكثير من

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (181/9) رقم الحديث (3869)، وابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة: (280/4)، ولم يذكر له سنداً. أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة (224)، رقم الحديث (1940)، كتاب المناسك باب التعجيل في الجمع، قال قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان: حديث صحيح.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (115/11).

الاستقرار والأمل، فهو يتمتع بحقوق مماثلة لحقوق الأبناء الشرعيين، فيصبح له من يقوم مقام الأب والأم أمام الناس في مراحل العمرية المختلفة وخاصة حين زواجه، وذلك مع الاحتفاظ بالأحكام الشرعية من حرمة التبني وما يترتب عليه من آثار شرعية، فنحن هنا راعينا مقاصد الشرع ولم نقع في شيء مما حذرنا منه»¹.

ويتأيد هذا المذهب بما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " اذهب فهو حر ولك ولاؤه وعلينا نفقته"².

قال الإمام الباجي رحمه الله: " ولك ولاؤه": يريد تخصيصه بذلك وذلك يقتضي كونه على دينه، قال ابن المواز قال مالك ولو أعلم أن عمر قال في المنبوذ ما ذكر ما خولف يريد والله أعلم: أن يجعل الولاء لملتقطه، والحديث صحيح لا شك فيه؛ لأنه يرويه عن ابن شهاب عن سنين أبي جميلة وهو من الصحابة ولكنه لفظ يحتمل التأويل فيكون معنى قول مالك ذلك أن لو علم أن عمر أراد ما يتأولونه عليه لم أخالفه، لتقارب الأدلة في ذلك وترجحها، ولو أن مالكا قد تأول قول عمر: " لك ولاؤه" أي قد جعلت لك أن تتولى تربيته والقيام بأمره وأنت أحق به من غيرك .»³.

قال ابن الأثير في الشافعي: « وأما الولاء فمذهب الأئمة أن لا ولاء عليه للملتقط وإنما يرثه بيت المال، و حكى عن بعض الناس أنه قال: ولاؤه للملتقط فيرثه؛ أخذنا بقول عمر، وإنما أراد عمر بقوله: " ولاؤه" ولاء الحضانة و التربية و الحفظ، و إنما حملوه على ذلك للحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو قوله: " إنما الولاء لمن أعتق"⁴ و " إنما للحصر" فكان هذا محمولاً على ما قلناه»⁵.

¹ يوسف عبد الوهاب ، المركز الدولي للأبحاث و الدراسات مداد <http://www.medadcenter.com>

² أخرجه مالك ، الموطأ : (282/2) ، رقم الحديث : (2155)، كتاب الأفضية ، باب القضاء في المنبوذ . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله .

³ الباجي ، المنتقى شرح موطأ مالك : 329 / 7 - 330 .

⁴ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (225/2) رقم الحديث (2561) ، كتاب ، المكاتب ، باب ما يجوز من شروط المكاتب ... و مسلم ، صحيح مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة (701) رقم الحديث : (1504) ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق . عن عائشة رضي الله عنها .

⁵ ابن الأثير ، الشافعي شرح مسند الشافعي : (245/4) .

المبحث الخامس: الخدمة الاجتماعية و دورها في رعاية الأحداث من الانحراف

منظور السنة النبوية .

تمهيد تعد مرحلة ما بعد الطفولة من المراحل المهمة جدا في حياة الإنسان، وعليها يبني مستقبله الجسمي، العقلي، والعاطفي، لذا فإن الاهتمام بالأحداث والعناية بتطوير مناهج التعامل مع الحدث، يعد من أهم أسباب رقي الأمم و البعد بها عن أسباب الانحراف¹، لذا أولت السنة النبوية الطفولة اهتماما بالغا، من خلال الإرشاد و التوجيه النبوي، نحو الطرق التي ينبغي سلوكها في معاملة الحدث غير الراشد. و الأمة التي تعتني بأطفالها بتجني الراحة و الطمأنينة في قابل أيامها، و العكس بالعكس، ودول العالم اليوم تعاني من ظاهرة تنامي انحراف الأحداث «والجزائر كغيرها من الدول لا تخلو من هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة حيث بلغ بها عدد الأحداث المنحرفين لسنة 2005، أكثر من [مائتي ألف] 200000 ، حدث منحرف وهو رقم مخيف وفي تزايد²»، ومما لا شك فيه أنه أمر جلل، وداء اجتماعي خطير لكن و الحمد لله في ديننا كما قال عليه الصلاة و السلام: "لكل داء دواء"³ ففي السنة النبوية أدوية لعلاج مثل هذه الظاهرة⁴ الخطيرة على مستقبل كل أمة في أمنها وسلامتها ومعوقا لنموها وازدهارها. سنحاول في هذا المبحث أن نتعرف على منهج الخدمة الاجتماعية النبوية في حماية الأطفال من أسباب الانحراف و الجنوح نحو السلوك العدائي، و ما هي التدابير الوقائية في السنة النبوية لحماية الأحداث من الجنوح.

¹ مفهوم الانحراف: من الناحية الاجتماعية يتضمن نمطا معيناً أو أنماطا معينة من السلوك البشري، ترى الجماعة أو المجتمع، أن فيه خروجاً على قواعدها التي تعارف عليها لتنظيم حياتها الجماعية، الانحراف عبارة عن انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية، الفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة التي قد تهدد الحياة نفسها ، ينظر : عبد الناصر صالح :الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية مع الأحداث المنحرفين في النظام القضائي القطري: الصفحة 202 - 203 .

² غمار محمد، الخدمة الاجتماعية لرعاية الأحداث المنحرفين: الصفحة 5

³ سبق تخرجه الصفحة: 53

⁴ الظاهرة مصطلح في علم الاجتماع اختلف في تعريفه تبعا لاختلاف المدارس الفكرية في علم الاجتماع « فهناك من يعرف الظاهرة الاجتماعية على أنها التفاعل بين الناس في الزمان و المكان ، و هناك من يعرف الظاهرة الاجتماعية بأنها هي فهل اجتماعي يمارسه جموع من البشر ، أو هم يتعرضون له، أو يعانون منه أو من نتائجه « ينظر : القرشي، الظاهرة الاجتماعية عند إيميل دوركام - تحليل اجتماعي - الصفحة :331 - 332 .

المطلب الأول: تعريف الأحداث لغة و اصطلاحا.

الفرع الأول: الحدث لغة. قال في الصحاح: «ورجل حدث، أي شاب، فإن ذكرت السن قلت: حديث السن. وهؤلاء غلمان حدثان، أي أحداث¹» قال في المحكم : «ورجل حدث السن وحدثها بين الحداثة والحدوثة ورجال أحداث السن وحدثانها وحدثاؤها وكل فتى من الناس والدواب والإبل حدث والأنثى حدثة²»
قال في المصباح المنير: «والفتى العبد وجمعه في القلة فتية وفي الكثرة فتيان والأمة فتاة وجمعها فتيات والأصل فيه أن يقال للشاب الحدث³».
قال في المعجم الوسيط: (الجذع) من الرجال الشاب **الحدث** وفي حديث المبعث (يا ليتني فيها جذع)⁴.

الفرع الثاني: تعريف الأحداث في الاصطلاح. « يعرف الحدث على أنه الذي أتم السن التي حددها القانون للتمييز ولم يتجاوز السن التي حددها لبلوغ الرشد... والحدث في القانون ليس هو الصغير على الإطلاق، وإنما يعتبر المرء حدثا أمام القانون في فترة محددة تبدأ في سن التمييز التي تنعدم فيها المسؤولية الجنائية وتنتهي ببلوغ السن التي حددها القانون بالرشد⁵».
فالحدث يقال له الغلام و المراهق. وقيل: «المراهق الذي قارب الحلم ولما يحتلم بعد وهو مأخوذ من قولك رهقت الشيء إذا غشيتته ودنوت منه⁶».

¹ الجوهري ، الصحاح : (1 / 278 _ 279)

² ابن سيده ، المحكم : (3 / 253) .

³ الفيومي ، المصباح المنير : (7 / 125)

⁴ إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : (1 / 113) .

⁵ غماري محمد ، الخدمة الاجتماعية لرعاية الأحداث المنحرفين : الصفحة 11 .

⁶ الأزهرى ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : الصفحة 279 .

المطلب الثاني: خدمة الحدث بالتربية والتنشئة الصالحة وحمايته من الانحراف كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.

إنه لضمان تنشئة صالحة تقي الحدث من أي انحراف فإنه لا بد من التزام ذلك المخطط التربوي الذي رسمه لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في سنته، فلقد استوعبت السنة النبوية في مجال تربية الحدث كل صغيرة و كبيرة فاعتنت به في جوانب كثيرة فألفت فيها كتب مستقلة صبياء، فغلاماً، فمراهقاً، فمن هذه الكتب على سبيل المثال :

كتاب: تحفة المودود بأحكام المولود ، للإمام ابن قيم الجوزية .

" : الأدب المفرد، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري .

" : الآداب ، للإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت 458).¹

" : أدب الدنيا و الدين، للإمام أبي الحسن الماوردي .²

" : الآداب الشرعية، للإمام عبد الله بن مفلح الحنبلي .³

" : مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها للإمام لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر الخرائطي، (ت 327هـ).⁴

" : مكارم الأخلاق، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت 360) .⁵

وفي هذه الكتب مادة تربوية غزيرة لو أحسن القائمون على المؤسسات الخدمة الاجتماعية والتربية والتعليم، توظيفها في المدارس الابتدائية وفق لغة معاصرة مع الاستعانة بما كتب من المعاصرين خصوصاً الدراسات النفسية والاجتماعية؛ فإنها ستكون أكبر مضاد حيوي ضد أي انحراف للأحداث في زمن كثرت فيه الوسائل والوسائط التعليمية الثانوية من تلفزة ومجلات ووسائل التواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية وغيرها.

¹ طبع الكتاب بمؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، حققه : السعيد المنذوه، الطبعة الأولى ، 1988 م .

² طبع الكتاب بدار اقرأ بيروت لبنان، حققه: محمد كريم راجح، الطبعة الرابعة ، 1985 .

³ طبع الكتاب بمؤسسة الرسالة بيروت ، حققه : شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، 1999 م .

⁴ طبع الكتاب بمكتبة الرشد ، حققه : د/عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري ، 2006 م .

⁵ طبع الكتاب بالمكتب السعودي التعليمي بالمغرب ، حققه : د/ فاروق حمادة .

الفرع الأول: الاهتمام بسلامة الأسرة كضمان للتنشئة الاجتماعية السليمة.

لقد برزت عناية السنة النبوية بالحدث، في ذلك التميز حيث تأكدت العناية و الاهتمام به قبل ولادته، وهو أمر لا تجده إلا في ضوء السنة النبوية وذلك بتوجيه جملة من الإرشادات والتدابير للأسرة، والتي من شأنها أن تخفف في المستقبل الكثير من الأزمات التي يمكن أن تتعرض لها الأسرة، والمجتمع، من تفكك أسري، وغياب الانسجام بين الزوجين، وكثرة النزاعات والصراعات داخل الأسرة، وغياب الطمأنينة والقدوة داخل الأسرة وغيرها.

ولتلافي كل هذا الاختلال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: باختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة والمنبت الحسن.

- فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»¹

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»².

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم لا تضعوها إلا في الأكفاء. قال الأشج: تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء وانكحوا

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 385/3 ، رقم الحديث : 1084 ، كتاب النكاح ، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وفروجه . و ابن ماجة ، سنن ابن ماجة : 1 / 632 - 633 ، رقم الحديث : 1967 ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، و رجع الترمذي إرساله ، و أخرجه الترمذي : 368/3 ، رقم الحديث : 1085 عن أبي حاتم المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه... الخ . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب و أبو حاتم المزني له صحبة ولا نعرف له عن النبي صلى الله عليه و سلم غير هذا الحديث . قلت و الحديث حسنه الألباني في الإرواء : (267/6) .

² أخرجه الحاكم، المستدرک: (163/2) البيهقي: السنن الكبرى: (133/7)، الدارقطني، سنن الدارقطني: (458/4). عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبيهقي. كلهم من طريق الحارث بن عمران الجعفرى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، ثم ساق له الحاكم متابعة من طريق عكرمة بن إبراهيم عن هشام به، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و تعقبه الذهبي فقال: الحارث متهم، و عكرمة ضعفوه. والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (56/3) .

إليهم»¹. وفي لفظ عند الدارقطني، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة»².

قال الإمام الدارقطني رحمه الله: «عن سفيان قال: الكفاء في الحسب والدين ... عن إسحاق بن بهلول قال سألت وكيعا عن الكفاء فقال حدثني الحسن بن صالح عن بن أبي ليلى قال الكفاء في الدين والمنصب، قال وكيع: سمعت أبا حنيفة يقول: الكفاء في الدين والمنصب والمال»³. ومما لا شك فيه أن وراء هذا الوصف: "الدين" ومعناه: ذلك الالتزام بأحكام الدين في كل شؤون، مع توفر عنصر سلامة الاختيار - الزوج و الزوجة فإن ذلك له مقاصد اجتماعية وتربوية هدفها ضمان استقرار الحياة الزوجية، ومن ثم ضمان تنشئة صحية من الناحية النفسية والجسدية للأولاد، فالبيت الذي يعاني فيه الزوجان من المشاكل المستمرة، والخلاف العميق يؤثر سلبا على الاستقرار العاطفي والإحساس بالأمان عند الأحداث، ومن ثم يتحول البيت إلى جحيم لا يطاق، فيتسبب ذلك في هجران الحدث للبيت واللجوء للشارع للبحث عن البديل العاطفي⁴ لأنه مفقود في البيت ومن ثم يكون الطفل فريسة للانحراف.

تثبت الدراسات «أن الأسرة النابذة»⁵ المضطربة تتميز بالضعف وهشاشة الحدود مع البيئة الخارجية، حيث يتحرك الوالدين داخل الأسرة وخارجها كثيرا دون مبرر واضح، كما يتكرر هروب الأطفال خارج الأسرة ... و تتسم التفاعلات الأسرية بالغضب والكيد والاستفزاز والعداء، ويحاول كل من الوالدين والأطفال التحكم في بعضهم من خلال المناورات والتهديدات وهناك قليل من التفاهم والتعاطف المتبادل بين أفراد الأسرة ويميل الأطفال في مثل هذه الأسر

¹ أخرجه الدارقطني: سنن الدارقطني: (458/4)، رقم الحديث: (3788)، عن عائشة رضي الله عنها، و الحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (56/3).

² الدارقطني، سنن الدارقطني: 4/ 557. رقم الحديث: 3786. عن صالح بن موسى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/ 614-615): « هذا الحديث لا يصح [ذكره في جملة أحاديث وقال هذه الأحاديث لا تصح] فيه: صالح بن موسى قال يحيى ليس حديثه بشيء وقال النسائي متروك الحديث».

³ الدارقطني، سنن الدارقطني: (4/ 458-459).

⁴ وفي هذا الصدد يقول جوزيف ريزو: "عندما يفقد الطفل أو المراهق القدوة في الأسرة فإنه قد يبحث عنها في صورة قرين غير كفاء". ينظر: جوزيف ريزو، تربية الأطفال والمراهقين المضطربين سلوكيا: الصفحة (12).

⁵ الأسرة النابذة: هي الأسرة التي تتركز على مفهومي المركزية والنبذ؛ وهي أسر تميل إلى الانغلاق على نفسها والتحفظ من كل ما هو خارج حدودها. ينظر: جوزيف ريزو، تربية الأطفال والمراهقين المضطربين سلوكيا: الصفحة (121).

إلى التعبير عن الغضب بإسهاب، وينقصهم نمو الضمير الحي فضلا عن الميل إلى الإشباع الفوري الغرائز والرغبات، نظرا لعدم وجود قواعد أو قيم ثابتة، وعدم وضوح الفرق بين السلوكيات المرغوبة أو غير المرغوبة»¹.

وعليه فإن انسجام الزوجين داخل الأسرة نظرا لتوفر عنصري الكفاءة والدين في كليهما يجعلهما أكثر اقتدار على إدارة أفراد البيت، والتحكم في النمو النفسي والتوازن الاجتماعي للأطفال ولكي توفر الانسجام داخل البيت دعت السنة النبوية إلى التروي والتثبت قبل الاقتران من نظر الخاطبين على بعضهما، مع توفير عنصر الكفاءة والخلو من الأمراض، وغيرها من الاحتياطات المسبقة، وعليه يُبنى عش الزوجية على رؤية واضحة المعالم توفر فيه الراحة والطمأنينة والسكينة لهما وللأولاد من بعدهما. فكل شعور صادق بين الزوجين ينتقل للأولاد والعكس بالعكس .

«إن الشعور الصادق والعطف الحار نحو الأطفال عموما والمراهق بشكل خاص، هو أول ما ينبغي عمله لمساعدتهم، والعاطفة الصادقة لا يمكن اصطناعها، فالشاب سرعان ما يكتشف ما إذا كان اهتمامنا به و بمشكلاته هو ما نرمي إليه حقا أم لا، فإذا طالبناه أن يجنبا و يثق فينا، ولم يصطحب ذلك علاقة حارة صادقة معه من ناحيتنا، كانت تلك المطالبة عديمة الجدوى»²

« وجد بعض الباحثين... أن الأولاد الذين عبروا مرحلة المراهقة بسهولة وكانت تقاريرهم عن أنفسهم وتقارير الاختبارات أنهم "سعداء" وعن فكرتهم عن أنفسهم واقعية، وأنهم يتميزون بروح المرح ولديهم القدرة على مواجهة الضغوط، ويتقبلون المعايير الاجتماعية. هؤلاء الأولاد كانوا ينتمون إلى آباء يشجعون الاستقلال في أبنائهم، ويثقون في القيم الاجتماعية، كما أنهم أي الأب و الأم، على اتفاق تام بهذا الخصوص»³.

¹ جوزيف ف ريزو - روبرت ه زابل، ترجمة : زيدان السرطاوي و عبد العزيز الشخص، تربية الأطفال والمراهقين

المضطربين سلوكيا: الصفحة، 122

² محمد عماد الدين ، الطفل من الحمل إلى الرشد : (2 / 271 - 272) .

³ محمد عماد الدين ، الطفل من الحمل إلى الرشد : (2 / 218 - 219) .

الفرع الثاني: عناية السنة النبوية بغرس القيم الدينية والخلقية في كيان الحدث العقلي والنفسي كخدمة اجتماعية للأحداث.

قدحشنا ورغبنا النبي صلى الله عليه وسلم على غرس القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية في نفسية الطفل منذ نعومة أظفاره وذلك ليسبق الخير إلى نفسه وذلك:
- بتعليمه القرآن والحديث النبوي في سن مبكرة.

مع تعويدهم الالتزام بالآداب والأخلاق العامة منذ نعومة أظفارهم، وقد أشار الإمام ابن أبي زيد القيرواني في رسالته المشهورة إلى أهمية تعليم الصبيان القرآن وأمور الديانة - العقائد والفقه - فقال رحمه: « لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته² ».

فمن الإرشادات النبوية في ذلك:

أ - تعليم القرآن الكريم للأحداث.

إن من أفضل أسباب حماية الحدث من الانحراف تعليمه القرآن في فترة مبكرة، ذلك لما يسبق إلى خلد الطفل من آداب القرآن وأدبيته، فيتزعرع وقد مكنت فيه أصول التربية والأخلاق لتكون له حصنا ضد أي انحراف. وفي هذا الصدد يقول المحدث الكبير عبد الحي الكتاني: « تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشئون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة، قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال، وكان صلى الله عليه وسلم يشترط على وفود الأعراب بعد إسلامهم إقراء القرآن بينهم، وتعليمهم أمر الدين وإقامة المؤذنين³ ».

¹ هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، يقال له مالك الصغير، لخص المذهب، وملا البلاد من تواليه، تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد. وأخذ عن: محمد بن مسرور الحجام، والعسال، وحج، فسمع من أبي سعيد بن الأعرابي، ومحمد بن الفتوح، والحسن بن نصر السوسي، وغيرهم. سمع منه خلق كثير منهم: الفقيه عبدالرحيم السبتي، والفقيه عبد الله بن غالب السبتي، صنف كتاب النوادر والزيادات وكتاب الرسالة، وكتاب المعرفة والتفسير توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة ودفن بداره بالقيروان ، ينظر : ابن قنفذ ، الوفيات: الصفحة : (221) ، الذهبي، سير أعلام النبلاء : 11/17 .

² الآبي الأزهري، الثمر الداني: الصفحة 6 - 7 .

³ الكتاني ، التراتيب الإدارية : (2 /198).

ويقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله: «الفصل التاسع والثلاثون في تعليم الولدان... أعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث¹. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا و هو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، و على حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه»²

أورد ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: (يا أحمد: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة)³.

وقد جاء الترغيب في تعليم القرآن في جملة أحاديث نذكر منها:

عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»⁴ وفي لفظ آخر: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»⁵

وبوب البخاري في جامعه، باب تعليم الصبيان القرآن، وأخرج بإسناده عن سعيد بن جبير

¹ حذف الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية: (199/2)، في نقله عن ابن خلدون عبارة: "متون الأحاديث" و هي موجودة في المقدمة. الصفحة: 461

² ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: الصفحة (461).

³ بالي وحيد عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح: (32 - 33).

⁴ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (346/3)، رقم الحديث (5027)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن و علمه. عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

⁵ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (347/3)، رقم الحديث (5028)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن و علمه. عن عثمان رضي الله عنه.

قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم¹، قال: وقال ابن عباس: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم²».

- عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه أهل الجنة بتعليمه ولده القرآن»³.
و كان الضحاك بن قيس⁴ يقول: «يا أيها الناس علموا أولادكم وأهاليكم القرآن فإنه من كتب له من مسلم يدخله الله الجنة أتاه ملكان فاكتفاه فقالا له : اقرأ وارفق في درج الجنة حتى ينزلانه حيث انتهى علمه من القرآن»⁵.

¹ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمراد بالمحكم الذي ليس فيه منسوخ ويطلق المحكم على ضد المتشابه وهو اصطلاح أهل الأصول والمراد بالمفصل السور التي كثرت فصولها وهي من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح» ينظر ابن حجر فتح الباري: (84/9).

² البخاري، الجامع الصحيح: (348/3)، رقم الحديث (5035)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

³ أخرجه الطبراني، المعجم الأوسط: (2/36 - 37). ومن طريقه الخطيب البغدادي، موضح أوهام الجمع و التفريق : (266/1) عن جابر بن سليم الزرقى، عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، و بين الخطيب البغدادي أن عباد بن أبي صالح هو عبد الله بن أبي صالح وخطأ علي بن المديني في اعتبارهما أخوين، وساق أدلة كثيرة في الموضح. وقال البخاري في التاريخ الكبير: (83/5) في ترجمة عبد الله بن أبي صالح : "ويقال عباد" ثم ذكر ترجمة أخرى لعباد بن أبي صالح في التاريخ الكبير (38/6)، ولم يذكر ما ذكره في ترجمة عبد الله بن أبي صالح من أنه يقال له عباد، و كأنه يفرق بينهما، وقد أشار الخطيب البغدادي أن علي بن المديني جعلهما أخوين، وساق الخطيب الرد على ذلك والله أعلم . و الحديث ذكره الدليمي، الفردوس : (26/4). قلت: وجابر بن سليم الزرقى قال في الجرح و التعديل (501/2) : مدني ثقة حسن الهيئة . و عبد الله الذي هو عباد، ثقة قال في الجرح و التعديل : (79/6) : "سمعت يحيى بن معين يقول عباد بن أبي صالح هو عبد الله بن أبي صالح وهو ثقة". و قال العجلي في الثقات : (17/2) : عباد بن أبي صالح السمان، ثقة .

⁴ الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر الفهري أبو أنيس وأبو عبد الرحمن أخو فاطمة بنت قيس، قال البخاري له صحبة، ووقع في الكنى لمسلم أنه شهد بدرًا، وهو وهم فظيع، نبه عليه بن عساكر، واستبعد بعضهم صحة سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا بعد فيه، فإن أقل ما قيل في سنه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان بن ثمان سنين وقال الطبري مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يافع، كان الضحاك بن قيس مع معاوية بدمشق وكان ولاء الكوفة ثم عزله ثم ولاء دمشق، دعا إلى ابن الزبير فقاتله مروان فقتل الضحاك بمرج راهط سنة أربع وستين أو سنة خمسين . ينظر: ابن حجر، الإصابة : (268/3).

⁵ ابن أبي شيبة، المصنف: (480/15). رقم الحديث، (30682)، كتاب فضائل القرآن. وابن أبي الدنيا، العيال: (428/1). عن الضحاك بن قيس رضي الله عنه .

ففي هذه الأحاديث الإرشاد لنا أن نبادر إلى الدواء الشافي والبلسم الواقي لأولادنا من كل خطر يتهدد كيأنهم المعنوي، وخصوصيتهم الثقافية، ومرجعيتهم الدينية.

ب - التربية الإيمانية كخدمة للأحداث .

«التربية الإيمانية لدى المربين والآباء، والأمهات لها مسئولية هامة، وخطيرة لكونها منبع الفضائل ومصعد الكمالات كلها، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان. وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين. فعلى الأب أو المربي أن لا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان وبالصفات التي تقوي جانب العقيدة، وهذا أسلوب فعال في ترسيخ العقيدة في نفوس الصغار، ولقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ينتهز فرصة ركوب عبد الله بن عباس خلفه على مركوب، فيقول له: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»¹

ت - تربيتهم و تعويدهم على الصلاة .

للصلاة مكانة سامية في دين الإسلام فهي الركن الثاني من أركان الإسلام، و هي محطة يقف فيها المؤمن خمس مرات في اليوم بين يدي ربه ليجدد العهد والميثاق والالتزام بوصايا الدين وأحكامه، والصلاة من أفضل الأعمال فمن أضعافها فهو لما سواها أضيع، وهي سياج الدين ومقوم الضمير، ومعراج الروح، وأعظم ما يتوسل به لتهديب النفس، وتقويم الخلق، لذا أكدت السنة النبوية على المبادرة إلى تعويد الصبيان إقامة الصلاة، لتعلق محبتها في قلوبهم وترسخ

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (667/6)، رقم الحديث: (2516) كتاب صفة القيامة، عن ابن عباس رضي الله عنهما باب و قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، و صححه الباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (497-496/5).

² بابي وحيد عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح: (41-42).

مكانتها في نفوسهم فتكون سببا في حفظ كيانهم النفسي والعقلي والروحي، وإن الحدث المداوم على الصلاة، هو في مأمّن من كل انحراف وانزلاق أخلاقي واجتماعي، ففي الصلاة الفوائد الجمة للحدث ففيها التعليم لكثير من أصول التفاعل الاجتماعي السليم مع المجتمع لما يألفه الحدث من معايشرة المصلين والتفاعل مع كل الشرائح الاجتماعية في المسجد عكس الطفل المنعزل كما ذكرناه في الأسرة النابذة التي تحيط الحدث بجملة من التدابير القاسية ولا تسمح له بالاقتراب الحر من فضائل السلوك المجتمعي القويم. فالصلاة مدرسة للحدث منذ نعومة أظفاره، وعليه أكد النبي صلى الله عليه و سلم ضرورة تعليم الصلاة للصغار.

-عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «علموا صبيانكم الصلاة في سبع سنين، وأدبوهم عليها في عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع...¹» الحديث .

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «قال المهلب في هذا الباب وضوء الصبيان وصلاتهم، وشهودهم الجماعات في النوافل والفرائض، وتدريبهم عليها قبل وجوبها عليهم ليلغوا إليها وقد اعتادوها وتمرنوا فيها، وأحاديث هذا الباب بيّنة في ذلك؛ لأن ابن عباس صلى مع الرسول على القبر المنبوذ، وإذ بات عند خالته ميمونة وصلى خلف النبي، وإقباله على الأتان، وحديث أنس واليتميم، كان ذلك كله في حال الصغر، يدل على ذلك قول ابن عباس: ولولا مكاني من الصغر ماشهده، يريد بذلك حين أتى النساء ووعظهن وابن عباس معه، وذكر البخاري في فضائل القرآن أنه توفي الرسول وأنا ابن عشر سنين، وذكر ابن أبي شيبة عن الربيع، حدثنا ابن معبد الجهني²، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله: «إذا بلغ الغلام سبع سنين فأمره بالصلاة، فإذا بلغ عشرا فاضربوه عليها»³...، وقال به مكحول، ومالك، والأوزاعي، وأحمد

¹ أخرجه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة: (102/2) رقم الحديث (1002) كتاب الصلاة، باب أمر الصبيان بالصلاة و ضربهم على تركها قبل البلوغ كي يعتادوا بها، عن عبد الملك بن الربيع عن أبيه عن جده، و البيهقي، السنن الكبرى: (2/229)، كتاب الصلاة، باب عورة الرجل، و أحمد، المسند: (369/11). رقم الحديث: (6756). عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. و قال الأرنؤوط إسناده حسن .

² هو هنا في هذا الإسناد : عبد الملك بن الربيع بن سيرة بن معبد الجهني .

³ أحمد، مسند الإمام أحمد : (56/24)، رقم الحديث : (15339)، ابن أبي شيبة، المصنف : (201/3)، رقم الحديث : (3500)، كتاب الصلاة ، متى يؤمر الصبي بالصلاة . عن عبد الملك بن الربيع بن سيرة بن معبد الجهني رضي الله عنهم. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند : إسناده حسن .

وإسحاق، وجماعة ، وقد روى أشهب¹ عن مالك في العتبية: أنه يضرب على الصلاة لسبع وقال عروة : يؤمر بالصلاة إذا عقلها، وقال ابن عمر: يعلم الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله ، وهو قول ابن سيرين² .

وعند الترمذي عن عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر»³ . قال في المعتصر : «وضربه لأن يعتادها ليكون خلقا له بعد بلوغه»⁴ .

ث - غرس القيم الخلقية في نفوسهم .

قال الأستاذ وحيد عبد السلام بالي: «التربية الخلقية هي مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكسبها، ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض الحياة. ومما لاشك فيه أن الفضائل الخلقية، والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة. والطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له، والاعتماد عليه والاستعانة به، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع تصبح عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتقاد على كل خلق فاضل كريم. لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره، والمراقبة الإلهية، التي ترسخت في وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته كل ذلك بات حائلاً بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة، بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقاً أصيلاً من أبرز أخلاقه وصفاته. والعكس تماماً حينما تكون التربية للطفل

¹ هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو (145 - 204 هـ)، من أصحاب مالك، فقيه الديار المصرية في عصره. وأشهب لقب، روى عن مالك والليث و الفضيل بن عياض، وروى عنه: سُحنون، وبنو عبد الحكم، وعدد كتب سماعه عشرون كتاباً انتهت إليه الرئاسة بمصر بعد بن القاسم ، قال الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب ينظر : ابن فرحون ، الديباج المذهب: (307/1) ، و الزركلي، الأعلام : (333/1).

² ابن بطلان، شرح صحح البخاري : (469/2) .

³ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : (259/2) ، رقم الحديث : (407) ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ، والبيهقي ، السنن الكبرى : 83/3 ، كتاب الصلاة ، باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة . و قال الترمذي بعده : حديث سبرة بن معبد الجهني ، حديث حسن صحيح .

⁴ الحنفي، المعتصر من المختصر: (188/1).

بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الديني والصلة بالله عز وجل، فإن الطفل لاشك يتزعزع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإحادبل سيتبع نفسه هواها ويسير خلف نوازع النفس الأمارة، ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة»¹ ومن الأحاديث في ذلك :

- عن أنس بن مالك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)².

- عن جابر بن سمرة: قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : «لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على مساكين»³

- عن أيوب بن موسى [بن عمرو بن سعيد بن العاص] عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ما نحل⁴ والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»⁵.

¹بالي وحيد عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح : (43 - 44 - 45) .

² أخرجه ابن ماجة ، سنن ابن ماجة : (1211/2)، باب بر الوالدين و الإحسان إلى البنات . و القضاعي، مسند الشهاب : (389/1)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه . قال الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (150/4) ضعيف جدا .

³ أخرجه الحاكم، المستدرک: (263 / 4)، و البيهقي، شعب الإيمان: (132/131/11) رقم الحديث: (8288)، و الطبراني : المعجم الكبير : 246/2 . رقم الحديث (2032) . و البزار ، مسند البزار : (190/10)، رقم الحديث: (4374)، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه . قال البزار في مسنده (190/10) : و هذا الحديث لا نعلم أحدا يرويه إلا ناصح . قلت و مدار الحديث على ناصح بن عبد الله قال فيه البخاري في التاريخ الكبير : (122/8)، منكر الحديث . قال ابن أبي حاتم في الجرح و التعديل : (503/8) : نا عمرو بن علي أن ناصح بن عبد الله كوفي روى عن سماك ابن حرب أحاديث منكورة، متروكة الحديث. قلت و حديثه هذا عن سماك عن جابر . و أخرجه عبد الله في زياداته على المسند: (459/34) قال حدثنا علي بن ثابت الجزري عن ناصح عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ... الحديث . و قال عبد الله : هذا الحديث لم يخرج به أبي في مسنده من أجل ناصح لأنه ضعيف في الحديث، و أملاه علي في النوادر .

⁴ النحل : العطاء بلا عوض . ينظر، الزبيدي، تاج العروس : (30 / 461) .

⁵ أخرجه الحاكم، المستدرک : 263/4 ، كتاب الأدب، و الترمذي، سنن الترمذي: (338/4)، رقم الحديث : (1952)، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في أدب الولد . و أحمد، المسند : 128/24 ، رقم الحديث 15403 . و البيهقي، السنن الكبرى : 18/2 . كلهم عن عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده . قال الحاكم صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و قال الترمذي: هذا حديث غريب ... و أيوب بن موسى هو ابن عمرو بن سعيد بن العاصي وهذا =

المطلب الثالث: تعليم الأحداث كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.

في عالم اليوم الذي يدعي التحضر تشير الإحصائيات إلى ارتفاع مستوى استغلال الأحداث في السخرة والأعمال الشاقة إلى مستويات مرعبة خصوصا في الدول المتخلفة حيث « تشير الإحصائيات العالمية التي نشرتها منظمة العمل الدولية بأن عدد الأطفال العاملين في العالم للعام 2012م، قد بلغ 215 مليون طفل، بينهم 15 مليون طفل عامل ومتسرب ، ومما يؤكد أن الطفل الذي يتخلى عن حقه بالتعلم (طوعا أو قسرا) و يترك المدرسة يتجه إلى سوق العمل. و لصغر سن هؤلاء الأطفال و جهلهم بعواقب الأمور فغن الإحصاءات تشير إلى أن 115 مليون طفل من مجموع الأطفال العاملين يمارسون أعمالا خطيرة ، منها الجسدية، و النفسية، والجنسية، الاستغلالية، و الأخلاقية، و الصحية، وغيرها . أما في منطقتنا العربية فقد بلغ عدد الأطفال العاملين قرابة 9,2 مليون طفل عامل منهم الكثير من الأطفال المتسربين و تشير التقرير الذي نشرته المنظمة الدولية للتعليم Eي إلى أن عدد الأطفال الذين تسربوا من المدارس قبل الحصول على المهارات الأساسية من القرائية أكبر من الأطفال الذين لم يلتحقوا أصلا بالتعليم و معظم هؤلاء هم أطفال عاملون¹».

وعليه أكدت السنة النبوية على حق الطفل في التعليم منذ نعومة أظفاره، وجعلت هذا الحق هو في عنق الوالدين بالدرجة الأولى ثم ولي أمر المسلمين، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه، ليعلم المسلمين شرائع الإسلام² وذلك لما للتعليم من أهمية في رفع مستوى كفاءة الشعوب في مواجهة كل الصعاب وصناعة النجاح، و المقدره على صياغة و صناعة الحضارة و تصدر الأمم، و قد أثمرت جهود النبي صلى الله عليه و سلم بعد فترة وجيزة بأن أصبحت الأمة الإسلامية معلمة الأمم ورائدة الحضارة في الكشوف و البحوث العلمية، و ما ذلك إلا نتيجة الخطة التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم في نشر التعليم وتعميمه.

= عندي حديث مرسل. و مثله قال الذهبي في تلخيصه على المستدرک: مرسل ضعيف. والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (249/3).

¹ عبد الله سهو الناصر، التسرب من التعليم الطريق المفتوح نحو عمل الأطفال: الصفحة 122 - 123 .

² ينظر : المباركفوري،الرحيق المختوم :الصفحة: 123 ، بتصرف.

وقد برزت عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالتعليم عموماً وبتعليم الأحداث خصوصاً في جملة من الأحاديث نسوقها فيها الدليل على أن حق الحدث في التعليم مقدم على استغلاله في العمل والسحرة. وتمثل الإرشاد النبوي في تعليم الأحداث فيما يلي:

1 - التأكيد على حق الأحداث في التعليم.

- عن أبي رافع¹ قال: قلت: يا رسول الله ألولد علينا حق كحقتنا عليهم؟ قال: «نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه: الكتابة، والسباحة، والرمي، وأن يورثه طيباً»².

قال الإمام عبد الحي الكتاني: «وفي أحكام القرآن للجصاص على قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًأً أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:6] هذا يدل على أن علينا أن نعلم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الآداب»³.

2 - و الرفق بالأحداث أثناء تعليمهم .

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «علموا، ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف»⁴.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «علموا ويسروا ولا تعسروا»⁵.

وقد عقد عالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون فصلاً خاصاً بذلك فقال: «الفصل الأربعون في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم. وذاك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في

¹ أسلم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم قبل بدر، وكان يكتّم إسلامه مع العباس، ثم قدم بكتاب قريش إلى المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر إسلامه ليقبّل بها، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنا لا نجس البرد، ولا نجس العهد». و أصله من القبط، مات قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ينظر: أبو نعيم حلية الأولياء: (183/1 - 184). و البخاري ، التاريخ الكبير : (23/2)، ترجمة رقم (1564).

² أخرجه البيهقي، السنن الكبرى: (10 / 15). عن أبي رافع رضي الله عنه ، قال البيهقي: هذا حديث ضعيف .

³ الكتاني، الترتيب الإدارية: (2 / 165).

⁴ أخرجه الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي: 269/4، رقم الحديث : 2659 الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: (188/1). قال: البوصيري ، إتخاف الخيرة المهرة : (205/1) : هذا إسناد ضعيف. و قال التركي في تحقيقه لمسند الطيالسي إسناده ضعيف جداً.

⁵ أخرجه أحمد، المسند: (338/4). و البزار، مسند البزار: (11/143)، رقم الحديث (4872). عن ابن عباس

رضي الله عنهما، قال أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد: إسناده صحيح.

أصغر الولد، لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع و التمدن ¹.

فلاحظ أن من أسباب انحراف الحدث: هو القهر والشدة وسوء المعاملة في تعليمه، لذا أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "علموا ولا تعنفوا"² وقال صلى الله عليه وسلم: "علموا ويسروا"³ كما سبقت الإشارة إلى الحديثين قبل قليل. وعليه فإن المربين يتحملون مسؤولية كبيرة في المدارس وعليهم بالتزام الهدي النبوي في الرفق بالحدث، فإن الطفل الذي يغادر صفوف المدرسة يكون ضحية للشارع و فريسة للضياع . فالتزام الهدي النبوي هو خير خدمة نقدمها للحدث المتمدرس. وسوف نزيد الأمر وضوحا في المطلب الموالي في الحديث عن أسباب جنوح الأحداث.

¹ ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ة: الصفحة 463 .

² سبق تخرجه الصفحة : 125

³ سبق تخرجه الصفحة : 125

- المطلب الرابع: أسباب جنوح الأحداث في ضوء السنة النبوية.

لكل نتيجة سبب و كل النتائج لها مقدمات تبررها، ونحن إنما نجني نتائج أخطائنا في معاملة الأطفال حتى يصيروا إلى ما صاروا إليه من انحراف وشدوذ عن جادة الطريق، ولا شك أن البعد عن التربية الإسلامية كسبب إجمالي هو من بين أسباب جنوح الأطفال ، لكن لا يغني هذا السبب الإجمالي عن ضرورة البحث و التعمق في أسباب جنوح الأطفال و تحرير أسبابها في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة مع ربطها بواقع الدراسات العلمية في علم النفس.

فمن بين أسباب جنوح الأحداث في ضوء السنة النبوية، والتي ينبغي تجنبها في معاملة الحدث سواء من الأبوين، أو المجتمع باعتباره شريكا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية، أو في مؤسسات الرعاية الاجتماعية باعتبارها محطة مؤقتة في حياة الحدث ما يلي:

- الفرع الأول: سوء التربية والتنشئة الاجتماعية.

إن المسؤولية المباشرة في العملية التربوية للحدث يتحملها الأبوان، فالمدرسة الأولى للحدث - بالمفهوم الضمني - هي البيت، لما يشترط فيها من واجب غرس القيم الخلقية والتربوية في نفسية الصغير حيث جاء في الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانها وينصرانه أو يمجسانه كما تُتَّجُّ البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: 30]»¹.

فالأسرة ممثلة في المقام الأول بالأبوين لما يقومان به من حسن التربية وتلقين الأبناء أصول الآداب الرفيعة والأعراف الحسنة، والقدرة على ربط الأجيال ببعضها البعض في تناغم يحفظ المجتمع من ويلات الانحلال والتأزم، وذلك يندرج ضمن الهدف الرئيس للأسرة في ضمان حسن التنشئة الاجتماعية باعتبارها الحلقة المهمة في العقد الاجتماعي والدرة الثمينة التي تزينه .

¹ أخرجه البخاري ، صحيح البخاري : 417/1 ، رقم الحديث : 1359 . كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه

- الفرع الثاني: سوء معاملة الحدث وأثرها على تنشئته الاجتماعية.

المعاملة بكل صنوفها وضروبها بين البشر سواء في العلاقات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية تحتل مساحة مهمة ضوء السنة النبوية فهي برهان حسن الخلق، وسماحة النفس وحسن الانسجام مع التعاليم الدينية، بإحسان معاملة الآخرين، والنجاح في التواصل معهم دون ضرر أو ضرار. وهي برهان الصحة النفسية للفرد، لذلك جاء في الحديث: "عن النواس بن سَمعان الأنصاري¹ يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»²، قال في المعتصر من المختصر³: « والإثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر وإن أفتاك أو أفتوك الحديثان راجعان إلى معنى واحد لأن النفس إذا اطمأنت كان منها حسن الخلق والإثم ضد ذلك من انتفاء الطمأنينة ومع ذلك يكون سوء الخلق»⁴.

وعليه فإن الإنسان مطالب أن يحسن خلقه للناس، و يحسن معاملتهم سواء في ذلك داخل البيت أو خارجه أو من كان تحت تصرفه في المؤسسات التربوية، و دور الرعاية الاجتماعية حيث أشارت بعض الدراسات: « إلى نسبة أعلى من المشكلات الانفعالية و تدني في مفهوم الذات بين الكثير من الأطفال المتفوقين فقد أشار وتمور whitmor 1980 إلى أن الجو الاجتماعي [حسن التعامل مع الطالب] للصف الدراسي يمثل عاملا أساسيا في الارتقاء بالتحصيل بين المتفوقين وغالبا ما يعتمد بعض المدرسين إلى تجنب الطلبة المتفوقين وعدم التعامل معهم لسبب أو لآخر (قد يشعر المدرس بتدني قدرته العقلية بالمقارنة إلى قدرة

¹النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرظ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي له ولأبيه صحبة. سكن الشام، روى عنه أبو إدريس الخولاني و أهل الشام . ينظر ابن حجر، الإصابة (6/ 257). البخاري التاريخ الكبير: (126/8). و ابن حبان، الثقات: (411/3).

² أخرجه ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان: 123/2، رقم الحديث: 397، كتاب البر و الإحسان،.. و مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 1032، رقم الحديث: 1553، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر و الإثم. كلاهما عن النواس بن سمعان رضي الله عنه. لكن في لفظ مسلم: ما حاك بدل ما حاك.

³ عنوان الكتاب كاملا هو: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، لخصه القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي من مختصر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي (ت 474 هـ) من كتاب مشكل الآثار للطحاوي الحنفي (ت321هـ).

⁴ الحنفي، المعتصر من المختصر: (208/2).

الطالب) مما قد يؤدي بهؤلاء الأطفال المتفوقين أن يتركوا الدراسة، أو ينخرطوا في جماعات المنحرفين في المجتمع الذي تجاهلهم أو أساء معاملتهم¹ فيلاحظ أن سوء المعاملة و انعدام التقدير تؤديان بنخبة المجتمع و المتفوقين إلى الانخراط في متاهات الانحراف والسلوكات الشاذة، بله محدودي الذكاء و ذوي القدرات العقلية المحدودة فإنهم أشد عرضة لجماعات الفتك و التطرف، و لهذا نجد أن المنهج النبوي في معاملة الأحداث تمثل في :

أ - حسن معاملة الأحداث والرفق بهم، وأثره التربوي عليهم كخدمة اجتماعية.

حيث أن التقدير يزرع الثقة في النفس ويعزز الكفاءة و يزيد في المردود ، و النبي صلى الله عليه و سلم كان يعامل الصغار معاملة الكبار تمهيدا لتقليدهم مهام الكبار فيسوي في المجلس بينهم و بين الكبار، بل نجده صلى الله عليه و سلم يطلب الإذن من غلام صغير في المجلس فلا يأذن الغلام ففي الحديث: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقدر فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ قال: ما كنت لأؤثر بفضلني منك أحدا يا رسول الله. فأعطاه إياه². والملاحظ في ضوء هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم، يؤصل ويعزز خلق الصراحة والتعبير عن الرأي بكل حرية، دون مواربة، و هو خلق لا ينمو إلا في البيئات الصحية، التي تحترم فيها كرامة الإنسان، صغيرا أو كبيرا، عكس البيئات القمعية التي يتنازل فيها الكبير والصغير عن حقه تحت ضغط تعسفي من أصحاب البطر، و بحجج واهية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلام ألا أعلمك شيئا ينفعك الله به؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فسل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فلو جهد الخلائق

¹ مصطفى حسن أحمد ، الإرشاد النفسي لأسر الأطفال غير العاديين: الصفحة 280

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (2/162) ، رقم الحديث : (2351) ، كتاب الشرب و المساقاة ، باب ، و الطبراني ، المعجم الكبير : 6/151 . باب في الشرب . عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدرُوا على ذلك ولو جهد الخلاق أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا على ذلك¹ .

وفي الحديث عمر بن أبي سلمة² يقول: كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد»³

ب - زرع و تعزيز الثقة في نفوس الأحداث .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعزز الثقة بالنفس في نفوس الصغار لإعدادهم للمهام الجليلة في المستقبل وقد أثبتت التجارب الكثيرة أن الكلمة الطيبة، ذات الدلالة الإيجابية التي تلقى في نفس الصغير، تعمل عملا فعالا بحيث تلهب فيه المواهب، وتوقظ فيه الكامن من القدرات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود: " إنك غلام مُعلم " وفي الحديث - عن عبد الله [بن مسعود رضي الله عنه] قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر رضي الله عنه وقد فر من المشركين وأنا أرعى غنما لـ [عقبة] ابن أبي معيط بجياد فقال: «يا غلام عندك لبن تسقيننا ؟ قلت : إني مؤتمن ولست بساقيكم، فقال : عندك جذعة لم ينز عليها الفحل ؟ فقلت : نعم فأتيته بها ، فمسح على الضرع فحفل الضرع وأناه أبو بكر رضي الله عنهبصخرة مقعرة فحلب وشرب وسقى وسقى أبا بكر رضي الله عنه و سقاني وقال للضرع : "اقلص" فقلص ثم أتيته بعد ذلك فقلت : يا رسول الله علمني من

¹ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (667/4) ، رقم الحديث : (2516) ، كتاب صفة القيامة، باب ، والطبراني المعجم الكبير : 223 / 11 ، رقم الحديث : 11566 . عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي حسن صحيح و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (496/5 - 497)

² عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي ، يكنى أبا حفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة . ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن تسع سنين وشهد مع علي رضي الله عنه الحمل واستعمله علي رضي الله عنه على فارس والبحرين . ينظر : ابن عبد البر الاستيعاب : الصفحة (480) ، و ابن حجر ، الإصابة : (280/4) .

³ أخرجه البخاري : صحيح البخاري : 431/3 ، رقم الحديث : 5376 ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام و الأكل باليمين

هذا القول أو من هذا القرآن قال : "إنك غلام معلم " فأخذت من رسول الله صلى الله عليه و سلم سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد¹»

وقد كانت هذه الحادثة سبباً في إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: «وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدرت عليه لبناً غزيراً²».

وقد كان لابن مسعود رضي الله عنه الأثر البارز في تاريخ الإسلام، وأدوار بارزة من أحداثه العظام، التي غيرت وجه العالم، وما ذلك إلا جراء المنهج النبوي العظيم في حسن التربية والتعليم والتركية والإرشاد، وقد ألقى النبي صلى الله عليه و سلم في روع ابن مسعود منذ اللقاء الأول روح الإيجابية والبنوع، حين قال له: " إنك غلام معلم " كما مر معنا في الحديث.

¹ ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (14 / 432)، رقم الحديث: (6504)، الطبراني، المعجم الكبير : 76/7، رقم الحديث : 8455 . وأحمد، المسند : (7 / 416- 417). رقم الحديث : 4412، وابن أبي شيبه المصنف: (11/414 . 415)، رقم الحديث (22743)، وصرح في رواية ابن أبي شيبه باسم ابن أبي معيط وأنه عقبه ابن أبي معيط . قال شعيب الأرنؤوط محقق المسند : إسناده حسن .

² ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: الصفحة (407). ترجمة عبد الله بن مسعود . ض . تحت رقم (1391).

المبحث السادس: الخدمة الاجتماعية المدرسية في ضوء السنة النبوية.

المطلب الأول: السنة النبوية وحثها على العناية بطلبة العلم.

رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء إلى أعلى المقامات، لما للعلم من أثر في تعريف الإنسان بربه، وأمور دينه و دنياه، وتعريفها بقوم السبل للعمارة الأرض التي استخلفه الله فيها ولا تستقيم الحياة الاجتماعية للإنسان إلا بالعلم النافع و العمل الصالح، وعليه فإن حملة العلم هم مصابيح الدجى وأنوار الهدى، والعناية بأهل العلم عناية بالأمة جمعاء في حاضرها ومستقبل أيامها، وخدمة أهل العلم وطلبتهم، هو خدمة للأمة وحفظ لكرامتها أن تمتهن، وحمية لعرضها أن يدنس، ولذا نجد في الأمم المتحضرة في عالم اليوم تخصص الميزانيات الضخمة للجامعات ومراكز البحوث، والتي تبلغ في بعض الدول كأمریکا حجم ميزانية دولة من دول العالم الثالث. جاء في مجلة البيان: «يبلغ نصيب الطالب المصري من ميزانية التعليم في العام الدراسي الواحد 129.6 دولاراً، ويبلغ مثيله في تونس 289.5 دولاراً وفي السعودية 1337 دولاراً، بينما في الدول الغربية مثل الولايات المتحدة يبلغ نصيب الفرد من ميزانية التعليم 4763 دولاراً، وفي اليابان يبلغ 6959 دولاراً¹».

بمقدار ما تدرك أمة من الأمم وقادتها أهمية العلم في حياتها و مستقبل أيامها، تزداد العناية بأهله ماديا ومعنويا، وكلما ضعف إدراك أهمية العلم بسبب الجهل والفساد في المسؤولين وأولياء الأمور، كلما نقصت العناية بالعلم والعلماء، وقديما عندما كانت أمتنا الإسلامية بخير ورائدة في ميدان الحضارة آخذة بزمام المبادرة، كانت مكانة العلماء مرموقة لا تدانيها مكانة وفي هذا الصدد يقول الإمام الجويني رحمه الله: «فأما إذا كان سلطان الزمان لم يبلغ مبلغ الاجتهاد فالتبوعون العلماء والسلطان نجدتهم وشوكتهم وقوتهم ويدرقتهم² فعالم الزمان في المقصود الذي نحاوله والغرض الذي نزاوله كني الزمان والسلطان مع العالم كملك في زمان النبي مأمور

¹ أحمد فهمي، مرصد الأحداث، مجلة البيان، العدد 160، الصفحة 96 .

² أي حارسهم . ينظر تعليق المحقق على الغياثي: الصفحة 275.

بالانتهاء إلى ما ينهيه إليه النبي»¹ وفي السنة النبوية جملة من الأحاديث ترفع من شأن طالب العلم، وترغب في طلب العلم لأنه المصدر الوحيد لعزة الأمة ومنعتها نذكر شطرا منها:

- عن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيبا قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، و الله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»²

- عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»³

- وعن قيس بن كثير⁴ قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يتبغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»⁵.

¹ الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم : الصفحة 275 .

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري: 1/ 42، رقم الحديث: 71، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين عن معاوية رضي الله عنه .

³ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (1/268)، رقم الحديث (66)، باب ذكر دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن أدى من أمته حديثا سمعه، عن عبد الله بن مسعود، قال الشيخ الأرنؤوط : إسناده حسن والترمذي، سنن الترمذي : 5/ 33، رقم الحديث : 2656، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . و اللفظ لابن حبان .

⁴ ويقال كثير بن قيس، شامي، قال المزي: و هو الصواب، روى عن أبي الدرداء، و عنه داود بن جميل ينظر ابن عساكر تاريخ دمشق : (43/ 42/50)، و المزي، تهذيب الكمال : (149/24). و البخاري ن التاريخ الكبير : (208/7).

⁵ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 5/ 48، رقم الحديث: 2682، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة . قال الترمذي : ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل هكذا حدثنا محمود بن خدش بهذا الإسناد، وإنما يروي هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير

- و عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما: سهل الله له طريقا إلى الجنة»¹

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»².

- المطلب الثاني: العناية بالأخلاق والآداب العامة من المعلم والمتعلم في المدارس في ضوء السنة النبوية كخدمة مدرسية.

الفرع الأول: حسن تأديب التلميذ و أثره على التنشئة الاجتماعية.

عقد الكتاني في الترتيب الإدارية بابا مهما في آداب المتعلم التي كانت تراعى في صدر الإسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم و صحبه، نقل بعضها هنا مختصرة لأهميتها، قال رحمه الله : «باب في آداب طالب العلم المنصوص عليها لأهل القرون الأولى ومنها تعلم الآداب المعروفة لطالب العلم في زمن النبوة .عقد لذلك بابا الإمام أبو نعيم في آداب المتعلم ذكر فيه أموراً :

أولاً :ملازمة السواك¹ وهو أول ما ندب إليه من هذه الخصال قال مانصه وليعلم انه لا يخلوا إذا عشي المجالس من مجالسة العلماء ومخاطبة الحكماء ومذاكرة المتعلمين ومجادلة المخالفين

بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أصح من حديث محمود بن خداش، وأسمحمد بن إسماعيل هذا أصح، قلت: وحديث الوليد بن جميل أخرجه : ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان :

(289/ - 290) ، رقم الحديث : (88) كتاب العلم ، ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل أبو داود سنن أبي داود : الصفحة (403)، رقم الحديث : (3641)، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم. قال الحافظ =

= ابن حجر في الفتح (160/1) حسنه حمزة الكتاني، قلت: وقال الألباني في صحيح الترغيب و التهيب: الصفحة : (93) حسن لغيره . وعبارة: " إن العلماء ورثة الأنبياء... " بوب بها البخاري في صحيحه في كتاب العلم (41/1)

فقال : باب العلم قبل القول و العمل...، و لم يصرح البخاري بكونه حديث. قاله ابن حجر: (160/1)

¹أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (284/1)، رقم الحديث: (84)، ذكر تسهيل الله جل وعلا طريق الجنة على من يسلك في الدنيا طريقا يطلب فيه علما ، و الترمذي، سنن الترمذي : 28/5 ، رقم الحديث 2646 ، كتاب العلم ، باب فضل طلب العلم .عن أبي هريرة رضي الله عنه قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرطهما.

²أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : 29/5 ، رقم الحديث : 2647 ، كتاب العلم ، باب فضل طلب العلم، و البزار مسند البزار : (130/13) ، و الطبراني في المعجم الصغير : (234/1) قال الإمام الترمذي : هذا حديث حسن

غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه .قال الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب و التهيب: حسن لغيره .

فليتعاهد نفسه بما يصلحه ويزينه وليبدأ بالسواكفليزمه وخرج لذلك عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يستاكون فقال: **لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الصلاة**².

ثانيا - قص أظفاره إذا طالت...

ثالثا : تنقية براحمه...

رابعا : اغتساله مهما أحس من نفسه ريحا أو عرقا يتأذى به...

خامسا: أخذه من شاربه إذا طال...

سادسا : تسكينه من شعره إذا كان ذا شعر...

سابعا: أن لا يغفل الترجل والتدهن...

ثامنا : اجتهاده في نظافة ثوبه وحرزه من الوسخ...

تاسعا: أن يمس من الطيب إذا وجد إليه سبيلا...

عاشرًا: اجتنابه للطعام الذي فيه رائحة كريهة...

حادي عشر: غسله ليده إذا أكل زهيمًا ليلاً يؤذي محاذيه، لما رواه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من أكل من هذا اللحم شيئًا فليغسل يده [من ريح] وضره، لا يؤذي من يحاذيه [حذاءه]**³».

¹ و في الدول المتقدمة اليوم يوفرون وسائل غسل اليدين، و الأسنان، في دورة المياه لما للنظافة و السواك من فوائد صحية تعود على التلميذ بأكبر نفع .

² الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني، المعجم الكبير : 64 / 2 ، رقم الحديث : 1301 ، عن تمام بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما و اللفظ المشهور للحديث: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك " أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : 283/1 ، رقم الحديث : 887، كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة ، من طريق مالك به، و مالك الموطأ: (112/1)، كتاب الصلاة، ما جاء في السواك. من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة و مسلم، صحيح مسلم: الصفحة : 127 رقم الحديث : 252، كتاب الطهارة ، باب السواك ، من رواية سفيان عن الأعرج كإسناد مالك ، زاد مسلم من طريق سفيان، عند كل صلاة . و مثل رواية مسلم، أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : 283/1 ، رقم الحديث : 887، كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة ، من طريق مالك به .

³ أخرجه أبو يعلى، مسند أبي يعلى : 418 . 417/ 9 ، رقم الحديث : 5567 . و الطبراني في الأوسط: (146/7) رقم الحديث (7115)، عن الوازع عن سالم عن أبيه مرفوعا . قال محقق مسند أبي يعلى : إسناده ضعيف جدا، الوازع هو ابن نافع . قال ابن معين ليس بثقة ، و قال البخاري منكر الحديث . و قال النسائي متروك . قال الألباني في السلسلة الضعيفة : (66/10) إسناده ضعيف جدا .

ثاني عشر: احترازه من اشتغال العالم أو جليسه بالجشاء بل يكظمه لما رواه عن ابن عمر أن رجلاً جشياً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كف عنا جشاءك»¹.

ثالث عشر: أن لا يلبس من الثياب ما لا يجوز لبسه...

رابع عشر: أن يلبس ما ابيض من الثياب فإنه مستحب لأهل العلم...

خامس عشر: أن يعتنق ما لا يزين لأهل العلم...

سادس عشر: أن يعتني بحفظه لصحته ليستعين بها على طلب العلم والتحصيل، وذكر أبو نعيم من ذلك أموراً من ذلك: اجتنابه لما يخل قوة الفهم والحفظ ويعود بضعف في النفس أو البدن وتعاوده إخراج الدم وشرب الدواء واستعانته على تقوية بصره بالجلوس على الخضر والماء الجاري وتهذيب بدنه بترك ما يورث السمن وترك التملّي [الامتلاء] من الطعام والشراب ليلا يقطع عن الدرس ثم استدلل لكل أدب من هذه الآداب فراجع كلامه الذي لخصه ابن الأزرق² في روضة الأعلام فإنه أحلى من العسل وألذ من الماء البارد على الظمأ وعلى قدر اطلاع المتنور على ما يقال الآن عن المسلم وطالب العلم من أهله يكثُر فرحه بهذه الآداب الإسلامية التي كانت رائجة في ذلك الزمن النبوي ويتهج بما سقناه لأنه بذلك يعلم أن دينه وتعاليمه سبق التعاليم إلى الخضر والنظافة والرقي والاعتناء بحفظ الصحة والاقتصاد النافع»³.

الفرع الثاني: آداب المعلم و وقعها في نفسية التلميذ.

«على الآباء والأمهات أن يعلموا أن أمر التربية ليس بالأمر اليسير، وإنما هو المحرك الأساسي لسلوك الولد فيما بعد، ولذا كان يجب على المربين سواء كانوا آباء أو أمهات أو معلمين أن يهتموا بأمر التربية ويتقنوا أصولها، ولقد كان المسلمون الأوائل ينتقون لأولادهم أفضل المؤدبين علماءً وأحسنهم خلقاً، وأميزهم أسلوباً وطريقة... روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: " ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (649/4)، رقم الحديث: (2478)، كتاب صفة القيامة، باب . قال الألباني في السلسلة الصحيحة : (672/1) : حديث صحيح .

² تقدمت ترجمته الصفحة :

³ الكتاني التراتيب الإدارية (2 / 222 - 223 - 224) . بتصرف

سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهدهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ولا تتكلن على عذر مني، فإني اتكلت على كفاية منك" ¹ .

وينبغي أن يحسن المعلم معاملة التلاميذ من خلال تقديرهم و الشاء على الناجحين منهم و المبادرة إلى إلقاء السلام عليهم، قال الإمام عبد الحي الكتاني: وترجم البخاري في الأدب المفرد باب السلام على الصبيان فأسند إلى ابن عمر: " أنه كان يسلم على الصبيان في المكتب" والتلميذ إنما يأخذ القدوة وحسن السميت من معلمه، فكلما كان المعلم مراعيًا لأهمية هذا الجانب - القدوة الحسنة - على التلميذ؛ كلما بذل جهدًا أكثر في تلقينه الآداب عن طريق عن طريقها والتطبيق العملي على أرض الواقع. وقد ضرب سلفنا أروع الأمثلة في تلقين الآداب والأخلاق قبل المعارف والعلوم.

¹ بالي وحيد عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح: الصفحة (32 - 33).

المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية المقدمة للمتعلم وأثرها في التحصيل العلمي .

- الفرع الأول : خدمة الإطعام للطالب في ضوء السنة النبوية .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: 62]. قال ابن الملقن: قال الشعبي: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمةً تنفعه فيما بقي من عمره، لم أر سفره يضيع، وقيل في قوله تعالى: ﴿ أَوْ أَمْضَى حُقُبًا ﴾ [الكهف: 60] جمع حقب وهو ثمانون سنة.¹

ومن المؤكد أن توفير الخدمات الضرورية للمتعلمين كباراً وصغاراً دلت عليه نصوص كثيرة في السنة النبوية، لما للخدمة من أثر في مساعدة الطالب على تحصيل العلوم والمعارف سواء كانت غذاءً أو لباساً أو مبيتاً أو علاجاً.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرف شخصياً على أهل الصفة، وهي أول مدرسة في الإسلام، كانت تضم فقراء المهاجرين، والمنقطعين لطلب العلم ممن لا بيت يؤويه، فكان يتولى إطعامهم وكسوتهم وتلبية حاجاتهم، وهذه السنة النبوية تعتبر سبقاً في ميدان الخدمة الاجتماعية للطالب، ففي الحديث عن أبي هارون العبدى قال: «كنا نأتي أبا سعيد، فيقول: مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: إن الناس لكم تبع، وإن رجلاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»².

¹ ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح : 405 / 3 .

² أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : 30/5، رقم الحديث : 2650، كتاب العلم، باب ما جاء في الاستيلاء بمن يطلب العلم . قال الترمذي بعده: قال علي: قال يحيى بن سعيد: كان شعبة يضعف أبا هارون العبدى، قال يحيى بن سعيد: ما زال ابن عون يروي عن أبي هارون العبدى حتى مات وأبو هارون اسمه عمارة بن جوين. قال يحيى بن معين: «قد رواه ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد مثله»، فقال رجل ليحيى: (هذا أيضاً ضعيف مثل أبي هارون)، قال: «لا، هذا أقوى من ذلك وأحسن». حدثناه ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن ليث. ينظر: ابن الجنيدي، سؤالات ابن الجنيدي ليحيى بن معين: الصفحة 276 . قلت أبو هارون العبدى معروف ضعفه لكن من حديثه ما يعتبر به خصوصاً إذا كان من رواية سفيان و شعبة عنه، و هنا الترمذي أخرجه من رواية سفيان الثوري عنه . قال يحيى بن معين: «وسئل عن أبي هارون العبدى، فقال: «هو عمارة بن جوين، خارجي مرة، وشيعي مرة، يصلح أن يعتبر بما يرويه عنه الثوري، والحمادان». فقف على حسن صنيع الترمذي . ينظر : سؤالات السلمى للدارقطني : الصفحة : (265).

وفي رواية: عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً، قال: وكان أبو سعيد إذا رآنا قال: مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم».

قال المباركفوري: «يقال استوصيت زيدا بعمرو خيراً أي طلبت من زيد أن يفعل بعمرو خيراً¹» ويشمل الوصية بالمتفقهين في الدين، الوصية بكل طالب للعلم النافع للأمة في أمر دينها و دنيها وكل ما يسهم في رفع مستواها الحضاري بين الأمم، ويعزز مكائنها تشمل الخدمات كل ما يساعد الطالب على التحصيل العلمي، ثم إن تطوير الخدمات يدخل تحت الوصية النبوية وكلما كانت الخدمات ميسرة للطالب كان مردوده أفضل.

الفرع الثاني: العطلة المدرسية كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.

وقع في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة»²، وفي الحديث: «روحوا القلوب ساعة فساعة»³. وفي مسند الشهاب: عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها يا رسول الله قال تلاوة القرآن»⁴ وعليه فإن الاستراحة أو العطلة موجود أصلها في السنة النبوية من خلال ما دعت إليه السنة من الراحة ساعة فساعة لتجدد طاقة التلميذ، ومن خلال منحه وقتاً للاستراحة فالدراسة المستمرة لا شك أنها تؤثر على طاقة التلميذ الاستيعابية و قدرته على تخزين المعلومات التي يتلقاها .

وقد «سئل الأستاذ الكبير الشيخ المختار الكنتي⁵ عن الأصل في ترك المعلم للصبي قراءة الخميس والأربعاء والجمعة، فأجاب: بأن الصحابة كانوا قبل ولاية عمر إنما يقرئ الرجل ابنته وأخاه

¹ المباركفوري، تحفة الأحوذى: (7 / 342).

² أخرجه مالك، الموطأ: 1(173)، كتاب الصلاة، ما جاء في صلاة الليل، عن إسماعيل بن أبي حكيم، بلاغاً

³ الهندي، كنز العمال: (37/3). و عزاه لأبي بكر المقرئ في فوائده، و القضاعي عنه، عن أنس .

⁴ القضاعي، مسند الشهاب: 2/199. رقم الحديث: (1178).

⁵ هو أبو الفضل المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي من شنقيط، له من الكتب: الروض الخصب بشرح نفع الطيب في الصلاة على النبي الحبيب، و الكنتي نسبة إلى زاوية الكنت، و في الأعلام المراكشية حديث عن الكنتيين يستفاد منه انتسابهم الى عقبه بن نافع الفهري الصحابي الفاتح، أو عقبه بن عامر بن عبد الله، من أبنائه العالم الفقيه =

الصغير ويأخذ الكبير عن الكبير مفاهمة لسيلان أذهانهم، فلما كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم و أهلالبوادي وكثر الولدان، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم وكانوا يسرمدون [أي دون انقطاع] القراءة في الأسبوع كله، فلما فتح عمر الشام، ورجع قافلا للمدينة، تلقاه أهلها ومعهم الصبيان، وكان اليوم الذي لاقوه فيه يوم الأربعاء، فظلوا معه عشية الأربعاء ويوم الخميس و صدر يوم الجمعة، فجعل ذلك لصبيان المكاتب، وأوجب لهم سنة للاستراحة، ودعا على من عطل هذه السنة، ثم اقتدى به السلف في الاستراحاتالمشروعة إلى يومنا هذا، وهي يوم النحر وثلاثة بعده ويوم الاثنين سرورا بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وثلاثة قبل المولد وثلاثة أيام بعده ويوم المولد كانوا يسمونها التحميمات «ه»¹.

= محمد بن المختار الكنتي، له تصانيف منها الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد و الوالدة ، و هداية الطلاب توفي رحمه الله 1226 . بتصرف من كتاب : الزركلي ، الأعلام : 92 / 7 .
¹ الكتاني، التراتيب الادارية : 200/2 .

الفصل الثاني

الخدمة الاجتماعية العامة

وخدمة الأزمات

وفي ضوء السنة النبوية

تمهيد: تنقسم الخدمات الاجتماعية من حيث المصدر إلى قسمين هما:
- الخدمات الاجتماعية التي مصدرها الدولة: وهي تلك الخدمات التي توجه للفرد أو للجماعة أو المجتمع. ومن أمثلة الخدمات العامة التي تؤديها الدولة: السكن، التعليم، الصحة، النقل، التأمينات الاجتماعية، وكافة المرافق العامة (مياه الشرب، المجاري المائية، الطرق، الغاز الكهرباء، الهاتف).
و تختلف فلسفتها و مستواها حسب مالية الدولة و حدود إمكانياتها .
- الخدمات الاجتماعية التي مصدرها الأفراد: وتقوم بدافع من المجتمع سواء كانوا أفرادا أم جماعات أو هيئات، وذلك للوصول بالأمة إلى حياة أفضل .

كما تنقسم الخدمات الاجتماعية من حيث نوع الشخص المقدمة له إلى قسمين هما :

- الخدمات الاجتماعية العامة وهي التي تقدم للأسوياء¹ وهي غرضنا في هذا الفصل هو:

أولا : الخدمة التي تقدم لكافة أفراد المجتمع دون استثناء و يستفيد منها الجميع.

ثانيا : خدمة الأزمة. وهي الأمر المؤلم والمكروه وغير المناسب المفاجئ الذي يحل بالجماعة الإنسانية، ويتطلب المساعدة والإسعاف و الإرشاد و التوجيه على تجاوز الأخطار الناجمة عنه .

كما أن خدمة الأزمة هي الخدمة الموجة للمجتمع أثناء الأزمات كالمجاعة أو الكوارث الطبيعية وغيرها ، والملاحظ أيضا أنها عامة توجه لكل شرائح المجتمع ويستفيد منها الجميع لأن الأزمة من زلازل وكوارث وأوبئة تصيب الجميع ولا بد من توجيه الخدمة للجميع وسنحاول أن نتعرف على الهدي النبوي في الخدمات العامة التي تقدم للمجتمع.

¹ زرواتي رشيد، مدخل إلى الخدمة الاجتماعية : الصفحة : 47 ، بتصرف .

المبحث الأول: الخدمات الاجتماعية العامة وأهميتها في منظور السنة النبوية.

المطلب الأول: الإطعام وسقي الماء وفضلهما كخدمة اجتماعية عامة من منظور السنة.

الفرع الأول: فضل سقي الماء في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

الماء هو الحياة فلا حياة بلا ماء، ومن فجر التاريخ كانت إقامة الإنسان حيث تتوفر مصادر الماء من أحواض وأنهار و بحيرات، وقد قامت الحضارات الأولى على مياه الأحواض والأنهار الكبرى كحضارة الأشورية والحضارة الفرعونية وغيرها من الحضارات، وكانت شبه الجزيرة العربية قد غلب عليها المناخ الصحراوي لتاريخ طويل لا تعلم بدايته، وعليه كانت طبيعة الحياة العربية طبيعة قاسية قلت فيها موارد المياه وكانت الآبار وبعض الواحات الملجأ الذي يلجأ إليه من يعيش في الصحراء كما أنه كانت هناك آبار معروفة في طرق التجارة وأماكن الظعن لرعي الأنعام، وبالمجمل فقد كان الماء ولا يزال أمراً عزيزاً له المكانة الأولى حتى أنه من أجله كانت تقوم الحروب، وأول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، التي هي قاعدة الدولة الإسلامية، اهتم بأمر توفير الماء للمسلمين، فكان يحثهم على بذل الماء و توفيره، كما أنه صلى الله عليه و سلم جعل منع فضل الماء كبيرة من كبائر الذنوب و جريمة أخلاقية ، وكان عليه الصلاة و السلام يؤكد على الأجر العظيم الذي يناله من يقوم بتوفير الماء للمسلمين، وقد كانت بعض الآبار ملكاً لأصحابها من غير المسلمين فحث النبي صحابته الكرام على تسهيل الماء، فاشترى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بئر رومة¹ وكان مأواها عذبا وسبلها للمسلمين، فعن الأحنف

¹قال الحموي : بئر رومة : بضم الراء وسكون الواو وفتح الميم وهي في عقيق المدينة. قال اليعقوبي: «ولها [المدينة المنورة] أربعة أودية، يأتي ماؤها في وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بني سليم، على مقدار عشرة فراسخ من المدينة. وهي وادي بطحان والعقيق الكبير والعقيق الصغير، ووادي قناة، فمياه هذه الأودية تأتي في وقت السيول، ثم تجتمع كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى وادٍ يقال له وادي أضم ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير في آبار منها: بئر رومة: وهي حفير بني مازن، وبئر عروة. فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هاتين البئرين وغيرهما من الآبار، التي ليست لها شهرة هاتين البئرين، وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع، تجرها النواضح وهي الإبل التي تعمل في الزرائق. وبالمدينة عيون نابعة معينة، فمنها: عين الصورين، وعين ثنية مروان، وعين الخانقين، وعين أبي زياد وخيف القاضي، وعين برد، وعين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم». ينظر : الحموي ، معجم البلدان (299/1).

بن قيس، قال: **قدمنا المدينة فجاء عثمان**، فقيل: هذا عثمان وعليه **مُليَّةٌ** له صفراء، قد قنع بها رأسه قال: ها هنا علي؟ قالوا: نعم. قال: ها هنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من ابتاع مِرْبَدَ بني فلان غفر الله له"** فابتعته بعشرين ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً؟ فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: قد ابتعته، فقال: **"اجعله في مسجدنا وأجره لك"** قال: فقالوا: اللهم نعم قال: فقال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من يبتاع زُومَةَ غفر الله له"** فابتعتها بكذا وكذا، ثم أتيته، فقلت: قد ابتعتها، فقال: **"اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك"** ؟ قال: فقالوا: اللهم نعم...² الحديث.

«عن أبي هريرة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«بيننا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملاً خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً قال: في كل كبد رطبة أجر»**³

- و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : **«أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له، فسقته، فغفر لها»**⁴.

¹ تصغير الملاءة: مُليَّةٌ. ينظر ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (404/2) .

² أخرجه ابن خزيمة ، صحيح بن خزيمة : (119/4 - 120) رقم الحديث : 2487 ، جماع أبواب الصدقات و المحبسات، باب إباحة حبس آبار المائة . و ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان: (362 /15) رقم الحديث : 6920 ، باب ذكر مغفرة الله جل و علا لعثمان بن عفان رضي الله عنه بتسييله رومة، عن الحنف بن قيس . قال الشيخ ناصر الدين الألباني : صحيح لغيره . ينظر : الألباني، صحيح موارد الضمان : (349/2 - 350).

³ أخرجه ، البخاري، الجامع الصحيح: (165/2)، رقم الحديث (2363) ، كتاب الشرب و المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، و مسلم ، صحيح مسلم :الصفحة (1068)، رقم الحديث : (2244) ، كتاب السلام ، باب فضل سقي البهائم المحترمة و إطعامها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، و اللفظ للبخاري .

⁴ مسلم ، صحيح مسلم : (1068 - 1069) ، رقم الحديث: (2245) ، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة و إطعامها، وابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان : (110 /2 - 111) ، رقم الحديث : (386) كتاب البر و الإحسان، باب ذكر الخبر الدال على أن الكبائر الجليلة قد تغفر بالنوافل القليلة، عن أبي هريرة رضي الله عنه. و اللفظ لابن حبان ، و عند مسلم: **" فنزعت له بموقها "**.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: « حسبك بهذا فضلا في الإحسان إلى الكلب فأين قتله من هذا¹ ». والحديث وإن كان في سقي الحيوان فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى فإذا كان أجر سقي الحيوان بهذه المثوبة، فكيف يكون أجر سقي الإنسان، خصوصا من كانت حاجته للماء أشد كالمسافر والمنقطع. وهذا الحديث الشريف يدل على مدى اهتمام النبي صلى الله عليه و سلم بتعليم أصحابه بالقصة ذات الهدف النبيل، ومدى أثر هذا القصص النبوي الشريف في نفوس المؤمنين، ومنه نعلم مدى أثر التربية بالقصة على ترسيخ خلق الخدمة الاجتماعية في نفسية المجتمع فيصبح ثقافة وممارسة اجتماعية، وستتكلم عنها إن شاء الله في الفصل الرابع بحول الله.

وهذا الفضل العظيم في الإحسان إلى الكلب فما بالك بالإحسان إلى الإنسان الذي هو أشرف خلق الله، و عليه فإن كل مجهود يبذل في توفير الماء و العناية بسلامته من التلوث والأمراض بأنواعها، والعناية بأنابيب نقل المياه، و السهر على توفير الماء للمواطنين فيه أجر عظيم للإنسان، و كذا هناك أجر عظيم للمتصدق بالماء و باذل الماء، و هنا نجد أبوابا كثيرة في كتب الحديث في فضل سقي الماء .

قال الإمام أبو داود في سننه: باب فضل سقي الماء. وأخرج بسنده: عن سعيد [بن المسيب]، أن سعدا [بن عبادة] أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أي الصدقة أعجب إليك، قال: الماء²». وفي لفظ آخر: " عن سعد بن عبادة، أنه قال: يا رسول الله، إن أم سعد ماتت فأبي الصدقة أفضل ؟ قال: "الماء"، فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد³». ولا يخفى أن توفير الماء وبذله للناس ليس فقط للشرب، وإنما يتناول الحديث: سد كل الاحتياجات التي تتطلب الماء ولو لسقي المحاصيل، ولا يخفى ما للري من فائدة عظيمة تعود على مجموع الأمة في كفايتها الغذائية وأمنها الغذائي.

¹ ابن عبد البر : التمهيد : 232/14 .

² أخرجه الحاكم، المستدرک : (414)، وأبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : (197)، رقم الحديث : (1679) كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء. عن سعد بن عبادة رضي الله عنه. قال العيني في شرح سنن أبي داود : 432 / 6 : "والحديث منقطع لأن سعيد بن المسيب لم يدرك سعداً". و قال الألباني في صحيح أبي داود : مرسل صحيح

³ أخرجه أبو داود سنن أبي داود : الصفحة : (197 - 198) الحديث رقم : (1681) . الباب نفسه . عن سعد رضي الله عنه وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقال الذهبي غير متصل.

قال الإمام العيني رحمه الله في شرح أبي داود: «قوله: " الماء " أي: التصدق بالماء، وهو أعم من أن يعطيه للشرب، أو لسقي دوابه، أو التوضؤ، أو نحو ذلك من الوجوه، وترجمة الباب في السقي¹».

وكما أسلفت الذكر أن من يوفر مياه الشرب عن طريق الطرق المعاصرة، فهو معروف يعد في ميزان الحسنات، وقد يظن من يشرف على توزيع المياه للناس أنه في عمل عادي؟ كلا، النبي صلى الله عليه وسلم أعطى لكل نشاط اجتماعي يقدم للمجتمع حظه من الأجر والثوبة ففي حديث: عن «أبيذرأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «يا أبا ذر لا تحقرن من المعروف شيئا و لو أن تلقى أخاك بوجه منبسط و لو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي²».

ففي هذا الحديث بيان أن كثيرا من الأعمال التي نراها يسيرة لكن أجورها كبيرة عند الله تبارك وتعالى، فصب الماء في إناء المستسقي نراه عملا بسيطا لكن فيه الدلالة على أخلاق اجتماعية راقية منها: روح التعاون والمحبة والتقدير في المجتمع ورأسها، خلق البذل والعطاء، فانظر إلى أي عمل صالح ولو يسيرا رتبت عليه السنة النبوية أجرا؛ ستجد أن في ذلك العمل الكثير من الفضائل التي اعتبرتها الشريعة أساسا لصالح الاجتماع الإنساني، والشريعة الإسلامية جاءت لتكامل الفضائل في الإنسان، وتهذيب روح الأثرة فيه. بتعويده وتدريبه على خلق العطاء بدء من إناء الشرب إلى ما هو أعلى منه.

وفي فضل سقي و توفيره أحاديث نبوية عدة نذكر منها :

¹ العيني، شرح سنن أبي داود : (6 / 432).

² البيهقي ، شعب الإيمان : (3 / 220) ، رقم الحديث (3376) ، كتاب فصل في إطعام الطعام و سقي الماء ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، أخرج قريبا منه في اللفظ أحمد ، مسند الإمام أحمد : (34 / 236) رقم الحديث : (20633) عن أبي جري الجهيمي : قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئا ينفعنا الله تبارك وتعالى به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي... الحديث وهناك عبارات منه في الصحيح منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه : (2 / 1214) ، رقم الحديث : (2626) ، كتاب البر والصلة جزءا منه عن أبي ذر وهي قوله عليه السلام : " لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " وكذا ابن حبان في صحيحه (2 / 287) رقم الحديث : (529) : عن أبي ذر في حديث في حديث طويل ؛ منه عبارة : وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة. وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح . وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة (3 / 337).

- فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم»¹
- وعنه إياس بن عبد المزني رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن بيع الماء»²

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الماء»³.

قال ابن عبد البر: بإسناده عن «الشافعي قال: معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الماء، وعن بيع فضل الماء، وأنه نهى عن منع فضل الماء، هو والله أعلم، أن يباع الماء في المواضع التي جعله الله فيها، وذلك أن يأتي الرجل الرجل له البئر، أو العين، أو النهر، ليشرب من مائه ذلك وليسقي دابته وما أشبه هذا، فيمنعه ذلك، فهذا هو المنهي عنه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا يمنع فضل الماء"، "وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء"⁴ فمعنى ذلك أن يأتي الرجل بدابته وماشيتته إلى الرجل

¹ أبو داود سنن أبي داود : الصفحة : (198) رقم الحديث : (1682)، باب فضل سقي الماء .و أحمد مسند الإمام أحمد : (166/17) رقم الحديث : (11101) ، و البيهقي في السنن الكبرى : (185/4) عن أبي سعيد رضي الله عنه و قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود : (135/2): إسناده ضعيف .

² أخرجه النسائي، سنن النسائي: الصفحة (482) ، رقم الحديث : 4661، كتاب البيوع ، بيع فضل الماء والترمذي، سنن الترمذي : (562/3)، رقم الحديث : (1271)، كتاب البيوع باب ما جاء في بيع فضل الماء أخرجه أبو داود : سنن أبي داود : الصفحة (378) ، رقم الحديث : () ، أبواب الإجارة، باب في بيع فضل الماء و ابن ماجة ، سنن ابن ماجة : (828/2)، رقم الحديث : (2478) جميعهم عن إياس بن عبد، رضي الله عنه. قال الترمذي : حديث إياس حديث حسن صحيح و صححه الألباني في صحيح سنن النسائي : (253/3) .

³ أحمد ، المسند : (137/23) أخرجه النسائي : سنن النسائي : (482) ، رقم الحديث : 4660، كتاب البيوع باب بيع الماء و و ابن ماجة ، سنن ابن ماجة : (828/2)، رقم الحديث : (2478) ، عن جابر رضي الله عنه قال شعيب الرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم و أخرجه مالك الموطأ : (289/2) ، رقم الحديث : (2169) كتاب الأفضية ، القضاء في المياه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁴ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود : الصفحة (387)، رقم الحديث (3473)، أبواب الإجارة ، باب في منع الماء، الترمذي ، سنن الترمذي : (563/3)، رقم الحديث : (1272)، كتاب البيوع باب ما جاء في بيع فضل الماء، و ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (329/11 - 330) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال شعيب الرناؤوط =

له البئر وفيها فضل عن سقي ماشيته فيمنعه صاحب البئر السقي يريد بيع فضل مائه منه فذلك الذي نهي عنه من "بيع" فضل الماء وعليه أن يبيع غيره فضل مائه ليسقي ماشيته لأن صاحب الماشية إذا منع أن يسقي ماشيته لم يقدر على المقام ببلد لا يسقي فيه ماشيته فيكون منعه الماء الذي يملك منعا للكلاً الذي لا يملك. ودلت السنة على أن مالك الماء أحق بالتقدم في السقي من غيره لأنه أمر بأن لا يمنع الفضل، والفضل هو الفضل عن الكفاف والكفاية.

ودلت السنة على أن المنع الذي ورد في فضل الماء هو: منع شفاه الناس، والمواشي، أن يشربوا فضلاً عن حاجة صاحب الملك، من الماء، وأن ليس لصاحب الماء منعهم.

وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك متفقة تفسرها السنة المجتمع عليها وإن كانت الأحاديث بألفاظ شتى قال وإن كان هذا في ماء البئر كان فيما هو أكثر من ماء البئر أولى أن لا يمنع من الشفة قال ولو أن رجلاً أراد من رجل له بئر فضل مائه من تلك البئر ليسقي بذلك زرعاً لم يكن له ذلك وكان لمالك البئر منعه من ذلك لأن النبي

صلى الله عليه وسلم إنما أباحه في الشفاه التي يخاف مع منع الماء منها التلف عليها ولا تلف على الأرض لأنها ليست بروح فليس لصاحبها أن يسقي إلا بإذن رب الماء¹، قال: وإذا حمل الرجل الماء على ظهره فلا بأس أن يبيعه من غيره لأنه مالك لما حمل منه وإنما يبيع تصرفه بحمله قال وكذلك لو جاء رجل على شفير بئر فلم يستطع أن ينزع بنفسه لم يكن بأساً أن يعطي رجلاً أجراً وينزع له لأن نزعه إنما هو إجارة ليست عليه هذا كله قول الشافعي.

... وكره مالك بيع فضل ماء مثل هذه الآبار من غير تحريم قال: ولا بأس ببيع فضل ماء الزرع من بئر أو عين وبيع رقابهما، قال: ولا يباع أصل بئر الماشية، ولا ماؤها، ولا فضله، يعني الآبار

= إسناده صحيح على شرط الشيخين . قال ابن حبان في صحيحه بعد ذكره الحديث : «أضمر فيه الماء الذي لا يقع فيه الحوز ولا يمتلكه أحد ما دام مشاعاً مثل المياه الجارية المشتركة بين الناس ويحتمل أن يكون معناه الذي يكون للمرء في البادية من بئر أو عين فينتفع به ويمنع الناس ما فضل عنه فنهى عن منع المسلمين ما فضل من مائه بعد قضاء حاجته عنه لأن في منعه ذلك منع الناس عن الكلاً» .

¹ و قال ابن حبيب من المالكية : «الفضل في الزرع مباح، كالفضل في الشفة» ينظر : ابن العربي ، المسالك في شرح موطأ مالك : 44 / 6 .

التي تحفر في الفلاة للماشية والشفاه، وأهلها أحق بريهم ثم الناس سواء في فضلها إلا المارة أو الشفة أو الدواب فإنهم لا يمنعون.¹

قال الإمام المباركفوري: «وفيه دليل على تحريم بيع فضل الماء والظاهر أنه لا فرق بين الماء الكائن في أرض مباحة أو في أرض مملوكة وسواء كان للشرب أو لغيره وسواء كان لحاجة الماشية أو الزرع وسواء كان في فلاة أو في غيرها وقد خصص من عموم أحاديث المنع من البيع للماء ما كان منه محرزا في الآنية لأنه يجوز بيعه قياسا على جواز بيع الحطب إذا أحرزه الحاطب لحديث الذي أمره صلى الله عليه و سلم بالاحتطاب ليستغني به عن المسألة وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة، وهذا القياس بعد تسليم صحته إنما يصح على مذهب من جوز التخصيص بالقياس والخلاف في ذلك معروف في الأصول² ولكنه يشكل على النهي عن بيع الماء على الإطلاق ما ثبت في الحديث الصحيح من أن عثمان رضي الله عنه اشترى نصف بئر رومة من اليهودي وسبها للمسلمين بعد أن سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول من اشترى بئر رومة فيوسع بها على المسلمين وله الجنة وكان اليهودي يبيع ماءها الحديث

فإنه كما يدل على جواز بيع البئر نفسها وكذلك العين بالقياس عليها يدل على جواز بيع الماء لتقريره صلى الله عليه و سلم لليهودي على البيع ويجاب بأن هذا كان في صدر الإسلام وكانت شوكة اليهود في ذلك الوقت قوية والنبي صلى الله عليه و سلم صالحهم في مبادي الأمر على ما كانوا عليه ثم استقرت الأحكام وشرع لأئمة تحريم بيع الماء فلا يعارضه ذلك التقرير وأيضا الماء هنا دخل تبعا لبيع البئر ولا نزاع في جواز ذلك انتهى كلام الشوكاني ملخصا»³.

¹ ابن عبد البر، التمهيد : 128 / 13 و ما بعدها .

² الذي يتبين للناظر من الأقوال التي جمعها علماء الأصول في المسألة هو: جواز التخصيص بالقياس الجلي عند عامة الأصوليين فإذا كان القياس جليا، أما التخصيص بالقياس الخفي فالخلاف فيه قوي. قال الشيخ أبو حامد الإسفرائيني فيما نقله عنه الشوكاني في إرشاده: «القياس إن كان جليا مثل (فلا تقل لهما أف) جاز التخصيص به بالإجماع ، و إن كان واضحا و هو المشتمل على جميع معنى الأصل، كقياس الربا، فالتخصيص به جائز في عامة قول أصحابنا ... و إن كان خفيا و هو و هو قياس علة الشبه فاكثر أصحابنا انه لا يجوز التخصيص به . قال الأستاذ أبو منصور ن و الستاذ أبو إسحاق: أجمع أصحابنا على جواز التخصيص بالقياس الجلي و اختلفوا في الخفي على وجهين ، و الصحيح الذي عليه الأكثرون جوازه » ينظر الشوكاني ، لإرشاد الفحول : (692/2 - 693). و الرازي، المحصول : (96/3).

³ المباركفوري، تحفة الحوذني بشرح جامع الترمذي: 491/4 .

- ومثله ما أخرجه مالك من حديث عمرة بنت عبد الرحمن، رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يمنع نقع البئر»¹. وفي رواية الحاكم: «عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا يمنع نقع البئر وهو الرهو قال عبد الرحمن: سمعت أبي يقول: أن الرهو أن تكون البئر بين شركاء فيها الماء فيكون للرجل فيها فضل فلا يمنع صاحبه» وفي لفظ عند أحمد: «نهي أن يمنع نقع البئر قال يزيد [ابن هارون راوي الحديث] يعني فضل الماء»².

قال في فيض القدير: «أي فضل مائها لأنه ينتفع به العطش أي يروى وشرب حتى نقع أي روي وقيل النقع الماء الناقع أي المجتمع»³

- عن رجل من المهاجرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثلاثاً، أسمعته يقول: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلاء، والماء والنار»⁴.

¹ أخرجه، مالك، الموطأ: (289/2)، رقم الحديث: 2170، كتاب الأفضية، القضاء في المياه، مرسلًا، ووصله الحاكم في المستدرک (62/2). وابن حبان: (331/11)، وأحمد، المسند: (316/41)، عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها. ² أخرجه الحاكم، المستدرک: (62/2 - 63) وابن حبان، صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان: (331/11)، رقم الحديث: (4955)، وأحمد، المسند: (9/42) رقم الحديث (25087)، عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال أبو حاتم ابن حبان: (332/11): عمرة بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة وكانت من أعلم النساء بحديث عائشة. قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح رجاله رجال الشيخين.

³ المناوي، فيض القدير: (351/5).

⁴ أخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد: (174/38)، رقم الحديث: (23082)، وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة (387)، رقم الحديث: (3477)، أبواب الإجارة، باب في منع الماء، عن أبي خدّاش عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم. وهو عند ابن ماجه، سنن ابن ماجه: (826/2)، رقم الحديث: (2472)، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث، عن ابن عباس رضي الله عنهما: وفيه زيادة "و ثمنه حرام".

قلت: وفي إسناد ابن ماجه: عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس، قال الإمام ابن عدي: "عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب، منكر الحديث". ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال: (232/5)، ترجمة رقم: (1019). و صححه الألباني في إرواء الغليل (8/6) حديث أبي خدّاش عن رجل من المهاجرين. و ضعف حديث ابن ماجه، وكذا ضعف الرواية الأخرى التي فيها لفظ: "الناس شركاء". وهو عند أبي عبيد في كتابه الأموال: (414/1). قال محقق كتاب أبي عبيد أبو أنس بن رجب: فتكون رواية أبي عبيد شاذة.

وفي عصرنا الحاضر يمكننا أن نحمل معنى الحديث: " المسلمون شركاء في ثلاث": في الكلاً ... " على ثروات الطبيعية للأمة والتي تمثل مدخراتها الكبرى:

- من ثروة مائية: وهي ما كان في باطن الأرض، وهي المياه الجوفية، أو الأنهار الكبرى والبحيرات، أو تم جمعها عن طريق السدود، فهي ثروة قومية للأمة والناس فيها شركاء، - أو ثروات باطنية من بترول وغاز وبدائل طاقوية أخرى كالكهرباء والطاقة الشمسية أو الطاقة البديلة وشرح الحديث القدامى عندما تكلموا عن الحطب وغيره، كان ذلك وفق ما في زمانهم .
- أو محاصيل زراعية من الأراضي الزراعية ذات الملكية العامة، و قد كانت أرض السواد في عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمثل نموذجاً مثالياً في الأمن الغذائي للأمة حيث وقفها عمر بن الخطاب على المسلمين

جاء في كتاب فتوح البلدان: «عن عبد الله بن حازم قال: سألت مجاهداً عن أرض السواد فقال لا تشتري ولا تباع. قال: نقول لأنها فتحت عنوة، ولم تقسم، فهي لجميع المسلمين. ... عن سليمان بن يسار قال: أقر عمر بن الخطاب السواد لمن في أصلاب الرجال وأرحام النساء وجعلهم ذمة تؤخذ منهم الجزية ومن أرضهم الخراج، وهم ذمة لا رق عليهم.»¹

فالأولياء الأمور أن يخصصوا أراضي لا تباع ولا تشتري، وتكون ملكاً لكل الأمة، فتكون بمثابة السلة الغذائية، التي تحمي الدولة من الأزمات والتقلبات المفاجئة في الوقت الراهن والذي أصبحت فيه التبعية مشكلاً مؤرقاً للأمم والجماعات تفرض مع سلة الطعام وحبوب القمح. فحمل حديث النبي صلى الله عليه و سلم: " الناس شركاء في ثلاث ... الخ، على هذا المعنى و تفسيره على هذا المنحى يتوافق مستجدات عصرنا فالنار عندنا تطورت ووسائل التزويد بالماء الشروب أيضاً تطورت. يضاف إليه أن مضامين هذا الحديث، تعد مصادر تمويلية هامة للخدمة الاجتماعية، و سنتكلم عن روافد تمويل مؤسسة الخدمة الاجتماعية في الفصل الثالث إن شاء الله .

¹ البلاذري، فتوح البلدان: (371/2).

وجاء في حديث بهيسة¹ عن أبيها² قالت: «استأذن أبي النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل بينه وبين قميصه، فجعل يقبل ويلتزم، ثم قال: يا رسول الله: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال: «الماء»، قال: يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال: «الملح»، قال: يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال: «أن تفعل الخير خير لك»³.

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، لا تستقيم حياته دون مساعدة وارتفاق، فلا يستقل بأموره الحياتية بنفسه فالناس يطلبون منه المساعدة وهو كذلك يطلب مساعدة الآخرين لذلك سأل هذا الصحابي الجليل: "ما الشيء الذي لا يحل منعه؟" فكان الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج مخرج الحال فقال: الماء، والملح وهما من ضرورات الحياة و لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بهذا الجواب استيعاب الممنوعات ولكن أشار إلى الأهم فالأهم على طريقة التنبيه وهو أسلوب نبوي معهود معروف .

– الفرع الثاني : فضل بذل الطعام في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.

الطعام ضرورة من ضرورات الحياة، ولا حياة للإنسان بدونه، وقد امتن الله على الإنسان بأن أكرمه من بين سائر المخلوقات بالطيب من الطعام، ويسر له سبل تحصيله

¹ بهيسة الفزارية، والدها قال ابن عبد البر: يقال له: عمير، قال ابن حبان لها صحبة. قال ابن حجر: بهيسة بالمهملة مصغرة الفزارية لا تعرف من الثالثة. قال ابن الأثير في أسد الغابة: أدركت النبي صلى الله عليه وسلم وروت عن أبيها. ينظر: ابن حجر، الإصابة: (31/8)، وتقريب التهذيب: الصفحة: (744) وابن الأثير، أسد الغابة: (40/7).

² قال الحافظ ابن حجر: أبو بهيسة [وقع في الإصابة: بهية، بالياء المعجمة] بالتصغير الفزاري ذكره أبو بشر الدولابي في الكنى وأورد له من طريق كهمس عن يسار بن منظور عن أبي بهيسة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم ... وذكر ابن عبد البر أن اسم والد بهيسة عمير، قال ابن عبد البر: «عمير والد بهيسة. قالت قال قلت: يا رسول الله، ما الشيء الذي لا يحل منعه ... الحديث». ينظر: ابن حجر الإصابة: (22/7)، و ابن عبد البر، الاستيعاب: الصفحة: (489). ترجمة رقم: (1730).

³ أخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد: (293/25) رقم الحديث (15945)، أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة 197، رقم الحديث: (1669)، كتاب الزكاة باب ما لا يجوز منعه. وفي أبواب الإجارة، الصفحة (387)، رقم الحديث: (3476) باب في منع الماء، و الدارمي، سنن الدارمي: (1705/2)، رقم الحديث (2655)، عن بهيسة عن أبيها. رضي الله عنهم. و الحديث ضعفه الألباني في الإرواء: (6/6). فقال: هذا سند ضعيف، سيار بن منظور و بهيسة مجهولان لا يعرفان.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ [البقرة: 168]

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: 51]

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: 81]

وأثنى الله على من يطعمون الطعام على حبه ابتغاء مرضاته، وذلك لأهمية الطعام في الحياة الإنسانية، فمن أجل الخدمات التي تقدم للإنسان هي ما يسد رمقه، ويقيم بدنه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: 8]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ إِطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: 14-16].

والنبي صلى الله عليه وسلم ذم مانع الطعام البخيل ببذله خصوصاً للقريب، وعده من زمرة الخارجين عن جماعة المسلمين، والحديث وإن خرج مخرج التهديد والذم فلا ريب أن منع الطعام منقصة كبيرة فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس المؤمن من يشبع وجاره جائع إلى جنبه¹».

إن ما تخرجه الأرض من بركات هو كاف للبشرية جمعاء مهما كثر عددها و تضاعف تعداد سكانها، لكن واقع الحال يقول غير ذلك فهناك شعوب لا تجد لقمة العيش فتموت الملايين من جراء المجاعة المتعمدة و التي هي من صنع البشر و من جراء جشع التجار و قوانين التجارة العالمية المحرفة، لذا فقد ورد في السنة النبوية توجيهات للبشرية جمعاء، هذه التوجيهات من شأنها أن تحد من أزمة الغذاء العالمية التي يصطنعها تجار الحروب و أرباب المصالح الآنية والتجار العالميون، حيث أن هناك جشعا في توزيع الثروة الغذائية، «تشير إحصائيات الأمم المتحدة إلى أن نصيب الفرد السنوي من الغذاء يتزايد في دول أمريكا الشمالية وغرب أوروبا بينما يتناقص

¹ أخرجه: البيهقي، شعب الإيمان : (31 /5)، رقم الحديث : (5660)، باب في المطاعم و المشارب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

في الدول المتخلفة¹، وكذلك هناك: «سوء تسيير الخدمات الاجتماعية لرعاية الأفراد والجماعات»²

والدليل على سبق الإسلام كدين سماوي، وأنه راعى البعد الاجتماعي في الإنسان، وأعطاه المكانة اللائقة في صميم نصوصه من قرآن وسنة لذا نجد علمائنا أسهبوا في الحديث عن الجانب الاجتماعي، حسب إمكانيات زمانهم، لكن توقف حركة التنظير والاجتهاد في الفكر الإسلامي بعد عصور الانحطاط أورت اختلالاً في تطوير هذه الثروة العلمية والفكرية الهائلة من التوجيهات النبوية، لجعلها مؤسسات قائمة بذاتها، تكون في خدمة البشرية جمعاء. ومن العلاج المبكر المقترح في ضوء السنة النبوية لمحاربة مشكلة الغذاء محاربة كل أنماط الفساد الاجتماعي و الخلفي ذات الارتباط بالدورة الاقتصادية ومنها: الاحتكار حيث أنه يسهم و بشكل مأساوي في تفاقم أزمة الغذاء العالمية، و كبار المحتكرين للسلع في العالم اليوم هو أساس كل مشكلة.

الفرع الثالث: السنة النبوية وموقفها من احتكار الأطعمة والضروريات.

أولاً - المفهوم الفقهي للاحتكار :

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: «الاحتكار: هو الادخار للبيع، وطلب الربح بتقلّب الأسواق أما الادخار للقوت فليس من الاحتكار. هذا تعريف المالكية . وعرفه الحنفية بقولهم: الاحتكار لغة مصدر: حكر أي حبس، فهو احتباس الشيء انتظاراً لغائه، والمراد به شرعاً: حبس الأقوات متربصاً للغلاء. أو هو اشتراء طعام ونحوه، وحبسه إلى الغلاء أربعين يوماً، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من احتكر طعاماً أربعين ليلة، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، وأيُّما أهل عَرَصَة . بقعة . بات فيهم امرؤ جائع، فقد برئت منهم ذمة الله»³. وعرفه الشافعية بأنه: إمساك ما اشتراه وقت الغلاء ليبيعه بأكثر مما اشتراه عند اشتداد الحاجة. بخلاف إمساك ما اشتراه وقت الرخص، لا يحرم مطلقاً ولا إمساك غلة ضيعته، ولا ما اشتراه في وقت الغلاء لنفسه وعياله، أوليبيعه بمثل ما اشتراه. وفي كراهة إمساك ما فضل عن كفايته وكفالة عياله سنة

¹ زرواتي رشيد: مدخل إلى الخدمة الاجتماعية: الصفحة: (29).

² المرجع نفسه : الصفحة : (09) .

³ سيأتي تحريجه : الصفحة: 156

وجهان: أوجههما . عدم الكراهة، لكن الأولى بيعه. وقال الحنابلة : الاحتكار المحرم ما اجتمع فيه ثلاثة شروط:

- 1- أن يكون بطريق الشراء، لا الجلب، فلو جلب شيئاً، أو أدخل من غلته شيئاً، فادخره لم يكن محتكراً، لقوله عليه الصلاة والسلام: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»¹
- 2- أن يكون المشتري قُوتاً أي من الحبوب المقتاتة ونحوها؛ لأنه مما تعم الحاجة إليه. أما الإدام والحلواء والعسل والزيت وأعلاف البهائم، فليس فيها احتكار محرم.
- 3- أن يُضَيَّقَ على الناس بشرائه بأمرين: أحدهما . بأن يكون في بلد يضيق بأهله الاحتكار كالخرمين والثغور، أما البلاد الواسعة الكثيرة المرافق والجلب كبغداد ودمشق ومصر، فلا يجرم فيها الاحتكار؛ لأن ذلك لا يؤثر فيها غالباً»².

ثانيا - الاحتكار في ضوء السنة النبوية.

وقفت سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم موقف الحزم في منع كل التصرفات والعقود التي من شأنها أن تقلل الطعام في الأسواق، أو تحدث أزمة اقتصادية، وعليه جاءت الأحاديث النبوية بمنع احتكار أقوات الناس، فليس من المنطقي في نظر الإسلام أن يثري الأغنياء، ويبقى أغلب الناس في حرمان، لا يجدون لقمة العيش، لذا وقفت السنة النبوية المطهرة بالمرصاد لأولئك الذين يتخذون من أرزاق الناس وحاجاتهم الأساسية، سبباً للشراء الفاحش عن طريق الاحتكار وغلاء الأسعار، فقد جاء عن رسول الله جملة من الأحاديث تمنع الاحتكار المضر بمعاش الناس تحدد آداب المبادلة التي تضمن العيش الكريم لكل فرد في المجتمع عامة. ونسوق في هذا المقام جملة من الأحاديث النبوية التي ينهى فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن احتكار أقوات الناس، وهذه الأحاديث بمثابة التعليمات والإجراءات التنظيمية للسوق في المجتمع، والتي يلجأ إليها عند وجود مقتضياتها ودواعيها.

¹ أخرجه الدارمي، سنن الدارمي: (3/ 1657)، رقم الحديث: (2586) كتاب البيوع، باب في النهي عن الاحتكار والبيهقي، السنن الكبرى: (30/6) . كلاهما عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد ابن المسيب عن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] . قال البيهقي في سننه 30/6: «تفرد به علي بن سالم عن علي بن زيد، قال البخاري لا يتابع في حديثه».

² وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي و أدلته: 3/ 583 - 584 - 585 .

ففي الموطأ: عن مالك، بلغه أن عمر كان يقول: « لا حكرة في سوقنا، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب، إلى رزق من أرزاق الله نزل بساحتنا، فيحتازونه علينا فيحتكرونه، ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف، فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء الله، وليمسك كيف شاء الله¹».

وعن مالك رضي الله عنه: بلغه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان ينهى عن الحكرة². وعن ابن عمر، رحمه الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من احتكر طعاما أربعين ليلة، فقد برئ من الله تعالوبرئ الله تعالمنه، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع، فقد برئت منهم ذمة الله تعالى»³.

¹ أخرجه: مالك، الموطأ: (2 / 179. 180)، رقم الأثر: (1898) كتب البيوع، الحكرة و التبرص. عن عمر رضي الله عنه.

² المصدر نفسه: (2 / 180).

³ أخرجه أحمد، المسند: 481/8، رقم الحديث: 4880، و البزار، مسند البزار: 14 / 12، رقم الحديث: 5378، و أبي يعلى، مسند أبي يعلى: 115/10، رقم الحديث: 5746، كلهم عن يزيد بن هارون عن أصبغ بن زيد عن أبي بشر عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا. ينظر الهيثمي، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلى: 1 / 293، رقم الحديث: 671، كتاب البيوع، باب في الاحتكار.

قال محقق مسند الإمام أحمد شعيب الأرنؤوط تعليقا على هذا الحديث: «إسناده ضعيف لجهالة أبي بشر، وقال أحمد شاکر في تحقيق مسند الإمام أحمد، 437/4: «إسناده صحيح، يزيد: هو ابن هرون. أصبغ بن زيد بن علي الجهني الواسطي: ثقة، وثقه ابن معين وأبو داود، وقال أحمد: "ليس به بأس، ما أحسن رواية يزيد عنه"، وقال الدراقطني: تكلموا فيه، وهو عندي ثقة"، وترجمه البخاري في الكبير: (1 / 36) فلم يذكر فيه جرحا، ولم يذكره هو ولا النسائي في الضعفاء. و أبو بشر: هو جعفر بن إياس ابن أبي وحشية الواسطي. أبو الزاهرية: هو حدير بن كريب الحضرمي، تابعي ثقة، وثقه ابن معين والعجلي والنسائي وغيرهم ... وهذا الحديث رواه ابن عدي في الكامل في ترجمة أصبغ بن زيد، وقال: إنه ليس بمحفوظ، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أحمد، وقال: "لا يصح ذلك. قال: وقال ابن حبان أصبغ لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد». و نقل الحافظ ابن حجر قول الحافظ العراقي في القول المسدد الصفحة 38 قال العراقي: « و في كونه موضوعا نظرا، فإن أحمد وابن معين و النسائي و ثقوا أصبغ » قال ابن حجر في القول المسدد، الصفحة 59 و ما بعدها: حديث ابن عمر في الترهيب من الاحتكار وأذية الجار قوله [يريد العراقي] أورده عمر بن بدر الموصلي قلت: لا اعتداد بذلك فإنه لم يكن من النقاد وإنما أخرجه من كتاب ابن الجوزي فلخصه ولم يزد من قبله شيئا. قوله [يريد العراقي] أخرجه الحاكم في المستدرک قلت عليه فيه درك فإنه أخرجه من رواية عمرو بن الحصين وهو متروك عن أصبغ وإسناد أحمد خیر منه فإنه من رواية يزيد بن هارون الثقة عن أصبغ وكذا أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أبي خيشمة عن يزيد بن هارون ووهم بن عدي فزعم أن يزيد تفرد بالرواية عنه وليس كذلك فقد روى عنه نحو من عشرة =

تفسير قوله صلى الله عليه و سلم في الحديث: " أربعين ليلة " قال الشيخ البنا الساعاتي في شرح المسند: « قال الطيبي¹ لم يرد بأربعين التحديد بل مراده أن يجعل الاحتكار حرفة له يقصد بها نفع نفسه و ضرر غيره»² و قوله صلى الله عليه و سلم: " برئ من الله تعالى " قال الساعاتي: « معناه أنه أضع ما له عند الله عز وجل من الرحمة و المغفرة ، أي صار لا كرامة له عند الله و لا حرمة ، و ناهيك بعذاب من اتصف بذلك »³ و ظاهر هذا الحديث و الذي بعده أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الآدمي و الدواب ، وبين غيره و إلى هذا ذهب جماعة من العلماء، وذهب آخرون إلى تحريم القوت فقط، وذهب فريق إلى أن الاحتكار المحرم هو ما أضر بالمسلمين في حوائجهم الضرورية سواء كان في مأكّل أو ملبس أو نحو ذلك⁴ »

= ولم أر لأحد من المتقدمين فيه كلاماً إلا لمحمد بن سعد وأما الجمهور فوثقوه منهم غير من ذكره : شيخنا أبو داود ، والدارقطني وغيرهما . ثم إن للمتن شواهد تدل على صحته منها في الترهيب من الاحتكار : حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة اللهتبارك وتعالى رواه الحاكم ومنها حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلي عليهم كان حقا على الله أن يقذفه في جهنم رأسه أسفله ورواه أحمد... فإن قيل إنما حكم عليه بالوضع لما في ظاهر المتن من الوعيد الموجب للبراءة ممن فعل ذلك وهو لا يكفر بفعل ذلك فالجواب إن هذا من الأحاديث الواردة في معرض الزجر والتنفير ظاهرها غير مراد وقد وردت عدة أحاديث في الصحاح تشتمل على البراءة وعلى نفي الإيمان وعلي غير ذلك من الوعيد الشديد في حق من ارتكب أمورا ليس فيها ما يخرج عن الإسلام كحديث أبي موسى الأشعري في الصحيح في البراءة » .

¹ الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي الامام المشهور صاحب شرح المشكاة وحاشية الكشاف وغيرهما، له حاشية على الكشاف، كانت له ثروة عظيمة فأنفقها في وجوه البر و الخيرات، كان كريما متواضعا حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرا ، ملازما لتدريس الطلبة ، وعنده كتب نفيسة يذلها لطلبته ولغيرهم من أهل بلده بل ولسائر البلدان من يعرفه ومن لا يعرفه، وله إقبال على استخراج الدقائق من الكتاب والسنة وحاشيته على الكشاف هي أنفس حواشيه على الإطلاق مع ما فيها من الكلام على الأحاديث في بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين مما يدل على ارتفاع طبقتة في علمي المعقول والمنقول توفي سنة 743 هـ . ينظر: الشوكاني، البدر الطالع: (1/156)، وابن حجر، الدرر الكامنة: (2/ 68. 69) ترجمة رقم (1613).

² الساعاتي، الفتح الرباني معبلوغ الأمانى من أسرار الفتح الرباني : 62/15 .

³ المصدر نفسه: 62/ 15 . 63 .

⁴ المصدر نفسه : 15/ 64 .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: «بئس العبد المحتكر، إن رخص [كذا في شعب الإيمان] الله الأسعار حزن، وإن غلا فرح»¹

وعن معقل بن يسار: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين كان حقا على الله أن يذيقه في جهنم»²

وثبت عن «سعيد بن المسيب يحدث أن معمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من احتكر طعاما فهو خاطئ» ف قيل لسعيد : فإنك تحتكر؟ قال سعيد : إن معمر الذي كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر»³. و في ضوء كل ما سبق نستطيع أن نقول إن منهج السنة النبوية المطهرة، هو منع كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأقوات الناس ومعاشهم وعليه فإن السنة : تجرم، و تحرم، كل عمل احتكاري للأقوات والسلع الضرورية، من أطعمة و ألبسة و أدوية و وسائل تدفئة، وغيرها والتي بفقدها يتعرض الإنسان للهلاك، وهذه التعاليم النبوية التي سقناها في ضوء الأحاديث الشريفة تعتبر سبقا عظيما للسنة النبوية في ميدان الخدمة الاجتماعية فيما يخص قضية التغذية ومواجهة الأزمات الغذائية الحادة، والتي هي في عصرنا الحاضر قضية عالمية، من أهم قضايا التي تشغل المنظمات الإغاثية التابعة للأمم المتحدة، فواجبنا هو إبراز المساهمة الفعالة للسنة النبوية في هذا الميدان الخطير و الهام عن طريق بحث و إثراء المنهج النبوي الشريف في هذه القضايا الاجتماعية، و سأتكلم عن شاء الله عن الموضوع أكثر في الفصل الرابع عندما أتناول بالبحث سبل تفعيل الخدمة الاجتماعية من المنظور النبوي الشريف .

¹ أخرجه البيهقي ، شعب الإيمان : 13 / 511 - 512 . الطبراني ، المعجم الكبير (95/20) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في غاية المرام : الصفحة (196): ضعيف. رواه الطبراني و غيره بإسناد واه .

² أخرجه الحاكم ، المستدرک : (12/2 - 13) أحمد ، المسند : (425/33 - 426) ، رقم الحديث : (20313)، أخرجه البيهقي، شعب الإيمان : 13 / 511 . رقم الحديث 10701، عن معقل بن يسار رضي الله عنه . قال مختار أحمد الندوي محقق شعب شعب الإيمان : إسناده صحيح، و اللفظ للبيهقي، و ضعفه الألباني في غاية المرام: الصفحة (197).

³ أخرجه مسلم ، صحيح مسلم: (2 / 754)، رقم الحديث : (1605)، كتاب المساقاة و المزارعة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات . عن معمر بن عبد الله رضي الله عنه.

ثالثاً - منع الاحتكار في أماكن تجمع الناس كالحرمين والمجمعات والجامعات ومراكز البحث العلمي.

إن من أشنع صور الاحتكار هو استغلال حاجة الناس خصوصاً المنقطعين لحاجة من الحاجات الماسة كحجاج بيت الله، والمسافرين، وطلبة العلم في الجامعات، ومراكز البحوث حيث يتجمعون في أماكن خاصة لقضاء مآربهم و بعضهم في خدمة الشأن العام، لذلك حذرت السنة من الاحتكار في الحرم.

فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احتكار الطعام في الحرم إحداد فيه»¹ ومكة المكرمة والمدينة، إنما يؤمهما الناس قصد التفرغ للعبادة و ابتغاء مرضاة الله، وإتمام المناسك، وغلاء الأسعار والاحتكار في الحرم من شأنه أن يفتن الناس عن مقصودهم الذي جاءوا من أجله، لذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم الاحتكار في الحرم من الإحداد وهو الظلم الكبير، ويلحق به، من باب القياس والنظر في علة النهي: كل تجمع كان قصده شريفاً ونبيلاً فلا يجوز الاحتكار في أماكن العلم ومراكز البحث و العمال البسطاء ذوي الدخل المحدود، وكل من يقوم بعمل يعود على الأمة بالنفع، فالواجب توفير الخدمة الاجتماعية لهؤلاء لا احتكار السلع و الخدمات عليهم فكل ذلك يعود على الأمة بالوبال و يعود عليهم بالحسرة والنكال .

قال العلامة حمدان الونيسي القسنطيني²: « وقال ابن أبي زيد فيما ذهب إليه مطرف وابن الماجشون من أنه لا يجوز احتكار شيء من الأطعمة معناه في المدينة، إذ لا يكون الاحتكار إلا مضراً بأهلها لقلة الطعام بها³».

والسنة النبوية لم تكتف بالنهي عن منع كل الوسائل المؤدية إلى قلة الطعام من الاحتكار وغيره؛ بل فتحت الكثير من الأبواب ورغبت عن طريقها في الإطعام، كما أنها جعلت الكثير من المناسبات الاجتماعية وسيلة للتضامن الغذائي في المجتمع. وهذا ما سنراه في الفرع الموالي.

¹ أخرجه أبو داود في سنن أبي داود : الصفحة: (230 - 231) ، باب تحريم حرم مكة ، عن يعلى بن أمية رضي الله عنه . و قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود : (قلت: إسناده ضعيف لجهالة ابن باذان فمن دونه، وأعله البخاري بالوقف أيضاً، وأقره المنذري، وقال الذهبي : " حديث واهي الإسناد) .

² نسبة إلى مدينة قسنطينة مدينة عريقة، شرق الجزائر.

³ الونيسي، فتح اللطيف الخبير في جواز التعزير بالمال وفيه الحكمة والتسعير: الصفحة : 21.

- الفرع الرابع: أنواع المساعدات الغذائية كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.

- أولاً المنيحة والصلوات: والمنحة هي من باب التكافل والتعاون الاجتماعي، والذي هو من مضامين الخدمة الاجتماعية في السنة النبوية.

أ - مفهوم المنيحة: قال ابن بطل: «المنيحة هي: الناقة والشاة ذات الدر تعار للبنه، ثم ترد إلى أهلها، والمنحة عند العرب كالإفقار، والعمري، والعارية، وهي تمليك المنافع لا تمليك الرقاب، ألا ترى قوله في حديث أنس: (فلما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم غنائم خبير رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم وثمارهم. وقوله في حديث جابر: (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه¹)، إنما يريد يهبه الانتفاع بها ولا يكرهها منه بأجر². وقد ساق ابن بطل في شرح البخاري كلاماً طويلاً لخص فيه ما نقله عن بعض من عاصره من العلماء وفيه محاولة بعضهم جمع الأربعين خصلة الواردة في الحديث وهي تعبير صادق عن مدى بروز وظهور مسألة الخدمة الاجتماعية في السنة النبوية، وذلك قصد التأسيس لها لتصحيح ثقافة مجتمع بكامله، قال رحمه الله: «وقد بلغني عن بعض أهل عصرنا أنه طلبها في الأحاديث فوجد حسابها يبلغ أزيد من أربعين خصلة، فمنها: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة، فقال له عليه السلام: لئن كنت قصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة فذكر له عتاقات، ثم قال له: والمنحة الركوب الغزيرة الدر، والفيء على ذي الرحم القاطع فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، فهذه ثلاث خصال أعلاهن المنحة، وليس الفيء على ذي الرحم منها؛ لأنها أفضل من منيحة العنز، ... وإماطة الأذى عن الطريق³، . . . وفي الحديث: (أن رجلاً أخر غصن شوك من الطريق، فشكر الله له فغفر له ». وإعانة الصانع، والصنعة للأحرق، وإعطاء صلة الحبل، وإعطاء شسع النعل، وأن يؤنس الوحشان، . . . وكشف الكربة عن مسلم . . . وكون المرء في حاجة أخيه وستر المسلم . . . والتفسيح لأخيكم في المجلس، قال تعالى: ﴿فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ^ط﴾ [المجادلة: ١١]، . . . وإدخال السرور على المسلم، ونصر المظلوم

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (2/ 158)، رقم الحديث (2341)، كتاب الحرث والمزاعة، باب ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والتمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

² ابن بطل، شرح صحيح البخاري 7 / 150 .

³ و سنتكلم عنها إن شاء الله في مبحث خدمة الطريق قريباً.

والأخذ على يدي الظالم... والتحاب في الله، والتجالس في الله والتزاور في الله، والتبادل¹ في الله، قال الله تعالى: وجبت محبتي لأصحاب هذه الأعمال الصالحة²، ... و ذكر النصح لكل مسلم³ وكلامه رحمه نفيس فليراجع في شرحه على البخاري و اختصرته هنا لطوله -عن أبيكباشة السلولي⁴ سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعون خصلة أعلاهن : منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق مواعودها إلا أدخله الله بها الجنة» قال حسان: فعددنا ما دون منيحة العنز - من رد السلام ، وتشميت العاطس ، وإماطة الأذى عن الطريق ، ونحوه - فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة.⁵

قال ابن بطلال رحمه الله :«وأما قوله عَلَيْهِ السَّلَام : (أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز) ولم يذكر الأربعين خصلة في الحديث، ومعلوم أنه كان عالماً بما كلها لا محالة، إلا لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها، وذلك والله أعلم خشية أن يكون التعيين لها والترغيب فيها زهداً في غيرها من أبواب المعروف وسبل الخير، وقد جاء عنه، عليه السلام من الحض على أبواب من أبواب الخير والبر ما لا يحصى كثرة⁶» .

¹ كذا في كتاب ابن بطلال في شرح البخاري، بالدال المهملة والأصح بالذال المعجمة من البذل و العطاء . وأخرج أحمد، المسند : 37 / 445 رقم الحديث 22782 : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: حقت محبتي على المتحابين في - يعني نفسه - و حقت محبتي للمتناصحين في، و حقت محبتي على المتزاورين في، و حقت محبتي على المتبادلين في، على منابر من نور يغطهم بمكانهم النيون والصديقون ... الحديث.

² هذه رواية بالمعنى من ابن بطلال للحديث القدسي عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه و سلم، الآنف ذكره

³ ابن بطلال ، شرح صحيح البخاري : (7 / 152 - 153 - 154) .

⁴ أبو كبشة السلولي الدمشقي روى عن: عبد الله بن عمرو، قال بن حبان أبو كبشة السلولي يروي عن ثوبان روى عنه أهل الشام ينظر : ابن حبان الثقات : 5/563 ترجمة رقم : دون ، و البخاري التاريخ الكبير - كتاب الكنى - : 9 / 65 ، ترجمة رقم : 591 .

⁵ أخرجه : البخاري ، الجامع الصحيح : (2/244)، رقم الحديث 2631، كتاب الهبة ، باب فضل المنيحة ، و أبو داود سنن أبي داود : (198) ، رقم الحديث (1683) كتاب الزكاة ، باب في المنيحة . عن أبي كبشة السلولي رضي الله عنه .

⁶ ابن بطلال ، شرح صحيح البخاري : (7/151) .

قلت: هناك معنى آخر و الله أعلم: وهو أن المنهج نبوي في تربية الناس على الخدمة الاجتماعية وأبواب الخير عموماً، إنما يلقي إليهم الأمر بعد الأمر، لكي تتمكن منه النفوس وتنهض إلى فعله، وأما سرده في قائمة هكذا على عجل فإن النفوس تكسل في الغالب عما كثر تعدادده، كما أنه يذهب بها الوسواس والتردد في تعيين الأفضل منها؟ فتذهب بذلك روح البدار والنهوض إلى العمل. و لذلك صلى الله عليه و سلم كان يتحولهم بالموعضة على فترات.

قال ابن بطال: «قال المهلب¹: وقوله: (تغدو بإناء وتروح بإناء)، يعني أنها تغدو بأجر حلبها في الغدو والروح، والسنة أن ترد المنيحة إلى أهلها إذا استغنى عنها، كما رد النبي، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى أم سليم عذاقتها، وكما رد المهاجرون للأَنْصار منائحهم حين أغناهم الله بخير والمنحة والعارية والإفكار وغير ذلك هو من باب المشاركة والصلة، لا من باب الصدقة؛ لأنها لو كانت من باب الصدقة لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم»²

عن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « نعم المنيحة اللقحة الصفي منحة، و الشاة الصفي، تغدوا بإناء و تروح بإناء »³.

وأما الصلات: فقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم شملت أهل الذمة المسلمين فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً ليهود بني عريض⁴، و هذا نص الكتاب: « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عريض: طُعْمَةٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق قمح، وعشرة أوسق شعير في كل حصاد وخمسين وسقاً تم؛ يوفون في كل

¹ هو أبو القاسم بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة التميمي يعرف بالمهلب، سكن المرية. من المتفنين في الفقه والحديث، والنظر. صحب الأصيلي وتفقه معه. وكان صهره وسمع القابسي وأبا ذر الهروي، وغيرهم. وولي قضاء مالقة. له كتاب في شرح البخاري، و اختصره اختصاراً مشهوراً سماه: "النصيح في اختصار الصحيح" توفي سنة 433هـ، ينظر ترجمته في: ابن فرحون الديباج المذهب: (346/2)،

² ابن بطال، شرح صحيح البخاري: 151/7.

³ أخرجه البخاري: (244/2)، رقم الحديث 2629، كتاب الهبة، باب فضل المنيحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁴ وبنو العريض قوم من يهود، و هي إحدى القرى الواقعة في أعالي الحجاز وعلى ساحل البحر، وقد صالحوا الرسول على الجزية، وبذلك ضمنوا لهم البقاء في هذا الأنحاء. ومن هؤلاء اليهود "بنو جنية"، وهم يهود بـ"مقنا" قال ابن سعد قريب من أيلة [أي فلسطين]، و"بنو غاديا"، و"بنو عريض". ينظر: ابن سعد في الطبقات، (1/240). جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: (518/6).

عام لحينه، لا يظلمون شيئاً¹ و كافئهم النبي صلى الله عليه و سلم على جميل صنيعم حيث أهدوا له هريساً² فأكله³»

ثانياً - الهبات ودورها في دعم الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية.

أولاً - مفهومها: قال في مواهب الجليل: «ص [المصنف]⁴ الهبة تمليك بلا عوض، ولثواب الآخرة صدقة⁵ ش [الشرح]: قال ابن عرفة: الهبة أحد أنواع العطية وهي أي . العطية تمليك متمول بغير عوض إنشاء. فيخرج الإنكاح والحكم باستحقاق وارث إرثه، وتدخل العارية والحبس والعمرى والهبة والصدقة . ثم قال: والهبة لا لثواب تمليك ذي منفعة لوجه المعطي بغير عوض، والصدقة كذلك لوجه الله بدل لوجه المعطي وفي الهبة لكونها كذلك مع إرادة الثواب من الله صدقة أو لا ؟ قولاً الأكثر ومطرف حسبما يأتي ذكره في الاعتصار. وتخرج العارية والبيع فقول المصنف: "الهبة تمليك بلا عوض" يريد: ولم تتمحض لثواب الآخرة، وذلك أعم من أن تكون لوجه المعطي فقط أو لذلك مع قصد ثواب الآخرة ، فإن تتمحضت لثواب الآخرة فهي الصدقة وهذا معنى قوله: "ولثواب الآخرة صدقة"⁵»

و قد جاء في السنة النبوية الترغيب في الهبة لما لها من أهمية اجتماعية في حياة الفرد و الأسرة على العموم ، بل رغبت السنة في الهبة و لو كانت يسيرة لما لها من بعد رمزي يدل على بقاء إبقاء روح التكافل بين أفراد المجتمع فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»⁶.

قال العيني في شرح البخاري: «وفي الحديث الحض على التهادي ولوباليسير لما فيه من استجلاب المودة وإذهاب الشحناء ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة والهدية إذا كانت يسيرة

¹ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة: الصفحة : (98 - 99).

² الهريس: هو الحب المهروس قبل أن يطبخ ، فإذا طبخ فهو الهريسة ، وسميت الهريسة هريسة لأن البر الذي هي منه يدق ثم يطبخ» ينظر ، الزبيدي ، تاج العروس : (27 / 17)، مادة : هرس. و قال في المعجم الوسيط الصفحة (981): الهريس مطبوخا، نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والسكر.

³ المقرئ ، إمتاع الأسماع : (55/2)،

⁴ المراد بحرف " ص " في كتاب مواهب الجليل : قول المصنف، و هو خليل بن إسحاق المالكي صاحب المختصر.

⁵ الخطاب ، مواهب الجليل بشرح مختصر خليل : 3 / 8 .

⁶ أخرجه البخاري ، صحيح البخاري : 127/2 ، رقم الحديث : 2566 ، كتاب الهبة و فضلها و التحريض عليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فهي أدل على المودة وأسقط للمؤنة وأسهل على المهدي لا طراح التكليف والكثير قد لا يتيسر كل وقت والمواصلة باليسير تكون كالكثير»¹

وقال الإمام البخاري رحمه الله: «باب القليل من الهبة... عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت»²

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث دليل على حسن خلقه صلى الله عليه و سلموتواضعه وجبره لقلوب الناس وعلى قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل. قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه والتعجب إليه بالمؤاكلة وتوكيد الذمام معه بها، فلذلك حض صلى الله عليه وسلم على الإجابة ولو نذر المدعو إليه وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف وإجابة الدعوة لما قل أو أكثر وقبول الهدية كذلك»³

والهبة ويزداد أجرها إذا كانت في الرحم والأقارب؛ لما للقربة والرحم من الحقوق الثابتة بالكتاب و السنة ، والملاحظ أن السنة النبوية تعتمد مقياس الترتيب في الصدقة و الهبة و غيرها الأقارب ثم الجيران ثم أهل المحلة و هكذا ، و هو إجراء تنظيمي له فوائده وأهدافه الاجتماعية ولا شك . ففي صحيح البخاري : «عن كريب مولى ابن عباس أن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال أو فعلت؟ قالت: نعم. قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»⁴

¹ العيني ، عمدة القاري : 13 / 180 .

² البخاري الجامع الصحيح : (381/3) ، رقم الحديث (5178) ، كتاب النكاح ، باب من أجاب إلى كراع . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

³ ابن حجر ، فتح الباري : (9 / 246) .

⁴ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : 234/2 ، رقم الحديث : 2592 ، كتاب الهبة ، باب هبة المرأة لغير زوجها إذا كان لها زوج فهو جائز إذا لم تكن سفينة فإذا كانت سفينة لم يجز .

ثالثاً - طعام الوليمة ودوره في دعم الخدمة الاجتماعية .

إن مقصد سن طعام الوليمة والإطعام عموماً في السنة النبوية¹ في المناسبات والأعياد مقصد اجتماعي نبيل فيه جانب مهم لدعم الخدمة الاجتماعية و تأليف القلوب وجمع الناس لمقاصد اجتماعية أخرى من زرع المحبة، وتقوية الروابط، جمع الكلمة، فمما لا شك أن الطعام يدخل السرور على القلوب، و يشبع بطون الجائعين، وهذا مقصد خدمي فيه إطعام الجائع وسد خلته، لذا سن النبي صلى الله عليه و سلم و رغب في جملة من الأطعمة منها ما هو مؤكد كالوليمة و منها ما خرج مخرج الاستحباب للقادر عليه.

قال العلامة محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «الوليمة مطلوبة وقد أمر رسول الله بها عبد الرحمن بن عوف و هي من سنة النكاح والإجابة مأمور بها شرعاً، ولكن لما كانت الوليمة لا يقصد بها معين كانت دون إطعام الفقير، ودون إضافة ابن السبيل، ودون إطعام الصديق والقريب»² ففي طعام الوليمة وردت أحاديث أكدت على جملة من الأهداف والآداب الاجتماعية فروعياً في طعام الوليمة معنى البساطة والبعد عن التكلف، وهو معنى لو تمت مراعاته في مناسبات اليوم لكان مجلبة للكثير من الحسنات الاجتماعية و منها مقصد الاعتدال في النفقة وعدم الإسراف الذي هو رذيلة اجتماعية دعت إليها سلوكات التقليد والجمود، ومحبة المباهاة، والفخر.

ويؤكد على هذا المعنى ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وبه أثر صفرة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار قال: كم سقت إليها؟ قال: زنة نواه من ذهب، قال رسول

¹قال الخطاب المالكي في شرح المختصر، 242/5: «وقال في جامع الذخيرة مسألة فيما يؤتى من الولائم قال صاحب المقدمات: هي خمسة أقسام: واجبة الإجابة إليها وهي وليمة النكاح، ومستحبة الإجابة وهي المأدبة وهي الطعام يعمل للجيران للوداد ومباحة الإجابة وهي التي تعمل من غير قصد مذموم كالعقيقة للمولود والنقعة للقادم من السفر والوكيرة لبناء الدار والخرس للنفاس والأعذار للختان ونحو ذلك. ومكروه: وهو ما يقصد به الفخر والمحمدة لا سيما أهل الفضل والهيئات لأن إجابة مثل ذلك يخرق الهيئة وقد قيل ما وضع أحد يده في قصعة أحد إلا ذل له. ومحرمة الإجابة: وهو ما يفعله الرجل لمن يحرم عليه قبول هديته كأحد الخصمين للقاضي انتهى. وقال في الشامل: وأما طعام أعذار الختان ونقعة لقادم من سفر وخرس للنفاس ومأدبة لدعوة وحدقة لقراءة صبي ووكيرة لبناء دار فيكره الإتيان له وقد تقدم حكم العقيقة انتهى كلامه فتأمل.»

² ابن عاشور، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: الصفحة: 255.

الله صلى الله عليه وسلم: «أولم ولو بشاة»¹. ففي هذا الحديث الأمر بالوليمة على جهة الندب ولو بشاة وهو إرشاد في غاية الرفق واليسر.

قال الإمام الباجي رحمه الله: «وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك على معنى الندب إليها لما فيها من إشهار النكاح وإظهاره بل هو صفة من صفاته التي يتميز بها مما هو ممنوع من السفاح. وقد روى ابن المواز عن مالك أنه قال: أستحب الإطعام في الوليمة وكثرة الشهود في النكاح ليشتهر وتثبت معرفته فهذا في الوليمة مع ما يقتزن من ذلك من كرم الأخلاق ومكارمة الإخوان ومواساة أهل الحاجة»².

وعن مالك عن يحيى بن سعيد قال: «لقد بلغني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يولم بالوليمة ما فيها خبز ولا لحم»³.

ومثله ما ثبت عن أنس قال: «مأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أحد من نسائه أولم على زينب، أولم بشاة»⁴.

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «كل من زاد في وليمته فهو أفضل؛ لأن ذلك زيادة في الإعلان واستزادة من الدعاء بالبركة في الأهل، والمال، وليس في الزيادة في الوليمة سرف لمن وجد، وإنما

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (3/ 373)، رقم الحديث: (5153)، كتاب النكاح، باب الصفرة للمتزوج عن أنس رضي الله عنه، و مسلم، صحيح مسلم: (1/ 644)، رقم الحديث: (1427) كتاب النكاح، باب الصداق و جواز كونه تعليم القرآن و خاتم حديد و غير ذلك من قليل و كثير و استحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به.

² الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك: (5/ 165).

³ أخرجه مالك، الموطأ: (2/ 54)، رقم الحديث: (1571)، كتاب النكاح، ما جاء في الوليمة، و أصل الحديث في البخاري، الجامع الصحيح: (3/ 138)، رقم الحديث: (4213)، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، و في كتاب النكاح: في موضعين (3/ 359)، رقم الحديث: (5085)، (3/ 377) و رقم الحديث (5159)، باب البناء في السفر. عن حميد عن أنس رضي الله عنه. و أخرجه كذلك، أحمد، المسند: (20/ 326)، رقم الحديث: (13024) و أبي عوانة، مسند أبي عوانة: (3/ 55)، رقم الحديث: (4175)، و ابن الجعد، مسند ابن الجعد: (2/ 1102) رقم الحديث: (3209)، كلهم عن ثابت عن أنس رضي الله عنه.

⁴ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (3/ 379)، رقم الحديث: (5168)، كتاب النكاح، باب الوليمة و لو بشاة، و الترمذي، سنن الترمذي: (3/ 393)، رقم الحديث: (1094)، كتاب النكاح، باب ما جاء في الوليمة، عن أنس رضي الله عنه و اللفظ للبخاري.

السرف لمن استأصل ماله وأجحف بأكثره، وهذا معنى السرف في كل حال مثل الطيب من الطعام والثياب للجمعة والأعياد وشبه ذلك»¹.

عن سهل بن سعد رضي الله عنهما «لما عرس أبو أسيد الساعدي² دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فما صنع لهم طعاما، ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد³، قال : بليت تمرات في تور من حجارة من الليل، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الطعام أمأته⁴ له، فسقته تحفه بذلك»⁵.

قال الإمام بن بطال رحمه الله: «فيه: خدمة العروس زوجها وأصحابه في عرسها، وفيه: أنه لا بأس أن يعرض الرجل أهله على صالح إخوانه ويستخدمهم لهم»⁶.

وفي لفظ: «أن أبا أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعرسه، فكانت امرأته خادمهم يومئذ وهي العروس فقالت أو قال: أتدرون ما أنقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنقعت له تمرات من الليل في تور»⁷.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «طعام الوليمة أول يوم: حق، وطعام الثاني سنة، وطعام يوم الثالث: سمعة، ومن سمع سمع الله به»¹.

¹ ابن بطال ، شرح صحيح البخاري : (286 / 7).

² هو أبو أسيد، - بضم الهمزة و فتح السين - الساعدي اسمه مالك بن ربيعة . وقيل : هلال بن ربيعة ، ومالك أكثر . وقد تقدم في نسبه في مالك وهو أنصاري خزرجي من بني ساعدة شهد بدرًا، و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (299/4/1/ 7)، و ابن حجر ، الإصابة : 307/6 ، رقم الترجمة : 9076 ، وابن ماکولا ، الإكمال : (70/1) .

³ لها ترجمة في : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة : 211/8 . رقم الترجمة : 1129 .

⁴ قال ابن الأثير : يقال : مَثُّ الشَّيْءِ أَمِثُّهُ وَأَمُوْهُ فَأَمَثْتُ إِذَا دُفِنْتُ فِي الْمَاءِ ، ومنه حديث علي " اللهم مَثِّ [بكسر و ضم الميم] قلوبكم كما يُمَثُّ المَلْحُ في الماء " قال الزبيدي : قال الليث : كل شيء مرسته في الماء فذاب فيه ، فقد مثته و ميثته . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر : (378/4) . و الزبيدي ، تاج العروس : 365/5 .

⁵ البخاري ، الجامع الصحيح : (382 / 3)، رقم الحديث : (5182)، كتاب النكاح ، باب قيام المرأة على الرجال في العرس و خدمتهم بالنفس ، عن سهل بن سعد ، رضي الله عنه .

⁶ ابن بطال ، شرح صحيح البخاري : (294/7) .

⁷ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (382/3) رقم الحديث : (5183)، كتاب النكاح ، باب النقيع والشراب الذي الذي لا يسكر في العرس

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليأتها»².

أخرج مسلم: «عن مالك عن ابن شهاب عن الأعرج أن أبا هريرة كان يقول: "بئس الطعام طعام الوليمة، يدعى إليه الأغنياء، ويترك المساكين، فمن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله". عن سفيان قال: قلت للزهري: يا أبا بكر كيف هذا الحديث شر الطعام طعام الأغنياء؟ فضحك فقال: ليس هو: شر الطعام طعام الأغنياء. قال سفيان وكان أبي غنيا، فأفزعني هذا الحديث حين سمعت به، فسألت عنه الزهري فقال: حدثني عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا يقول: شر الطعام طعام الوليمة، ثم ذكر بمثل حديث مالك... عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «شر الطعام طعام الوليمة، يمنعها من يأتها، و يدعى إليها من يأبها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»³.

قال العلامة محمد الطاهر ابن عاشور⁴ رحمه الله: «فإن قلت ما وجه استبعاد أن يكون قوله:» ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله « من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت [القائل ابن عاشور]:... أما من جهة المعنى فللفرق البين بين صيغة الأمر وهي:

¹ أخرجه الترمذي: سنن الترمذي: (394/3 . 395)، رقم الحديث: (1097)، كتاب النكاح، باب ما جاء في الوليمة والبيهقي: (260/7)، من طريق عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال الإمام الترمذي: لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث زياد بن عبد الله وزياد بن عبد الله كثير الغرائب والمناكير. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في إرواء الغليل: (9/7).

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم: (1/ 650)، رقم الحديث (1429)، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، و البخاري: الجامع الصحيح: (3/ 381)، رقم الحديث: (5179)، كتاب النكاح، باب إجابة الداعي في العرس وغيره، كلاهما عن ابن عمر و اللفظ لمسلم، و لفظ البخاري: "أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم لها".

³ أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: (2/ 651)، رقم الحديث: (1432)، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة عن أبي هريرة موقوفا و مرفوعا، و أخرجه البخاري: (3/ 381)، رقم الحديث: (5177) كتاب النكاح باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله. موقوفا على أبي هريرة. قال الحافظ ابن حجر: «و أول هذا الحديث موقوف و لكن آخره يقتضي رفعه ذكر ذلك ابن بطال، قال: و مثله حديث أبي الشعثاء: "أن أبا هريرة أبصر رجلا خارجا من المسجد بعد الأذان فقال: أما هذا فقد عصى أبا القاسم" قال و مثل هذا لا يكون رأيا. و لهذا أدخله الأئمة في مسانيدهم". و ذكر ابن عبد البر: أن جل رواة مالك لم يصرحوا برفعه» قلت و لهذا أخر مسلم رحمه الله رواية الرفع في الترتيب، لثبوت الحديث موقوفا. و الله أعلم.

⁴ سبقت ترجمته في الصفحة: 239.

«فليجب» فإنها صالحة للحمل على الندب [الاستحباب] المؤكد وبين الإخبار بقوله: «فقد عصى الله ورسوله» لأن العصيان لا يستعمل في الكراهة، و تعليقه باسم الله و رسوله يؤكد أن المقصود منه المعصية التي يعاقب على فعلها في الآخرة . و أصول الشريعة لا تقتضي أن تكون عدم الإجابة معصية؛ إذ لا يترتب عليها فساد في المعاملات بين الناس؛ و لكنها غضاضة في المعاملة، و لنظائرها حكم الكراهة لا حكم التحريم فقياسها الكراهة¹.

رابعا . طعام العقيقة .

قال في تحفة الحوذاني: «العقيقة بفتح العين المهملة وهو اسم لما يذبح عن المولود، واختلف في اشتقاقها فقال أبو عبيد والأصمعي: أصلها الشعر الذي يخرج على رأس المولود، وتبعه الزمخشري وغيره، وسميت الشاة التي تذبح عنه في تلك الحالة عقيقة؛ لأنه يخلق عنه ذلك الشعر عند الذبح . وعن أحمد أنها مأخوذة من العقق وهو الشق والقطع ورجحه بن عبد البر وطائفة . قال الخطابي: العقيقة: اسم الشاة المذبوحة عن الولد سميت بذلك لأنها تعق مذابحها أي تشق وتقطع، قال: وقيل: هي الشعر الذي يخلق .

وقال في المعجم: يقال عقّ الرجل عن ابنه يُعقّ عنه، إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاةً. قال: وتلك الشاة عقيقة. ... والعقيقة: الشَّعر الذي يولد به².

و قد ورد في سنيتها أحاديث منها :

ما أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى: باب العقيقة سنة. وأخرج بإسناده عن سلمان بن عامر الضبي³ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مع الغلام عقيقة

¹ ابن عاشور ، كشف المغطى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ : الصفحة : 254 - 255 .

² ابن فارس معجم مقاييس اللغة : (4/4) .

³ سلمان بن عامر بن أوس بن حجر بن عمرو بن الحارث بن تيم بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر الضبي، قال ابن عبد البر : قال : سكن البصرة و له بها دار قريب من الجامع . روى عن النبي صلى الله عليه و سلم روى عنه محمد بن سيرين، وابنة أخيه أم الرايح واسمها الرباب بنت صليح بنت عامر [و في الإصابة "صليح"] وحفيده عبد العزيز بن بشر بن سلمان الضبي ووقع في رواية الدارقطني في كتابه الذي صنفه في الضبين التصريح بأنه كان في حياة النبي صلى الله عليه و سلم شيخا ن قال ابن حجر عاش إلى خلافة معاوية و قيل مات في خلافة عثمان، ينظر ترجمته في : ابن حجر ، الإصابة : (112/3 - 113) ، وابن عبد البر الاستيعاب: الصفحة (293).

فأهريقوا عنه دما، وأميطوا عنه الأذى»¹ وقد روي عنه موقوفاً²، وعن سمرة بن جندب:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع
ويحلق رأسه ويسمى»³.

قوله صلى الله عليه وسلم: «كل غلام رهينة بعقيقته» .
قال في عون المعبود: «أي مرهونة والتاء للمبالغة.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: اختلف الناس في هذا وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن
حنبل قال هذا في الشفاعة يريد أنه إذا لم يعق عنه فمات طفلاً لم يشفع في أبويه. وقيل: معناه
أن العقيقة لازمة لا بد منها فشبه المولود في لزومها وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المرتهن
وهذا يقوي قول من قال بالوجوب ، وقيل المعنى أنه مرهون بأذى شعره ولذلك جاء: فأميطوا
عنه الأذى»⁴⁵

¹ أخرجه البخاري: الجامع الصحيح : (3/ 450) ، رقم الحديث (5472) ، كتاب العقيقة ، باب إمطة الأذى عن
الصبي في العقيقة. و البيهقي، السنن الكبرى : (298/9). عن محمد بن سيرين عن سلمان ، و عن الرباب عن سلمان .
² الحديث الموقوف هو : « هو ما انتهى فيه السند إلى الصحابي؛ سواء من قول الصحابي، أو فعله، أو من تقريره، أو من
صفة متعلقة به، أو من سيرة تنقل عنه ». ينظر: الشريف العوني ، شرح الموقضة : الصفحة (82) . و الحافظ ابن حجر:
النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر : الصفحة : (148).

³ أخرجه أحمد، المسند: (271/33) ، رقم الحديث : (20083)، وأبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة (321) رقم
الحديث (2838)، كتاب الضحايا ، باب في العقيقة . عن الحسن بن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعا . قال
الشيخ الألباني في الإرواء : صحيح . قلت: قال الإمام البخاري رحمه الله جامعه الصحيح : (3/450)، كتاب العقيقة
باب إمطة الأذى عن الصبي في العقيقة . و ساق بإسناده «...عن حبيب بن الشهيد قال أمرني ابن سيرين أن أسأل
الحسن ممن سمع حديث العقيقة فسألته فقال من سمرة بن جندب» ، و قد ساق البخاري رحمه الله هذا القول بعد حديث
ابن سيرين عن سلمان بن عامر رضي الله عنه في العقيقة الذي سبقت الإشارة إليه في التهميش رقم (1) أعلاه .

⁴ سبق تخريجه ، ينظر التهميش رقم 1 أعلاه .

⁵ العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود : 8 / 37 .

وأخرج مالك رضي الله عنه عن « زيد بن أسلم عن رجل من بني ضمرة عن أبيه قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقوق، وكأنه كره الاسم قال ومن ولد له ولد، فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل¹».

قال الإمام الباجي في المنتقى: «وقوله: ومن ولد له ولد فأحب أن ينسك عنه فليفعل يقتضي أن العقيقة غير واجبة، لأنه علق ذلك باختيار أبي المولود. قال مالك في المبسوط: من لم يذبح ولم يطعم فلا إثم عليه وبهذا قال جمهور الفقهاء وقال القاضي أبو الحسن البصري وداود أنهما قالا: هي واجبة ودليلنا على صحة قول مالك الحديث المتقدم.

(مسألة) إذا ثبت أنها غير واجبة فإنها مستحبة وقال أبو حنيفة: ليست بمشروعة والدليل على ما نقوله الحديث المتقدم وفيه أنه صلى الله عليه وسلم سماه نسكا والدليل على ذلك أيضا حديث سمرة بن جندب وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما والأمر يقتضي الوجوب أو الندب فإذا اجتمعنا أجمعنا أنها ليست بواجبة فأقل أحواله الندب ... وقوله: فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل يقتضي أن ذلك في مال الأب عن ابنه ولذلك قال: فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل ولو كان للمولود مال لكان الأظهر عندي أن تكون العقيقة في مال الأب عن ابنه لقوله صلى الله عليه وسلم فأحب أن ينسك عن ابنه فأثبت ذلك في جهة الآباء عن الابن وقد قال مالك في المبسوط: يعق عن اليتيم من ماله وظاهره أنه لا يلزم أحدا من الأقارب غير الأب والله أعلم²».

خامسا . طعام القادم من سفر.

بوب الإمام أبو داود رحمه الله في سننه: باب الإطعام عند القدوم من السفر، عن جابر بن عبد الله، «لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة؛ نحر جزورا أو بقرة³».

¹ مالك، الموطأ: (1/645)، رقم الحديث: (1441)، كتاب العقيقة، ما جاء في العقيقة. و أخرجه أحمد المسند: (11/420)، رقم الحديث (6822)، و الحاكم في المستدرک: (4/238)، عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم، قال محقق المسند إسناده حسن. و قال الحاكم: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و وافقه الذهبي.

² الباجي، المنتقى: (4/199).

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (2/384)، رقم الحديث (3089)، كتاب الجهاد و السير، باب الطعام عند القدوم أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (413)، رقم الحديث: (3748)، كتاب الأطعمة، باب الإطعام القدوم من السفر، عن جابر رضي الله عنه.

قال في عون المعبود: « والحديث يدل على مشروعية الدعوة عند القدوم من السفر، ويقال لهذه الدعوة النقيعة، مشتقة من النقع، وهو الغبار، والحديث سكت عنه المنذري ¹ .

- سادسا: طعام الختان.

قال الإمام الطحاوي: «طعام الختان طعام الإعذار يقولون قد أعذر على ولده ²».

قال في الأدب المفرد: « باب الدعوة في الختان عن عمر بن حمزة قال أخبرني سالم قال: ختنتني ابن عمر أنا ونعيمًا، فذبح علينا كبشا. فلقد رأيتنا وأنا لنجدل به على الصبيان أن ذبح عنا كبشا. ³»

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة قال: «الوليمة حق وسنة، فمن دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله والخرس والإعذار والتوكير أنت فيه بالخيار، قال: قلت: إني والله لا أدري ما الخرس والإعذار والتوكير؟ قال: الخُرس: الولادة، والإعذار: الختان، والتوكير: الرجل يبني الدار وينزل في القوم فيجعل الطعام فيدعوهم فهم بالخيار إن شاءوا أجابوا، وإن شاءوا قعدوا ⁴»

وما سقته هنا من أنواع الأطعمة حسب المناسبات تعد من جهة المقصد والفائدة مساعدات غذائية الظاهر أن لها مقاصد اجتماعية كثيرة من وراء سننها، والغرض هنا من ذكر هذه الأطعمة بيان مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الاجتماعي في الحياة الإنسانية وكذا بيان البعد الخدمي لهذه الأطعمة ذات المناسبة، لما للتغذية من دور رئيس مهم في الحياة عامة. وما ذكرته من الأمثلة إنما هو نزر يسير من الهدى النبوي في المساعدات الغذائية فهناك الكثير من المصادر التطوعية للتغذية من منظور السنة النبوية وإنما اكتفيت بما ذكر للتدليل على المسألة فهناك طعام النسك في الحج وطعام الذبائح المسنونة كالأضاحي و أطعمة الفدية والكفارات ككفارة اليمين والفطر من رمضان وغيرها وستكلم عنها في موضوع المصادر التمويلية للخدمة الاجتماعية بمشيئة الله.

¹ العظيم آبادي ، عون المعبود : (211/10) .

² الطحاوي، شرح مشكل الآثار : (19/8) .

³ أخرجه: البخاري، الأدب المفرد، الصفحة (335 336)، رقم الحديث 1246 ، باب الدعوة في الختان. قال الشيخ ناصر الدين الألباني : ضعيف الإسناد موقوف . ينظر : ضعيف الأدب المفرد : الصفحة (110) .

⁴ أخرجه الطبراني ، المعجم الأوسط : (193/4)، رقم الحديث (3948) . قال الطبراني بعده لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أمية إلا يحيى بن عثمان التيمي تفرد به الصلت بن مسعود .

وهذه الأظعمة وإن خرجت من أصحابها مخرج البشارة والسرور، إلا أنها تقع في المجتمع موقع المواسة والتضامن وبذل الرغد للقريب والبعيد، وهي بذلك تعد رافدا للخدمة الاجتماعية، لما لها من الأثر الطيب في نفوس المدعوين، حيث تكون سببا لسد الخلة وتقوية أسرة المودة ودعم الروابط الأخوية بين أفراد المجتمع كما أنها تسد السخيمة من الصدور، لما في المشاركة على الطعام من روح البذل والعطاء، فهي بالتالي من أجل مقاصد الخدمة الاجتماعية، بزرع أسباب الاستقرار في الوحدات الاجتماعية وتمكين روابط المودة في النفوس مما يكون له كبير الأثر في التنشئة الاجتماعية للأفراد.

المطلب الثاني: رعاية الضيف والمسافر كخدمة اجتماعية عامة من منظور السنة.

إن الضيافة في مفهوم السنة النبوية حق من الحقوق اللازمة للمسلمين على بعضهم بعضا والغالب على المسافرين والذين يضربون في الأرض أنهم يحتاجون إلى خدمات لازمة لحفظ أنفسهم وأموالهم ولو ترك المجتمع مد يد المساعدة للمسافرين ومن لا يجد مأوى يأوي إليه فمما لا شك فيه أن ذلك يعود بالخرج على الناس بل وبالهلاك أحيانا والشدة، وعليه فإن الإسلام اعتبر ترك إضافة الضيف انحرافا أخلاقيا يدل على سوء خلق وطوية المجتمع .

لذلك ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن تارك واجب الضيافة معرضا بهم ناهيا لنا عن التشبه بهم كما جاء في قصة الخضر و موسى عليهما السلام حيث يقول الحق تبارك و تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ [الكهف: ٧٧]. فموسى عليه الصلاة السلام انطلق من مبدأ أن مساعدة الضيف واجبة، ومع تركهم واجب الضيافة قام بما قام به.

لكن في ضوء السنة النبوية المشرفة فإن للضيف حقا في القرى¹ حتى ولو كان من غير المسلمين « فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم: ضافه ضيف² كافر³ فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة، فحلبت، فشرب ، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب

¹ القرى: نزل الضيف، وهو ما يعد له ويحضر له من طعام وشراب. قال في عون المعبود : (215/10) قرى بكسر القاف مقصورا، ما يصنع للضيف من مأكول أو مشروب .

² أي صار ضيفا له ، يقال ضافه ضيف أي نزل به ضيف . ينظر عون المعبود : (10 / 225 . 226) .

³ قال الإمام الباقي في المنتقى : (332/9) روى ابن إسحاق أنه كان ثمامة بن أثال الحنفي وقال غيره كان جحاد الغفاري .

حلاب سبع شياه، ثم أصبح من الغد فأسلم، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أخرى، فلم يستتمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء»¹.

قال الإمام الباجي رحمه الله: «وهذا يقتضي جواز تضييف الكافر وهل يؤاكل أم لا؟ قال مالك في العتبية: ترك مؤاكلة النصراني في إناء واحد أحب إلي ولا أراه حراما. ولا نصادق نصرانيا فنهي عن مؤاكلته لما في ذلك من معنى المصادقة، وأما تضييفه فيحتمل أن يكون ذلك لمعنى الاستتلاف له ورجاء إسلامه ويحتمل أن يكون لما يخاف عليه من الضياع إذا كان ممن له حق عهد أو غيره»².

عن المقدم أبي كريمة³: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما رجل أضاف قوما فأصبح الضيف محروما، فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقري ليلة من زرعه وماله»⁴.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «قلنا: يا رسول الله، إنك تبعثنا، فننزل بقوم فلا يقروننا فما ترى فيه؟ فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا، فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»⁵.

¹ أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: (2/990)، رقم الحديث (2063) كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحد و الكافر في سبعة أمعاء. والترمذي: سنن الترمذي: (267/4)، رقم الحديث: (1819) كتاب الأطعمة باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للترمذي.

² الباجي، المنتقى في شرح الموطأ: (332/9).

³ هو مقدم بن معدى كرب أبو كريمة الكندي الشامي له صحبة. قاله البخاري، قال ابن حبان: سكن الشام مات سنة سبع وثمانين وهو بن إحدى وتسعين سنة. ينظر: البخاري التاريخ الكبير: (429/7)، رقم الترجمة (1882). وابن حبان الثقات (395/3).

⁴ أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة 414، رقم الحديثين (3750 و 3751) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة عن المقدم بن معدى كرب. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود: الصفحة: 300.

⁵ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (116/4) رقم الحديث (6137)، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف و خدمته إياه بنفسه، ومسلم، صحيح مسلم: (826/2) رقم الحديث: (1727)، كتاب القطة، باب الضيافة و نحوها. وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة (414)، رقم الحديث (3752) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة، عن من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. واللفظ للبخاري.

وفي رواية عند الترمذي قال : قلت : يا رسول الله، إنا نمر بقوم فلا هم يضيفونا ولهم يؤدون ما لنا عليهم من الحق ولا نحن نأخذ منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أبوا إلا أن تأخذوا كرها فخذوا »¹.

قال الإمام الترمذي: بعد سياقه للحديث: وكان عمر يأمر بنحو هذا، قال: ومعنى هذا الحديث: أنهم كانوا يخرجون في الغزو، فيمرون بقوم ولا يجدون من الطعام ما يشترتون بالثمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن أبوا أن يبيعوا إلا أن تأخذوا كرها فخذوا » هكذا روي في بعض الحديث مفسرا.²

قال في عون المعبود: « واعلم أن الضيافة ليست بواجبة عند جمهور العلماء لكن ذهب البعض إلى وجوبها لأمر:

الأول إباحة العقوبة بأخذ المال لمن ترك ذلك وهذا لا يكون في غير واجب.

والثاني: قوله: "فما سوى ذلك صدقة"، فإنه صريح أن ما قبل ذلك غير صدقة، بل واجب شرعا **والثالث** قوله صلى الله عليه و سلم: ليلة الضيف حق وفي رواية ليلة الضيافة واجبة فهذا التصريح بالوجوب.

والرابع قوله صلى الله عليه وسلم: « فإن نصره حق [على] كل مسلم »³ فإن هذا وجوب النصر وذلك فرع وجوب الضيافة وهذه الدلائل تقوي مذهب ذلك البعض وكانت أحاديث الضيافة مخصصة لأحاديث حرمة الأموال إلا بطيبة الأنفس»⁴

والسنة النبوية في باب الضيافة راعت التخفيف على الناس، فكلما كان الأمر خفيفا سهل الدوام عليه، وإن ثقل طلبت النفوس له مهربا وجدت للتخلص منه المخارج والأسباب لذا جاء

¹ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (148/4)، رقم الحديث (1589)، كتاب السير، باب ما يحل من أموال أهل الذمة ، من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. و قال الترمذي هذا حديث حسن، قلت: لكن الشيخ ناصر الدين الألباني ضعف رواية ابن لهيعة التي حسنها الترمذي، لمخالفة ابن لهيعة في سياقه للحديث، الليث بن سعد. و ينظر إرواء الغليل : (163/8).

² الترمذي، سنن الترمذي : (148/4).

³ طرف من حديث أخرجه أبو داود سنن أبي داود : الصفحة : (414) رقم الحديث (3751) كتاب الأطعمة باب عن المقدم أبي كريمة رضي الله عنه قلت : و هو ابن معدي كرب . و الحديث **ضعفه الألباني** في ضعيف سنن أبي داود : الصفحة (300).

⁴ العظيم آبادي ، **عون المعبود** : (10 / 217 . 218) .

في الحديث: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الضيافة ثلاثة أيام فما سوى ذلك فهو صدقة»¹.

قال الإمام النووي: «وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى والجمهور هي سنة ليست بوجبة وقال الليث وأحمد: هي واجبة يوما وليلة، قال أحمد رضي الله عنه: هي واجبة يوما وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن، وتأول الجمهور هذه الأحاديث وأشباهاها على الاستحباب ومكارم الأخلاق وتأكد حق الضيف كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم أي متأكد الاستحباب وتأولها الخطابي رضي الله عنه وغيره على المضطر والله أعلم»².

و«عن أبي شريح الكعبي³ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يومه وليلته الضيافة ثلاثة أيام وما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يخرجه»⁴.

وفي رواية: «عن أبي شريح العدوي [هو الكعبي] أنه قال: سمعت أذناي أبصرت عيناي حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته؟ قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه و قال: كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»⁵.

¹ أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (414)، رقم الحديث: (3749)، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة ن و قال الألباني في صحيح سنن أبي داود (437/2): حسن صحيح الإسناد.

² النووي، صحيح مسلم بشرح النووي: (31/12).

³ هو أبو شريح الخزازي ثم الكعبي خويلد بن عمرو وقيل عمرو بن خويلد وقيل هانئ وقيل كعب بن عمرو وقيل عبد الرحمن والأول أشهر، حجازي، أسلم قبل الفتح وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وروى أيضا عن بن مسعود رضي الله عنه روى عنه نافع بن جبير بن مطعم وأبو سعيد المقبري وابنه سعيد بن أبي سعيد، مات بالمدينة سنة ثمان وستين ينظر: ابن حجر، الإصابة: 98/7، البخاري، التاريخ الكبير: 224/3.

⁴ أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح: (116/4)، رقم الحديث (6135) ن كتاب الأدب باب إكرام الضيف وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (414)، رقم الحديث: (3748)، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة. عن أبي شريح الكعبي. و اللفظ لأبي داود.

⁵ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: (826/2)، رقم الحديث: (?). كتاب القطة، باب الضيافة ونحوها وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (345/4)، رقم الحديث (1967)، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الضيافة كم هو عن أبي شريح، واللفظ لمسلم.

قال النووي في شرح مسلم: «قال العلماء معناه الاهتمام به في اليوم واللييلة وإتحافه بما يمكن من بر وإلطف وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر ولا يزيد على عادته وأما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل وإن شاء ترك قالوا وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثمه معناه لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم لأنه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به مالا يجوز وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وهذا كله محمول على ما إذا أقام بعد الثلاث من غير استدعاء من المضيف أما إذا استدعاه وطلب زيادة إقامته أو علم أو ظن أنه لا يكره إقامته فلا بأس بالزيادة لأن النهي إنما كان لكونه يؤثمه وقد زال هذا المعنى والحالة هذه فلو شك في حال المضيف هل تكره الزيادة ويلحقه بما حرج أم لا تحل الزيادة إلا بإذنه لظاهر الحديث والله أعلم»¹. و في الأثر عن «أسلم مولى عمر بن الخطاب : «أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب: أربعة دنانير، وعلى أهل الورق، أربعين درهما، مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام»².

فلاحظ عمر بن الخطاب قد قام بترسيم الضيافة، قانونيا بلغة عصرنا، حيث جعلها ضمن التكاليف التي هي تابعة للجزية، و هو لا شك تصرف مستنبط من الهدي النبوي في ضرورة ضيافة أبناء السبيل و المنقطعين في الطرقات حتى يصلوا إلى و جهتهم، و هو لون من الخدمة الاجتماعية للمسافر.

¹ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : (31/12) .

² أخرجه :مالك، الموطأ : (375/1)، رقم الأثر : (757)، كتاب الزكاة ، جزية أهل الكتاب و الجوس . قال الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل : (101/5) ، إسناده صحيح .

المطلب الثالث: خدمة المسافرين ومرافق السفر في ضوء السنة النبوية.

كثير من مصالح الإنسان وضروراته لا يتحصل عليها إلا بالسفر سواء متعلما أو عالما أو عاملا أو تاجرا أو حاجا أو معتمرا أو سائحا... الخ، بمعنى أن جزءا من حياة الغالب الأعظم من الناس يقضونها في الترحال والتقلب بين الأوطان، والحال هذه تفرض أن تكون الخدمة الاجتماعية متوفرة لهذه الفئة الاجتماعية وهم المسافرون وخدمة المسافر تتناول الكثير من القضايا ذات الصلة بالخدمة الاجتماعية فتحسين الطريق وتعبيده وتأمينه وتوفير الخدمات المتعلقة به وتوفير وسائل الراحة للمسافرين يعد من الناحية العملية من صميم الخدمة الاجتماعية، وخدمة الطريق تتناول الإرشاد النبوي الشريف إلى إصلاحه، وتوسيعه، وإمطاة الأذى عنه، وتوفير الخدمات في أثناءه بالتعاون وحسن الرفقة.

الفرع الأول: خدمة الطرقات العامة.

- أولا: إصلاح الطريق و توسيعه.

إصلاح الطريق وتعبيده وتنظيفه من أجل مهام ولي أمر المسلمين ذلك لما للطريق من أهمية في قضاء الحاجات، و تيسير أسباب السفر على الناس، و في صدر الإسلام كان عمر بن الخطاب رضي الله يذكر في مراسلاته أن من مهام الأمير هو إصلاح الطريق وتنظيفه، فقد جاء في كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إلى أهل البصرة في تأمير أبي موسى الأشعري: « أما بعد فإني قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم... ولينقي لكم طرقكم¹ ». وفي السنة النبوية إرشادات و توجيهات قيمة في مجال خدمة الطريق و تعبده للخدمة .
عن أبي هريرة قال: «قضى النبي صلى الله عليه وسلم إذا تشاجروا في الطريق الميتاء² بسبعة أذرع³» والمراد هذا الحديث توسيع الطريق العام للمارة.

¹ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: الصفحة(424) .

² وطريق مئتة، بالكسر؛ كذا في النسخ والصواب: مئتة؛ عامر واضح هكذا رواه ثعلب بالهمز قال : وهو مفعال منأيت، أي يأتيه الناس. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس : (36 /37)، مادةأتي .

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (200/2) ، رقم الحديث : (2473)، كتاب المظالم و الغضب، باب إذا اختلفوا في الطريق الميتاء - و هي الرحبة تكون بين الطريق - ثم يريد أهلها البنيان فترك منها للطريق سبعة أذرع. عن أبي هريرة رضي الله عنه .

«إذا تدارأتم في طريق فاجعلوه سبعة أذرع»¹. قال الإمام الكتاني رحمه الله : «عن سُنن أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أن ينادي في معسكره : «أن من ضيق المنازل وقطعوا الطرق فيؤخذ منه صلى الله عليه طريقاً فلا جهاد له»². وذلك لما ضيق الناس المنازل وقطعوا الطرق فيؤخذ منه صلى الله عليه وسلم كان يجب النظام حتى في نصب الأخبية في السفر فكيف لا يجب ذلك في محل الإستيطان والبناء المشيد قال شارح السنن فيه أنه لا يجوز لأحد تضيق الطريق التي يمر منها الناس ونفي جهاد من فعل ذلك على طريق المبالغة في الزجر والتنفير وكذلك لا يجوز تضيق المنازل لما في ذلك من الأضرار»³

- ثانياً: إمطة الأذى عنه كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية. إن من محاسن أعمال الأمة الدالة على رقيها ورشدها هو إمطة الأذى عن الطريق وإزاحة كل ما يؤدي المارة من أذى ملموس ومشمووم ومسموع، فقد جاء في الحديث الثابت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عرضت علي أعمال أمتي: حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها: النخاعة تكون في المسجد لا تدفن»⁴.

فهذا الحديث الشريف قد عد من أجل محاسن الأمة الأذى يماط عن الطريق، لما للطريق في نظر الإسلام من حرمة، والتي هي من حرمة الإنسان، فضون الطريق عن كل أذى صون للحياة ودعم لخلق الحضارة في الأمة، وهذا الحديث يعد من أجل التوجيهات التي ينبغي أن تلقن للناشئة للتعود على سلوك النظافة في كل الأماكن الخاصة والعامة، وحال أمتنا اليوم لا يعكس بتاتا التزامنا بديننا الحنيف، فما أشد حاجتنا إلى مثل هذه التوجيهات النبوية كي تجعل شعارات و لافتات كبرى في الطرقات العامة لعلها تساهم في تهذيب الأخلاق وتصحيح ما انحرف منها.

¹ أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : (402) رقم الحديث : (3633) كتاب القضاء، باب من القضاء ، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : الصفحة : (404) .

² أخرجه أبو داود سنن أبي داود: الصفحة (297) ، رقم الحديث (2629)، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر من انضمام العسكر و سعتة، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه . و حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : (131/2) .

³ الكتاني ، التراتيب الإدارية : 238/1 .

⁴ أخرجه مسلم الجامع الصحيح : (249/1)، رقم الحديث : (554) كتاب المساجد و مواضع الصلاة .

وتعددت في السنة النبوية أسباب مغفرة الذنوب بذكر أعمال تكون سببا في مغفرة كذا من الذنوب، وهناك ذنوب تعلقت بحقوق الناس فكافرتها العمال الخيرية التي تمس الناس جميعا، أي أعمال يستفيد منها جمهور الناس الذين أساء في حقهم فهي شبيهة بالكفارات الاجتماعية بلغة عصرنا، ومن هذه الأعمال الجليلة التي تكفر الذنوب إمطة الأذى عن الطريق ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له¹». فتقدم الخدمة للمجتمع ومنها صون الطريق من الأذى سبب في تكفير ذنوب المسلم والذنب يزيله ما يناسبه وعلى الله قصد السبيل.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له. وقال الشهداء خمسة: المطعون والمبتون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله²».

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق إما كان في شجرة فقطعه وألقاه وإما كان موضوعا فأماطه فشكر الله له بها فأدخله الجنة³».

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، عليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخاعة تراها في المسجد فتدفنها، أو الشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزيانك⁴.

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (217/1) رقم الحديث (652)، كتاب باب فضل التهجير إلى الظهر . و مالك الموطأ : (190/1) ، رقم الحديث (346)، ما جاء في العتمة و الصبح، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² أخرجه مسلم : صحيح مسلم : (924/2) (1914) كتاب الإمامة ، باب بيان الشهداء
³ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، (298. 197/2)، رقم الحديث (540)، كتاب البر و الصلة ذكر رجاء الغفران لمن أَمَاط الأذى عن الأشجار و الحيطان إذا تأذى المسلمون به، وأبو داود، سنن أبي داود : الصفحة: (563) ، رقم الحديثين (5242 - 5245) كتاب الأدب ، باب في إمطة الأذى عن الطريق . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

⁴ أخرجه ابن خزيمة، صحح بن خزيمة: (229/ 2) ، باب ذكر عدد السلامى و هي المفاصل التي عليها الصدقة التي تجيء ركعتا الضحى من الصدقة التي على تلك المفاصل كلها و ابن حبان ، صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان : =

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن شجرة كانت تؤذي المسلمين فجاء رجل فقطعها فدخل الجنة¹»

عن أبي هريرة الأسلمي، قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله: إني لا أدري لعسى أن تمضي وأبقى بعدك فزودني شيئاً ينفعني الله به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعل كذا افعل كذا أبو بكر نسيه، وأمر الأذى عن الطريق².

- الفرع الثاني توفير الخدمات للمسافر في ضوء السنة النبوية.

من الأمور التي ميز الله بها الإنسان، الإقامة في وطن معين فهو كائن اجتماعي، وبها يتم له ناموس الاجتماع والتعارف لقيام مصالحه وتمام منفعه، وقد تعرض له أسباب فراق الأوطان فيتعرض من جراء ذلك إلى صنوف البلاء والاختبار لذلك جاء في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدهم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله³»

كما جاء التأكيد على حق ابن السبيل في الرشد والإعانة و مد يد المساعدة في القرآن الكريم في مواضع متعددة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ [البقرة: 215]

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: 60]

= (520/4)، رقم الحديث: 1642، كتاب الصلاة، ذكر تفضل الله جل و علا بكتبه الصدقة للدفان النخامة إذا رآها في المسجد . كلاهما عن أبي هريرة و اللفظ لابن حبان .

¹ أخرجه مسلم الجامع الصحيح : (2 / 1212) رقم الحديث (2617) ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق .

² أخرجه : أخرجه مسلم ، الجامع الصحيح : (2 / 1212) ، (2619) كتاب البر و الصلة و الآداب

³ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : 1 / 545 ، رقم الحديث : 1804 ، كتاب العمرة ، باب السفر قطعة من العذاب . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: 38] .

قال الإمام بن كثير في تفسيره : « { وَابْنَ السَّبِيلِ } وهو: المسافر المحتار الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده، وكذا الذي يريد سفرا في طاعة، فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه ويدخل في ذلك الضيف، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين، وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو جعفر الباقر، والحسن وقتادة، والضحاك والزهري، والريبع بن أنس، ومقاتل بن حيان»¹ .

كما أرشدت السنة النبوية إلى ألوان من آداب السفر تعد ضمن الخدمة المقدمة للمسافر فحثت المسافرين على مد يد المساعدة لبعضهم بعضا، عن طريق التعاون على توفير وسائل النقل، وهو لون من التعاون و التكافل بفضول الأموال و لو كانت وسائل نقل، فعن أبي سعيد الخدري : رضي الله عنهما قال: «بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه فضل ظهر² فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ،قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»³ .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : « في هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعرضه من غير سؤال وهذا معنى قوله فجعل يصرف بصره أي متعرضا لشيء يدفع به حاجته وفيه مواساة بن السبيل

¹ ابن كثير ، تفسير ابن كثير : 159/2 .

² الظهر ما يركب . ينظر ابن الجوزي ، كشف المشكل : 178 /3 .

³ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: (728/2)، رقم الحديث : (1728) ، كتاب اللقطة باب استحباب المواساة بفضول المال. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . و ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (238/12) رقم الحديث (5419). كتاب اللباس وآدابه، ذكر البيان بأن أثر النعمة يجب أن ترى على المنعم عليه في نفسه و مواساته عما فضل إخوانه . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والصدقة عليه إذا كان محتاجا وإن كان له راحلة وعليه ثياب أو كان موسرا في وطنه ولهذا يعطي من الزكاة في هذه الحال والله أعلم»¹

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: « في هذا الحديث مدح الفطنة لأنه لما رأى الرجل ينظر يمينا وشمالا علم أنه محتاج²»، وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله إشارة إلى ضرورة وجود الحس الاجتماعي وثقافة الخدمة الاجتماعية في أفراد المجتمع، والتي إن وجدت فهي تدل على الرقي الاجتماعي للمجتمع حيث أنه بوجود ثقافة الخدمة والمساعدة تحفظ كرامة الإنسان من التسول الذي هو تسويد لبريقها وإذهاب لماء الوجه، الذي في حفظه الناس أجر محتسب.

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر. وساق بسنده: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: كل سلامى عليه صدقة كل يوم : يعين الرجل في دابته يحامله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، و الكلمة الطيبة، و كل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة؛ و دل الطريق صدقة»³.

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله: « الإسلام لا يعد العبادة فيه مجرد إقامة الشعائر، وإنما هي الحياة كلها خاضعة لشريعة الله، متوجها بكل نشاط فيها إلى الله. ومن ثم يعد كل خدمة اجتماعية وكل عمل من أعمال الخير فيه عبادة... عن أنس رضي الله عنه قال: « كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر قال: فسقط الصوم، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه: " ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله»⁴... ولم يكن ذلك من محمد صلى الله عليه و سلم وهو أعرف

¹ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : 33/12 .

² ابن الجوزي ، كشف المشكل : 3/ 178 .

³ أخرجه البخاري، صحيح البخاري : 2 / 329 ، رقم الحديث : 2891 ، كتاب الجهاد و السير ، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر . عن أنس رضي الله عنه .

⁴ أخرجه البخاري، صحيح البخاري : 2 / 329، رقم الحديث : 2890 كتاب الجهاد و السير، باب فضل الخدمة في الغزو. و ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة : 3 / 261 ، رقم الحديث 2032 ، كتاب الصيام ، باب ذكر الدليل على أن الفطر الخادم في السفر أفضل من الصائم المخدوم في السفر . و لفظ البخاري صحيحه : عن أنس رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثرنا ظلا الذي يستظل بكسائه وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئا وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتحنوا وعالجوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالأجر. ليس في الحديث كلمة : " كله " إنما هي زيادة من المؤلف .

بدينه، استهانة بأمر الصوم والصلاة؛ و لكن إدراكا لحقيقة روح هذا الدين الذي يعمل للحياة و هو يعمل للعقيدة، فيمزج العقيدة بالحياة، ولا يقف بها في معزل وجداني في عالم الضمير¹ .

ولقد كان عمر رضي الله عنه وأرضاه سباقا إلى ابتكار ما نسميه النقل المجاني فكان يخصص للمسافرين الراحلة والراحتين، لنقل المسافرين بين القطار الإسلامية وهذا يعد ابتكار لا نظير له في تاريخ البشرية حيث تخصص وسائل النقل بالمجان للمحتاجين .

أخرج مالك رحمه الله قال: « عن يحيى بن سعيد: أن عمر بن الخطاب كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير يحمل الرجل إلى الشام على بعير ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير فجاءه رجل من أهل العراق فقال: احملني وسحيما فقال له عمر بن الخطاب: نشدتك الله أسحيم زق؟ قال له: نعم »²

قال الإمام الباجي رحمه الله: «قوله: "إن عمر بن الخطاب كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير": لكثرة من كان يحمله ممن يريد السفر فلا يقدر على راحلة ويعجز عن السفر مع حاجته إليه إما لكونه من أهل الآفاق فيعجز عن الرجوع إلى أفقه ووطنه وأهله وولده أو لغير ذلك من الوجوه التي لا يحصى عددها كثر مما يضطر الإنسان إلى السفر من أجلها فكان يحمل من كانت هذه حاله من أهل الحاجة ولعله أن يكون كان يحمل من يسعى في أمور المسلمين ممن يتعذر عليه راحلة لسفره ذلك فكان عمر بن الخطاب يتخذ من الإبل ما يحمل عليه من مال الله تعالى ويحمي لها الحمى»³

و هذا التصرف من أمير المؤمنين رضي الله عنه هو سبق عظيم في توفير وسائل النقل لمن يسعى في أمور المسلمين من و موظفين، و إداريين، جنود و غيرهم، و كذا الآفايين من عامة الناس كان سيدنا عمر يوفر لهم وسيلة الرجوع إلى منازلهم و أهليهم، كما أنه رضي الله عنه كان يخصص أراضي خاصة موقوفة للعناية بهذه الرواحل و هو ما يشبه الحظيرة في وقتنا الحاضر التي يعتنى فيها بوسائل النقل.

¹ سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام : الصفحة 13 .

² أخرجه مالك، الموطأ: (597/1) ، رقم الأثر: (1335)، كتاب الجهاد، ما يكره من الشيء يجعل في سبيل الله. و

ابن سعد، الطبقات الكبرى: (3 / 281 - 282) من طريق معن بن عيسى عن مالك

³ الباجي ، المنتقى شرح موطأ مالك : 421. 420 / 4 .

المطلب الرابع: كسوة العاري والتبرع بالملابس في ضوء السنة النبوية كخدة عامة.

الفرع الأول: مفهوم العري. قال ابن سيده: «العري خلاف اللبس عرى عريا وعرية... ورجل عريان والجمع عُريانون»⁽¹⁾

ويدخل في مفهوم العري: قلة اللباس في موسم البرد والأماكن الباردة، وأوقات الزلازل والأزمات الاقتصادية .

الفرع الثاني: كسوة العاري و التبرع بالملابس في ضوء السنة النبوية.

من أهم المقاييس الظاهرة في تقدير المستوى المعيشي للشعوب في نظري هو مدى وفرة الضرورات الحياة و منها اللباس، فالبؤس إنما تبدو مظاهره في اللباس، لذا نجد في الأمم المتقدمة هيئات خاصة تطوعية تشرف على توفير الألبسة للمحتاجين على وجه التبرع، سواء المنظمات الحكومية أو الجمعيات الشعبية خصوصا في فصل الشتاء .

والسنة النبوية المطهرة كان لها الحظ الأوفر في الدعوة إلى التبرع عامة والتبرع بالألبسة للمحتاجين على وجه الخصوص. فكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته رعاية أصحابه و من آوى إليه من المسلمين وغيرهم فكان يتفقد العاري فيكسوه، والجائع فيطعمه ويقضي حاجة كل محتاج، واهتمام الرسول بالجانب الاجتماعي في حياة الناس من شأنه أن يعزز فيهم الروح الدينية ويؤكد في نفوسهم أن هذا الدين يهتم بحياة الإنسان الاجتماعية كما يهتم بأخراه، ولقد حدثنا بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي كان مكلفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسائل المالية من ودائع و ديون ورعاية الضيوف والوافدين و قضاء حوائج المحتاجين.

أخرج أبو داود في سننه في حديث طويل نورد بعضه: عن عبد الله بن الهوزني² وهو عبد الله بن لحي الحمصي رحمه الله قال: « لقيت بلالا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلب فقلت: يا بلال، كيف كانت نفقة نبي الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما كان له شيء

¹ ابن سيده ، المحكم : (166/2) . مادة : عرى

² عبد الله بن لحي بضم اللام المهملة مصغرا. أبو عامر الهوزني ، حمصي ثقة مخضرم، يروى عن أبي عبيده بن الجراح وبلال ومعاويه رضي الله عنهم ، عداده في أهل الشام، روى عنه أهلها صفوان بن عمرو وذووه، و روى عنه أبو سلام قاله البخاري . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : 5 / 3 / 1 / 237 . و ابن حبان ، الثقات : 19/5 . ابن حجر ، تقريب التهذيب : 1 / 319 .

كنت أنا الذي ألي ذاك منه، منذ بعثه الله تعالى إلى أن توفاه، وكان إذا أتاه الإنسان مسلماً فيراه عارياً، يأمرني فأنتقل فأستقرض، فأشتري له البردة، فأكسوه وأطعمه... الحديث¹».

ويؤيد هذا المعنى الذي ذكرنا حديث: جرير بن عبد الله البجلي² رضي الله عنه: قال: «كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه قوم عراة محتاجي النمار³، أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى، ثم خطب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً⁴ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا⁵﴾ [النساء: 1] والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ⁶﴾ [الحشر: 18] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة، كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين⁴ من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل كأنه مدهنة

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (261/14 - 262)، رقم الحديث (6351)، كتاب التاريخ، باب صفته صلى الله عليه وسلم وأخباره، وأبو داود، سنن أبي داود، الصفحة: (346)، رقم الحديث: (3055) كتاب الخراج، باب في الإمام يقبل الهدايا المشركين، والبزار، مسند البزار: (215/4 - 216)، رقم الحديث (1382)، والطبراني، مسند الشاميين: (110/4)، رقم الحديث (2869)، عن عبد الله الهوزني عن بلال بن رباح رضي الله عنه. قال الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح أبي داود: (263/2) صحيح الإسناد.

² جرير بن عبد الله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة ابن جشم بن عوف [في الإصابة جشم بن عوف] بن خزيمه بن حرب بن علي بن مالك بن سعديكى أبا عمرو وقيل أبا عبد الله كان إسلامه في العام الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جرير أسلمت قبل موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً نزل جرير الكوفة وسكنها وكان له بها دار ثم تحول إلى قرقيسياء ومات بها سنة أربع وخمسين. وقد قيل إن جريراً توفي سنة إحدى وخمسين وقيل مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 120/1، و ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: 242/1.

³ أي لا يسبها. يقال اجتبى القميص والظلام: أي دخلت فيهما. وكل شيء قطع وسطه فهو مجبوب، ومجبوب وبه سمي جيب القميص. ينظر ابن الأثير، النهاية: 310/1.

⁴ أصل الكوم: من الارتفاع والعلو... هي بالفتح: المواضع المشرفة واحدها: كؤمة. ينظر: ابن الأثير النهاية في غريب الحديث و الأثر: 210/4 - 211.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»¹.

قال الإمام النووي: «وأما سبب سروره صلى الله عليه وسلم وفرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتنال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها»² إلى آخره فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنة والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفتاح لباب هذا الإحسان وفي هذا الحديث تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة³. ولا بأس أن يتبرع الإنسان لأخيه الإنسان بما وجد، ذلك لأن التكلف يقطع الإحسان والصلة لذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نحتقر المعروف و " لو فرسن شاة " ولو كان يسيراً و ذلك لأجل استمرار الناس على سنة البذل والإحسان، فلو قصر التبرع على الجيد فقط لحرمت فئة عريضة في المجتمع من المساهمة الفاعلة في العمل التطوعي والتبرع وعليه جاء في الحديث التشجيع على التبرع بالعتيق والجديد وقد يكون أجر العتيق أكبر من الجديد لمكان الإيثار وصناعة الاستثناء في البذل والعتاء .

¹ أخرجه : مسلم صحيح مسلم : (451/1) ، رقم الحديث : (1017) ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة و لو بشق تمر أو كلمة طيبة و أنها حجاب من النار .

² طرف من حديث أخرجه مسلم صحيح مسلم : (451/1) ، رقم الحديث : (1017) ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة و لو بشق تمر أو كلمة طيبة و أنها حجاب من النار .

³ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : 7 / 103 - 104 .

أخرج الحاكم: عن حصين¹ قال كنت عند بن عباس فجاء سائل فسأل فقال له ابن عباس أتشهد أن لا إله إلا الله قال: نعم قال: وتشهد أن محمدا رسول الله قال: نعم وتصلي الخمس قال: نعم قال: وتصوم رمضان قال: نعم قال: أما أن لك علينا حقا يا غلام أكسه ثوبا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك²

« عن أبي حازم، قال: قال أبو هريرة: من كسا خلقا [بكسر اللام] كساه الله به حريرا ومن كسا جديدا كساه الله به إستبرقا³ ». ففي هذا الحديث أن من كسا أخاه بما تيسر ولو ثوبا خلقا قديما كساه الله حريرا ذلك أن العبرة بروح التضامن والمبادرة إلى خدمة الآخرين بما تيسر والأعمال بالنيات .

وعليه فتحت السنة النبوية مجال الإبداع والابتكار في كل المجالات ذات الطابع الخيري والمردود الإيجابي على المجتمع، فكل اجتهاد وابتكار من الجمعيات الخيرية والمنظمات الإغاثية يعتبر في منظور السنة النبوية حسنة، لأنه يصب في صالح خدمة المحتاجين وكسوة العراة . ويتأكد على المسلمين الإبداع في ابتكار طرق جديدة للعمل الخيري خصوصا في هذا الزمان الذي تشعبت فيه العلوم و التخصصات و أصبح العمل الإغاثي في شكل منظمات دولية لها أهداف معينة فينبغي للمسلمين أن تكون لمستهم و إبداعاتهم ظاهرة في مجال الإغاثة الدولية

¹ هو حصين بن مالك بن أبي عوف البجلي، له إدراك وشهد القادسية، وكان على بجيلة يومئذ، روى عن ابن عباس روى عنه أبو العلاء خالد بن طهمان الخفاف. قال أبو زرعة كوفي بجلي ليس به بأس، ينظر : ابن أبي حاتم المرح و التعديل: (3 / 195 - 196)، ترجمة رقم (849)، و ابن حجر، الإصابة : (2 / 62) ترجمة رقم (1981) والبخاري، التاريخ الكبير: (9/3) باب حصين، ترجمة رقم 29 .

² أخرجه الحاكم ، المستدرك : (4/196)، و البخاري التاريخ الكبير: (53/9) من طريق خالد بن طهمان عن حصين عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال الذهبي في التلخيص على المستدرك : خالد ضعفه. قال ابن أبي حاتم في الععل: «وسألت أبي عن حديث رواه خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف، عن حصين ، وليس بابن عبد الرحمن [يريد أنه حصين بن مالك البجلي] ، عن ابن عباس ، قال : " من كسا مسلما ثوبا كان في حفظ من الله ما واره منه رقعة. قال أبي : حدثنا أحمد بن يونس، عن أبي العلاء الخفاف، عن حصين، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم. قلت لأبي : فأيهما أصح ؟ قال : الناس يرفعونه ، مرفوع عندي صحيح.»

³ ابن أبي شيبة : المصنف: (19 / 220) ، رقم الحديث (35849) كتاب الزهد، من كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

والمحلية. لتكون شهادتهم صادقة على مدى اهتمام الإسلام بالجانب الاجتماعي والخدمة الاجتماعية على وجه الخصوص . وسوف نتكلم إن شاء الله عن بعض الطرق المبتكرة في مجال التبرع بالألبسة في فصل سبل تفعيل الخدمة الاجتماعية في عصرنا .

جامعة الأمير عبد القادر للقانون والعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: نماذج من خدمة الأزمة في ضوء السنة النبوية.

المطلب الأول: مفهوم الحرب لغة و اصطلاحا

- الفرع الأول : تعريف الحرب لغة.

قال الجوهري: «الحرب تَوْنَتْ، يقال: وقعت بينهم حرب. قال الخليل: تصغيرها حُرْبٌ بلا هاء رواية عن العرب. قال المازني: لأنه في الأصل مصدر. وقال المبرد: الحرب قد تذكر... وأنا حرب لمن حاربني، أي عدو. و تحاربوا، واحتربوا و حاربوا بمعنى. ورجل محرب بكسر الميم أي صاحب حروب¹».

قال ابن فارس: «الحاء والراء والباء أصولٌ ثلاثة: أحدها السُّلْبُ، والآخر دُوَيْبَةُ، والثالث بعض المجالس. فالأول: الحَرْبُ، واشتقاقها من الحَرْبِ وهو السُّلْبُ. يقال حَرَّبْتُهُ مَالَهُ، وقد حُرِبَ ماله أي سُلِبَ، حَرَبًا. والحرب: المحروب. ورجل حَرَابٍ: شجاع قَوُومٌ بأمر الحرب مباشرٌ لها. وحرية الرَّجُلِ: ماله الذي يعيش به، فإذا سُلِبَ لم يَقُمْ بعده. ويقال أَسَدُ حَرِبٍ، أي من شدة غضبه كأنه حُرِبَ شيئاً أي سُلِبَ. وكذلك الرجل الحَرِبُ.»²

- الفرع الثاني : الحرب في الاصطلاح.

« الحرب في القانون الدولي العام صراع مسلح بين الدول بقصد فرض وجهة نظر سياسية وفقا للوسائل المنظمة بالقانون الدولي، وذكر كلاوزفيج أحد قادة وباحثي العسكرية الألمانية أن الحرب : " إحدى و سائل السياسة للحصول على مطالب".

و عرفها الدكتور عبد العزيز سرحان: " بأنها بأنها نزال مسلح بين الدول بقصد تحقيق غرض سياسي. وعرفت في كتاب أنظمة الخدمة السفيرية بأنها: آخر الوسائل السياسية لحماية الأمة ومصالحها .

والذي يظهر لي [المؤلف] أن الحرب سواء كانت لتحقيق غرض سياسي، أو لتحقيق غرض ديني أو اقتصادي أو غير ذلك، سواء كانت وفق قواعد القانون الدولي العام أو مخالفة لها فهي لا تعدو عن كونها صراعا مسلحا بين الدول بهدف تغلب بعضها على بعض»³.

¹ الجوهري، الصحاح : (108/1) .

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (2/ 48) ، مادة : " حرب " .

³ العلي عبد الله بن صالح، الحرب في الشريعة الإسلامية و القانون الدولي العام : الصفحة 54 - 55

المطلب الثاني: الخدمة أثناء الحروب في ضوء السنة النبوية.

الفرع الأول: فضل الخدمة العامة في وقت الحروب.

بواب الترمذي في السنن باب ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله، وساق بإسناده «...عن عدي بن حاتم الطائي، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم: أي الصدقة أفضل؟ قال خدمة عبد في سبيل الله، أو ظل فسطاط¹، أو طروقة فحل² في سبيل الله»³

قال المناوي في فيض القدير: « وهذا عطف على منحة خادم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أي منحة ناقة ، وكان الظاهر أن يقال منحة فسطاس كما في القرينتين فوضع الظل موضعها ، لأن غاية منفعتها الاستظلال بها⁴»

إن أشد ما تكون الحاجة ماسة إليهمو التبرع بالخدمة المطلوبة أوقات الأزمات والحروب وذلك لقلة الموارد وتعطل السير الطبيعي للحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعليه حثت السنة النبوية على التبرع في أوقات الحروب وضرورة توفير الخدمات الاجتماعية للمقاتلين والمصابين وتنوع الخدمات المقدمة في الحرب إلى أنواع عدة منها:

أولاً: التبرع بالعلاج في الحرب كخدمة اجتماعية من منظور السنة . عن حشرج بن زياد⁵ عن

¹ فسطاط : أي خيمة يستظل بها المجاهد . ينظر المناوي فيض القدير : (40/2) .

² طروقة فحل: بفتح الطاء فعولة بمعنى مفعولة أي مركوبة يعني ناقة أو فرس بلغت أن يطرفها الفحل يعطيه إياها ليركبها إعرارة أو هبة. ينظر المناوي فيض القدير : (40/2)

³ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (4/ 168) ، رقم الحديث (1626) كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله . عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ، و أخرجه الترمذي (4/169) رقم الحديث: (1627) و أحمد، المسند: (36/659) رقم الحديث : (22321) . من طريق عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة رضي الله عنه. و قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، أي رواية القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه و الحديث حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (2/77) .

⁴ المناوي ، فيض القدير : (40/2) .

⁵ حشرج بن زياد النخعي، وقيل الأشجعي قال في تهذيب التهذيب : ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حزم و ابن القطان إنه مجهول وقال عبد الحق لم يرو عنه إلا رافع ، روى عن جدته أم أبيه، سمع منه رافع بن سلمة . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : 3 / 118/2/1 ، رقم الترجمة: 393 ، و ابن حبان، الثقات: 6/248 ، و ابن حجر تهذيب التهذيب : 1/439 . 440 .

جدته أم أبيه¹ : أنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر، سادس ست نسوة، قالت : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إلينا فجئنا، فرأينا فيه الغضب فقال: «مع من خرجتن؟ وبإذن من خرجتن؟» فقلنا: يارسول الله، خرجنا نغزل الشعر ونعين به في سبيل الله، ونناول السهام -ومعنا دواء للجرحى ونناول السهام ونسقي السويق قال : «فمن، حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا، كما أسهم للرجال» قال : قلت لها: يا جدة، ما كان ذلك؟ قالت : تمرا².

- ثانيا : توفير الماء والطعام.

وفيه حديث ثعلبة بن أبي مالك: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قسم مروطا بين نساء من نساء المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله التي عندك - يريدون - : أم كلثوم بنت علي³ فقال عمر : أم سليط⁴ أحق، و أم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد . قال أبو عبد الله تزفر تخيط⁵.

¹ أم زياد الأشجعية صحابية، خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر سادسة ست نسوة، روى حديثها رافع بن سلمة بن زياد الأشجعي عن حشر بن زياد الأشجعي . المزي ، تهذيب الكمال : 70/35 ، و ابن حجر الإصابة : 235/8 . و قال الذهبي في الكاشف : 525/2 : " عنها سبطها حشر بن نباتة" . و الصحيح حشر بن زياد . حيث أن الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب، 440/1 : قال في ترجمة حشر بن نباتة أبو مكرم الكوفي و يقال الواسطي روى عن سعيد بن جهمان ... و عنه بقية و يونس المؤدب ... الخ .

² أخرجه: أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة (308)، رقم الحديث : (2729) ، كتاب الجهاد ، باب في المرأة العبد يحذيان من الغنيمة .

³ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب الهاشمية أمها فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر: ولدت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تزوجها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ولدت له ابنه زيادا و رقية . ينظر ابن حجر الإصابة : (275/8) . رقم الترجمة (1473) . الاستيعاب في معرفة الأصحاب : الصفحة : 962 ، رقم الترجمة : 3566 .

⁴ أم سليط: من المبايعات، حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال عمر بن الخطاب كانت ممن يزفر لنا القرب يوم أحد، قلت: ثبت ذكرها في صحيح البخاري عن عمر كناها عمر بابنها سليط بن أبي سليط بن أبي حارثة وهي أم قيس بنت عبيد ذكر ذلك بن سعد كما سيأتي في حرف القاف ثم ذكر غيره أنها تزوجت بعد أبي سليط مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري فولدت أبا سعيد فهو أخو سليط بن أبي سليط لأمه . ينظر ابن حجر ، الإصابة : (242/8) .

⁵ أخرجه البخاري : (326/2) ، رقم الحديث (2881) ، كتاب الجهاد ، باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو عن ثعلبة بن أبي مالك رضي الله عنه .

- ثالثا توفير العدة للمقاتلين كخدمة في أثناء الحرب.

- و في حديث أم زياد السابق: أنها قالت حين سأها رسول الله صلى الله عليه و سلم : «مع من خرجتن؟ وبإذن من خرجتن؟» فقلنا: يارسول الله، خرجنا نغزل الشعر، ونعين به في سبيل الله، ونناول السهام... الحديث «. وهنا نسجل الدور الفعال للمرأة في الخدمة الاجتماعية بل والعسكرية في ساحات القتال، وأين هذا مما نسمعه ونراه من إنكار على تولى المرأة المناصب الاجتماعية و غيرها في عصرنا الحاضر.

بل نجد في السنة النبوية مساهمة الأطفال في الخدمة بما يتناسب وما يقدرون عليه من المهام بوب الإمام البخاري في صحيح: باب من غزا بصبي للخدمة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة: «التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر، فخرج بي أبو طلحة مردفي و أنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرا يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز، و الكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال الحديث¹

وقد رفعت السنة النبوية من مقام النفقة في سبيل الله ومنها توفير الخدمة الاجتماعية للجنود حيث جعلت من النفقة على الخيل في سبيل الله من أعظم الصدقات مثل من ييسر كفه لا يقبضها ، و في عصرنا يدخل هذا الترغيب في النفقة على المراكب و كل مرفق يساهم في توفير الداء الحسن للقائمين على حراسة بيضة الأمة من كل انتهاك .

ففي الحديث عن قيس بن بشر التغلبي² رحمه الله قال: أخبرني أبي - وكان جليسا لأبي الدرداء قال: كان بدمشق رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقال له: ابن الخنظلية³ وكان رجلا متوحدا، قلما يجالس الناس، إنما هو صلاة، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير، حتى يأتي أهله قال: فمر بنا ونحن عند أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء، كلمة تنفعنا ولا تضرك قال: ... ثم

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح :2/ 329 - 330 . كتاب الجهاد و السير ، باب من غزا بصبي للخدمة .

² قيس بن بشر التغلبي من أهل قنسرين الشامي عن أبيه روى عنه هشام بن سعد . ينظر البخاري ، التاريخ الكبير : (155/7) رقم الترجمة : (697) . و ابن حبان، الثقات : 330/7 .

³ هو سهل بن الخنظلية الأنصاري، له صحبة وكان عقيما لا يولد له، بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، نزل الشام. ينظر البخاري ن التاريخ الكبير : 4 / 2 / 2 / 98 .

مر بنا يوماً آخر، فقال له أبو الدرداء: كلمة تنفعنا ولا تضرنا، قال: نعم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المنفق على الخيل، كالباسط يده بالصدقة: لا يقبضها...»¹ وعند ابن حبان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المنفق على الخيل كالمتكفف بالصدقة» فقلنا لمعمر: ما المتكفف بالصدقة قال: الذي يعطى بكفيه.²

والظاهر أن الخيل هنا الخيل المستعملة في سبيل الله، وكل ظهر كان مستعملاً في سبيل الله فالنفقة عليه صدقة مبسوطة، تعود على صاحبها بالخير الجزيل، وذلك أنها نفقة متعددة النفع للناس، فالفرس المعد في سبيل الله و كل مركوب أعد في سبيل الله يعد صدقة لها شأنها في ميزان السنة النبوية. و يدخل فيه في عصرنا كل نفقة أعدت للمراكب الحديثة المستعملة في سبيل الخير لحمل المرضى من المحتاجين، ومساعدة المتدربين الذي بعدت ديارهم عن المدارس، وكل ظهر أعد في سبيل الله؛ لحمل المؤن عن العاجزين وذوي الاحتياجات الخاصة، فالذي يبذل ماله في إصلاح هذه المراكب من سيارات وحافلات وشاحنات، لإغاثة المحتاجين في كل الأصعدة فنفقته لها نظير النفقة على الفرس إن شاء الله وهو المجازي. لكن يشبهه من ظاهر الحديث الشريف أن تكون النفقة على الفرس أكبر أجراً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " في كل ذات كبد رطبة أجر"³، و العلم عند الله. عن عبد الرحمن بن حباب رضي الله عنه: قال: «شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان

¹ أخرجه أبو داود سنن أبي داود: الصفحة: (446 - 447)، رقم الحديث: (489)، كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار، و الحاكم في المستدرک: (2/ 91)، عن قيس بن بشر التعلبي عن أبيه. و حسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان (350/10). و قال الشيخ ناصر الدين في صحيح الترغيب و التهيب: (82/1) صحيح لغيره.

² أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (10/ 530)، رقم الحديث: 4675، كتاب السير، ذكر البيان بأن النفقة لمربط الخيل و محبسها تكون كالصدقة. و قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: حديث صحيح. و كذا صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب و التهيب: (81/1).

³ طرف من حديث؛ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (2/ 165)، رقم الحديث (2363)، كتاب الشرب و المساقاة، باب فضل سقي الماء، و مسلم، صحيح مسلم: الصفحة (1068)، رقم الحديث (2244)، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة و إطعامها، و ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (2/ 302)، كتاب البر و الإحسان، جميعهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بن عفان، فقال: يا رسول الله، علي مائة بعير بأحلاسها¹ وأقتابها² في سبيل الله ثم حض علي الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله، علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض علي الجيش، فقام عثمان بن عفان، فقال: علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينزل عن المنبر، وهو يقول: ما على عثمان ما فعل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه؟³ قال الترمذي هذا حديث غريب⁴ من هذا الوجه.

وفي رواية: عن كثير⁵ مولى عبد الرحمن بن سمرة، [عن عبد الرحمن بن سمرة]⁶ قال: "جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار، قال الحسن بن واقع: وكان في موضع آخر من كتابي: في كفه حين جهز جيش العسرة، فينثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها في حجره ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين»⁷.

¹ جمع جلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الأثر: 192/1.

² والقتب إكاف الجمل. وإذا كان البعير للسنانية. قيل: قتب. ينظر: الحربي، غريب الحديث: الصفحة، 894.
³ أخرجه الترمذي. سنن الترمذي: الصفحة (839) رقم الحديث (3700) كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه. و أحمد ن المسند: (247/27)، رقم الحديث (16696)، عن فرقد أبي طلحة عن عبد الرحمن بن خباب مرفوعا. قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند إسناده ضعيف لجهالة فرقد أبي طلحة. و ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي: الصفحة (421).

⁴ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الغريب ما يتفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند... ثم الغرابة إما أن تكون في أصل السند، أولا، فالأول الفرد المطلق: ... وهو أن يستمر التفرد في جميع رواياتهم وأكثرهم. والثاني الفرد النسبي: سمي نسبيا لكون التفرد فيه حصل بالنسبة إلى شخص معين، وإن كان الحديث فينفسه مشهورا ويقبل إطلاق الفردية عليه، لأن الغريب والفرد مترادفان لغة واصطلاحاً إلا أن أهل الاصطلاح غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعمال وقتله. فالفرد أكثر ما يطلقونه على الفرد المطلق، والغريب أكثر ما يطلقونه على الفرد النسبي». ينظر: الحافظ ابن حجر، النكت على نزهة النظر، الصفحة (70 - 81) بتصرف.

⁵ هو كثير بن كثير أو ابن أبي كثير مولى ابن سمرة سمع عبد الرحمن بن سمرة القرشي، روى عن عمر مرسلا، روى عنه قتادة و البصريون. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: (211/7). و ابن حبان، الثقات: (332/5). ابن أبي حاتم الجرح والتعديل: (156/7).

⁶ سقط ذكر "عبد الرحمن بن سمرة" من طبعة مصطفى الباي الحلبي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض.

⁷ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 626/5، رقم الحديث: 3701، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، و حسنه الألباني، في صحيح الترمذي: (515/3).

قال في تحفة الأحوذى: «وفي قوله: "ما عمل بعد هذه" موصولة اسم ليس أي ليس عليه ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية»¹.
فهذا الحديث الشريف يدلنا على المنهج النبوي في الحظ على النفقة في سبيل الله جل وعلا وأن الأعمال الجليلة والخدمات المقدمة للمجتمع تعد من أجل القربات حيث ترفع صاحبها إلى أرفع الدرجات، وفي هذا الحديث دليل على أن العقيدة الصحيحة هي أساس العمل الخيري وقاعدته فكلما صح العقد وخلصت النية لله تبارك وتعالى كانت العجائب في سلوك الأفراد والمجتمعات، لذلك وجدنا الصحابة يضربون أروع الأمثلة في الخدمة الاجتماعية وفي التكافل والتضحية كل ذلك سببه التنشئة الاجتماعية الصحيحة على المنهج النبوي الكريم والذي أساسه صحة المعتقد وتوازن الخلق وتقديم حظ الجماعة على حظ النفس، فأسسوا بذلك لأروع مدنية لم يعرف لها مثيل عبر تاريخ البشرية الطويل تقوم على العدل والتكافل والرفق وكل المعاني السامية.

¹ المباركفوري ، تحفة الأحوذى : 192/10 .

المطلب الثالث: الخدمة الاجتماعية أثناء المجاعات والأزمات في ضوء السنة النبوية.

الفرع الأول: تعريف المجاعة لغة واصطلاحاً.

أ. المجاعة لغة.

قال ابن فارس: «الجيم و الواو و العين كلمة واحدة . فالجوع ضد الشبع ، و يقال : عام مجاعة ومجوعة»¹

قال الجوهري: «الجوع: نقيض الشبع. وقد جاع يجوع جوعاً ومجاعة. والجوعة: المرة الواحدة. وقوم جياع وجوع. و عام **مجاعة** ومجوعة بتسكين الجيم. و أجاعه و جوعه و في المثل " أجمع كلبك يتبعك " و تجوع أي تعمد الجوع ، و رجل مستجيع لا تراه أبداً إلا أنه جائع»².

ب المجاعة اصطلاحاً: المجاعة هي قلة شديدة في أسباب معاش الإنسان من موارد غذائية و مياه .

الفرع الثاني : أسباب المجاعة في ضوء الواقع .

المجاعة في الغالب كما يقول الباحثون من صنع البشر؛ قال الله تبارك و تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:30] ، وذلك جراء الحروب و شره التجار العالميين الذين يمسكون بزمام الأمور، و إلا لماذا نجد شعوباً متخمة ترمي الزائد من القوت في البحار و نجد شعوباً تهلك من المجاعة و سوء التغذية، « و قد قدر تقرير للصليب الأحمر عام 1929 أن ثلاثة ملايين وفاة كل عام يمكن إرجاعها إلى المجاعة»³

ولله در الإمام المقرئ⁴؛ إذ هو حسب علمي من أشهر من كتب في: تاريخ المجاعات؛ في

¹ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : (495/1) . مادة: " جوع "

² الجوهري ، الصحاح : (1201 /3) . " جوع "

³ فرانسيس مور لايبه، صناعة الجوع و خرافة الندرة ، ترجمة أحمد حسان : الصفحة 75

⁴ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد المقرئ الحنفي البعلبي الأصل المصري المولد والدار والوفاة الإمام العالم البار عمدة المؤرخين وعين المحدثين ولد بعد سنة ستين وسبعمائة ونشأ بالقاهرة وتفقه على مذهب الحنفية وهو مذهب جده العلامة شمس الدين محمد بن الصايغ ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة وسمع الكثير من الأمدى والسراج البلقيني والزين العراقي وسمع بمكة من ابن سكر وغيرهم من مصنفاة : إمتاع الأسماع فيما =

كتابه **إغاثة الأمة في كشف الغمة**¹، حيث « أدى به البحث إلى أن أسباب ما ينزل بالناس من مجاعات وطواعين وأغلبية، [يقصد غلاء الأسعار] إنما هو سوء تدبير الملوك والحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد، لا نقص النيل أو قلة المطر، ولا غضب الله على أهل مصر خاصة، هو تخريج اقتصادي سليم لم يسبق إليه أحد من المؤلفين في الشرق الإسلامي أو الرب المسيحي قبل المقريري² » .

ويؤيد ما ذهب إليه المقريري ما كتبه : فرانسيس مور لاييه، حيث يقول في كتابه صناعة الجوع : «يسوق الكثيرون الحجة القائلة أنه كانت هناك مجاعات دورية طوال تاريخ البشرية، وأن هذه المجاعات ترتبط بكوارث الطقس التي لا نستطيع التحكم فيها بالتأكيد لكن المجاعات لا تحدث لأن قوة إلهية أرادت ذلك ، بل تحدث لتصرفات البشر. و كما أشار مؤرخ فرنسي فإن : المجاعات و فترات شح الغذاء الفرنسية الكبرى في العصور الوسطى حدثت خلال فترات لم تكن فيها المواد الغذائية شحيحة؛ بل كانت في الحقيقة تنتج بكميات كبيرة وتصدر. وكان النظام و البنية الاجتماعيين مسؤولين بدرجة كبيرة عن أوجه النقص هذه³ .

ورد في كتاب: **إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا:** « إن العالم الغربي يريد لإفريقية أن تموت جوعا، بل إنه قد خطط لذلك، لو أراد ذلك العالم أن ينقذ إخواننا في إفريقية من الموت جوعا لفعّل، وما أعجزته الإمكانيات، فالولايات المتحدة الأمريكية تنفق سنويا أربعة ونصف مليار دولار سنويا في صناعة أطعمة الكلاب والقطط، وهذا المبلغ يتجاوز مجموع الدخل القومي للقارة الإفريقية باستثناء الدول المنتجة للبترو ل . ولكن حياة الحيوانات أهم لدى الولايات المتحدة من حياة الناس المسلمين !!! وإيطاليا تقتل آلاف من رؤوس البقر سنويا، وتدفع عن كل رأس 600 دولار لأصحابها للحفاظ على أسعار اللحوم ومنتجات الألبان.

= للنبي من الحفدة والمتاع، وكتاب الخبر عن البشر، وله كتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات، و كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ذكر فيه من مات بعد مولده إلى يوم وفاته وكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، و غيره . توفي يوم الخميس سادس عشر رمضان [سنة 845 هـ] بالقاهرة ودفن بمقبرة الصوفية . ينظر ابن العماد : شذرات الذهب : 370/9 . 371 .

¹ ينظر كتاب: سمير سرحان، مقدمة كتاب المختار من إغاثة الأمة في كشف الغمة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب

² سمير سرحان ، مقدمة كتاب: المختار من إغاثة الأمة في كشف الغمة .الصفحة 20 .

³ فرانسيس مور لاييه، صناعة الجوع و خرافة الندرة، ترجمة أحمد حسان : الصفحة 73 .

كما أن الدول الأوروبية تلقي كل عام بأطنان من محاصيل التفاح في البحر أو تدفنها في الأرض للحفاظ على أسعاره ... إننا في الوقت الذي نسمع فيه أن خطر المجاعة يهدد مالي و ساحل العاج والسينغال والصومال وأثيوبيا ، لا تزال المشكلة الأساسية أمام المزارعين الأمريكيين هي التخلص من الفائض الكبير من القمح¹. و أمام هذا التصرف الطائش والانساني جاءت السنة النبوية بتوجيهاتها النيرة لتتبرر درب الإنسانية جمعاء على أساس مكين من التعاون و التآزر ولو في أبسط المتطلبات بله الضرورات. وهذا ما سوف نراه في الفروع الموالية.

الفرع الثالث: طرق الإغاثة أثناء المجاعة كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.

وغرضنا هنا بيان الهدي النبوي والإرشاد المصطفوي في ميدان الخدمة الغذائية في أوقات المجاعات والأزمات الحادة. وأنه ينبغي التكاتف بين مؤسسات الدولة والمجتمع جميعا لمواجهة الأزمة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الواجب الأول يتجه إلى ولاة الأمور، فهم من يقع على عاتقهم حسن توفير الخدمة الاجتماعية في وقت الأزمة ، و اقتراح السبل والحلول الكفيلة للتخفيف من وطئتها، ثم البرنامج والسبل المفضية للقضاء عليها.

قال إمام الحرمين: «وأما سد الحاجات والخصاصات فمن أهم المهمات ويتعلق بهذا ضرب من الكلام الكلي وقد لا يكفي مجموعا في الفقه فأقول إذا بنينا على غالب الأمر في العادات وفرضنا انتفاء الزمان² عن الجوائح³ والعاهات ، وضروب الآفات ووفق المثرثون المؤثرثون لأداء الزكوات ، انطبقت فضلات أموال الأغنياء على أقدار الحاجات، وإن قدرت آفة وأزم [أزمة] وقحط، وجدب، وعارضة غلاء، في الأسعار تزيد معه أقدار الزكوات على مبالغ الحاجات فالوجه استحاث الخلق بالموعظة الحسنة على أداء ما افترض الله عليهم في السنة . فإن اتفق مع بذل الجهود في ذلك، فقراء محتاجون، لم تف الزكوات بحاجاتهم، فحق على الإمام أن يجعل الاعتناء بهم من أهم أمر في باله، فالدنيا بحذافيرها لا تعدل تضرر فقير من فقراء المسلمين في ضرر فإن انتهى نظر الإمام إليهم رم [أي عاجل] ما استمر من أحوالهم من

¹ جمال عبد الهادي و وفاء جمعة، إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا : الصفحة (5)

² قلت: في الكتاب المطبوع : "الرمان" بالراء المهملة و هو خطأ .

³ قلت : في الكتاب المطبوع : "الحوائج " و هو خطأ صوابه الجوائح جمع جائحة . و بما يستقيم الكلام .

الجهات التي سيأتي عليها شرحنا إن شاء الله عز وجل فإن لم يبلغهم نظر الإمام، وجب على ذوي اليسار والاعتدال البدار إلى رفع الضرر عنهم وإن ضاع فقير بين ظهري موسرين حرجوا [أي أثموا] من عند آخرهم وباؤا بأعظم المآثم وكان الله طليهم وحسيهم»¹

وقد جاءت السنة النبوية بجملة من التوجيهات وخرجت مخرج الترغيب، تكون كفيلة إن شاء الله بسد الخلة ورأب الصدع في حال المجاعات بحول الله، وقد استقرأت ما قدرت عليه من الأحاديث النبوية في هذا الباب و صنفتها حسب موضوعها .

- أولاً: فضل الإطعام في المجاعة كخدمة عامة من منظور السنة .

المجاعة من الأزمات التي تحل بالجماعات البشرية، ويهلك جرائها الكثير من الناس، و إن من أنسب الحلول الظرفية لأزمة المجاعة؛ هو التضامن بين الناس، ومد يد المساعدة لبعضهم بعضا لذا تواترت النصوص في السنة النبوية تدعوا وترغب في إغاثة اللفهان وإطعام الجائع ، ففي العام الذي جاع الناس فيه، أمر النبي صلى الله عليه و سلم بأكل لحوم الأضاحي، وألا يدخروا منها شيئا فوق ثلاث، مع أنهم كانوا يأكلون و يدخرون قبل ذلك، وقد أشكل الأمر على بعض الناس في الصدر الأول فسأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حكم ادخار لحوم الأضاحي، فبينت له رضي الله عنها أن النهي خرج مخرج الخصوصية بعام المجاعة و ليس أمرا عاما فأخرج الأئمة:

عن عبد الرحمن بن عابس² عن أبيه قال: قلت لعائشة: «أنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث؟» قالت: ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه، فأراد أن يطعم الغني الفقير، وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة ليلة، قلت: وما اضطرركم إليه؟ فضحكت وقالت: ماشيع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام، حتى لحق بالله⁽³⁾ .»

¹ الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم : الصفحة : (172 - 173) .

² هو : عابس بن ربيعة النخعي له صحبة سمع عمر وعليا وعائشة روى عنه إبراهيم وابنه عبد الرحمن نسبه وكيع ينظر: البخاري التاريخ الكبير : (80/7). و ابن حبان، الثقات : (285/5) .

³ أخرجه البخاري : الجامع الصحيح: (440/3) ، رقم الحديث(5423) ، كتاب الأطعمة ، باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم ، و الترمذي ، سنن الترمذي : (95/4) ، رقم الحديث (1511) كتاب الأضاحي، باب ما جاء في الرخصة في أكلها بعد ثلاث، عن عابس بن ربيعة رضي الله عنه، و اللفظ للبخاري .

عن عابس بن ربيعة¹ قال: قلت لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم- ينهى عن لحوم الأضاحي؟ قالت: لا ولكن قل من كان يضحي من الناس، فأحب أن يطعم من لم يكن يضحي، و لقد كنا نرفع الكراع فنأكله بعد عشرة أيام»²

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «للسائي من طريق غندر عن معمر بسنده: شهدت عليا في يوم عيد بدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قال: سمعت فذكر المرفوع قوله: «نهاكم أن تأكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث»³. زاد عبد الرزاق في روايته: فلا تأكلوها بعدها⁴... قال الشافعي: لعل عليا لم يبلغه النسخ؟ وقال غيره: يحتمل أن يكون الوقت الذي قال علي فيه ذلك كان بالناس حاجة، كما وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك جزم بن حزم. فقال: (إنما خطب علي بالمدينة في الوقت الذي كان عثمان حوصر فيه وكان أهل البوادي قد ألجأهم الفتنة إلى المدينة فأصابهم الجهد فلذلك قال علي ما قال)⁵. قلت [القائل ابن حجر]: أما كون علي خطب به وعثمان محصورا فأخرجه الطحاوي من طريق الليث عن عقيل عن الزهري في هذا الحديث، ولفظه: "صليت مع علي العيد وعثمان محصور"⁶. وأما الحمل

¹ سبقت ترجمته في هامش الصفحة السابقة .

² أخرجه : الترمذي ، سنن الترمذي : (357) ، رقم الحديث : (1510)، كتاب الأضاحي، باب ما في الرخصة في أكلها بعد ثلاث . قال الشيخ ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن الترمذي : الصفحة (147) ضعيف بهذا السياق، و أصله فس صحيح مسلم.قلت: يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه:(2/1750)، رقم الحديث (2970)، كتاب الزهد و الرقائق ، عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن عائشة قالت: «ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز بر فوق ثلاث»

³ أخرجه النسائي، سنن النسائي: (267/7)، رقم الحديث (4436)، متاب الضحايا ، باب النهي عن الكل من لحوم الأضاحي بعد ثلاث و عن إمساكها ، عن علي رضي الله عنه .

⁴ أخرجه عبد الرزاق، المصنف: (3/281)، رقم الحديث: (5636). قلت في المصنف: " تأكلوها بعده " دون ألف .

⁵ كلام ابن حزم في المحلى : (385/7) . و قد نقله ابن حجر بالمعنى، و عبارة المحلى : « قال علي [أي ابن حزم] حديث أبي عبيد مولى ابن أزهري كان عام حصر عثمان رضي الله عنه وكان أهل البوادي قد ألجأهم الفتنة إلى المدينة وأصابهم جهد فأمر لذلك بمثل ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهد الناس ودفدت الدافة وبالله تعالى التوفيق»
⁶ أخرجه الطحاوي، شرح معاني الآثار : (4/184)، حديث رقم (6260)، كتاب الصيد و الذبائح و الضاحي ، باب أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام . و سياق الحديث كاملا عند الإمام الطحاوي رحمه الله : « ... حدثني أبو =

المذكور فلما أخرج أحمد والطحاوي أيضا من طريق مخارق بن سليم عن علي رفعه: «أني كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فادخروا ما بدا لكم»¹ ثم جمع الطحاوي بنحو ما تقدم² وكذلك يجاب عما أخرج أحمد من طريق أم سليمان قالت: " دخلت على عائشة فسألته عن لحوم الأضاحي فقالت: كان النبي صلى الله عليه و سلم نهى عنها ثم رخص فيها، فقدم علي من السفر فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها فقال: أو لم ننه عنه قالت إنه قد رخص فيها³، فهذا علي قد اطع على الرخصة ومع ذلك خطب بالمنع، فطريق الجمع ما ذكرته وقد جزم به الشافعي في الرسالة، في آخر باب العلل في الحديث فقال ما نصه: فإذا دفت الدافة، ثبت النهي عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث، وأن لم تدف دافة فالرخصة ثابتة بالأكل والتزود، والادخار، والصدقة. قال الشافعي: ويحتمل أن يكون النهي عن إمساك لحوم الأضاحي بعد ثلاث منسوخا في كل حال. قلت: وبهذا الثاني أخذ المتأخرون من الشافعية فقال الرافعي: الظاهر أنه لا يحرم اليوم بحال وتبعه النووي فقال في شرح المهذب: الصواب المعروف أنه لا يحرم الادخار اليوم بحال. وحكى في شرح مسلم عن جمهور العلماء: أنه من نسخ السنة بالسنة، قال: والصحيح نسخ النهي مطلقا، وأنه لم يبق تحريم، ولا كراهة، فيباح اليوم الادخار فوق ثلاث، والأكل إلى متى شاء، اهـ. وإنما رجح ذلك لأنه يلزم من القول بالتحريم إذا دفت الدافة إيجاب الإطعام وقد قامت الأدلة عند الشافعية أنه لا يجب في المال حق سوى الزكاة، ونقل بن عبد البر ما يوافق ما نقله النووي فقال لا خلاف بين فقهاء المسلمين في إجازة أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وأن النهي عن ذلك منسوخ كذا أطلق وليس بجيد. فقد قال القرطبي: حديث سلمة وعائشة نص على أن المنع كان لعله فلما ارتفعت ارتفع لارتفاع

= عبید مولى أزهر قال : صليت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه العید وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور فصلی ثم خطب فقال لا تأكلوا من لحوم أضاحيكم بعد ثلاثة أيام فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بذلك » .

¹ أخرجه الطحاوي، شرح معاني الآثار: (185/4)، حديث رقم (6266).

² قال الإمام الطحاوي رحمه الله: « يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه و سلم كان نهى عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام لشدة كان الناس فيها ثم ارتفعت تلك الشدة فأباح لهم ذلك ثم عاد ذلك في وقت ما خطب على الناس فأمرهم بما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرهم به في مثل ذلك » ينظر الطحاوي، شرح معاني الآثار : (187/4).

³ أخرجه أحمد المسند : (12/44) ، رقم الحديث : (26415) . قال شعيب الأرنؤوط محقق المسند : إسناده حسن

موجبه فتعين الأخذ به وبعود الحكم تعود العلة فلو قدم على أهل بلد ناس محتاجون في زمان الأضحى ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فافتهم إلا الضحايا تعين عليهم ألا يدخروها فوق ثلاث قلت والتقييد بالثلاث واقعة حال وإلا فلو لم تستد الخلة إلا بتفرقة الجميع لزم على هذا التقرير عدم الإمساك ولو ليلة واحدة وقد حكى الرافعي عن بعض الشافعية أن التحريم كان لعدة فلما زالت زال الحكم لكن لا يلزم عود الحكم عند عود العلة. قلت: واستبعده. وليس ببعيد لأن صاحبه قد نظر إلى أن الخلة لم تستد يومئذ إلا بما ذكر. فأما الآن فإن الخلة تستد [كذا] بغير لحم الأضحية فلا يعود الحكم إلا لو فرض أن الخلة لا تستد إلا بلحم الأضحية وهذا في غاية الندور. وحكى البيهقي عن الشافعي أن النهي عن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث كان في الأصل للتنزيه قال وهو كالأمر في قوله تعالى فكلوا منها وأطعموا القانع وحكاه الرافعي عن أبي علي الطبري احتمالا وقال المهلب أنه الصحيح لقول عائشة وليس بعزيمة والله أعلم.¹

قلت: وما استبعده من عود الحكم بعود علة ليس ببعيد عن أي عصر من العصور ولا يوجد استثناء، فوجود الجماعة وحلولها ببلد معين أو بلدان، أكبر دليل قاطع على إمكانية العمل بحديث عدم جواز إدخار لحوم الأضاحي وغيرها، وليس الأمر بالرفد متجه إلى أهل البلد فقط؟ بل لا بد من النظر إلى حال المسلمين والمحتاجين في كل أصقاع العالم فلو فرض أن بلدا ما نزلت به نازلة الجماعة فإن واجب المسلمين هو التضامن مع غيرهم من المسلمين، لدفع ضرر الجماعة عنهم، ويكون بالتالي إدخار لحوم الأضاحي: غير جائز، وقول من قال من الشافعية كما حكاه الحافظ: أنه يلزم من القول بعدم جواز الادخار القول بوجوب حق في المال غير الزكاة، قول غير صحيح، بدليل أنه يجب في مال المسلم غير الزكاة، في حال إغاثة المشرف على الهلاك، والملهوف، وسد الرمق وغير ذلك، ثم إن نصوص القرآن الكريم أطلقت "كلمة الحق" ولم تقيده فقال تعالى: "فآت ذا القربى حقه" فلو كانت الزكاة لما كان في تخصيصها بالقرب كبير فائدة. فدل ذلك على أنه حق غير الزكاة، من وجوب سد خلته، وإغاثته، بدفع ما يهلكه من مرض أو جوع، وغير ذلك من الواجبات الاجتماعية، والتي تدخل ضمن نطاق الخدمة الاجتماعية، وكذلك لو فرض أنه كان بمكان يكثر فيه الفقراء ولم يضحوا فالواجب يقتضي إشراكهم

¹ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري : 28/ 10 .

في طعام الأضحية أي لحم الأضحية، ويؤيده حديث: عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت: «الضحية كنا نملحُ منه، فنقدمُ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقال: لا تأكلوا إلا ثلاثة أيام، وليست بعزيمة، ولكن أراد أن نطعم منه، والله أعلم»¹.

وحديث: سلمة بن الأكوع قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة وبقي في بيته منه شيء». فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله، نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قال: كلوا، وأطعموا، وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها»².

فخرجت هذه الأحاديث مخرج التضامن الاجتماعي الخدمي الذي هو من الواجبات الاجتماعية والإحلال به يعد إخلالاً بجزء عظيم من الدين قال الله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْعَقَبَةَ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۗ فَكُ رَقَبَةٌ ۗ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۗ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۗ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۗ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ﴾ [البلد: 11 - 18].

- ثانيا : الرخص و رفع الحرج عن الناس في أوقات المجاعة.

مما ميز الله به الشريعة الإسلامية السمة الرخص ورفع الحرج عن الناس فالضرورات تبيح المحضورات³، وهذه القاعدة من فروع قاعدة المشقة تجلب التيسير⁴ مستقاة من أصلي هذا الدين وهما: القرآن و السنة، وكان من هدي النبي صلى الله عليه و سلم التيسير عن الناس ورفع

¹ أخرجه : البخاري، الجامع الصحيح : (9/4)، رقم الحديث : (5570)، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي و ما يتزود منها عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

² أخرجه : البخاري، الجامع الصحيح : (9/4)، رقم الحديث : (5569)، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي و ما يتزود منها، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، و مسلم ، صحيح مسلم : (949/2) ، رقم الحديث : (1974)، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام . و بيان نسخه و إباحتها إلى متى شاء .

³ قال الزحيلي : « و الضرورة هي بلوغ الحد الذي إذا لم يتناول معه الممنوع ؛ حصل الهلاك للمضطر، أو قريب منه ...» ، ينظر القواعد الفقهية و تطبيقاتها في المذاهب الربعة : الصفحة (276 ، 277 ، 278) .

⁴ قال الزحيلي « القاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط، و هي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته فالقاعدة قضية كلية ، يدخل تحتها جزئيات كثيرة ، و تحيط بالفروع و المسائل من البواب المتفرقة » ينظر : محمد الزحيلي القواعد الفقهية و تطبيقاتها في المذاهب الربعة : الصفحة : (22) .

الحرج، ففي المجاعات كان النبي صلى الله عليه و سلم يرخص لهم في كثير مما هو محظور إبقاء للنفوس، ذلك أن حفظ النفوس كلي من الكليات الكبرى في دين الإسلام فقد جاء في حديث عن جابر بن سمرة: أن رجلا نزل الحرة ومعه أهله وولده فقال رجل إن ناقة لي ضلت فإن وجدتها فأمسكها. فوجدوها فلم يجد صاحبها فمرضت فقالت امرأته: انحرها. فأبي، فنفتفتقالت: اسلخها حتى نقدد شحمها ولحمها ونأكله. فقال: حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فسأله فقال : « هل عندك غنى يغنيك ». قال لا. قال: « فكلوها ».

قال فجاء صاحبها فأخبره الخبر فقال: « هلا كنت نحرتها ». قال استحيت منك.¹

وعن الفجيع العامري²: «أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما يجل لنا من الميتة؟ قال: ما طعامكم؟ قلنا: نعتبق ونصطبح، قال: أبو نعيم [هو الفضل بن دكين] فسره لي عقبة: قدح غدوة، وقدح عشية، قال: ذاك وأبي الجوع، فأحل لهم الميتة على هذه الحال» قال أبو داود: الغبوق من آخر النهار، والصبح من أول النهار.³

قال الإمام البغوي في شرح السنة: « قال الخطابي: ... فكان دلالة أن تناول الميتة مباح إلى أن تأخذ النفس حاجتها من القوت وتشبع، وإلى هذا ذهب مالك بن أنس، وهو أحد قولي الشافعي، لأن الحاجة منه قائمة إلى الطعام. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أن يتناول منه إلا قدر ما يمسك ريقه وهو القول الآخر للشافعي، وإليه ذهب المزني، وذلك لأنه لو كان في الابتداء بهذه الحال، لم يجز له أن يأكل شيئا منها، فكذلك إذا بلغها بعد تناولها، وروي نحو هذا عن الحسن

¹ أخرجه أبو داود ن سنن أبي داود: الصفحة (420)، رقم الحديث: (3816) كتاب الأطعمة، باب في المضطر إلى الميتة. و احمد، المسند: (503/34)، رقم الحديث (20993)، كلاهما من طريق سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (450/2).

² هو الفجيع بجيم مصغرا بن عبد الله بن جندع [وقيل حُنْدُج بالمهملة و قيل جندح] بضم الجيم والبدال وسكون النون بينهما وآخره مهمل بن البكاء واسمه ربيعة بن عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة البكائي، الكوفي، روى عنه وهب بن عقبة البكائي، قال البخاري وابن السكن وابن حبان له صحبة. قال ابن سعد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وكتب له كتابا وهو عندهم. ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب: الصفحة (603)، ترجمة رقم (2084)، وابن حجر الإصابة: (202/5). ترجمة رقم (6952) و البخاري، التاريخ الكبير: (137/7)، ترجمة رقم (618)، ابن سعد، الطبقات الكبرى: (200/6).

³ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود: (420)، رقم الحديث: (3817)، كتاب الأطعمة، باب في المضطر إلى الميتة. و البخاري، التاريخ الكبير: (137/7) قال ابن حجر في الإصابة (203/5): "إسناده لا بأس به".

البصري، وقال قتادة: لا يتضلع منها. قال الإمام: الحديث يدل على أن المضطر إذا وجد من الطعام المباح ما يمسك ريقه، فتناوله ولم يحصل منه الشبع، جاز له تناول الميتة أيضا حتى يشبع لأن القدر من اللبن بالغداة، والقدر بالعشي يمسك ريقه، ومع ذلك أباح له الميتة، فأما من كان محتاجا إلى الطعام، ولم يبلغ حالة الاضطرار بأن كان لا يخاف على نفسه التلف، فاتفقوا علمائه لا يحل له تناول الميتة، وقال مالك: المضطر إلى الميتة يأكل منها حتى يشبع ويتزود منها فإن وجد عنها غنى، طرحها»¹.

قال في عون المعبود: «قال العلامة الشوكاني رحمه الله: والقول الراجح عند الشافعي هو الاقتصار على سد الرمي كما نقله المزني وصححه الرافعي والنووي وهو قول أبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك. ويدل عليه قوله: "هل عندك غنى يغنيك"² إذا كان يقال لمن وجد سد ريقه مستغنيا لغة أو شرعا. واستدل به بعضهم على القول الأول قال: لأنه سأله عن الغنى ولم يسأله عن خوفه على نفسه والآية الكريمة قد دلت على تحريم الميتة واستثنى ما وقع الإضطرار إليه فإذا اندفعت الضرورة لم يحل الأكل كحالة الابتداء ولا شك أن سد الرمي يدفع الضرورة وقيل إنه يجوز أكل المعتاد للمضطر في أيام عدم الاضطرار. قال الحافظ وهو الراجح لإطلاق الآية. واختلفوا في الحالة التي يصح فيها الوصف بالاضطرار ويباح عندها الأكل فذهب الجمهور إلى أنها الحالة التي يصل به الجوع فيها إلى حد الهلاك أو إلى مرض يفضي إليه وعن بعض المالكية تحديد ذلك بثلاثة أيام...³»

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتى أحدكم على ماشية⁴، فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه، فإن أذن له فليحتلب، وليشرب وإن لم

¹ البغوي، شرح السنة : 346 / 11 .

² سبق تحريجه الصفحة :

³ العظيم آبادي ، عون المعبود : (297/10).

⁴ جمعها : المواشي وهي اسم يقع على الإبل والبقر والغنم . وأكثر ما يُستعمل في الغنم . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر 4 / 335 .

يكن فيها أحد فليصوت ثلاثا، فإن أجابه أحد فليستأذنه، فإن لم يجبه أحد فليحتلب، وليشرب، ولا يحمل¹».

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيت على راع فناده ثلاث مرار فإن أجابك وإلا فاشرب في غير أن تفسد. وإذا أتيت على حائط بستان فناده صاحب البستان ثلاث مرات. فإن أجابك وإلا فكل في أن لا تفسد²»

وعن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من دخل حائطا فليأكل، ولا يتخذ خبنة³» أي لا يأخذ شيئا في ثوبه، بمعنى أن لا يتزود من الحائط، يأكل فقط .

قال في تحفة الحوذاني: «قال النووي في شرح المذهب اختلف العلماء فيمن مر ببستان أو زرع أو ماشية. قال الجمهور: لا يجوز أن يأخذ منه شيئا إلا في حال الضرورة فيأخذ ويغرم عند الشافعي والجمهور. وقال بعض السلف: لا يلزمه شيء. وقال أحمد: إذا لم يكن على البستان حائط جاز له الأكل من الفاكهة الرطبة في أصح الروايتين ولو لم يحتج لذلك وفي الأخرى إذا احتاج ولا ضمان عليه في الحاليين. وعلق الشافعي القول بذلك على صحة الحديث . قال

¹ أخرجه الترمذي سنن الترمذي : (307) ، رقم الحديث (1296) ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في احتلاب المواشي بغير إذن الأرباب . و أبو داود ، سنن أبي داود : (296) ، رقم الحديث : (2619) كتاب الجهاد، باب في ابن السبيل يأكل من التمر و يشرب من اللبن إذا مر به . كلاهما عن الحسن عن سمرة . قال الترمذي في سننه: "حديث سمرة حديث حسن صحيح غريب ... وقال علي بن المديني: سماع الحسن من سمرة صحيح" . و صححه الشيخ الألباني و ساق له شاهدا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا . ينظر : إرواء الغليل : (160/8).

² أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (87/12)، رقم الحديث : (5281)، كتاب الأطعمة، باب الضيافة، و الحاكم، المستدرک : (132/4)، و ابن ماجه، سنن ابن ماجه : (771/2)، رقم الحديث (2300)، كتاب التجارات. و أحمد المسند : (331/18)، رقم الحديث : (11812). و كذا (97/17)، رقم الحديث (11045) كلهم من طريق سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . فكل من ابن ماجه و الحاكم و ابن حبان أخرجه من طريق الليث بن سعد عن الجريري، و تابعه حماد ابن سلمة و علي بن عاصم عن الجريري عند أحمد في المسند. و الحديث صححه الشيخ الألباني في الإرواء و قال : أن الليث سمع من الجريري بعد الاختلاط ، لكن حماد بن سلمة تابعه عن الجريري ممن أخذ عنه قبل الاختلاط ، ينظر إرواء الغليل : (161/8).

³ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (305) ، رقم الحديث : (1287) كتاب البيوع ، باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها .

البيهقي: يعني حديث ابن عمر مرفوعاً: إذا مر أحدكم بحائط فليأكل ولا يتخذ خبنة¹ أخرجه الترمذي واستغريه. قال البيهقي لم يصح و جاء من أوجه أخر غير قوية قال الحافظ: والحق أن مجموعها لا يقصر عن درجة الصحيح وقد احتجوا في كثير من الأحكام بما هو دونها². قال الإمام البغوي: «وقد رخص بعض أهل العلم لابن السبيل في أكل ثمار الغير، لما روي عن نافع، عن ابن عمر، بإسناد غريب، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " مندخل حائطاً، فليأكل ولا يتخذ خبنة"³ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق، فقال: " منأصاب منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة، فلا شيء عليه"⁴ وعند أكثر أهل العلم لا يباح إلا بإذن المالك إلا لضرورة مجاعة يأكلها بالضمنا إذا لم يجد المالك. وفي الحديث دليل على إثبات القياس، ورد الشيء إلى نظيره حيث شبه النبي (صلى الله عليه وسلم) ضروع المواشي في حفظ اللبن بالغرفة التي يحفظ فيها الإنسانماعة⁵» وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفق بالجائع الذي اضطرته الظروف إلى الأكل من مال الغير، فرغبنا في أطعامة ونهانا عن الإساءة له سواء بعقوبته أو انتهاره. ففي حديث عباد بن شرحبيل⁶ قال: «قدمت مع عمومتي المدينة، فدخلت حائطاً من حيطانها، ففركت من سنبله، فجاء صاحب الحائط، فأخذ كسائي و ضربني فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعدي عليه فأرسل إلى الرجل فجاءوا بهن فقال: ما حملك على هذا؟

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (574/3)، رقم الحديث: (1287)، كتاب البيوع، باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها. و ابن ماجه، سنن ابن ماجه: (772/2) رقم الحديث: (2301) كتاب التجارات. كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما. و قد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي: (46/2).

² المباركفوري، تحفة الأحوذى: 520 / 4

³ سبق تخريجه، ينظر: الصفحة نفسها الهامش رقم 1.

⁴ أخرجه أبو داود سنن أبي داود: الصفحة (201)، رقم الحديث: (1710)، كتاب اللقطة، باب ... و أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (575/3)، رقم الحديث (1289)، كتاب البيوع، باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها، و قال الترمذي حديث حسن. و حسنه الشيخ الألباني، ينظر صحيح سنن الترمذي: (47/2).

⁵ البغوي، شرح السنة: 235 - 234 / 8.

⁶ عباد بن شرحبيل ويقال شراويل الشكري ثم الغبري من بني غبر بضم المعجمة وفتح الموحدة الخفيفة بن يشكر نزل البصرة قال بن السكن يقال له صحبة و فيه نظر لكن قال في الاستيعاب: روى عنه جعفر بن أبي وحشية قصة ليس له غيرها أنه قال: دخلت حائطاً فأخذت سنبلأ ففركته ... الحديث. ينظر ترجمته في: ابن حجر الإصابة: 24/4، رقم الترجمة: 4457. و ابن عبد البر، الاستيعاب: الصفحة 472، رقم الترجمة: 1688، و البخاري التاريخ الكبير

فقال : يا رسول الله، إنه دخل حائطي فأخذ من سنبله ففركه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما علمته إذ كان جاهلا، و لا أطعمته إذ كان جائعا، أردد عليه كساءه، وأمر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوسق أو بنصف وسق¹

وعن غالب بن أبيجر² قال: «أصابتنا سنة، فلم يكن فيمالي شيء أطعم أهلي، إلا شيء من حمر، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرم لحوم الحمر الأهلية، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله أصابتنا السنة، ولم يكن في مالي ما أطعم أهلي إلا سمانحمر، وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية، فقال: أطعم أهلك من سمين حمرك فإنما حرمتها من أجل جوال القرية يعني الجلالة»³.

ثالثا : تحريم الاحتكار أوقات المجاعة .

من المؤكد أنه لتوفير خدمات فاعلة للمجتمع في حالات المجاعة فإنه لا بد من تكاتف جميع أفراد المجتمع لمواجهة الأزمة من أفراد ومؤسسات، و عليه فإن أي عمل يعوق الهدف التعاوني والتكافلي في المجتمع فإنه في نظر السنة يعد خطيئة وإثما لأنه يساهم في تفاقم الأزمة ، ثم إن فيه نظرة ضيقة للمصلحة الفردية دون مراعاة المصلحة الجماعية و عليه جاءت النصوص في السنة المشرفة تمنع الاحتكار خصوصا أوقات المجاعة و الأزمات الاقتصادية التي تمر بالدولة .

وكان القدوة و الأسوة في هذا العمل التكافلي حيث لم يكن صلى الله عليه وسلم يدخر الزائد عن الحاجة الأصلية، وكان يحث أصحابه على سلوك هذا المسلك الرشيد، لأنه يؤدي في النهاية إلى تحقيق الكفاية في المجتمع فأن تجد متخما و بجانبه جائع ذو مخمصة فهذا أمر منكر في نظر الإسلام. روى لنا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العارفين بالكثير من أحواله

¹ أخرجه : النسائي ، سنن النسائي: (549) ، رقم الحديث (5409) كتاب آداب القضاة ، الاستعداد . و أحمد، المسند: (64/29)، رقم الحديث (17521)، عن عباد بن شرحبيل رضي الله عنه . قال الشيخ الألباني و الحديث صحيحه.الألباني في صحيح سنن النسائي: (443/2) .

² هو غالب بن أبيجر المزني، له صحبة وهو كوفي ويقال فيه بن ديهج بكسر أوله و مثناة تحتانية بعدها معجمة، ينظر ابن حجر، الإصابة : (186/4)، رقم الترجمة (6896).

³ أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : (419) ، رقم الحديث : (3809)، كتاب الأطعمة ، باب في أكل لحوم الحمر الأهلية . قال ابن حجر في الإصابة (186/4): اختلف في إسناده اختلافا كثيرا. لذا قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد مضطرب. ينظر : الألباني ضعيف سنن أبي داود : الصفحة : (305).

الشريفة صلى الله عليه و سلم؛ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد»¹. بل وصل الأمر إلى أن يؤجل الصلاة والصفوف مستوية إلى أن يقسم تبراً عنده خشية أن يتوفاه الله و الكنز في بيته، أو خشية أن يعرض له في صلاته. عن عقبه بن الحارث قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه و سلم العصر بالمدينة ثم انصرف يتخطى رقاب الناس سريعاً حتى تعجب الناس لسرعته فتبعه بعض أصحابه فدخل على بعض أزواجه ثم خرج فقال: «إني ذكرت و أنا في العصر شيئاً من تبر كان عندنا ، فكرهت أن يبت عندنا فأمرت بقسمته»²

وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم الاحتكار وجعله عملاً غير منسجم وتشريعات الإسلام السمحة التي تدعو إلى تعزيز التضامن والروح الجماعية في المجتمع. قال الشيخ العلامة حمدان الونيسي رحمه الله: «ولا خلاف أنه لا يجوز احتكار شيء من الأطعمة، في وقت يضر احتكاره بالناس»³.

- فعن «معمر بن أبي معمر أحد بني عدي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحتكر إلا خاطئ» فقلت لسعيد: فإنك تحتكر، قال: ومعمر كان يحتكر وعند مسلم: قال: إن معمر الذي كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر»⁴.

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (270/14)، رقم الحديث (6356)، كتاب التاريخ. و الترمذي: سنن الترمذي: (532)، رقم الحديث: (2362) كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي صلى الله عليه و سلم و أهله. قال شعيب الأرنؤوط محقق صحيح ابن حبان: إسناده على شرط مسلم. و صححه الألباني في صحيح الترغيب و التهيب: (400/1).

² أخرجه البخاري ن الجامع الصحيح: (273/1)، رقم الحديث (851)، كتاب الأذان، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتحطاهم، و النسائي، سنن النسائي: (160)، رقم الحديث (1365)، كتاب السهو، باب الرخصة للإمام في تحطى رقاب الناس. كلاهما عن عقبه و اللفظ للنسائي.

³ الونيسي، فتح اللطيف الخبير في جواز التعزير بالمال و فيه الحكمة و التسعير: الصفحة: 15.

⁴ أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: (754)، رقم الحديث (1605)، كتاب المساقاة و المزارعة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات. و أبو داود، سنن أبي داود: (385)، رقم الحديث: (3447)، أبواب الإجارة، باب في النهي عن الحكمة. عن معمر بن أبي معمر رضي الله عنه، و اللفظ لأبي داود.

- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من احتكر أربعين يوماً، طعاماً، فقد براء من الله، و براء الله منه، و رسوله، وأيما أهل عرصة¹ ظل فيهم رجل من المسلمين جائعاً، فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل²».

رابعا. التكافل بين أفراد المجتمع في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.

التكافل كما يحدثنا الشيخ سيد قطب في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام، له مناح عدة. **أولاً** - التكافل بين الفرد وأسرته القريبة، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: 23 - 24].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 6]... وقيمة هذا التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يمسكها، ومن مظاهر التكافل في الأسرة نظام التوارث والوصية والعطف والمودة والصلة بين الولد والوالدين له صور عدة.

¹ العرصة الموضوع الواسع و المراد المحلة و البلد .

² أبو نعيم، حلية الأولياء: (6 / 100 - 101)، رقم الترجمة: (338)، في ترجمة: حدير بن كريب. قال الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر محمد أحمد بن محمد ثنا أحمد بن عبد الرحمن الواسطي ثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد ثنا أبو بشر عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة الحضرمي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من احتكر... الحديث. قال الحافظ المزي: « حدير بن كريب الحضرمي ويقال: الحميري، أبو الزاهرية الحمصي، وكان أمياً لا يكتب... قال أبو بكر بن أبي خيثمة، وعثمان بن سعيد الدارمي: عن يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي، ويعقوب بن سفيان، والنسائي: ثقة و قال أبو حاتم لا بأس به. و قال الدارقطني لا بأس به إذا روى عنه ثقة . ينظر : المزي : تهذيب الكمال في أسماء الرجال : (5 / 491 - 492) . و البخاري، التاريخ الكبير: (3/98) . وأما أصبغ بن زيد الراوي عن أبي بشر الأملوكي فقال المزي : قال أبو بكر الأثرم عن أحمد بن حنبل ليس به بأس ما أحسن رواية يزيد بن هارون عنه، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين : ثقة، وقال أبو زرعة: شيخ، وقال أبو حاتم : ما بحديثه بأس وقال النسائي ليس به بأس، وقال محمد بن سعد كان ضعيفا في الحديث. وروى له أبو أحمد بن عدي حديثا عن أبي بشر عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من احتكر طعاما فقد براء الله منه... ينظر : المزي، تهذيب الكمال : (302/3) قلت: والحديث من رواية يزيد بن هارون عنه.

ثانيا - التكافل بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والفرد.... كل فرد مكلف أن يرفع مصالح الجماعة كأنه حارس لها وموكل بها، ليس هناك فرد معنى من رعاية المصالح العامة... والتعاون بين الأفراد واجب لمصلحة الجماعة في حدود البر والمعروف ... وعدم الحظ على طعام المسكين يعد علامة من علامات الكفر¹ والتكذيب بالدين ... والأمة مسؤولة عن حماية الضعفاء فيها، ورعاية مصالحهم وحمايتهم²»

وعن أبي موسى [الأشعري] قال: «إن الأشعريين³ إذا أرملوا⁴ في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة: جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»⁵.

قال الإمام النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث فضيلة الأشعريين وفضيلة الإيثار والمواساة وفضيلة خلط الأزواد في السفر وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم وليس المراد بهذا

¹ كلمة "الكفر" هنا من الشيخ سيد خرجت مخرج التهيب، ولا يقصد الكفر المخرج من الملة. و الله أعلم .

² سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام : الصفحة 54 وما بعدها بتصرف و اختصار .

³ أشعر، بفتح الهمة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة ثم راء مهملة في الآخر. وهم: بنو أشعر بن سبأ، فيما ذكره الجوهري، وتابعه على صاحب حماة، وعليه جرى في مسالك الأبصار. قال صاحب حماة: ويقال لهم: الأشعريون. قال: وهم رهط أبي موسى الأشعري، أحد أصاب رسوا الله صلى الله عليه وسلم. والذي ذكره أبو عبيد وغيره من النسابين أن الأشعريين بطن من كهلان ابن سبأ، المقدم ذكره. قال: وهم بنو الأشعر بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. قال: أبو عبيد: وسمى الأشعر، لأن أمه ولدته وهو أشعر. ومن الأشعريين: الجماهر، وهم: بنو الجماهر بن الأشعر. قلت: والأشعريون الآن موجودون ببلاد اليمن على القرب من مدينة زيد، كما أخبرني به بعض الثقات. ينظر: القلقشندي: قلائد الجمال: الصفحة: 105 . وابن السمعاني، الأنساب: 166/1 .

⁴ الرمل: القليل من المطر، كما في الصحاح، وفي التهذيب: المطر الضعيف، وأصابعهم رمل من مطر: أي قليل، قال شمر لم أسمع الرمل بهذا المعنى إلا للأموي، والجمع أرمال. والرمل: الزيادة في الشيء. ومن المجاز: أرملوا: إذا نفد زادهم، عن أبي عبيد، ومنه حديث أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأرملنا، وأنفضنا وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل، كأدقوا من الدعاء، وأرملوه، أي الزاد: أنفدوه . ينظر: الزبيدي ، تاج العروس: 101. 100/29.

⁵ أخرجه: أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (204/2)، رقم الحديث: (2486) كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض. ومسلم، صحيح مسلم: (1167 - 1168) رقم الحديث : (2500) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم.

القسمة المعروفة في كتب الفقه بشروطها ومنعها في الربويات واشتراط المواساة وغيرها وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود»¹.

قال الإمام ابن بطال رحمه الله : «وقال المهلب: هذه القسمة لا تصلح إلا فيما جعل للأكل خاصة؛ لأن طعام النهد² وشبهه لم يوضع للآكلين على أنهم يأكلون بالسواء، وإنما يأكل كل واحد على قدر نعمته³، وقد يأكل الرجل أكثر من غيره، وهذه القسمة موضوعة بالمعروف»⁴ وعليه يؤخذ من هذا الحديث جواز أن يقوم الحاكم يحمل الناس على جمع ما عندهم وأن يقتسموه بينهم أو أن يجعل الأكل في حال المجاعة على شكل جماعات وأن لا ينفرد الإنسان بالأكل وحده لما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم من بركة الأكل مع الجماعة .

قال ابن بطال رحمه الله : «فللسلطان أن يأمر الناس بالمواساة ويجبرهم على ذلك، ويشركهم فيما بقى من أزوادهم إحياء لإرماقهم وإبقاء لنفوسهم، وفيه أن للإمام أن يواسى بين الناس في الأقوات في الحضر بثمان وبغير ثمن، كما له فعل ذلك في السفر»⁵.

وتشرف على هذه الأمور أي توزيع الطعام في أحوال المجاعة الشديدة: مؤسسات الخدمة الاجتماعية في عصرنا الحاضر، حيث تحدد حصص الطعام اليومي على حسب دراسة ميدانية لواقع المحتاجين وتتم مواساة الناس بالحد الأدنى الذي يضمن المحافظة على الحياة. وحالات الضرورة دوما يكون فيها الاستثناء في القاعدة، وعليه فالمواساة تصير واجبة في أموال الموسرين ومن لهم فضل طعام، بإلزام من مؤسسات الخدمة الاجتماعية.

وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعرين لسلوكهم طريق التضامن والمواساة فقال: " هم مني وأنا منهم" قال الإمام النووي رحمه الله: «معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى»⁶.

¹ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي: (62/16) .

² قال ابن الأثير النهْد بالكسر: «ما تخرجه الرفقة عند المناهدة إلى العدو وهو أن يقسموا نفقتهم بينهم بالسوية حتى لا يتغابنوا ولا يكون لأحدهم على الآخر فضل ومنة». ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث : (135/5).

³ النهمة : الحاجة، و قيل: بلوغ الهمة، والشهوة في الشيء. ينظر الزبيدي تاج العروس : 21/34 .

⁴ ابن بطال ، شرح صحيح البخاري : 6/7 .

⁵ ابن بطال ، شرح صحيح البخاري : 7/7 .

⁶ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي : 26/16 .

- خامسا: الدعاء. مما لا شك فيه أنه عند حلول الأزمات وكثرة الخطوب والملمات فإن الإنسان يرجع إلى مولاة ويثوب إلى من أبدعه وسواه. فيرفع عقيرته بالدعاء، وتنطق جوارحه وتهتف بطلب الغوث من مولاه؛ لذا فالدعاء أمر مركوز في فطرة الإنسان، وجاءت الشريعة للترغيب في الدعاء لقضاء الحاجات وتيسير الأمور وقد ذكر الله في كتابه حال الإنسان في لجوءه إلى الدعاء عند الشدائد: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَرْيَجٍ بَرِيحٍ طَبَّيْتُمْ وَفَرِحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ نَضْرَعًا وَخَفِيَةً لَئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام: ٦٣].

وقال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186].

وأخرج الترمذي: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الدعاء هو العبادة»¹ ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: 60]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»² ثم إن الدعاء «من أولى ما انصرفت إلى حفظه عناية ذوي الهمم، وأحق ما اهتدي

¹ أخرجه ابن حبان ن صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (172/3)، رقم الحديث (890)، كتاب الرقائق، ذكر البيان بأن دعاء المرء ربه في الأحوال من العبادة التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، و الترمذي، سنن الترمذي (374/5)، رقم الحديث (3247)، كتاب التفسير، باب و من سورة المؤمن قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. و قال الأرناؤوط في التعليق على ابن حبان: إسناده صحيح.

² أخرجه الترمذي: (456/5)، رقم الحديث: (3373)، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، و حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (384/3).

بأنواره في غياهب الظلم، وأنفع ما استدرت به صنوف النعم ؛ وأمنع ما استدرت¹ به صروف النقم، ما كان بفضل الله تعالى لأبواب الخير مفتاحا، وبنص رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين سلاحا، وذلك التحميد والثناء، والتمجيد والدعاء، أمر الله تعالى به في كتابه العظيم وفيه رغب رسوله الكريم، وإليه جنح المرسلون والأنبياء ، وعليه عول الصالحون والأولياء»².

ولذلك نؤكد في موضوعنا هذا أن الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية لها تميزها عن الخدمة في الفكر الغربي، فهي تنطلق من عقيدة الإيمان بالله جل وعلا، فهي ربانية المصدر وربانية الوجهة، فعندما يبذل الإنسان قصارى جهده، في تأدية مهامه، ثم لا يصل إلى هدفه المسطر و غايته المرجوة؛ هنا يلجأ المؤمن إلى الله عز وجل ليمده بالعون و الرعاية، و الدعاء في ديننا الحنيف أعظم وسيلة تستمطر بها الخيرات و تجلب بها الأرزاق و تقضى بها الحاجات مع بذل الأسباب المتاحة واقتناص الفرص المتاحة و المباحة، خصوصا في أوقات الجذب و الشدائد فإن المؤمنين جميعا تلهج حناجرهم بذكر الله و مناجاته، و قد كان الصحابة الكرام إذا حز بهم أمر أو ضاقت بهم الأمور فيهرعون إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يتوسلون منه بركة الدعاء .

فعن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد شك الأعمش قال : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرقنا نواضحنا³ فأكلنا وادهننا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افعلوا. قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم

¹ استدرت : دفعت و اجتنبت .

² محمد بن سرايا بن داود ، سلاح المؤمن في الدعاء والذكر: الصفحة (25)،

³ التواضح : جمع ناضح وهو البعير الذى يُسْتَقَى عليه . ينظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث: (383/2).

حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»¹.

المطلب الثالث: الخدمة الاجتماعية في حالات المرض و الوباء من منظور السنة الفرع الأول: تعريف بالأوبئة في اللغة.

قال في الصحاح: «الْوَبَاءُ، يمد يقصر: مرض عام، وجمع المقصور أوباء، وجمع الممدود أوبئة. و قد وبئت الأرض توبأً وتوبأً وبأً فهي موبوءة ن إذا كثر مرضها، و كذلك وبئت توبأً وباءة، مثل تمه تماهة، فهي وبئة و وبئة، و وبئة، و فيه لغة ثالثة أوبأت فهي موبئة. و استوبأت الأرض: وجدتها وبئة»².

الفرع الثاني: نظرة السنة النبوية إلى الأوبئة.

إن نظرة السنة النبوية للأوبئة هي نظرة تنبع من صميم ما جاء في كتاب الله عز وجل المعبر عن عمق الإيمان بالله المدبر لكل شيء في هذا العالم من خير وشر، فلا يكون في هذا الكون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ وَقَدَرَهُ، وأن الأوبئة والأمراض في ضوء السنة النبوية قد تكون ابتلاء، وقد تكون عقوبة، فقد جاء في بعض الأحاديث النبوية تفسير أسباب الطواعين والأوبئة؛ على أنها: رجس و عذاب أرسل على من كان قبلنا وفي بعض الأحاديث تفسير من قبلنا بأنهم: بني إسرائيل وفي بعض الأحاديث تفسير لمثير الطاعون وهو أنه: من وخز الجن؛ ففي مسند أحمد: عن «عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فناء أمتي الطعن والطاعون فليل: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهداء»³

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: 34/1 رقم الحديث 45، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة و حرم على النار.

² الجوهرى، الصحاح: (79/1)، مادة: "وبأ".

³ أخرجه أحمد، المسند: 480/32، رقم الحديث: 19708. و الطبراني في الأوسط: 367/3. 368. رقم الحديث: 3422. وأبي يعلى، مسند أبي يعلى الموصلي: 13/194. 195 عن أبي موسى رضي الله عنه و الحديث صححه الألباني في إرواء الغليل: (70/6).

وعند البخاري: «عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه" قال أبو النضر لا يخرجكم إلا فرارا منه¹»

وعند الطبراني: عن أسامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الطاعون رجس وعذاب عذب به من كان قبلكم فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها)².

وإذا كانت الأحاديث سألها الذكر قد بينت تاريخ الطاعون و بدايته و أنه كان كعقوبة ربانية على المتمردين من بني إسرائيل، هي في ذات الوقت تهيب لنا عن مواجهة ما ارتكبوا من المخالفات التي بسببها؛ أصيبوا بما أصيبوا به.

كما أن هناك أحاديث خرجت مخرج البشارة والتسلية لمن ابتلي بهذه الأوبئة في الأمة المحمدية وهذا الدواء النفسي النبوي؛ هو عزاء ودعم للمصابين بالطواعين والأوبئة لا تجدها في الخدمة الغربية ذات البعد المادي، فمما لا شك فيه أن نفسية المصاب الذي يرجو الشهادة والأجر العظيم عند الله، ستكون على الخلاف من نفسية ذلك الذي ينظر إلى الحياة و ما فيها من ابتلاءات نظرة مادية مقيتة، و التي تجره إلى إساءة الظن بالله تعالى فيتبرم من القدر بل قد يخرج المرض و العلة عن الإيمان بالله أصالة، إلى الكفر و الإلحاد و هي حال الكثير من الكفار الذين يتم قتلهم تحت مسمى: **الموت الرحيم** وأي رحمة في استعجال الأقدار التي لا محيص عنها .

لكن على العكس من ذلك تماما نجد أن السنة النبوية تطمئن المؤمن، وتلقي في نفسيته كل أسباب الرضى بقضاء الله عز وجل، فنجد أن المؤمن المصاب نفسيته ومعنوياته أعلى من الأصحاء في بلاد غير المسلمين، ذلك أن المؤمن ينظر إلى الدنيا على أنها معبر للآخرة وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأجاب الإجابة

¹ أخرجه البخاري الجامع الصحيح : (498/2) ، رقم الحديث (3473)، كتاب الأنبياء، باب في الغار.

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم: (1054/2)، رقم الحديث (2218)، كتاب السلام، باب الطاعون و الطيرة والكهانة ونحوها. الطبراني، المعجم الكبير: 1/ 165. 166 .

التي تطمئن المصاب وتحذر المعافي: «فمن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرني أنه عذاب يعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد»¹ وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم»²

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ومن رحمه الله بهذه الأمة المحمدية أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ولا ينافي ذلك أن يحصل لمن وقع به الطاعون أجر الشهادة ولا سيما وأكثرهم لم يباشر تلك الفاحشة وإنما عمهم والله أعلم لتقاعدهم عن إنكار المنكر»³ قال المناوي في فيض القدير: «وفيه أن الخير كله لأهل الإيمان وإن كان ظاهر ما يجري عليهم ضده لأن الطاعون كان لمن قبلنا بلاء فصار لنا رحمة لحصول الشهادة به وأن العادة لا تؤثر بنفسها لأن هذا كان بلاء بنفسه لمن تقدم ثم عاد بنفسه وصفته رحمة والصفة واحدة لم تتغير»⁴

وعند الطبراني: عن العرياض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين ماتوا في الطاعون فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا فيقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا فيقضي الله بينهم فيقول: انظروا إلى جراح المطعنين فإذا هي أشبهت جراح الشهداء فهم منهم فينظروا إلى جراح المطعنين فإذا هي قد أشبهت جراح الشهداء فيلحقون بهم"⁵.

¹ أخرجه البخاري الجامع الصحيح: (2/ 499)، رقم الحديث (3474)، كتاب الأنبياء، باب في الغار.

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 314/2، رقم الحديث: 2830، كتاب الجهاد و السير، باب الشهادة سبع سوى القتل.

³ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: 193/10.

⁴ المناوي، فيض القدير: 287/4.

⁵ أخرجه أحمد، المسند: (28/391)، رقم الحديث (17159)، الطبراني، المعجم الكبير: 250/18. قال الشيخ

شعيب الرناؤوط في تعليقه على المسند: حسن لغيره.

الفرع الثالث: طرق التعامل مع الأوبئة في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.

إن من أفضل الأدوية في ضوء السنة النبوية الوقاية من الأمراض قبل وقوعها، وتأكيد النبي صلى الله عليه وسلم على الطهارة، والنظافة في المأكل والمشرب والمكان والبدن وساحات البيوت، والمساجد، وأماكن العمل، وأماكن جلوس الناس، والطرق، والحدائق، ووسائل النقل والبحيرات، الوديان والأنهار. كل هذا حرصا منه صلى الله عليه وسلم على سلامة البيئة والمحيط والتي بسلامتها تسلم للإنسان صحته وعافيته ولتتم له أسباب العيش الكريم والمقدرة على العمران، والقيام بوظائفه على أتم وجه، وقد عرف في عصرنا مصطلح الطب الوقائي في حالات الأوبئة و الأمراض سريعة الانتشار، فנסجل هنا أن رصيد السنة النبوية مما يسمى بالطب الوقائي رصيذا عاليا، فقد سبق النبي صلى الله عليه وسلم في تشريع الطب الوقائي منذ أربعة عشر قرنا، والأحاديث الشريفة المنقولة في كتب الحديث الشريف خير شاهد على مدى سبق النبوي في ميدان الخدمة الطبية على أعلى مستويات التألق والحيلة .

فأخرج مسلم في صحيحه: «عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة ابن زيد: ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلهم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه»¹

وقد يتساءل الإنسان العادي كيف لا يفر الإنسان من الطاعون؟ ويبقى هناك حتى يهلك ملازما مكان تواجد الوباء؟ الجواب أن في هذا التوجيه النبوي الشريف هو: تعليمية صحية طيبة بلغة العصر، وهي أن يبقى المصابون في مكانهم كي لا تنتقل العدوى إلى مناطق أخرى فيصاب أنس آخرون، فيزداد انتشار الوباء أكثر.

لكن كيف ستقنع الناس بعدم الفرار؟ فحتى لو طبق الإنسان أقصى درجات الاحتياط في محاصرة المرضى، وعدم السماح لهم بالسفر، دخولا و خروجا، إلا أنه لا يوجد رادع أكثر من الوازع الديني والرضى بقضاء الله تعالى ووعدده الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم والمتمثل

¹ أخرجه: مسلم : (2/ 1054) ، رقم الحديث (2218) ، كتاب السلام، باب: الطاعون و الطيرة و الكهانة و نحوها ، عن أسامة رضي الله عنه .

في: أن الصابر على هذا البلاء له أجر الشهادة في سبيل الله تعالى، ذلك أنه يبذل تضحية وفداء ببقائه في مكانه، ومن ثم فقد كانت له مساهمة في الحد من انتشار المرض فقد ساهم في إحياء النفوس كما أحيها الشهيد ببذل نفسه .

وهذا التوجيه الإيماني، الوعد الرباني لا نجد في الخدمة الاجتماعية الغربية، ذلك أن المريض يبقى محاصرا في مكانه، دون أن تتم تسليته و تعزيتة في هذا المصاب الجلل، فالسنة النبوية جعلت من المصابين بالطواعين في مرتبة الشهداء و كفى بها مرتبة، و قد مر معنا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه : "الطاعون شهادة لكل مسلم"¹

فمما لا شك فيه أن العقيدة الراسخة بموعود الله و رسوله للمصاب بهذا الداء - الطاعون - تكون سببا في هدوء أعصاب الجماهير المصابة، ذلك أن الهلع و الاضطراب من أعظم أسباب تفاقم المشكلة و اتساعها و عدم القدرة على السيطرة عليها .

فبقاء الإنسان في مكانه صابرا محتسبا لله ، ينتظر أجله المحتوم لن تجد ذلك إلا عند المسلم المتأسي برسول الله صلى الله عليه و سلم المستجيب لأمره .

وعليه نقول أن أخصائي الخدمة الاجتماعية في البلدان الإسلامية عليه أن يكون متزودا برصيد محترم من الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب النبوي و منهج التعامل مع المصابين بالأمراض المعدية.

وقد وقعت نازلة في الصدر الأول في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان الوباء قد نزل بأرض كان متوجها إليها، فكيف تعامل أمير المؤمنين مع الأمر.

الإمام البخاري في صحيحه يسوق لنا الحادثة كاملة فسرى من خلالها كيف أن الجيل الأول الذي تربى على يد خير البرية عليه الصلاة و السلام استطاع أن يسير هذه الأزمة بكل خبرة وحنكة و مهارة موافقا بذلك السنة النبوية المطهرة :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ² لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (42/4) ن رقم الحديث : (5732)، كتاب باب ما يذكر في الطاعون .

² قال ياقوت الحموي : « بفتح أوله، و سكون ثانيه، ثم غين معجمة؛ سروغ الكرم: قضبانه الرطبة ، الواحد سرغ، بالغين، و العين لغة فيه : و هو أول الحجاز و آخر الشام ، بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام ، و هناك لقي عمر

وقع بأرض الشام قال ابن عباس فقال عمر ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع في الشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم فسلخوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله، إلى قدر الله، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداها خصيبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه، قال فحمد الله عمر، ثم انصرف.¹

ويدخل تحت باب الحجر الصحي في ضوء السنة النبوية عزل المصاب بمرض معدي في مكان خاص به، ولا يجعل بالقرب منه شخصا مريضا مرضا غير حاد كنزلة البرد مثلا أو حالات الكسور وغيرها، فأصحاب الأمراض المعدية، لهم جناحهم الخاص والأمراض غير المعدية لها جناحها والنبي صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى هذا الأمر؛ فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سمع أبا هريرة يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ويحدث مع ذلك: لا يورد الممرض على المصح»²

بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد، بينها و بين المدينة ثلاث عشرة مرحلة « ينظر : الحموي ، معجم البلدان : (3/ 211 - 212) .

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (4/4241)، رقم الحديث: (5729)، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

² أخرجه : مسلم، صحيح مسلم: (2/1058)، رقم الحديث: (2221)، كتاب السلام باب، لا عدوى و لا طيرة

أي أن المريض بمرض معدي لا يجاور ولا يخالط الناس الأصحاء المخاطة التي تسمح بانتقال مرضه إلى الآخرين، وهو معنى الورود. فلا يشرب مثلاً من الإناء الذي يشرب فيه الصحيح ولا يأكل بملعقته، ولا يتقاسم معه دورة المياه، تفادياً لانتقال المرض عن طريق السعال أو الهواء حسب ما يعرفه الأطباء المتخصصون.

كذلك الأرض الوبيئة، أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تركها والانتقال منها إلى أرض صحية في تربتها، وهوائها، فمن الإرشاد النبوي في مجال الوقاية من الأمراض اختيار السكن الصالح أو بعبارة أخرى: **الصحي**، فالسكن مثلاً بجوار مجرى الصرف الصحي مما لا شك فيه أنه بمرور الزمن يؤثر على صحة الأطفال، والإقامة في مناطق النفايات خصوصاً وفي عصرنا أصبحنا نسمع بمصطلح النفايات النووية التي لم تكن في أي عصر مضى. فمما لا شك فيه أن للبيئة المحيطة بالإنسان أثراً على صحته وعليه أرشد النبي عليه السلام إلى تركها فـ«عن يحيى بن عبد الله بن بحير¹، قال أخبرني من سمع فروة بن مسيك² قال : قلت: يا رسول الله: أرض عندنا يقال لها: أرض أبين³، هي أرض ريفنا وميرتنا وإنما وبيئة أو قال: وبؤها شديد فقال النبي : دعها عنك فإن من القرف⁴ التالف»⁵.

قال الإمام البغوي: «والقرف: هو مدانة الوباء، وليس هذا من بالعدوى، وإنما هو من باب الطب، فإن استصلاح الأهوية معينة على صحة الأبدان، وفسادها مضر مُسقم كالمطاعم

¹ يحيى بن عبد الله بن بحير بن ريسان، بفتح الموحدة وكسر المهملة المرادي اليميني، يروى عن رجل عن فروة بن مسيك، روى عنه: معمر بن راشد . قال الحافظ مستور، من السادسة، أخرج له أبو داود . ينظر البخاري، التاريخ الكبير : 8 / 286 رقم الترجمة : 3024 . و ابن حبان ، الثقات : 606/7 . و ابن حجر، تقريب التهذيب : الصفحة : 592 .

² فروة بن مسيك بالتصغير يقال مسبكة والأول أشهر بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن ذويد بن مالك بن منبه بن غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد المرادي العطيفي ، قال البخاري: له صحبة . ينظر : ابن حجر ، الإصابة : 209/5 ، البخاري ، التاريخ الكبير : 126 / 4 / 1 / 7 . و ابن عبد البر ، الاستيعاب : الصفحة 600 .

³ أبين : بفتح أوله، و يكسر، بوزن أحمر، و يقال : يبين ... و هو مخالف باليمن ، منه عدن، و يقال إنما سمي بأبين بن زهير بن أيمن بن الحميسع بن حمير بن سبأ ... و قال عمارة بن الحسن : أبين: موضع في جبل عدن . ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان : (86/1).

⁴ القَرْف : مُلابسةُ الداءِ ومُدانةُ المَرَضِ والتَّلَفُ : الهلاك . ينظر ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر : 46/4

⁵ أخرجه : أبو داود سنن أبي داود : الصفحة : (340)، رقم الحديث : (3923) ، كتاب الطب ، باب في الطيرة.

والمشارب، وكل ذلك بإذن الله ومشئته جلت عظمته¹ .

قال الإمام ابن الأثير « وليس هذا من باب العُدوى وإنما هو من باب الطّب فإن استِصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان . وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الأسقام »² .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما منها: - أن الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيد الفرار لأن المفسدة إذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل .

- ومنها أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو بغيره ضائع المصلحة **لفقد من يتعهده حيا وميتا** وأيضا فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد قالوا إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وإدخال الرعب عليه بخذلانه³ »

¹ البغوي ، شرح السنة : 255/5 .

² ابن الأثير ، النهاية : 46/4 .

³ ابن حجر ، فتح الباري : 189/10 .

الفرع الرابع: فضل التبرع بالتطبيب في أوقات الحروب والأوبئة كخدمة من منظور السنة .

ما من بلد أو محلة يخلو منه الطبيب إلا أسرع إلى أهله الهلاك والعطب، وقد جرت سنة الله في خلقه أن جعل أسباب لدفع مسببات فجعل لكل داء دواء، و عليه فطلب العلاج سنة نبوية، و فطرة بشرية، ومن يباشر هذه المهنة الشريفة فهو على باب من أبواب الفروض الكفائية لأنه لا قوام للأديان إلا بقيام الأبدان بالصحة ودفع الأمراض، وأحوج ما يحتاج المجتمع إلى الطبيب في أوقات الأزمات وانتشار الأوبئة، و عليه فإن الخدمة الاجتماعية من فروعها الأساسية أرشاد العمل الطبي والسهر على وصول المساعدة الطبية في أوانها للمرضى. وفي السنة النبوية المشرفة نجد أن من الهدى النبوي الكريم العناية بحال الصحة في كل الظروف فكانت عنايته صلى الله عليه و سلم بأصحابه في حال الحرب والأزمات مؤكدة، و كان يشرف على أمر الطب أطباء مختصون سواء للرجال أو للنساء وقد مر معنا ذكر أم عطية الجراح الماهرة. وغيرها من النساء اللواتي كن يشرفن على ممارسة مهنة التطبيب والمساعدة الطبية.

ففي الحديث: «عن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال فقال ابن عباس: لولا أن أكنتم علما ما كتبت إليه كتب إليه نجدة: أما بعد فأخبرني: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يتم اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة، وأما بسهم، فلم يضرب لهن. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان، وكتبت تسألني متى ينقضي يتم اليتيم؟ فلعمري إن الرجل لتنت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس، فقد ذهب عنه اليتيم، وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنا كنا نقول هو لنا فأبي علينا قومنا ذاك»¹

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: (878)، رقم الحديث: (1812)، كتاب الجهاد والسير، باب في النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم، والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب. وأبو داود سنن أبي داود: الصفحة: (368) رقم الحديث: (1556)، كتاب السير، باب من يُعطي الفيء.

«عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأمر سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى»¹.

«عن الربيع بنت معوذ² رضي الله عنها: قالت: لقد كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى و القتلى إلى المدينة»³. وكذلك في حديث «أم عطية⁴ الأنصارية: قالت: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى»⁵.

وهنا ومن هذا الحديث نلمس ضرورة إشراك المرأة في ميدان الخدمة الاجتماعية حسب الظروف والضرورات الداعية إلى ذلك . خصوصا في مجال الخدمة المقدمة للنساء سواء في المصحات، أو

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم : (877/2) رقم الحديث (1810)، كتاب الجهاد و السير، باب غزوة النساء مع الرجال، و الترمذي: سنن الترمذي: الصفحة (373)، رقم الحديث: (1575)، كتاب السير ، باب ما جاء في خروج النساء في الحرب . و أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : (287) ، رقم الحديث: (2531) ، كتاب الجهاد ، باب في النساء يغزون ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

² الربيع بنت معوذ بن عفراء بن حزام بن جندب الأنصارية النجارية من بني عدي بن النجار، كانت من المبايعات بيعة الشجرة، قال ابن عبد البر: ربما غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عنها أهل المدينة المدينة، روى عنها من التابعين سليمان بن يسار، و عباد بن الوليد، و خالد بن ذكوان، ... وغيرهم ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب: الصفحة (903)، و ابن حجر، الإصابة : (79/8).

³ أخرجه : البخاري، الجامع الصحيح في موضعين : (327/2) ، رقم الحديث : (2883) ، كتاب الجهاد و السير باب رد النساء الجرحى و القتلى ، في (32/4)، رقم الحديث : (5679) ، كتاب الطب ، باب هل يداوي الرجل المرأة و المرأة الرجل .

⁴ أم عطية الأنصارية اسمها نسيبة بنون وسين مهملة وباء موحدة مصغر وقيل: بفتح النون وكسر السين معروفة باسمها وكنيتها وهي بنت الحارث وقيل بنت كعب وأنكره أبو عمر لأن نسيبة بنت كعب أم عمارة الآتي ذكرها روت أم عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر روى عنها أنس ومحمد وحفصة ولدا سيرين وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية وعبد الملك بن عمير وآخرون. تعد أم عطية في أهل البصرة، كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرض المرضى وتداوي الجرحى وشهدت غسل ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكت ذلك فأثقت حديثها أصل في غسل الميت، وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت ولها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث روى عنها أنس بن مالك ومحمد بن سيرين وحفصة بنت سيرين». ينظر : ابن حجر، الإصابة : (259/8)، و ابن عبد البر ن الاستيعاب: الصفحة (941)

⁵ أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : (880) ، رقم الحديث : (1812) ، كتاب الجهاد و السير ، باب في النساء الغازيات يرضخ لهن و لا يسهم.

دور التربية، والتعليم، أو السجون الخاصة بالنساء و غيرها، بل وحتى في حالات العدوان والحروب نجد المكانة اللازمة للمرأة في ميدان الخدمة الاجتماعية، حيث تشارك في الخدمات اللازمة وتشارك بفعالية كما كان نساء السلف الأول .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: الخدمة الاجتماعية للسجناء في ضوء السنة النبوية

الفرع الأول: السجن في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم .

الحبس من الأمور التي هي من اختصاص القضاة، وقد أجازها العلماء من باب التأديب لردع الجناة والخارجين عن القانون العام، وردع من تسول له نفسه أكل أموال الناس وظلمهم، وهو في مقصده العام؛ ذريعة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي وتقوية أسباب الأمن والطمأنينة في المجتمع وكثير من قضايا الحبس تنازع فيها الفقهاء بين قائل بالجواز وبين من يمنع كما تنازعوا في جواز حبس المدين وغيره، فقد ثبت عن علي رضي الله عنه: لا يجبس في الدين ويقول: "إنه ظلم".¹ فليس كل انحراف أو مخالفة توجب الحبس، فهناك أمور توجب الغرامة، وكذا التعزير والتأديب، بل إنهم اختلفوا حتى في جواز الحبس ابتداء .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولهذا تنازع العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم هل يتخذ الإمام حبسا على قولين :

- فمن قال لا يتخذ حبسا قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه و سلم ولا لخليفته بعده حبس ولكن يعوقه² بمكان من الأمكنة أو يقام عليه حافظ [حارس] وهو الذي يسمى الترسيم³ أو يأمر غريمه بملازمته كما فعل النبي صلى الله عليه و سلم.

- ومن قال له أن يتخذ حبسا قال قد اشترى عمر بن الخطاب من صفوان بن أمية دارا بأربعة آلاف وجعلها حبسا⁴».

قال أيضا: «ومنهم من قال الحبس في التهم إنما هو لوالي الحرب، دون القاضي، وقد ذكر هذا طائفة من أصحاب الشافعي كأبي عبد الله الزبيري، والماوردي، وغيرهما وطائفة من أصحاب المصنفين في أدب القضاة وغيرهم. واختلفوا في مقدار الحبس في التهمة هل هو مقدر أو مرجعه

¹ ابن القيم ، الطرق الحكمية : 1 / 156 .

² بمعنى يجد من حريته و حركته و تصرفاته .

³ هو نوع من الحبس المؤقت في مكان معلوم، ويقام عليه حارسا يجرسه، واستنكر المقريري السجن الجماعي لجماعة من الناس في مكان واحد، وقال ما محصله أن هذا لا يبيزه أحد من المسلمين . ينظر : المقريري : الخطط المقريرية : (810/2) بتصرف .

⁴ ابن القيم ، الطرق الحكمية : 170/1 - 271 .

إلى اجتهاد الوالي والحاكم على قولين ذكرهما الماوردي وأبو يعلى وغيرهما فقال الزبيري هو مقدر بشهر وقال الماوردي غير مقدر¹ .

لكن الذي دلت عليه السنة النبوية أنه يجبس المتهم المعروف بالظلم والتعدي. حتى يصدر في حقه الحكم الشرعي، ونقل ابن القيم في الطرق الحكيمة كلاماً نفيساً لابن تيمية رحمه الله في ضرورة حبس المتهم المشهور والمعروف بالتعدي كالسرقة والزنا وغيرهما وأن من قال بعدم الحبس فقوله لا يتوافق مع قواعد الكتاب والسنة .

قال رحمه الله: «قال شيخنا ابن تيمية رحمه الله وما علمت أحداً من أئمة المسلمين يقول إن المدعى عليه في جميع هذه الدعاوي يحلف ويرسل بلا حبس ولا غيره فليس هذا على إطلاقه مذهبا لأحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم من الأئمة ومن زعم أن هذا على إطلاقه وعمومه هو الشرع فقد غلط غلطا فاحشا مخالفاً لنصوص رسول الله صلى الله عليه و سلم وإجماع الأمة ويمثل هذا الغلط الفاحش تجراً للولاية على مخالفة الشرع وتوهموا أن الشرع لا يقوم بسياسة العالم ومصالحة الأمة وتعدوا حدود الله، وتولد من جهل الفريقين بحقيقة الشرع؛ خروج عنه إلى أنواع من الظلم والبدع. والسياسة جعلها هؤلاء من الشرع، وجعلها هؤلاء قسيمة ومقابلة له، وزعموا أن الشرع ناقص لا يقوم بمصالح الناس ...»² .

وهذا الكلام من ابن تيمية رحمه يؤكد من خلاله أن الشريعة الإسلامية كاملة لا نقص فيها وأنها اشتملت على أمور الديانة وأمور السياسة، وتُضيف أيضاً في هذا المقام أنها اشتملت على أسرار علم الاجتماع بكل فروع وأقسامه، بطريق والإجماع والتنبيه، وإنما يكتفى في الجديده من الأحداث بعمومات النصوص التي يهتدي بها إلى معرفة الصواب أو القرب منه، في هذه المسائل، ومنها معرفة الطرق النبوية في معاملة السجناء والخدمات التي يجب أن تقدم لهم في ضوء السنة النبوية.

قال الكتاني: «قال الإمام أبو عبد الله بن فرج مولى ابن الطلاع³ في كتاب الأفضية : اختلف أهل العلم هل سجن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أحداً قط أم لا؟ فذكر بعضهم:

¹ ابن القيم ، الطرق الحكيمة : 272/1 .

² ابن القيم، الطرق الحكيمة : (273/1 - 274) .

³ هو أبو عبد الله محمد بن فرج مولى محمد بن يحيى بن الطلاع، شيخ الفقهاء في عصره، روى عن القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث الموطأ رواية يحيى بن يحيى، و السنن لأبي عبد الرحمن النسائي رواية ابن الأحمر عنه، سمع منه خلق =

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له سجن ولا سجن أحدا قط. وذكر بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "حبس¹ في المدينة في تهمة"²، رواه عبد الرزاق والنسائي في مصنفيهما من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده³. وذكر أبو داود عنه في مصنفه قال: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من قومي في تهمة بدم وبهز بن حكيم مجهول عند بعض أهل العلم وأدخله البخاري في كتاب الوضوء فدل على أنه معروف. وفي غير المصنف عن عبد الرزاق بهذا السند: أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس رجلا في تهمة ساعة من نهار ثم خلى عنه.

ووقع في أحكام ابن زياد: عن الفقيه أبي صالح أيوب بن سليمان⁴ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سجن رجلا أعتق شريكا له في عبد فأوجب عليه استتمام عتقه، وقال: في الحديث حتى باع غنما كانت له، وقال ابن شعبان⁵ في كتابه: وقد رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم بالسجن والضرب.

= كثير ورحل إليه الناس لسماح الموطن والمدونة لعلوه في ذلك، سمع منه من شيوخ قرطبة: الفقيه أبو الوليد: هشام بن أحمد وحدث عنه القاضي أبو عبد الله بن عيسى واستحازه القاضي أبو علي الصدي وألف كتاب أحكام النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب الشروط. توفي سنة سبع وتسعين وأربع مائة. ينظر ترجمته في: ابن فرحون، الديباج المذهب: الصفحة 371. 370. و. الذهبي، سير أعلام النبلاء: 19/ 199.

¹ في التراتيب الإدارية: "سجن"

² وبهذا الطريق أخرجه: الترمذي ن سنن الترمذي: 28/4، رقم الحديث: 1417، كتاب الدييات، باب ما جاء في الحبس في التهمة وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة 401، كتاب الأفضية، باب في الحبس في الدين وغيره. ولفظ أبي داود: "أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس رجلا في تهمة" زاد الترمذي: "ثم خلى عنه" قال الترمذي في السنن بعد إخراج الحديث: حديث بهز عن أبيه عن جده حديث حسن

³ قال ابن القيم: «قال علي بن المديني: حديث بهز عن أبيه عن جده صحيح». ينظر ابن القيم، الطرق الحكمية: (268/1).

⁴أيوب بن سليمان بن صالح بن هاشم المعافري أبو صالح القرطبي كان فقيهاً حافظاً مفتياً دارت الشورى عليه وعلى صاحبه بن لبابة في أيامهما سمع من العتيبي وغيره توفي سنة إحدى وثلاثمائة ذكره بن سهل في أحكامه. ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب: الصفحة 160.

⁵هو أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا حكى عنه أبو القاسم بن سهل الحافظ وذكر أنه نسب له نفسه. كان رأس فقهاء المالكية بمصر في وقته وأحفظهم لمذهب مالك مع التفنن في سائر العلوم، واسع الرواية كثير الحديث، ألف كتاب الزاهي الشعباني المشهور في الفقه =

واحتج بعض العلماء ممن يرى السجن بقول الله تعالى: (فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الذي أمسك رجلاً لآخر حتى قتله أقتلوا القاتل واصبروا الصابر قال أبو عبيد: قوله واصبروا الصابر يعني أحبسوا الذي حبسه الموت حتى يموت ..

وفي بدائع السلك للقاضي ابن الأزرق¹ نقلاً عن ابن فرحون² عن ابن قيم الجوزية: إن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق، وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف كان في بيت أو مسجد أو ملازمة الغريم له ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيراً. وفي سنن أبي داود: عن الهرماسبن حبيب عن أبيه عن جده قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي فقال لي: الزمه ثم قال لي: يا أبا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك؟ قال: وكان هذا هو السجن في زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر رضي الله عنه³ وفي إتحاف الرواة بمسلسل القضاة للإمام أحمد بن الشليبي الحنفي⁴ لدى ذكره أوليات علي وأول من بنى السجن في الإسلام وكانت الخلفاء قبله يجلسون في الآبار .

= وكتاباً في أحكام القرآن، وكتاب مختصر ما ليس في المختصر، وغيرها وتوفي يوم السبت لأربع عشرة بقية من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (355هـ) ودفن يوم الأحد وقد جاوز سنه ثمانين سنة وصلى عليه الفقيه أبو علي الصيرفي وحلق عظيم. ينظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**: الصفحة 345. ابن قنفذ الوفيات: 217 .

¹ هو: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق: عالم اجتماعي سلك طريقة ابن خلدون. من أهل غرناطة. تولى القضاء بها إلى أن استولى عليها الأفرنج، فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق تولى القضاء ببيت المقدس بنزاهة وصيانة، ولم تطل مدته هنالك حتى توفي به . له كتب، منها: الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك، و(تخيير الرياسة وتحذير السياسة. مخطوط، وبدائع السلك في طبائع الملك، مخطوط، قال التنبكي: لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه مع زوائد كثيرة لا يستغنى عنها بوجه. و غيرها من المؤلفات توفي سنة: 896 هـ 1491 م . الزركلي، الأعلام: 289/6، كحالة، معجم المؤلفين: 229/2 .

² هو صاحب الديباج المذهب في تراجم علماء المالكية.

³ ذكر ابن القيم هذا الكلام في كتابه: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: 269/1 - 270 .

⁴ هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن شيخ الإسلام أحمد بن يونس السعودى الشهير بابن الشليبي الحنفي المصري، حلاه في " خلاصة الأثر: بالإمام الحدث رئيس فقهاء زمانه ومحدثيه " وقال: كان له بعلم الحديث اعتناء كبير محتاطاً فيه عارفاً بطرقه وتقبيداته وإقراء كتبه. له كتاب: إتحاف الرواة بمسلسل القضاة، وفيه ذكر ما اتصل به من المرويات المسلسلة بالقضاة وكانت وفاته بعد 1020 هـ. ينظر الكتاني، فهرس الفهارس: (170/1 - 171).

وفي شفاء الغليل للخفاجي¹: السجن لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان سجن وكان يجبس في المسجد أو في الدهاليز حيث أمكن فلما كان زمن علي أحدث السجن... فالحصل من كلامهم أن السجن بمعنى حبس الغريم غريمه مثلاً كان موجوداً وأما اتخاذ محل معين بُني لذلك خصيصاً فلم يكن إلا في زمن عمر.²»

الفرع الثاني: إرشاد السجنين، ومساعدته على الاندماج اجتماعياً.

وبما أن أصل مشروعية الحبس موجود في السنة المشرفة، فقد دلت سنته عليه السلام على أشرف الطرق وأكمل السبل في معاملة السجنين والأسير باستعمال الرفق واللينع السجناء فقد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمامة بن أثال³ وأحسن معاملته حتى أداه ذلك إلى إسلامه، فواجب القائمين على السجنون في عصرنا استعمال سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعادة تربية المنحرفين وردهم إلى جادة الطريق عن طريق الأساليب التربوية والطرق الحكيمة في الدعوة والاستمرار على ذلك فسيكون لها نتائج طيبة في تحسن المستوى السلوكي للمساجين.

¹ الشهاب الخفاجي (977 - 1069 هـ = 1569 - 1659 م) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه القضاء، ثم عزل، فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، ثم إلى مصر فاستقر هناك إلى أن توفي. من أشهر كتبه ریحانة الألبا ترجم به معاصريه، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، و شرح درة الغواص فيأوهام الخواص للحريري طراز المجالس، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، حاشية على تفسير البيضاوي، ثماني مجلدات. ينظر: الزركلي، الأعلام: (238/1).

² الكتاني، التراتيب الإدارية: (246/1 - 247).

³ ثمامة بن أثال - بضم الهمزة وتخفيف الشاء المثلثة - بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي أبوامامة اليمامي، أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقه، قال ابن عبد البر: قال محمد بن إسحاق ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه فكان مقيماً باليمامة ينهاتهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه ويقول إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم وبلاء من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة. فلما عصوه ورأى أنهم قد أضفقوا على اتباع مسيلمة عزم على مفارقتهم. ينظر: ابن حجر الإصابة: (211/1). و ابن عبد البر، الاستيعاب: الصفحة (106 - 107)، و النووي، تهذيب الأسماء واللغات: (140/1).

وفي الحديث ثمامة بن أثال نلحظ أن حسن المعاملة والرفق بالأسير لها نتائج حسنة على تغيير ذهنية الشخص من النقيض إلى النقيض، فقد كان ثمامة كافرا مبغضا للنبي عليه السلام وبعد وقت قصير تحولت البغضاء إلى محبة، وذلك من خلال الحوار الهادئ الذي كان ينتهجه النبي صلى الله عليه وسلم معه فقد كان يقول له عدة مرات: «ماذا عندك يا ثمامة» وفيه منادته باسمه، وهو من باب التلطف معه، قال الإمام النووي رحمه الله: «وكرر ذلك ثلاثة أيام هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير¹»، كما أنه يطرح عليه السؤال: "ما عندك" لتهيئته نفسيا كي تكون إجابته بما يتناسب مع مقامه وهو سيد من السادة، فكان يجيب إجابة يطغى عليها الجانب المادي: " وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت" فكان يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكلمه، في نهاية الأمر من عليه فقال: " أطلقوا ثمامة". قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «في رواية بن إسحاق قال قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك²».

قال الحافظ أيضا: «وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم إليه من العفو والمن بغير مقابل، وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض، ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير³».

ونسوق نص الحديث الذي يشتمل على قصة ثمامة بن أثال وإسلامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: **ثمامة بن أثال**، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تُنعم

¹ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : 89/12 .

² ابن حجر، فتح الباري : 88/8 .

³ ابن حجر ، فتح الباري (88/8) .

على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فقد أصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فقد أصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم»¹.

فستنبط من هذا الحديث الشريف في باب الخدمة الاجتماعية للسجين:

أولا - حق السجين في ضرورات الحياة من مطعم وملبس وغيره²، حيث أحضروا له الطعام. ثانيا - حقه في التعليم والإرشاد. ربط ثلمة في المسجد، حيث كان يسمع القرآن والحديث النبوي ويرى أخلاق الصحابة في معاملتهم مع بعضهم.

ثالثا - حقه في الدفاع عن نفسه: ما عندك يا ثمامة؟ وجوابه: اقتراح الفدية.

رابعا - الرفق بالسجين وحسن معاملته نفسيا وجسديا. "اطلقوا ثمامة"

خامسا - وفيه الإبقاء على السجين في سجنه الوقت الكافي كي يتوب و يتراجع عن أخطائه

¹ أخرجه البخاري: الجامع الصحيح: (168/3)، رقم الحديث (4372) كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة و حديث ثمامة بن أثال. ومسلم، صحيح مسلم: الصفحة: (844) رقم الحديث: (1764) كتاب الجهاد و السير باب ربط السير و حبسه و جاوز المن عليه. و أبو داود سنن أبي داود: الصفحة (302)، رقم الحديث: (2679) كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، عن أبي هريرة رضي الله عنه، و اللفظ للبخاري رضي الله عنه.

² قال الكتاني في الترتيب الإدارية: «لم تزل الخلفاء تجري على أهل السجون ما يقوّمهم في طعامهم و إدامهم، و كسوتهم الشتاء و الصيف، و أول من فعل ذلك علي بن أبي طالب بالعراق، ثم فعله معاوية بالشام، ثم فعله الخلفاء بعده....» ينظر: الكتاني الترتيب الإدارية: (249/1).

سادسا - وفيه التدرج في عقوبة السجين من الأشد إلى الأخر، كان ثمامة موثقا ثم أزيل وثاقه " أطلقوا ثمامة".

سابعا - وفيه العمل بالفراصة مع السجين فلا يعاملون معاملة واحدة. وفي ضوء الأحاديث النبوية الشريفة في كيفية معاملة الأسير يمكننا أن نستشف الكثير من الآداب في معاملة السجين، معاملة ترقى إلى مستوى الخصوصية الإسلامية، فيمكن الاستفادة من السجين في تعليم زملائه إذا كانت له مهارة في علم أو حرفة أو صناعة، ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم جعل فداء الأسير أن يعلم صبيان المسلمين.

ورد في عيون الأثر: «عن جابر بن عامر قال: أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيرا وكان يفادي بهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة يكتبون و أهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان، من غلمان المدينة، يعلمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه¹».

¹ ابن سيد الناس ، عيون الأثر : 434/1 .

الفصل الثالث

سبل تطویر الخدمة الاجتماعية

ومواردها وفي ضوء السنة النبوية .

المبحث الأول: مؤسسات الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية.

تمهيد: لقد تطور علم الإدارة تطورا هائلا في عصرنا الحاضر وتشعبت فروعها، ومتعلقاته حيث دخل في كافة مناحي الحياة الإنسانية فكان له كبير الأثر على الحياة الاجتماعية والسياسية الاقتصادية، وظهر في تنظيم النشاط الإنساني في الحقول المتنوعة، ومما زاد الأمر إلحاحا الثورة التكنولوجية والصناعية فأدى ذلك إلى تعقد الحياة الاجتماعية فظهرت للوجود الكثير من المؤسسات ذات التنوع الثراء حسب كل قطاع في شتى المجالات الحيوية التي تخدم الإنسان وعليه أصبحت المؤسسة ذات شخصية مستقلة عن الفرد لها هيكلها وكيانها واعتبارها، نستطيع أن نقول أنها أشبه بـ **كائن حي جديد** ذو شخصية اعتبارية له حضوره وتأثيره في حياة الأفراد والجماعات، وأصبحت المؤسسة ضرورية لتنظيم الحياة الإنسانية وقد عبرت عن هذه الضرورة مقولة: جون مونييه¹ - أحد المفكرين الغربيين -: حيث يقول:

«rien n'est possible sans les hommes ,rien n'est durable sans les institutions .» **jean monnet.**

وتعني عبارته: " لا شيء ممكن دون رجال ولا شيء مستدام دون مؤسسات " ². إن الهدي النبوي الشريف القائم على: قيم روح الجماعة وما تقتضيه من التنظيم والعدالة والنزاهة والإيثار، والمرحمة والتكافل وغيرها من القيم قد تضمن الدعوة الضمنية لإنشاء المؤسسات التي تقوم مقام الفرد في حماية وديمومة مصالحه وترسيم الأعمال المشاريع ذات الطابع الخدمي لخدمة المجتمع.

وفي ثنايا السنة النبوية ثروة زاخرة تمكن الباحث من تصور المؤسسات الاجتماعية ومنها مؤسسة الخدمة الاجتماعية بفروعها، هذه الثروة الحديثة المباركة؛ لها تعلق بسبل وآليات تطوير مؤسسة الخدمة الاجتماعية، حيث يمكن اعتبار الكثير من التوجيهات النبوية الشريفة أصولا

¹ جون مونييه، (09 نوفمبر 1888 - 16 مارس 1979)، رجل أعمال و سياسي فرنسي قاد حركة توحيد أوروبا

الغربية في الخمسينات والستينات. ينظر: الموقع التالي على النت <https://www.marefa.org>.

² استفدت هذه العبارة مع ترجمتها من فضيلة الدكتور محمد بوجلal أثناء مقابلة في بيته، بتاريخ: 04/ 07 / 2019م تباحثت معه مسائل الوقف و منها نظريته حول الوقف النامي. و البروفسور محمد بوجلal متخصص في المالية والاقتصاد الإسلامي و عضو بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر .

فكرية نبوية للخدمة الاجتماعية، تُوجِبُ لها تميزاً وخصوصية، حيث وفي ضوء الحديث النبوي الشريف يمكننا تلمس و تحسس أبعادها الفكرية والعقدية، وكذا تميزها في الميدان التطبيقي على أرض الواقع، فنلاحظ ذلك البعد الشمولي في إلزامية الخدمة الاجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع، كل على حسب طاقته ووسعه . وهذا لا يعني أنه ليس هناك بعداً مؤسسيا للخدمة الاجتماعية، في السنة النبوية، حيث قد دلت النصوص النبوية على ضرورة وجود مؤسسات للخدمة الاجتماعية، ولا أدل على ذلك من تأصيل العمل الجماعي في التصرف النبوي، فإذا كانت الصلاة وهي علاقة بين العبد وربّه يؤديها جماعة و تؤكد السنة على الأجر العظيم لصلاة الجماعة ، فمن باب أولى أن تكون الأعمال ذات النفع العام؛ جماعية أيضاً، لما في ذلك من فاعلية للفعل وكذا روح المبادرة و المنافسة والإثراء و التعاون.

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على استحباب الجماعة في الكثير من الأحاديث سواء في العبادات أو العادات أو الأعمال، و هي إشارة وتنبية للمسلمين أن يؤسسوا أعمالهم على نمط تنظيمي مؤسسي يوجب الديمومة والاستمرار و ثراء الموارد و تنوع مصادر التمويل لمؤسسة الخدمة الاجتماعية. والناظر في ثنايا كتب الحديث النبوي الشريف في ضوء المصادر المشهورة كالكتب الستة مثلاً و غيرها يلحظ مدى تعدد وتنوع و ثراء مصادر تمويل مؤسسة الخدمة الاجتماعية. هذا التنوع في المصادر كفيل بضمان ديمومة واستمرار العمل الخدمي لكل فئات و شرائح المجتمع.

ويبقى في عنق الباحثين والمتخصصين في التنمية المستدامة، إبراز مدى فعالية و فاعلية التشريعات النبوية الشريفة في دعم الخدمة الاجتماعية، من خلال النظر - الاجتماعي والاقتصادي ذو البعد الخدمي -، في الكثير من المؤسسات الدينية و منها المسجد و غيره وكذا العبادات، ومنها الزكاة والحج، والتعويضات المالية: ومنها الكفارات والأوقاف¹، ومنها الهبات والهدايا ... وغيرها، على أساس أنها شرعت لبعدها التضامني من الناحية الاجتماعية، وضرورة وجود أعمال ذات طابع دراسي منهجي حديث، من شأنها المساهمة في : بيان مدى السبق النبوي تأصيلاً وتقييداً للخدمة الاجتماعية، وأن الإسلام ليس محصوراً في العبادة و الصلاة فقط كما يصوره

¹ و للدكتور محمد بوجلال أبحاث ذات بعد مؤسسي تتعلق بالوقف و سبل تطويره حسب مقتضيات العصر و بحثه تحت عنوان : نحو صياغة مؤسسية للدور التنموي للوقف - الوقف النامي - منشور بمجلة : دراسات اقتصادية إسلامية مج (5) العدد (1)، الصفحة 61 .

البعض، بل دين يؤسس للدنيا، كما أنه لا ينسى الآخرة هذه الثنائية التي لا تجدها إلا في الدين الإسلامي الحنيف، وعليه فمثل هذه الأعمال من شأنها أن :
- تساهم في ترشيد مؤسسة الخدمة الاجتماعية وفق الأصول الفكرية والأخلاقية في ضوء السنة النبوية، ومن ثم المساهمة في معالجة القصور الذي تعاني منه التشريعات ذات الطابع القانوني في المؤسسات الحديثة.

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

- المطلب الأول: مؤسسة المسجد ودورها في الخدمة الاجتماعية، من منظور السنة النبوية.

للمسجد مكانته الكبرى في الحياة الإسلامية، فهو مكان الاجتماع للعبادة ومكان الدراسة ومكان اللقاء مكان الخلوة الروحية، ومكان الراحة النفسية، من عناء الحياة، يضع فيه الإنسان عن عاتقه الكثير من الأثقال، فهو معراج الأرواح لمناجاة الملك الديان، وقد جمعت مع هذا الصفاء الروحاني بعد اجتماعيا في كسوة العاري وإطعام الجائع فهي بحق أفضل البقاع والفضل إنما يكون بما يجمع الله في ذلك المفضل من خصائص النفع و المرحمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب البلاد إلى الله مساجدها. وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»¹.

وأیضا للمسجد دور رائد في جوانب عدة من الحياة الإسلامية، فهو مكان العبادة، وهو مجمع اجتماعي وعلمي، بل وكالة إغاثة للمحتاجين والمحرومين، ولقد كان للمسجد دور رائد في تنظيم كثير من مسائل حياة المسلمين في حرهم وسلمهم فكثير من المؤسسات الاجتماعية التي هي الآن ذات طابع مستقل إنما كانت من توابع المسجد، مثل المدرسة، ودار القضاء، والسفارة لاستقبال الوفود وغيرها، وتلك سنة الله في تطور العمران وتغير طابع الحياة الاجتماعية فالمدرسة الآن أصبحت مؤسسة مستقلة، ومثلها القضاء أصبح مؤسسة مستقلة، وشؤون السفارة واستقبال الوفود له هيئاته؛ فهناك هيئات خاصة تعنى بالشؤون الداخلية والخارجية، كل ذلك أمر طبيعي من توابع تغير والروابط والعلاقات، وهي في تطور مستمر كنتيجة طبيعية لتطور علم الإدارة فأصبحت هناك هيئات يصعب حصرها كل في تخصصه وفنه. والسؤال المطروح كيف نفعل الدور الريادي للمسجد في الخدمة الاجتماعية وكيف نتمكن من تطوير أدائه في هذا الميدان الحيوي، الذي هو من ألق الميادين به، هل نجعل من المسجد مكانا لإقامة الصلوات وقراءة القرآن فقط؟ أم أن المسجد يمكنه أن يؤدي مهام اجتماعية أخرى غير العبادات. مع التأكيد مبدئيا أن للجماعة في المسجد مقاصد اجتماعية جمّة، لا يمكن حصرها إلا في مؤلف مستقل.

¹ أخرجه : مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : (301)، رقم الحديث : (671) كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب فضل الجبوس في مصلاه بعد الصبح و فضل المساجد . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يقول الإمام محمد الطاهر ابن عاشور¹ رحمه الله: «اعلم أن الجماعة المعنية في الأحاديث الواردة في فضل الجماعة أو وجوبها هي صلاة الجماعة في المسجد في أوقات الاجتماع؛ لأن المقصد الشرعي، منها اجتماع أهل المحلة الواحدة تجديدا لأواصر الأخوة الإسلامية والألفة فاعتيادها اعتياد بالف المسلمين بعضهم ببعض. ومن اجتماعهم ينشأ شعورهم بمصالحهم ودفع أضرارهم؛ ولذلك جعلت الشريعة اجتماعات للمسلمين مرتبة في اليوم وفي الأسبوع يجتمع أهل البلد الواحد لصلاة الجمعة، وفي العيدين كذلك وفي الحج يجتمع طوائف من المسلمين في مكة²...».

إن باب الابتكار والتجديد مفتوح في حدود ما يحفظ حرمة المسجد ومكانته من أجل الوصول إلى سبل جديدة لتوصيل الخدمة الاجتماعية للمسلمين خصوصا والمسجد ملتقاهم ومجمعهم . ونأخذ من كلام العلامة محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله الآنف الذكر؛ أنه باجتماع المسلمين: - ينشأ شعورهم بمصالحهم سواء كانت دينية أو دنيوية.

- ودفع ما يضرهم في دينهم ودنياهم. فيتأكد أن السعي لابتكار وسائل في المسجد لنفع العاجزين و تعاليم الجاهلين وإشباع الجائعين، وإرشاد الضالين، وإصلاح ذات البين من المقاصد التي بني من أجلها المسجد في الإسلام . فممن الأمور التي نراها ضرورية أن تكون منوطة بمهام المسجد استحداث هيئات اجتماعية يكون نشاطها من توابع نشاط المسجد.

¹ هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور ، أصل عائلته من بلاد الأندلس، ثم انتقلت إلى سلا بالمغرب، ثم إلى تونس، تدرج في التعليم و لازم شيوخ الزيتونة الكبار من أمثال محمد النخلي و محمد النجار، و محمد الطاهر جعفر، و محمد العزيز بوعتور و غيرهم ، تدرج في الرتب والخطط في الجامع الأعظم، إلى أن وصل إلى مرتبة شيخ الإسلام المالكي وهو أول من حاز هذا اللقب، ترك تراثا علميا غزير الفائدة منها: تفسيره الكبير المعروف بالتحريير و التنوير، و مقاصد الشريعة، والنظر الفسيح عند مضايق النظار في الجامع الصحيح حاشية على تنقيح الفصول للقراقي و غيرها. ينظر ترجمته في : بلقاسم الغالي: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته و آثاره ، و محمد مخلوف شجرة النور الزكية، وابن الخوجة : محمد الطاهر ابن عاشور و كتابه مقاصد الشريعة ² ابن عاشور محمد الطاهر ، كشف المغطى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ: الصفحة : 109 .

- أولا : هيئة¹ إصلاح ذات البين.

من الأمور الطبيعية الناشئة عن مخالطة الناس بعضهم بعضا، أن يقع النزاع بين الحين والآخر فالناس متفاوتون في الإدراك وتحمل تبعات التصرفات، كما أن بعض النفوس مجبولة على الميل إلى الحيف والجور، فينشأ من ذلك فساد العلاقات الاجتماعية فتحل الأحقاد بدل المحبة والعدوان بدل الأمن، والاضطراب بدل السكينة، وقد جاء الترهيب من فساد ذات البين لما فيه من تهديد لسلامة ووحدة المجتمع .

ف«عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا²، وكونوا عباد الله إخوانا. و لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث³» .

والمجتمع الذي يسهر على رصد الأطباء لإصلاح الأبدان؛ بتكوين الأطباء والمتخصصين في شتى المجالات الدقيقة جدا؛ مطلوب منه أن تتخصص طائفة منهم لدفع غوائل فساد الاجتماع الإنساني وفساد ذات البين التي تحلق الدين وتذهبها كما جاء في الحديث. ولا بأس أن تكون هذه الهيئة مكونة من الأعيان من أهل الرأي و العلم و النباهة و ممن لهم حضورهم في المجتمع ولهم الكلمة المسموعة، كما أنه لا بد من استحداث تخصص يسمى: فن الإصلاح بين الناس أو فض النزاعات - يدرس للأئمة والقائمين على شؤون المساجد، وقد كان السلف من هذه الأمة لهم براعة فطرية في هذا الفن، تعلموه بالممارسة الميدانية والتنشئة الاجتماعية السليمة ويدل عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]

¹ ومنه ما يسمى في عصرنا الوسيط القضائي، وهي هيئة تم إنشاؤها في الجزائر وما زالت قيد الدراسة والإثراء، تشمل الأئمة والأعيان في المجتمع ليساهموا في حلحلة الكثير من القضايا المعقدة. ينظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية : الصفحة 3، العدد 16. مارس 2009 .

² تَدَابَرُوا : أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر : 97/2 .

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح:(103/4) ، رقم الحديث (6065)، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، و مالك ، الموطأ : 1333/5 ، كتاب الجامع، ما جاء في المهاجرة .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: 159]
 [وقال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
 إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 122].

ومن الدلالة القاطعة للنص أن تشمل عبارة: **لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**؛ تعلم كيفية التعامل مع
 الاختلافات التي تقع في العلاقات الاجتماعية، **"حالقة الدين"**؛ فن فض النزاعات والخصومات
 فيتعلم أخصائي الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية؛ فنون الإصلاح على الطريقة
 النبوية المباركة، فواجب الأمة تكوين المتخصصين في علم النفس والاجتماع الشرعيين، وليس
 الدين محصورا في الحكام الشرعية العملية فقط، وإنما يشمل الفقه - على ظاهر النص - علوما
 جمّة، أخرجت من الفقه لضرورة الاصطلاح. فالعلم بقوانين الاجتماع الإنساني وتطور العوائد
 ومعرفة الأمراض الاجتماعية وأدويتها من القرآن والسنة النبوية يعد من الفقه في الدين.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: 1]، و«عن أبي الدرداء [رضي الله
 عنه]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الأخبركم بأفضل من درجة الصيام
 والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة**
 «¹. والتقاعس عن تكوين مثل هذه الهيئة - هيئة الإصلاح - مجلبة لمفاسد اجتماعية جمّة؛ منها:
 سرعة تدهور العلاقات الاجتماعية؛ مما يؤثر سلبا على الانسجام والتعاون الذي هو أساس
 سلامة المجتمع، لأن فساد ذات البين ينجم عنه: قلة النجدة، وشيوع ظاهرة الأحقاد وبروز طبيعة

¹ ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : 489/11 ، رقم الحديث : 5092، كتاب الصلح ، باب ذكر
 الأخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين . و أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 663/4 ،
 رقم الحديث : 2509 ، كتاب صفة القيامة ، باب ، دون ، و أبو داود ، سنن أبي دود : الصفحة : 533 ، رقم
 الحديث : 4919 ، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه . و اللفظ للترمذي . و
 لفظ ابن حبان: " أفضل من درجة الصيام والقيام "، دون ذكر الصلاة و الصدقة . و صححه الألباني في صحيح
 الترغيب و التهيب: (70/3).

الانتقام في المجتمع وأي دين يبقى بعد هذا كله، لذلك صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة»¹.

وكما أن للأبدان أدواء وعلل فكذلك للمجتمع أمراضه وانحرافات، وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث على أدواء الأمم تحذيراً لنا لمواقعتها. فمن المؤشرات الظاهرة الدالة على وصول المجتمع إلى حافة الهلاك والإفلاس الاجتماعيوالحضاري؛ ما جاء ذكره في حديثالزبير بن العوام رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده، أو والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم، أفشوا السلام بينكم»². وعليه فإن من واجب المسلمين القيام بهذا الفرض وهو إصلاح ذات البين، وتكوين هيئة إصلاح ذات البين انطلاقاً من النص

القرآني: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الآية . [آل عمران: 104]

وإصلاح ذات البين من أجل الخدمات الاجتماعية التي تقدم للمجتمع، والوقت المبذول في إصلاح شؤون الناس، والسعي على سلامة أفراده من الأدواء والعلل الاجتماعية، يعد خدمة اجتماعية جلييلة، تفوق في الأجر درجة الصلاة و الصيام و قد كان سلفنا الصالح يفقهون هذا الأمر جيداً ويطبقونه على أرض الواقع.

أخرج مالك في الموطأ: عن « سعيد بنالمسيب يقول: ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فإنها هي الحالقة»³. وقد كان المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً يتقاضى فيه الناس أحياناً، ولا نقول أنه ينبغي أن يتحول المسجد إلى مكان خاص للقضاء فهذا يتنافى مع الواقع المعاش فالقضاء أصبح مؤسسة مستقلة، ولكن نقول أنه لا بأس أن يعرض الناس قضاياهم على علماء الأمة في

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 663/4، رقم الحديث: 2508، كتاب صفة القيامة، باب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي عقبه: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ومعنى قوله وسوء ذات البين إنما يعني العداوة والبغضاء وقوله: الحالقة يقول إنما تحلق الدين. و حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (606/2).

² أخرجه، أحمد، المسند: 43/3. و الطيالسي، مسند الطيالسي: 159/1. قال محقق مسند أحمد الشيخ شعيب الأرناؤوط: جود إسناده الحافظ المنذري في الترغيب. و في مسند الطيالسي سقط ذكر الزبير بن العوام.

³ أخرجه مالك الموطأ: 489/2، كتاب الجامع، ما جاء في حسن الخلق.

المساجد قبل أن تعرض على المحاكم لتفادي الكثير من التعب والتطويل الحاصل من جراء الأمور الإدارية من وثائق وغيرها . ويشرف على تنظيم هذه الجلسات هيئة الوسطاء القضائيين و مساعدتهم ، وتختص كل بلدة بهيئة استشارية قضائية تابعة لمهام للمسجد وتنظم وفق قوانين وتشريعات منظمة لسير أعمال المسجد هذه المؤسسة المهمة التي انحصر دورها في الصلوات الخمس والمواسم الدينية.

والمسجد في صدر الإسلام، « كان مكانا للصلح بين المتخاصمين، وقد روي عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف حجرته فنادى يا كعب، قال: لبيك يا رسول الله قال: دع من دينك هذا، و أوماً إليه - أي الشطر - قال لقد فعلت يا رسول الله، قال قم فاقضه ... بل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد¹ من نفسه فيه روى عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله يريد الصلاة فأخذ رجل بزمام ناقته فقال: حاجتي يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعني فستدرك حاجتك ن ففعل ذلك ثلاث مرات ، والرجل يأبى فرفع النبي صلى الله عليه وسلم السوط فضربه. وقال: دعني ستدرك حاجتك فصلى بالناس. فلما فرغ قال: أين الرجل الذي جلدت أنفا؟ قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: من هذا الذي جلده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل من آخر الصفوف، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أدن فاقص فرمى إليه بالسوط، قال: بل أعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بيده، لا يظلم مؤمن مؤمنة فلا يعطيه مظلمته في الدنيا إلا انتقم الله له منه يوم القيامة... الحديث².

¹ من القود وهو القصاص .

² عبد الرزاق، المصنف: (465/9 - 466). حديث رقم : (18037)، باب قود النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه. عن معمر، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم . قلت و أبو هارون العبدى اسمه عمارة بن جوين، قال الإمام أحمد ليس بشيء، و في سؤالات السلمى للدارقطنى قال : هو عمارة بن جوين، خارجي مرة ، وشيعي مرة ، يصلح أن يعتبر بما يرويه عنه الثوري والحمادان. ينظر: أحمد، العلل ومعرفة الرجال: 1/ 421. السلمى =

كما أنه كان عليه الصلاة والسلام يقضي فيه الدين، روى عبد الرزاق الصنعاني بسنده: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، خرج يوما عاصبا رأسه بعصابة حمراء متكئا أو قال معتمدا على الفضل بن العباس، فقال: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر، وقال: أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن ضربت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يقولن أحدكم إني أتخوف الشحناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وإنها ليست من طبعتي ولا من خلقي وعن أحبكم إلي من أخذ حقا إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس فقام رجل فقال: أنا أسألك ثلاثة دراهم، فقال: من أين؟ قال أسلفتكم يوم كذا وكذا فأمر الفضل بن العباس أن يقضيها إياه¹ ...

وبمشروعية القضاء في المساجد، قال كثير من أهل العلم وكرهه بعضهم وهو وجه للشافعية وقال الزركشي في إعلام الساجد: يستحب ألا يتخذ المسجد مجلسا للقضاء صغيرا كان أو كبيرا ... وقال مالك جلوس القاضي للقضاء في المسجد من الأمر القديم المعمول به وكان شريح وابن أبي ليلى يقضيان في المسجد².

ثانيا : هيئة الإرشاد النفسي و الاجتماعي بالمسجد من منظور السنة النبوية

- أولا : مفهوم الإرشاد النفسي ووسائله .

1 مفهومه. الإرشاد النفسي هو: « عملية مساعدة الفرد في فهم حاضره وإعداده لمستقبله بهدف وضعه في مكانه المناسب له وللمجتمع، ومساعدته في تحقيق التوافق الشخصي والتربوي والمهني والاجتماعي، حتى يحقق الصحة النفسية والسعادة مع نفسه ومع الآخرين في المجتمع المحيط به³...» .

= سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني : الصفحة : (265) ، ترجمة رقم : (264) ، و هذا الحديث لم يروه عنه الثوري و الحمادان [ابن زيد و ابن سلمة] كما ذكر الدارقطني، فالله أعلم .

¹ أخرجه عبد الرزاق المصنف : (469/9) ، رقم الحديث (18043) ،

² عبد الله الوشلي، المسجد و نشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ :الصفحة : . 62 . 63 .

³كاملة الفرخ، و عبد الجابر تيم، مبادئ التوجيه و الإرشاد النفسي : الصفحة 13 .

« كما تشير عملية الإرشاد إلى العلاقة المهنية التي يتحمل فيها المرشد مسؤولية المساعدة الإيجابية للعميل؛ من خلال تغيير أنماطه السلوكية السلبية، بأنماط سلوكية جديدة أكثر إيجابية ومن خلال فهم وتحليل استعداداته وقدراته وإمكاناته وميوله والفرص المتاحة أمامه وتقوية قدرته على الاختيار واتخاذ القرار، وإعداده لمستقبله بهدف وضعه في المكان المناسب له لتحقيق أهداف سليمة وحياة ناجحة ومواطنة صالحة¹»

2 - وسائله: ويعتمد الإرشاد النفسي على « وسائل متعددة كالملاحظة والمناقشة وأجراء الاختبارات وقد يكون أرشادا تربويا أو مهنيا أو إرشادا لحل المشكلات النفسية وأهم خدمة للإرشاد هي العمل على إسعاد الفرد. وميادينه: غرفة الإرشاد بالمدرسة، والعيادات النفسية ومركز إرشاد²».

- ثانيا المسجد و دوره كمركز للإرشاد النفسي من منظور السنة النبوية.

في المسجد يتم تحصيل الشباب عن طريق غرس القيم الدينية و الخلقية في نفسيته، والغالب أن الشباب الذي يرتاد المسجد يكون دائما بمنأى عن كثير من الأزمات النفسية والانحرافات الخلقية، ذلك أن التربية الدينية السليمة التي يتزود بها في المسجد يوميا تكون له عوناً وحصناً حصينا ضد كل ما يتهدد كيانه وشخصيته من المغريات الأجنبية. جاء في الحديث الشريف: «عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه»³.

كما يسهم المسجد في التوجيه السليم للشباب عن طريق الإعداد التربوي والنفسي السليم لتكوين شخصية قوية ومستقلة تستطيع اتخاذ القرارات كما يساهم المسجد في الحد والتقليل من كل سلوك سلبي ينحرف إليه الشباب؛ عن طريق توجيهه التوجيه السليم، حسب

¹ سهير كامل أحمد ، التوجيه و الإرشاد النفسي : الصفحة 7 .

² كاملة الفرخ ، و عبد الجابر تيم ، مبادئ التوجيه و الإرشاد النفسي : الصفحة 13 .

³ أخرجه، البخاري : الجامع الصحيح : 219/1، رقم الحديث : 660 ن كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة و فضل المسجد ، و مالك، الموطأ : 542/2 ، رقم الحديث : 2724 ، كتاب الجامع ، ما جاء في المتحايين في الله .

قدرا تھو إمكاناتہ، وميولہ؛ ورغباتہ، كما يسهم المرشد في حل الكثير من الخلافات الزوجية بين المتزوجين حديثا من الشباب .

والمسجد في منظور السنة النبوية ليس مكانا صلاة فقط، وإنما هو مركز استشاري وعلاج نفسي في الوقت نفسه. في الدول الغربية توجد الكثير من المراكز الطبية للخدمة الاجتماعية النفسية تقوم بتقديم المساعدة للمدمنين و المطلقين، و من يعاني من أي أزمة نفسية - قلق أو اكتئاب أو ذلك. وهذه المراكز موجودة بكثرة تساهم في تقديم المساعدة النفسية لأفراد المجتمع. وهي قليلة إلى درجة الندرة في الدول العربية و الإسلامية.

لقد كان المسجد في عهد رسول صلى الله عليه وسلم يمثل مركزا للإرشاد النفسي والتوجيه للشباب و كل فئات المجتمع:

ففي مجال التوجيه الإيجابي للشباب لتعويدهم الاعتماد على أنفسهم في أمورهم المعيشية وليصبح الشاب عنصرا فعالا وفي مستقبل أيامه، لا عبئا، وعالة على المجتمع، ويكون ذا شخصية إيجابية فاعلة نجد التوجيه النبوي الشريف: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يفتح إنسان على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، لأن يعمد الرجل حبلا إلى جبل فيحتطب على ظهره ويأكل منه خير من أن يسأل الناس مُعطىً أو ممنوعاً»¹.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «أن رسول الله صلى الله عليه و سلمقال: أيعجز أحدكم لأن يأخذ حبلا فيحتطب ويأكل منه ويتصدق خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»²

لقد كان الشباب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقون التوجيهات اللازمة في أمور دينهم، و دنياهم في رحاب المسجد في الغالب، ففي حديث أبي ذر الطويل في صحيح ابن حبان مثال على الحوار الذي كان يدور بين النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام سؤال

¹ أخرجه ابن حبان ، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان : 8 / 182 . رقم الحديث : 3388 كتاب الرّكاة ، ذكر

الأخبار عما يجب على المرء من مجانية الإكثار من السؤال . قال الشيخ الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم .

² أخرجه أبو يعلى ، مسند أبي يعلى : (10 / 416) ، رقم الحديث : (6027) ، قال محقق المسند حسين سليم أسد :

إسناده حسن .

وجواب وتوجيهات مناسبة حسب المقتضى وسأسوق جملا من حديث أبي ذر رضي الله عنه لما فيه من الفوائد:

«عن أبي ذر قال: (دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده قال:) يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما)، قال: فقامت فركعتهما ثم عدت فجلست إليه فقلت: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: (خير موضوع استكثر أو استقل) قال: قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: (إيمان بالله وجهاد في سبيل الله) قال: قلت: يا رسول الله فأبي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال: (أحسنهم خلقا) قلت: يا رسول الله فأبي المؤمنين أسلم؟ قال: (من سلم الناس من لسانه ويده) قال: قلت: يا رسول الله فأبي الصلاة أفضل؟ قال: (طول القنوت) قال: قلت: يا رسول الله فأبي الهجرة أفضل؟ قال: (من هجر السيئات) قال: قلت: يا رسول الله فما الصيام؟ قال: (فرض مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة) قال: قلت: يا رسول الله فأبي الجهاد أفضل؟ قال: (من عمر جواده وأهريق دمه) قال: قلت: يا رسول الله فأبي الصدقة أفضل؟ قال: (جهد المقل يسر إلى فقير) قلت: يا رسول الله فأبي ما أنزل الله عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي) ... قلت: يا رسول الله أوصني قال: (أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله) قلت: يا رسول الله زدني قال: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء) قلت: يا رسول الله زدني قال: (إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه) قلت: يا رسول الله زدني قال: (عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك) قلت: يا رسول الله زدني قال: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي) قلت: يا رسول الله زدني قال: (أحب المساكين وجالسهم) قلت: يا رسول الله زدني قال: (انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك) قلت: يا رسول الله زدني قال: (قل الحق وإن كان مرا) قلت: يا رسول الله زدني قال: (ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي وكفى بك عيبا أن

تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي) ثم ضرب بيده على صدري فقال: (يا أيأ ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق)¹

ففي هذا الحديث الشريف الكثير من التوجيه الذي ينبغي أن يوجه للشباب اليوم ففيه إرشادات ذات جوانب متعددة لا يستغني عنها أي مربي، فمن أنوار النبوة ومشكاتها نستمد الوسائل والسبل التربوية ذات النفع العظيم، وكلما كان رصييد المرشد في المسجد عاليا من المعارف وفنون التعامل مع الناس كانت مقدرته على الإرشاد أقوم وأحكم.

ثالثا - هيئة الإطعام والإغاثة بالمسجد من منظور السنة النبوية.

كانت الصفة² من توابع المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، تقوم بدور عظيم في إيواء المساكين، وتعليم فقراء المسلمين، وإطعامهم، وإننا لنجد في عصرنا ما يسمى بالمراكز الإسلامية، في الدول الغربية؛ قسما منها في المسجد مخصص للخدمة الاجتماعية من طعام وإيواء، وما ذلك إلا من آثار شيوع ثقافة الخدمة الاجتماعية في البلدان الغربية، فكيف بنا نحن في بلاد المسلمين، هناك الجائع في المسجد، ولا يلتفت إليه، ولا يجد ما يسد به رمقه خصوصا إذا كان مسافرا منقطعا عن أهله.

فينبغي أن تؤسس دار الضيافة لتكون من لواحق المسجد، تؤسسها الدولة أو المحسنين وأهل الفضل في البلديوفر فيها ما خف من المأكولات والملبوسات، تكون عوناً للفقراء والقادمين للصلاة من المسلمين، فعوض أن تنفق المليارات على بيوت الوضوء، والطهارة بأحدث أنواع الزخارف، فلا بأس من إنفاق عشر هذا المبلغ في جلب قلوب من ضعف إيمانه، وقلت حيلته في الحياة يمثل هذه الأمور: حلويات، فطور الصباح، وجبة خفيفة للمسافرين، والعاجزين عن العمل.

فإن لم توجد دار الضيافة فلا بأس أن تكون على شكل مبادرات فردية من البيوت القريبة من المسجد والمداومة عليها هو ما يجعلها تؤتي ثمارها الطيبة فقد كان هذا العمل من هدي رسول

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان: 76/2، رقم الحديث: 361، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن تكون من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء ما. و أورد طرفا من بداية الحديث و قال الحديث بطوله: الحاكم، المستدرک: (597/2).

² موضع مظلل في مسجد المدينة، يسكنه فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: 37/3.

الله صلى الله عليه و سلم، « فعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هل منكم أحد أطمع اليوم مسكيناً؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل فوجدت كسرة خبز في يد عبد الرحمن فأخذتها منه فدفعتها إليه¹».

قال الحافظ ابن رجب² رحمه الله: عند شرحه لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: (لك ما نويت يا زيد ولك ما أخذت يا معن)³، «ويتصل بهذا: التصدق في المسجد على السائل وهو جائز⁴، وقد كان الإمام أحمد يفعله، ونص على جوازه، وإن كان السؤال في المسجد مكروها⁵».

قلت: فإذا كان السؤال مكروها فالواجب التصدق والبذل قبل السؤال، ويدل عليه ما بوب به البخاري في صحيحه: باب من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب فيه. وأخرج بإسناده: عن أنس رضي الله عنه «قال: وجدت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد معه ناس، فقمت فقال لي: «آرسلك أبو طلحة؟»، قلت: نعم، فقال: «لطعام»، قلت: نعم، فقال: «لمن معه قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم»⁶.

¹ أخرجه أبو داود سنن أبي داود: الصفحة: (197)، رقم الحديث: (1670)، كتاب الزكاة، باب المسألة في المساجد
² هو شهاب الدين أبو العباس أو أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، المحدث الفقيه الواعظ، سمع خلقاً منهم محمد بن إسماعيل الخباز ومحمد القلانسي والطارق المديومي، صنف شرح البخاري ولم يكمله، وشرح على الترمذي، وغيرها مات سنة 795 هـ بدمشق. ينظر: الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ: الصفحة: (181-182).

³ ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري: 156/3.

⁴ نقل الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح البخاري: (3/157) المنع عن السادة الحنفية فقال رحمه الله: «ومنع منه أصحاب أبي حنيفة، وغلظوا فيه حتى قال خلف بن أيوب منهم: لو كنت قاضياً لم أجز شهادة من تصدق على سائل في المسجد. ومنهم من رخص فيه إذا كان السائل مضطراً، ولم يحصل بسؤاله في المسجد ضرر. ولأصحابنا وجه: يكره السؤال والتصدق في المساجد مطلقاً».

⁵ ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري: (3/156).

⁶ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (1/153)، كتاب الصلاة، باب من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب منه، عن أنس رضي الله عنه.

وفي الحديث: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم «أمر من كل جاد¹ عشرة أوسق من التمر: بقلو يعلق في المسجد للمساكين»²، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغبهم في نفقة الجيد دون الرديء.

فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ويده عصا، وقد علق رجل³ قنأ حشفاً³، فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها، إن رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة»⁴.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: عند قول البخاري في صحيحه: "باب القسمة، وتعليق القنوي المسجد": «المقصود بهذا الباب: أن المسجد يجوز أن يوضع فيه أموال الفيء وخمس الغنيمة وأموال الصدقة ونحوها من أموال الله التي تقسم بين مستحقيها. وقد ذكر القنو في تبويبه وفسره ولم يخرج حديثه.

¹ الجاد بالجيم، وتشديد الدال، بمعنى المجدود، والمعنى: من كل نخل يجد منه؛ أي يقطع. ينظر: العيني، شرح سنن أبي داود: (416/6).

² أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (82/8)، رقم الحديث: (3289)، كتاب الزكاة، باب ذكر البيان بأن المرء إنما أمر أن يعلق القنو في المسجد من الحائط الذي يكون جُداده عشرة أوسق أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة (196) رقم الحديث (1662)، كتاب الزكاة، باب في حق المال، و أحمد، المسند (154/23)، رقم الحديث (14867)، و: أبو يعلى، مسند أبي يعلى: (34/4)، رقم الحديث (2038) كلهم من طريق محمد ابن اسحاق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. قال حسين سليم أسد محقق مسند أبي يعلى: رجاله رجال الصحيح.

³ قال الإمام العيني: قوله: "حشفا" الحشَف: اليباس الفاسد من التمر، وقيل: الضعيف الذي لا نوى له كالشيص. وفي بعض النسخ: "وقد علق قنؤ حشف" موضع "منا حشفا"؛ والقنؤ بكسر القاف وسكون النون العذق بما فيه من الرطيب، وجمعه: أقناء. ينظر: العيني، شرح سنن أبي داود: (316/6).

⁴ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (177/15-178)، رقم الحديث: (6774)، كتاب التاريخ، ذكر البيان بان مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم يتخلى عنها الناس في آخر الزمان حتى تبقى للعواني. [وهي الطير والسباع كما جاء تفسيرها في الحديث] والنسائي، سنن النسائي: الصفحة: (269)، رقم الحديث: (2493) كتاب الزكاة، باب قوله عز وجل ﴿وَلَا تَمَّمُوا الْجَدِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. و أبو داود: سنن أبي داود: الصفحة (190)، رقم الحديث: (1608)، كتاب الزكاة، باب ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة. عن عوف بن مالك و اللفظ لأبي داود. و الحديث حسنه الألباني في صحيح الترغيب و التهيب: (383/1).

لكن عند أبي داود لفظ "قنا"، و في نسخ "منا" ذكر ذلك شعيب الأرناؤوط محقق السنن 53/3.

وحدِيثُهُ قَدْ خَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ¹ مِنْ طَرِيقِ السُّدِيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ الْبَرَاءِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ² وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة : 267] ، قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله علقدر كثرته، وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين، فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو، فضربه بعصاه، فسقط من البسر والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف، وبالقنو قد انكسرفيعلقه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة : 267] . و أخرجه ابن ماجه²، إلا أن عنده: عن السدي عن عدي بن ثابت، عن البراء . وحسنه الترمذي وغريبه، وفي بعض نسخه : صحيح. ³»

رابعا - دار الضيافة من توابع المسجد كخدمة اجتماعية .⁴

ومن توابع المسجد التي ينبغي أن تكون ملحقة به دار ضيافة سواء لاستقبال الوفود من المسافرين والسواح الأجانب أو غيرهم، لما في هذا المرفق من المصالح الدينية والدنيوية، وقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم استقبال الوفود في المسجد طلبا لإرشادهم وترقيقا قلوبهم، وتوفيرا للجو الروحي الذي يقربهم إلى الله عز وجل، فلو أن المسلمين في البلدان الإسلامية في عصرنا وفروا هذه الخدمة وهي ضيافة السواح في رحاب المساجد حتى ولو كانوا

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : 118/5 ، رقم الحديث 2987 ، كتاب تفسير القرآن و قال الترمذي بعده : هذا حديث حسن غريب صحيح ، و أبو مالك هو الغفاري، ويقال اسمه غزوان. قلت : و الحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : (199/3).

² أخرجه ابن ماجه ، سنن ابن ماجه : 583/1 ، رقم الحديث : 1821، كتاب الزكاة ، باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله . قلت: و الحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (109/2).

³ ابن رجب، فتح الباري : 154 - 155 .

⁴ و في عصرنا الحاضر تخصص في كل ولاية : دارا للشباب تسمى على طريقة الغريين auberges de jeunes - تقليدا للدول الغربية: المبيت فيها بسعر رمزي للذكور و الإناث ؟ فما المانع أن توجد ملحقات للمبيت بالمساجد المركزية الكبرى في المدن و تحت إشراف مختصين . و يستفيد منها الشباب التوجيه الديني و القدوة الحسنة.

أجانب لكان فيه من المصالح الشيء الكثير حيث يكون الاحتكاك مع المصلين والوافدين إلى المسجد أشد تأثيراً؛ وخبراء علم الاجتماع¹ يؤكدون وفي دراسات علمية على أهمية الاحتكاك بالآخرين عن طريق السكن للحصول على رصيد أعلى من العلاقات الاجتماعية والصلات والروابط، ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يستقبل الوفود في المسجد ولو كانوا على غير الإسلام طلباً منه عليه السلام لمصلحة إسلامهم ودعوتهم للخير، لما يشاهدوه من حال المسلمين في حال اجتماعهم وما يروا منهم من صور المؤاخاة والتضامن وما يسمعون من آيات الله والحكمة.

«فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه:» أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد، ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يحشروا²، ولا يعشروا³، ولا يجبوا⁴، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكم أن لا تحشروا، ولا تعشروا، ولا خير في دين ليس فيه ركوع⁵».

¹ ومنها الدراسة التي قام بها كل من ليون فستنجر، و ستانلي شاشتر، و كيرت باك: عن طبيعة العلاقات الاجتماعية في مشروعين للإسكان؛ و بهذه الدراسة أمكن تتبع تطور قيام الصداقات و ظهور الجماعات الاختيارية الرسمية أو غير الرسمية و أمكن تتبعها تبعا دقيقا . بتصريف ، ينظر كتاب: محمد طلعت عيسى و عدلي سليمان، خدمة الجماعة : الصفحة 31 . 32.

² بصيغة البناء للمفعول، أي لا يندبون إلى الغزو، ولا تضرب عليهم البعوث، و قيل: لا يحشرون إلى عامل الزكاة بل يأخذ صدقاتهم في أماكنهم. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الأثر: (1/ 389)، والعظيم آبادي، عون المعبود: (8/ 267 268) .

³ بصيغة المجهول، أي لا يؤخذ عشر أموالهم. ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود : (8/ 268) .

⁴ أصل التجبية : أن يقوم الإنسان قيام الراكع . وقيل هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم . وقيل : هو السجود . والمراد بقولهم لا يجبوا أنهم لا يصلون . ولفظ الحديث يدل على الركوع لقوله في جوابهم : ولا خير في دين ليس فيه ركوع فسمى الصلاة ركوعاً لأنه بعضها . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : 238/1 .

⁵ أخرجه : أبوداود ، سنن أبي داود : الصفحة : (343) ، رقم الحديث : (3026)، كتاب الخراج ، باب ما جاء في خير الطائف . و أحمد ، المسند: (438/28)، رقم الحديث (17913)، و ابن أبي شيبة ، المصنف (6/ 561)، رقم الحديث : (10682). كلهم من طريق: حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه . و وقع عند ابن أبي شيبة، بعد قوله : في الحديث، " و لا يعشروا " قال : " و لا يستعمل عليكم غيركم " بدل: " ولا يجبوا " التي هي في رواية أبي داود و أحمد. قال الشيخ الألباني : إسناده ضعيف، لعننة الحسن و هو البصري. ينظر ضعيف سنن أبي داود : (2/ 436).

فقوله في الحديث: «أرق لقلوبهم»، فيه من الدلالة الواضحة على تأليف قلوبهم و استمالتهم بحسن التدبير، إلى دين الإسلام.

قال في عون المعبود: «أرق ها هنا اسم التفضيل من أرقه إرقاقا بمعنى ألانه إلانة... فالمعنى أي ليكون إنزالهم المسجد أكثر وأشد إلانة وترقيقا لقلوبهم بسبب رؤيتهم حال المسلمين وخشوعهم وخضوعهم واجتماعهم في صلواتهم وفي عباداتهم لربهم والله أعلم»¹

وقال أيضا : «وقد سئل جابر بن عبد الله عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليها ولا جهاد فقال علم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا. وفي الحديث من العلم أن الكافر يجوز له دخول المسجد لحاجة له فيه أو لحاجة المسلم إليه انتهى»² .

المطلب الثاني: المؤسسة المالية لرعاية و كفالة اليتيم والأرملة.

مر معنا في الفصل الأول، حديث: عبد الله بن أبي أوفى قال : بينما نحن قعود عند النبي صلى الله عليه و سلم إذ أتاه غلام فقال: يا رسول الله: غلام يتييم و أم لي أرملة أطعمنا أطعمك الله مما عنده»³، فاليتيم إنما ملجئه الأول الأخير هو راعي الرعية والمسؤول الأول عن أوضاعها الاجتماعية، لذا من واجب الدولة أن تكون لديها مؤسسات خاصة لرعاية اليتامى والأرامل، أما التربية و التنشئة فإن أفضل طريقة لذلك في ضوء السنة النبوية فهي الكفالة وضمه إلى الجو الأسري ، ونحن نعلم مدى الأثر الفعال للأسرة في تعليم الطفل المهارات والعادات واللغة و نمط التكيف، وتوجيهه الوجهة السليمة .

لذا جعل رسول الله صلى اله عليه وسلم كفالة اليتيم في أعلى الدرجات من جهة المثوبة والجزاء الأخروي، كل هذا تشجيعا وحملا للنفوس على الإقدام على كفالة اليتامى و تربيتهم وتبقى دور مؤسسة كفالة اليتيم هو تقديم العون المادي للأسرة الكافلة و مساعدتها في تلبية كل المتطلبات التي يحتاجها اليتيم.

ولا بأس أن يتم دعم هذه المؤسسة - مؤسسة رعاية اليتيم - من أموال الزكاة وإذا كانت أموال الزكاة تجبي عن طريق الدولة، وللجزائر تجربة في جمع الزكاة عن طريق المساجد تسمى "صندوق

¹ محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، عون المعبود شرح سنن أبي داود : 185/8 ، الطبعة الثانية 1415 ،

دار الكتب العلمية . بيروت لبنان .

² المصدر نفسه : 186 /8 .

³ سبق تخريجه الصفحة :

الزكاة " ولها آثار حسنة في دعم الكثير من الفئات الهشة ودعم الشباب البطال، لكن لم يرق الصندوق بعد إلى المستوى المطلوب منه وتبقى روح المبادرة وحسن التخطيط والتوجيه والدراسة من أسباب النجاح لمثل هذه المشاريع .

فليس من موجبات الأخوة بين المسلمين والحقوق المترتبة بينهم؛ أن يترك اليتامى لحال النفوس جوداً أو شحاً، بسطاً وقبضاً، ويعرض اليتيم لتقلبات أمزجة المتبرعين وفاعلي الخير، فقد يحتاج اليتيم، ولا يجد من يواسيه أو يداويه، لكن إذا وجدت مؤسسة تسهر على اليتامى وتلي طلباتهم فعندئذ نستطيع أن نطمئن على مستقبل اليتيم فالشخص الكريم يموت لكن المؤسسة في الغالب لا تموت، وتبقى مستمرة .

من هذا المنطلق كان لزاماً على المسلمين انطلاقاً من وصايا القرآن والسنة، إنشاء هذه المؤسسات والبيوت، أو المحاضن التي تتكفل باليتامى، إذا لم توجد الأسر الكافلة، مع عدم إهمال الجهود الفردية ومردودها من الناحية الاجتماعية، فالطفل الذي ينشأ في جو أسري، عن طريق الكفالة الشرعية لا ينشأ نشأة الطفل الذي يتزعر في دور الحضانة المخصصة لليتامى فهدف المؤسسة التي ترعى اليتيم بالدرجة الأولى مادي أي تغطية المصاريف والاحتياجات المادية التي يحتاجها اليتيم أما خدمة اليتيم و رعايته فليس هناك أفضل من ضمه إلى أفراد الأسرة، مع شرط المعاملة الحسنة التي لا يحس فيها اليتيم بالقهر والاضطهاد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا

الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى: 9]. ومن هذا المنطلق جاءت نصوص السنة النبوية تحثنا على كفالة اليتيم و رعايته وضمه إلى الجو الأسري، لكي يتم تنشئته تنشئة سليمة، ذلك أن أصول التنشئة الاجتماعية السليمة إنما تنطلق من الأسرة. لذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كافل اليتيم، له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى¹.

وقد مر معنا أحاديث كفالة اليتيم في الفصل الأول، وغرضنا هو بيان أن التوجيهات النبوية لكفالة ورعاية اليتيم، نستطيع أن نطورها وفق مقتضيات العصر؛ باستحداث ما يلزم استحداثه بتوجيه من أهل الاختصاص في الميدان الاجتماعي والخدمة الاجتماعية مع مراعاة خصوصية

¹ أخرجه : مسلم ، صحيح مسلم : 2 / 1360 حديث رقم : 2983 ، كتاب الزهد و الرقائق ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

المجتمع، فالمجتمع الإسلامي غير المجتمع الغربي في أعرافه و آدابه الخاصة و العامة، لذا فإن بيوت رعاية و كفالة : الأيتام الذين لا مأوى لهم و الأراامل الذين لا معيل لهم، و مثلهم المطلقات وضحايا الأزمات والكوارث كالزلازل وغيرها، كل هؤلاء فإن إيوائهم لا بد أن يخضع لمعايير الأخلاق الإسلامية وآداب الحشمة والستر، والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة : في أدب اللباس، وآداب الاستئذان، وآداب المعاملة بين الجنسين، و ما يجب ستره بين الجنسين، و أدب الحديث ... الخ متوفرة في الكتاب و السنة و قد صنفت فيها المصنفات¹

¹ منها : الأدب المفرد للبخاري، و شعب الإيمان للبيهقي، و أدب الدنيا و الدين، لأبي الحسن للماوردي، و إحياء علوم الدين لأبي حامد لغزالي، و الآداب الشرعية لابن مفلح ، المفصل في أحكام المرأة لعبد الكريم زيدان ، و خلق المسلم لمحمد الغزالي، والحلال و الحرام للقرضاوي ، و فقه السنة للسيد سابق، و غيرها كثير لا يمكن عدده و حصره ، فهذه الكتب و غيرها تسلط الضوء على معالم الشخصية الإسلامية، و نشر الثقافة الآداب و الثقافة الإسلامية التي ينبغي أن نلتزم بها، و إن كان هناك فروق في تناول الموضوعات و بعض الخلاف في بعض الجزئيات، بين المؤلفين عامة إلا أنهم متفقون على الأصول العامة للآداب الإسلامية ، التي تحفظ ماهية و كينونة الشخصية الإسلامية .

المطلب الثالث: مؤسسة الصحة ومكافحة الأمراض ومدى أهميتها في ضوء السنة النبوية.

كان للهدي النبوي في حفظ الصحة قصب السبق على كل التشريعات الحديثة وقوانين الأطباء القدامى، فقد وُجد السنة النبوية في ميدان الصحة العامة ما يسمى بالطب الوقائي، وقد شاع في عصرنا عبارة: **الوقاية خير من العلاج**، وأحسن من تكلم عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ الصحة حسب علمي من القدامى: هو الإمام ابن قيم الجوزية¹ في كتابه القيم زاد المعاد في هدي خير العباد وقد طبع القسم الخاص بالطب منه في كتاب مستقل، تحت عنوان: الطب النبوي، أثبت فيه المؤلف بما لا يدع مجالاً للريب، سبق السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، في كثير من قضايا حفظ الصحة والدعوة إلى حفظ الأبدان عن طريق الوقاية والتداوي وعلى مذهب من يرى أن النبي عليه الصلاة والسلام لمبيح (لتعريف الطب ولا غيره من العاديات)، كما ذهب إلى ذلك العلامة عبد الرحمن بن خلدون²، ولكن التعليمات العامة الموجودة في ثنايا السنة المشرفة تشكل إرشادات عامة إذا اتبعت أمكن بها حفظ الصحة إلى حد بعيد والكثير من الوصايا النبوية المتعلقة بالطب، قد لا يعرفها الحكماء بالاستقراء والتجربة، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بنور النبوة فكلامه عليه الصلاة والسلام هو إضاءة في ميدان رحب قد استكمل بعده على أيدي الأطباء المسلمين؛ انطلاقاً من الوصايا الشريفة التي حفظوها عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث حث النبي صلى الله عليه وسلم على التداوي فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء برأ بإذن الله»**³.

¹ هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة 691 وسمع على التقى سليمان و أبي بكر بن عبد الدائم والمطعم و ابن الشيرازي وإسماعيل بن مكتوم و الطبقة وقرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي وقرأ الفقه على المجد الحراني وابن تيمية، له من التصانيف: الهدى، و إعلام الموقعين و بدائع الفوائد، و الصواعق المرسله على الجهمية و المعطلة، و شرح منازل السائرين، و غيرها و له قصيدة في ستة آلاف بيت سماها الكافية في الانتصار للفرقة الناجية، جرت محن مع القضاة، مات في شهر رجب سنة واحد و خمسين و سبعمائة 751 هـ. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 401/3. و ما بعدها.

² ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، الصفحة: 405.

³ أخرجه، مسلم: (1050/2)، رقم الحديث: 2203، كتاب السلام، باب لكل داء دواء و استحباب التداوي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»¹.

هذه الأحاديث هي دعوة للبحث والتخصص في ميدان الطب، والمهارة فيه، هذه المهنة الاجتماعية الشريفة التي كثيرا ما ضعفت فيها نفوس البعض من الانتهازيين فحاولت أن تجعل منها مصدرا للثراء، عوض أن تكون هذه الخدمة مرفقا اجتماعيا مساعدا، يساهم في تخفيف المعاناة عن المصابين، و الأدهى من ذلك أننا أصبحنا نسمع و نرى من يدعي المعرفة بالطب النبوي، أو الطب البديل، أو طب الأعشاب، من ليس طبيا وإنما في الغالب هي معرفة سطحية تكتسب من الكتب الثقافية المؤلفة في الطب النبوي وغيره كخواص الأعشاب والمعروف من هدي النبي صلى الله عليه و سلم هو الإشادة بالتخصص، وأن يوكل الأمر إلى أهله، فالنبي صلى الله عليه و سلم حين حثنا على التداوي وأخبر أن: " لكل داء دواء" ففيه إرشادنا إلى أن تنفر طائفة من المتخصصين كما نفرت طائفة المتعلمين لأمر الدين والشريعة فتسهر هذه الطائفة من علماء الطب على تطوير المعارف والاكتشافات في علم الطب، مع تكفل الدولة بتوفير أسباب العلاج ومداواة المرضى من مستشفيات وقاعات للعلاج، وغيرها .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من تطب ولا يعلم منه طب فهو ضامن"². لكن نقول أنه من واجب المشرفين على قطاع الصحة، أن يستفيدوا من التوجيهات النبوية في مجال الطب في عدة مناحي يمكن من خلالها ترشيد عمل المؤسسات الصحية في وقتنا الراهن و نشير باختصار إلى بعض المسائل التي لها تعلق بالهدي النبوي في الميدان الصحي أو الخدمة الصحية .

1- **الطب الوقائي** وأساليبه في ضوء السنة النبوية من خلال العناية بتدريس أبواب الطهارة و المياه في ضوء الإرشاد النبوي، في المدارس و المعاهد.

¹ أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح: (32/4) ، رقم الحديث: 5678 ، كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

² أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة 501 ، رقم الحديث : (4586)، كتاب الديات ، باب من تطب بغير علم فأعنت . قال أبو داود معلقا على الحديث : هذا لم يروه إلا الوليد لا ندري هو صحيح أم لا ؟ و أخرجه أيضا النسائي : سنن النسائي : الصفحة 499 ، رقم الحديث: (4830)، كتاب القسامة ، باب صفة شبه العمدة و على من دية الجنة و شبه العمدة .

2 أحكام وضوابط العورات في الطب وضوابط تطيب المرأة الرجل و الرجل المرأة، و قد بوب البخاري في الصحيح بابا خاصا بهذا الموضوع.

3. الخطأ الطبي مفهومه وحدوده والآثار المترتبة عليه في ضوء السنة النبوية .

4. العلاج بالقرآن ضوابطه و مؤهلات الممارس لهذه المهمة .

5. المرأة والطب مجالات وضوابط في ضوء السنة النبوية .

6- الرقية والطب الحديث من خلال معرفة الرقية والتميز بينها وبين الشعوذة.

7- الموت الدماغي أو السريري بين الطب والسنة النبوية.

8 الفحص الطبي قبل الزواج ومدى مشروعيته في ضوء السنة النبوية.

9 نقل الأعضاء [سواء أعضاء الميت أو الحي] في ضوء السنة النبوية¹.

فهذه أمثلة عن المجالات التي يمكننا أن نستفيد فيها من إرشادات وتوجيهات السنة النبوية في الخدمة الطبية، والرعاية الصحية، ولا يمكن أن نقبل بحال من الأحوال القول أن السنة لا مدخل لها في الطب بتاتا، فإن الواقع يقول أن لها مدخلا بالإرشاد والتوجيه في القضايا التي تعنى بالجانب الأخلاقي والجانب التشريعي والجانب التنظيمي وغيرها من القضايا. أما قضايا الطب البحت فإن الأمر موكول للأطباء العارفين خصوصا ونحن نشهد في زماننا ثورة علمية هائلة في ميدان الكشوف الطبية ومعرفة وظائف الأعضاء، وخصائص المواد أعشابا وعقاقير، بما لا يدع مجالاً للطفيليين والمثقفين، إن هذا التطور هو من صميم المنهج والتوجيه النبوي الراشد، وأن الممارسة الطبية العشوائية لا تتناسب و توجيهات دين الإسلام عموما.

¹ وهناك الكثير من الدراسات في الأمور التي ذكرتها، وكمثال على ذلك فللدكتور: محمود محمد عوض سلامة، كتاب تحت عنوان: رد شبه المجيزين لنقل الأعضاء من الناحيتين الدينية والطبية.

المبحث الثاني: روافد تمويل مؤسسة الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة.

المطلب الأول: مؤسسة الزكاة مقاصدها الخدمية من منظور السنة النبوية.

الفرع الأول: تعريف الزكاة، لغة، واصطلاحاً.

أولاً - الزكاة لغة: «الزكاة ممدود النماء والريع، زكا يزكو زكاء وزكوا ... وفي حديث علي رضي الله عنه¹ فاستعار له الزكاء وإن لم يكن ذا جرم، وقد زكاه الله وأزكاه، والزكاء ما أخرجته الله من الثمر، وأرض زكية طيبة سمينة حكاه أبو حنيفة، والزكاة الصلاح، ورجل زكى من قوم أزكياء... والزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره به، وقد زكى المال قال أبو علي الزكاة صفوة الشيء²». .

قال في المصباح: «والزكاء بالمد النماء والزيادة يقال زكا الزرع والأرض تزكو زكوا من باب قعد وأزكى بالألف مثله وسمي القدر المخرج من المال زكاة لأنه سبب يرجى به الزكاة وزكى الرجل ماله بالتشديد تركية والزكاة اسم منه وأزكى الله المال وزكاه بالألف والتثقيل وإذا نسبت إلى الزكاة وجب حذف الهاء وقلب الألف واوا فيقال زكوي كما يقال في النسبة إلى حصاة حصوي لأن النسبة ترد إلى الأصول وقولهم زكاتية عامي والصواب زكوية³».

ثانياً الزكاة اصطلاحاً :

والزكاة في الاصطلاح هي: « حق يجب في المال، وعرفها المالكية بأنها: إخراج جزء مخصوص من مال بلغ نصاباً، لمستحقه، إن تم الملك، وحول، غير معدن وحرث. وعرفها الحنفية بأنها: تملك جزء مال مخصوص من مال مخصوص لشخص مخصوص، عينه الشارع لوجه الله تعالى. فقولهم «تمليك» احتراز به عن «الإباحة» فلو أطمع يتيماً ناوياً الزكاة، لا يجزيه، إلا إذا دفع إليه المطعوم، كما لو كساه، ولكن بشرط أن يعقل القبض، إلا إذا حكم عليه بنفقة الأيتام. وقولهم «جزء مال» خرج المنفعة، فلو أسكن فقيراً داره سنة، ناوياً الزكاة، لا يجزيه. والجزء المخصوص: هو المقدار الواجب دفعه، والمال المخصوص: هو النصاب المقدر

¹ يشير إلى ما يرويه الكميل بن زياد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قوله: ((... المال تنقصه النفقة والعلم

يزكو على الإنفاق)). ينظر: السيوطي جامع الأحاديث: حديث رقم: 32135 .

² بن سيدة: المحكم: (126/7)، و ابن منظور، لسان العرب: (14/358)

³ الفيومي، المصباح المنير: (4/83)

شرعاً، والشخص المخصوص: هم مستحقو الزكاة. وقولهم «عينه الشارع» هو ربع عشر نصاب معين مضى عليه الحول، فأخرج صدقة النافلة والفقرة. وقولهم «لله تعالى» أي بقصد مرضاة الله تعالى.

وعرفها الشافعية بأنها اسم لما يخرج عن مال و بدن على وجه مخصوص. وتعريفها عند الحنابلة هو أنها حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص.¹

الفرع الثاني: المقاصد الخدمية للزكاة من منظور السنة النبوية.

دل القرآن الكريم على فرضية الزكاة، نصت السنة على أنها ركنا من أركان الإسلام، لا يتم إسلام المسلم إلا بأدائها، و الإسلام دين يتناغم مع الفطرة، فكما اعتنى بالروح اعتنى بالبدنوكما اهتم الفرد اعتنى بالمجتمع، و كما رغب في الآخرة دعا إلى عمارة الدنيا و إصلاحهاوذلك بتسخير كل ما في السموات و الأرض، ووسع دائرة المباح في الأعمال والمعاملات لتتم العمارة وتستقيم للإنسان حياته ليتجه بعدها إلى خالقه. كما اعتنى بمد يد العون لمن عجز عن تحصيل أسباب المعاش و تذليل سبل العمران، حيث أن هناك في الحياة مفاجآت واستثناءات قد تقعد البعض عن الكسب، أو تحول بينهم وبين القيام بشؤونهم عوائق، أو تنزل بهم جوائح، أو يلحقهم عنت، فهل تترك هذه الفئة من الناس في مهب الريح؟ الجواب أنه من المحال أن يترك الإسلام المحرومين دون عوناًومساعدة، إن الإسلام جعل ضريبة على الثروة التي هي بيد الأغنياء لترد على الفقراء، والنبي صلى الله عليه وسلم تولى بيان مقادير وأجناس ما تجب فيه الزكاة في سنته المطهرة، حتى وإن اختلفت أنظار الفقهاء في توسيع أو تضيق قائمة ما تجب فيه الزكاة، كذا في طرق وأساليب التعامل مع هذا المورد المهم . جمعا و توزيعا ؛ فإن المقصد الخدمي والإغاثي الاجتماعي للزكاة لا ينبغي أن يخفى على الفقهاء والدارسين في العصر الحديث، «إذا كانت حياة الناس في صدر الإسلام قد اقتضت أو تقبلت أن يأخذ الفقراء الزكاة نقداً أو عيناً في أيديهم، فليس في الإسلام ما ينص على أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتوزيع الزكاة . وليس هنا كما يمنع من إعطائها لمستحقيها في صورة مدارس مجانية يعلمون فيها أبناءهم ومستشفيات مجانية يتداوون فيها، وجمعيات تعاونية تسهل لهم وسائل العيش، ومصانع أو

¹ وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي و أدلته : 730/2 .

مؤسسات يرتزقون منها رزقاً دائماً . إلى آخر ما يوحيه العصر الحديث من وسائل الخدمة الاجتماعية . فلا تعطى الزكاة نقداً إلا للعاجزين بسبب المرض أو الشيخوخة أو الطفولة . ويأخذها غيرهم في صورة عمل وخدمات تحقق قوله تعالى : " وفي سبيل الله " ¹

فاستغلال هذا المورد: **جمعا** عن طريق المؤسسات الرسمية للدولة انطلاقاً من سنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يبعث المصدقين [هم من يجمع الصدقة] **وتوزيعاً** عن طريق الهيئات المختصة في المالية، أو ما يسمى في السنة النبوية بيت المال، فمما لا شك فيه أنه سيساهم في دعم الكثير من مؤسسات الخدمة الاجتماعية، أما تركه لضمائر الناس أو ترك توزيعه لاجتهاد عامة الناس فإنه لا يحقق المقصد الشرعي من هذا الركن العظيم من أركان الإسلام . وهو إغناء الناس وتحقيق الكفاية والعدالة الاجتماعية .

إن ارتفاع حالات البؤس من بطالة، وانحراف، وشدوذ، ومرض، وفقر، وتخلف دراسي وانسداد اجتماعي، إنما سببه سوء التنمية والتنشئة الاجتماعيتين، وفشل كل من هاتين الأخيرتين في البلدان المتخلفة إنما سببه سوء توزيع الثروة، وسوء استغلالها، فلو تم استثمار أموال الزكاة مثلاً على شكل مؤسسي يشرف عليه خبراء ومتخصصون؛ فمما لا شك فيه أنه سيحقق مردوداً تنموياً باهراً، ويسهم في التخفيف من حدة مظاهر البؤس والمعاناة .

كما ينبغي أن نتجاوز في التعامل مع الزكاة مفهوم سد الرمق إلى سد الرمق العقلي والفكري عن طريق تفعيل مردود الزكاة في الخدمة الاجتماعية، فتحسين الحياة الاجتماعية يعود بالنتيجة الإيجابية على المجتمع فتسخير جزء من أموال الزكاة للقضاء على الأمية مثلاً يسهم في ترشيد الكثير من الأمور ومنها استجابة القاعدة الاجتماعية للمشاريع التنموية الكبرى وكذا التجاوب مع المتغيرات الاجتماعية والتقليل من حدة الانحراف والانجراف، بينما في مجتمع أمي لا تستطيع أن تنهض به ولو كنت تملك الأموال الطائلة .

ومثله يقال في استثمار الزكاة في: الصحة، والمشاريع التنموية عن طريق مساعدة القادرين على العمل وأصحاب المهن . ويجب على الدارسين في العصر الحديث إزاحة كل المعوقات الموضوعية والفكرية، ليتحقق المردود الفعلي لمصادر التمويل الإسلامي كما تحقق في غابر الأيام عندما كان المسلمون سادة العالم .

¹ علي بن نايف الشحود، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام : (80 / 3)

لقد قدر المتخصصون في المالية أن مجموع أموال الزكاة في الجزائر على سبيل المثال يبلغ في بلدنا الجزائر حوالي: ثلاثة ملايين دولار ونصف¹.

الفرع الثالث: الزكاة و دورها في دعم الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية.

أولا - عناية النبي صلى الله عليه و سلم بمؤسسة الزكاة.

الأساس الذي شرعت لأجله الزكاة هو هدف تكافلي تضامني لدعم القصور والعجز الواقعي الحياة الاجتماعية لفئات معينة في المجتمع، هذه الفئات الاجتماعية جاء ذكرها صريحا في القرآن الكريم، في قوله تبارك و تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 60]

فهذه الآية نص في مصارف الزكاة. وقد جاءت السنة وبينت وفصلت المقادير والأموال التي تجب فيها الزكاة من نقد وماشية وزروع وثمار، كذلك بينت من تعطى له الزكاة من أصناف الفقراء والمساكين، ومن أقارب وبتامى وغيرهم. والناظر في السنة النبوية يلحظ ذلك الاهتمام البالغ بمؤسسة الزكاة حيث عنيت السنة ببيان الكثير من التفاصيل المتعلقة بالزكاة نظر لأهميتها في الخدمة الاجتماعية، ومساهمتها الفاعلة في المالية الإسلامية فالزكاة تعتبر ركنا مهما في نظام المالية الإسلامية .

وبعد عصور طويلة يقدرها الخبراء من فترة الحكم الأموي إلى عصرنا الحاضر تناول الفقهاء والباحثون عبر العصور الزكاة كمبحث فقهي مستقل عن نظام المالية الإسلامية، لم يتم فيها اعتبار الزكاة مؤسسة مالية ذات أبعاد تنظيمية واجتماعية ، ما عدى العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين، و عهد عمر بن عبد العزيز : يقول الدكتور علي أوزاك : « و ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين غاب ديوان الزكاة، و خاصة في عهد الأموية والعباسية بين الدواوين المالية للدولة إذا استثنينا عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق وعهد عمر الفاروق ثم عهد عمر بن عبد العزيز]

¹ نظرا لعدم وجود مركز رسمي متخصص في إحصاء أموال الزكاة، فقد أجريت بمقابلة مع فضيلة الدكتور محمد بوجلل أستاذ متخصص في المالية الإسلامية، بتاريخ : 2019/ 04/07 م . وقد أخبرني أن أموال الزكاة في الجزائر تقدر ب : 3,5 مليار دولار. حسب تقديرات إحصائية قام بها شخصيا مستعينا ببعض الخبراء في المالية أيضا. والدكتور عضو وطني بصندوق الزكاة الذي أشرفت على إنشائه، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، وعضو حاليا بالمجلس الإسلامي الأعلى.

رضي الله عنهم] حيث تركت الزكاة عموماً كفريضة تطوعية لعائق المسلمين، وكان ذلك سبباً صريحاً لعدم تطوير و تكامل مؤسسة الزكاة بين المسلمين ومن ناحية أخرى أعطت الدولة الإسلامية اهتماماً كبيراً لمالية الدولة ولكنها لم تعط اهتماماً بمؤسسة الزكاة كما ينبغي؛ لذلك بقي نظام الاقتصاد الإسلامي مجهولاً في كثير من مسائله، لأن موضوع الاقتصاد الإسلامي والمالية الإسلامية لم تفصل عن بعضها، بل تداخل كل منها في الآخر وكان ذلك سبباً لضعف هذين النظامين وسبباً ذهب المسلمين إلى نظم غير إسلامية كما نشاهد في عصرنا¹.

والمتتبع لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بمؤسسة الزكاة يجد تفصيلاً لكثير من قضاياها في العهد النبوي، حيث كانت مؤسسة لها أهميتها قد تمثلت هذه العناية في:

ثانياً - عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعيين السعاة والعمال على الزكاة.

بواب أبو داود في سننه فقال: « باب في السعاة على الصدقة. ثم أخرج بإسناده: عن رافع بن خديج، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله، حتى يرجع إلى بيته»².

- بواب أبو داود في سننه باب أرزاق العمال وأخرج بإسناده: «عن ابن الساعدي قال: استعملني عمر على الصدقة، فلما فرغت أمر لي بعمالة فقلت إنما عملت لله. قال خذ ما أعطيت فإني قد عملت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملني»³⁴

¹ علي أوزاك، الزكاة و التكافل الاجتماعي في الإسلام، ندوة : تحت عنوان: عرض الجهود و الأفكار المعاصرة في المؤتمرات و المحامع و الدراسات المتخصصة عن المفاهيم و التطبيقات الحديثة للزكاة: الصفحة (28). المجمع الملكي للبحوث و الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت.

² أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : (28/3)، رقم الحديث (645)، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في العامل على الصدقة بحق ، وأخرجه أبو داود سنن أبي داود : الصفحة (333)، رقم الحديث (2936)، كتاب الخراج باب في السعاة على الصدقة، وابن ماجه، سنن ابن ماجه : (578/1)، رقم الحديث (1809)، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في عمال الصدقة. كلاهما عن رافع بن خديج رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني؛ في صحيح سنن أبي داود : (228/2).

³ معناه : أعطاني العمالة، وهذا الحق للعامل الذي يتولأخذ الصدقات . ينظر البغوي، شرح السنة: (91/6).

⁴ أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة (333)، رقم الحديث (2944)، كتاب الخراج ، باب في أرزاق العمال . و صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود : (230/2).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فقيل منع ابن جميل¹ وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أدراعه وأعتدّه في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عليه صدقة ومثلها معها»².

- وعن أبي حميد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم: استعمل رجلاً من الأزد على الصدقة، يقال له: ابن التبيّة، فلما جاءه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: « ما بال عامل نستعمله على بعض العمل من أعمالنا من فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي، أفلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر هل يهدى له شيء أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحد منكم بشيء منها إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر ' ثم رفع يديه حتى رأيت عفرة إبطيه فقال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»³.

¹ قال العيني في شرح أبي داود: وابن جميل - بفتح الجيم، وكسر الميم، وسكون الياء آخر الحروف، ولام - روى عنه: أبو هريرة، لا يعرف اسمه. و قال في شرح البخاري: «وابن جميل بفتح الجيم ذكره الذهبي فيمن عرف بانه ولم يسم قيل وقع في تعليق القاضي حسين المرزوي الشافعي وتبعه الروياني أن اسمه عبد الله ووقع في (التوضيح) أن ابن بيزرة سماه حميدا وليس بمذكور في كتابه». و قال ابن بطلال في شرح البخاري: «قال المهلب: وفي حديث أبي هريرة معان منها: أن ابن جميل كان منافقا فمنع الزكاة تبرصا، فاستتابه الله عز وجل في كتابه، فقال: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [التوبة: 74] ، فقال: استتابني ربي . فتاب وصلحت حاله ينظر: العيني، شرح سنن أبي داود: (351/6). و عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (66/9). وابن بطلال، شرح صحيح البخاري: (498/3).

² أخرجه البخاري الجامع الصحيح: (455/1)، رقم الحديث: (1468)، كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: ﴿ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُلَامِينَ وَفِي سَبِيلِ ﴾ [التوبة: 60]، أبو داود سنن أبي داود: الصفحة (192)، رقم الحديث (1623)، كتاب الزكاة، باب في تعجيل الزكاة عن أبي هريرة رضي الله عنه، و الدارقطني، سنن الدارقطني: 31/3، كتاب الزكاة، باب تعجيل الصدقة قبل الحول. كلاهما عن أبي هريرة، رضي الله عنه، و اللفظ لأبي داود.

³ أخرجه الدارمي، سنن الدارمي: (1038/2)، رقم الحديث (1711)، كتاب الزكاة، باب ما يهدى لعمال الصدقة لمن هو، و أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (333)، رقم الحديث: (2946)، كتاب الخراج، باب هدايا =

وأخرج مالك في الموطأ: عن «عبد الله بن أبي بكر عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: استعمل رجلا من بني عبد الأشهل على الصدقة، فلما قدم سأله إبلًا من الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجهه، وكان مما يعرف به الغضب في وجهه أن تحمر عيناه، ثم قال إن الرجل ليسألني ما لا يصلح لي ولا له فإن منعه كرهت المنع وإن أعطيته أعطيته ما لا يصلح لي ولا له فقال الرجل: يا رسول الله لا أسألك منها شيئًا أبداً.¹»

- عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «بعث النبي صلى الله عليه وسلم فينا ساعيا فأخذ الصدقة من أغنيائنا فوضعها في فقرائنا وأمر لي بقلوص²».

وما أشرنا إليه من الأحاديث؛ هو من باب التمثيل لا الاستقصاء وإلا فإن سعاة الزكاة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كثيرون، وقد ذكر الإمام الكتاني في التراتيب الإدارية بعضا منهم فقال: «باب في العامل على الزكاة». ذكر ابن إسحاق في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان بعث عماله وأمرأه على الصدقات، إلى كل ما وطئ الإسلام من البلدان وعد منهم جملة، وذكر الكلاعي في السيرة: أنه صلى الله عليه وسلم لما صدر من الحج سنة عشر وقدم المدينة حتى رأى هلال المحرم سنة 11 بعث المصدقين في العرب، وذكر منهم جماعة من أشهرهم: عمر بن الخطاب، وخالد بن سعيد بن العاصي، ومعاذ بن جبل وعدي بن حاتم الطائي، والزبير بن بدر التميمي وغيرهم .

وترجم في الإصابة للأرقم بن أبي الأرقم الزهري³ فذكر أن الطبراني خرج أنه صلى الله عليه وسلم استعمله على السعاية .

= العمال، والأعظمي، المنة الكبرى شرح و تخريج السنن الصغرى: (267/3). رقم الحديث (1316)، كتاب الزكاة باب الهدية للوالي بسبب الولاية. واللفظ للنسائي.

¹ أخرجه مالك، الموطأ: (600/2)، رقم الحديث (2857)، كتاب الجامع، ما يكره من الصدقة .

² أخرجه البيهقي السنن الكبرى: (9/7) قال ابن الترمذاني: هذا الحديث يعرف بأشعث بن سوار وليس بالقوى .

³ ذكر ذلك: ابن حجر في الإصابة: (1/27) في ترجمة الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، ترجمة رقم (73)، و أثناء ترجمة

الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي؛ ذكر حديث الطبراني في تولى الأرقم بن أبي الأرقم الزهري السعاية على عهد النبي صلى

الله عليه وسلم، و ذكر بعد ترجمة الأرقم المخزومي، ترجمة الأرقم الزهري مختصرة جدا، ترجمة رقم (74). قلت: وترجم

للأرقم بن أبي الأرقم الزهري: ابن أبي حاتم الجرح والتعديل: (2/309 - 310) وقال: أرقم بن أبي الأرقم الزهري

حجازي له صحبة روى عنه ابنه عبد الله بن الأرقم . أما الحديث الذي ذكره الكتاني عند الطبراني، فقد أخرجه =

وترجم فيها أيضا كافية بن سبع الأسدي¹ فنقل عن الواقدي أن المصطفى صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات قومه .

وترجم أيضا لحذيفة بن اليمان² الأزدي فنقل عن ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم بعثه مصدقا على الأزدي (مصدقا بتشديد الدال وكسرهما أي عاملا يستوفي الزكاة من أربابها) ... وترجم في الإصابة أيضا لكهل بن مالك الهذلي³ فذكر أن المصطفى صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات هذيل.

وترجم فيها أيضا لخالد بن البرصاء⁴ فذكر أن أبا داوود والنسائي خرجا من طريق معمر عن

= أخرجه الطبراني(379/11) رقم الحديث (12059) : من طريق: سفيان [هو الثوري] عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أرقم بن أبي الأرقم الزهري على السعاية فاستتبع أبا رافع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال : يا أبا رافع إن الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد وإن مولى القوم من أنفسهم . قال الخطيب في كتابه الأسماء المبهمة في الأبناء المحكمة: الصفحة (19 - 20) : و المحفوظ عند أهل العلم أنه مخزومي، ورجح أن الذي كلفه النبي صلى الله عليه وسلم بالسعاية هو الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن شهد بدرًا والمشاهد، و هو ممن أسلم مبكرًا قيل كان العاشر إسلامًا و قد أشرنا إلى ترجمته في الإصابة قبل قليل . فالله أعلم.

¹ كذا عند الكتاني في التراتيب الإدارية (314/1) و هو تصحيف أو خطأ مطبعي، و لعله الذي ذكره الحافظ ابن حجر، فقال: «حامية بن سبيع الأسدي، ذكر الواقدي بإسناده في الردة أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمله سنة إحدى عشرة على صدقات قومه». ينظر ابن حجر الإصابة : (315/1). ترجمة رقم (1539).

² قال الحافظ ابن حجر: حذيفة بن اليمان الأزدي ذكر بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه مصدقا على الأزدي في قصة طويلة. و عند ابن سعد في الطبقات: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و عامله على دبا حذيفة بن اليمان. ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى : (87 /8) و ابن حجر الإصابة : (333/1) .

³ كذا عند الكتاني في التراتيب الإدارية (314/1) "كهل بن مالك" و هو تصحيف ، و لعله : "حمل بن مالك"، و يقال حملة بن مالك بن النابغة بن جابر بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كبير بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة الهذلي أبو نضلة نزل البصرة وله بها دار، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات هذيل ينظر : ابن حجر الإصابة : (38/2 - 39)، و البخاري التاريخ الكبير : (108/3).

⁴ قال الحافظ ابن حجر " خالد بن مالك ابن البرصاء، والبرصاء أمه، ويقال بل هي جدته أم أبيه وهي البرصاء بنت ربيعة بن رباح بن ذي البردين من بني هلال بن عامر واسم البرصاء ربيعة نسبة إلى بني ليث قال الزبير بن بكار حدثني محمد بن سلام حدثني يزيد بن عياض قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم على النفل يوم حنين أبا جهم بن حذيفة العدوي فجاء خالد بن البرصاء فتناول زماما من شعر فمنعه أبو جهم فقال إن نصيبني فيه أكثر، فتدافعا ... الحديث. ينظر ابن حجر : الإصابة : (86/2)، ترجمة رقم : (2143). و ابن عبد البر، الاستيعاب : الصفحة : (146)، ترجمة رقم 431.

الزهري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا جهم بن حذيفة¹ مصدقا... [و ساق الكتاني عددا من الصحابة من تولوا خطة السعاية على الصدقات]².

وفي هذا الذي أورده الكتاني دلالة واضحة بينة أن الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مؤسسة لها أهميتها ومكانتها، ولها من يديرها من عمال وكتاب³ وغيرهم، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرف شخصيا على تسيير هذه المؤسسة والعناية بحصيلتها ولم يكن يترك أمر الزكاة لاجتهاد الناس، وضمائرهم، كما هو حال المسلمين اليوم. والواجب اليوم على المنظرين في فقه الاقتصاد الإسلامي بذل الجهود الكبيرة لتطوير الآليات المعاصرة التي تمكن إحياء وبعث مؤسسة الزكاة وتطويرها وفق ما يخدم أهدافها الخدمية كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، « إن ترك الزكاة لسلوك المسلمين جعلها واسطة استهلاك لا واسطة استحصال وإنتاج. وكان ذلك أيضا سببا لضعف الإنتاج والاستحصال أو لقلتهما في البلاد الإسلامية، لأن الزكاة لم تصرف إلى مصرفها الذي بين وفصل في القرآن الكريم، بل المسلمون أدوا ما عليهم من الزكاة إلى الفقراء فقط لسد حاجاتهم الأصلية وهي استهلاك فقط أما لو صرفت إلى مصارفها كما ذكر القرآن الكريم لكان ذلك سببا للإنتاج والاستحصال في المجتمع من الناحية الاقتصادية »⁴ وسينجر عن ذلك فوائد اجتماعية جمّة منها

¹ أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج ابن عدي بن كعب القرشي العدوي. قيل اسمه عامر بن حذيفة وقيل عبيد الله ابن حذيفة أسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان مقدما في قريش معظما وكانت فيه وفي بنه شدة وعزيمة. قال الزبير: كان أبو جهم بن حذيفة من مشيخة قريش عالما بالنسب وهو أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ منهم علم النسب، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مرة مصدقا، أي يجمع مال الصدقة توفي في آخر خلافة معاوية. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: الصفحة (786)، ترجمة رقم : (2865). و الذهبي سير أعلام النبلاء : (556/2).

² الكتاني ، التراتيب الإدارية : (314/1 - 315) .

³ قال الكتاني في التراتيب الإدارية ، (315/1) : « باب في ذكر من كان يكتب الصدقات لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام ابن حزم في كتابه جوامع السير: كان كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات الزبير بن العوام فإن غاب أو اعتذر كتب جهم بن الصلت وحذيفة بن اليمان. نقل الحافظ في تلخيص الحبير: عن القضاعي كان الزبير وجههم يكتبان أموال الصدقات ه » .

⁴ علي أوزك، عرض الجهود والأفكار المعاصرة في المؤتمرات والجامع والدراسات المتخصصة عن المفاهيم والتطبيقات الحديثة للزكاة: الصفحة: 29. اجمع الملكي للبحوث و الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ندوة : الزكاة و التكافل الاجتماعي في الإسلام.

توفير الخدمات الاجتماعية لكافة الشرائح وكذا تطوير المؤسسات الخدمية عن طريق استغلال أموال الزكاة .

وفي عصرنا لا بد من تكثيف الجهود العلمية وطرح كل البدائل الممكنة من أجل النهوض بهذه المؤسسة المالية العملاقة - مؤسسة الزكاة - مع ربطها بالواقع المتغير للحياة الإنسانية، وهناك جهود مشكورة من العلماء والباحثين لتطوير عمل هذه المؤسسة وفق مقتضيات عصرنا حيث عقدت عدة مؤتمرات وندوات علمية¹ تناولت موضوع الزكاة وأهميتها في التكافل الاجتماعي وضرورة صياغة أطر لتنظيم مؤسسة الزكاة بما يتماشى وروح العصر.

يقول الدكتور علي أوزاك: «إن الأبحاث التي أجريت في زماننا تعتمد عموماً على مراجع الحديث والفقه، لذلك لا نعلم علماً تاماً ماهية المؤسسات التي شكلت في عصر الرسول صلى الله عليه و سلم في جمع وتوزيع الزكاة، لأن الزكاة كمؤسسة رسمية تديرها الدولة، ظهرت في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان في بيت المال قسم أودائرة للزكاة، ولكن الدولة الإسلامية التي جاءت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لم تهتم عبر التاريخ بديوان الزكاة اهتمامها بديوان المالية العامة، ولذلك فإننا لا نعلم شيئاً صحيحاً عن تطبيق الزكاة عبر التاريخ، ولا نعلم كيفية جمع الزكاة وتوزيعها حتى في عهد الدولة العثمانية مع أنها كانت قد اهتمت بميزانية الدولة اهتماماً بالغاً. ومعنى هذا أن الدولة الإسلامية في التاريخ وعلماء الإسلام تركوا فريضة الزكاة لسلك المسلمين عموماً وكان ذلك من الأخطاء الكبيرة، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أسس نواة المؤسسة للزكاة، وكان الواجب على المسلمين أن يطوروا هذه المؤسسة حسب الاحتياجات الناشئة على مر الزمان»².

وعليه فواجب المسلمين اليوم تفعيل الدور الريادي للزكاة كمؤسسة مالية قصد دعم الحياة الاجتماعية للمسلمين وأن نتجاوز الجهود الفردية والارتجالية في التعامل مع هذه المؤسسة المهمة في المجتمع وعليه نطرح السؤال ما هو الدور الذي ينبغي أن تلعبه الزكاة في الخدمة الاجتماعية

¹ منها على سبيل المثال الندوة التي عقدت بعمان المملكة الأردنية الهاشمية ، سنة 1994 م تحت عنوان : الزكاة و التكافل الاجتماعي في الإسلام ، من تنظيم مؤسسة آل البيت ، مآب .

² علي أوزاك، الزكاة و التكافل الاجتماعي في الإسلام،، ندوة : تحت عنوان: عرض الجهود و الأفكار المعاصرة في المؤتمرات و المجمع و الدراسات المتخصصة عن المفاهيم و التطبيقات الحديثة للزكاة: الصفحة 27. 28. المجمع الملكي للبحوث و الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت.

ذلك أن من أهداف الخدمة الاجتماعية، تحقيق الرفاه لأفراد المجتمع وتسهيل سبل الحياة وطرق العيش لأفراده، وعليه نستطيع أن نجزم أن الزكاة في حد ذاتها خدمة اجتماعية، وعبادة يتقرب بها العبد لربه جل وعلا .

ثالثا- الزكاة كمورد لدعم مؤسسات الخدمة الاجتماعية.

ذكرنا في الفقرة السابقة أن الزكاة لكي تؤدي ثمارها الاجتماعية المرجوة منها؛ فإنه لا بد أن تكون مؤسسة ذات أهداف مرسومة وخطط معلومة، فإنه ليس بالميسور أن ندعم الحياة الاجتماعية عن طريق العمل غير المنظم فإذا كان النبي عليه السلام قد أرشدنا إلى ضرورة أن تكون صفوف الصلاة مستقيمة فإنه يدلنا من باب الإشارة والتنبيه إلى ضرورة أن تكون خطط أعمالنا ومنجزاتنا ذات استقامة وأهداف محددة، وبرنامج مدروس بخطى ثابتة، فمن مقاصد الصلاة الالتزام بالنمط المنظم. وإذا نظرنا إلى السنة النبوية المطهرة، وجدنا أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقوم بإسعاف الكثير من الحالات الاجتماعية عن طريق بيت الزكاة، وعلى سبيل المثال: فإن المقصد من تشريع زكاة الفطر هو كونها خدمة فورية استعجالية في يوم محدد لمقاصد معينة جاءت صريحة في الأحاديث وهو سد الخلة و إدخال الفرحة على النفوس.

والزكاة عندما تكون منظمة في بيت المال فإن صرفها على مستحقيها يخضع للمصلحة وسد الخلة حسب ما تمليه الظروف والملابسات وليس واجبا على الإمام والمتصرف في أموال الزكاة أن يوزعها بالتساوي على كل الأصناف المذكورة في الآية، بل يجوز له أن يزيد لصفة معين من مستحقي الزكاة، حتى تتحقق الكفاية وتسد الخلة، كما أجاز العلماء المعاصرون أن تصرف على الجامعات والمدارس والمستشفيات العمومية وعلى طلبة العلم، والباحثين تمشيا مع العموم في قوله تعالى " وفي سبيل الله " كما أنها تصرف في دور الأيتام والرعاية الاجتماعية و كل مرفق عمومي يحتاج إلى الدعم المادي . يقول الدكتور الدبريني : «إن مضمون الآية الكريمة [وفي سبيل الله] بمعطياتها اللغوية الأصلية التي ينبغي المصير إليها، ليشمل جميع المصالح العامة للدولة [ومنها الخدمة الاجتماعية] على تعددها وتنوعها وتجدها، ولا سيما في أيامنا هذه، على أن يكون لولي الأمر "الخيرة" بتقديم بعضها على بعض، و باستشارة أهل الشورى و الاختصاص، تحقيقا لمقتضيات الصالح العام .

هذا وقصر مضمون قوله تعالى: "و في سبيل الله" على ما ذهب إليه جمهور المفسرين والفقهاء فيه إخلال بالتوازن بين المصالح العامة التي يفتقر بعضها إلى أن يقدم على ما ذهب إليه هذا الجمهور، من الإنفاق على فقراء الغزاة "الأفراد" ، إذ الظروف قد تقتضي إثارة مصلحة عامة أخرى، أو عدم إهمال ما يليها، و هذا الإخلال بالتوازن بين المصالح التي تفتقر إليها الأمة والدولة ن يترتب عليه شر كبير، و فساد عريض، و ليس من التشريع الإسلامي في شيء .

على أن الدول الإسلامية اليوم، قد تولت الإنفاق على مرفق الجيش من ميزانيتها بنسب كبيرة حتى إذا أضيف إلى هذا الإنفاق من أموال الزكاة أيضا، و أهملت المصالح الحيوية الضرورية ذات الأهمية البالغة في حياة المسلمين، كالمؤسسات العلمية، والجامعات التي قد لا تتسع ميزانية الدولة للوفاء بمتطلباتها كافة، ولا سيما ما يتعلق منها بالجامعات، التي تنهض بالعلوم ... أقول إذا أهمل مثل هذه المصالح من أن تنال حظها الوافر من أموال الزكاة على أساس أن مصرف : "في سبيل الله" يشملها شمولاً أولياً فيما يفيد تفسيرها على أساس وضعها الأصلي الغوي الأول ، دون التأثير بما اتجه إليه بعض المفسرين : إلى قصره تأويلاً في التطبيق على أفراد فقراء من الجيش، إذا أهمل هذا ، أحل هذا الفهم المبستر و دون تفهم هذا المصرف تفهما علمياً سليماً بتوازن المصالح في الأمة و الدولة ، كما بينا ... على أن أموال الزكاة إذا لم تف بالوفاء لمصالح الأمة و الدولة، تحقيقاً للتكافل الاجتماعي والإنساني الملزم، أجاز الشارع الحكيم فرض ما يفى من أموال الأغنياء "سوى الزكاة" ، لأن المهم في الأمر هو تحقيق التكافل الاجتماعي على الوجه الأكمل، بحث لا تختل أي مصلحة عامة ذات شأن ، من مصالح الأمة و الدولة ...

قال القاضي أبو بكر بن العربي في تفسيره أحكام القرآن : " وفي سبيل الله " قال مالك: سبيل الله كثيرة .. جاء في الفتاوى الظهيرية¹ : " ... وقيل المراد طلبه العلم ... ". وجاء في البدائع في فقه الحنفية: جميع القرب، فيدخل فيه كل سعي في طاعة الله، وسبل الخيرات. ... قال الإمام محمد عبده فيما نقله عنه رشيد رضا في تفسيره المنار ما نصه: " و التحقيق أن سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة، التي بها قوام أمر الدين، و الدولة، دون الأفراد . ويقول في موضع آخر من تفسير المنار: ومن أهم ما ينفق في سبيل الله، في زماننا هذا، إعداد الدعاة إلى الإسلام و

¹ الفتاوى الظهيرية للإمام ظهير الدين محمد بن أحمد بن عمر البخاري، أبو بكر، ظهير الدين (619 هـ = 1222 م)، فقيه حنفي، كان محتسب في بخارى. ينظر: الزركلي، الأعلام : 320/5 .

يدخل فيه: النفقة على المدارس للعلوم الشرعية و غيرها مما تقوم به المصالح العامة وفي هذه الحالة يعطى منها معلموا المدارس ما داموا يؤدون وظائفهم المشروعة التي ينقطعون بها عن كسب آخر فالجامعات من باب أولى، لعظم المصلحة و شمولها»¹

وهذه المصالح العامة التي تحدث عنها العلماء هي ضمن قائمة الخدمة الاجتماعية حسب ما تقرر من مضامين هذه الوظيفة الاجتماعية و التي إذا أوليناها الأهمية البالغة رجعت بالفائدة الكبرى على المجتمع ذلك أنه عندما تتوفر خدمات أفضل في المجتمع فهو ضمان لتقدم أفضل ضمان لأداء أحسن للوحدات الاجتماعية، ضمان لتنمية أفضل ضمان لتنشئة اجتماعية أفضل ضمان لكل خير و فضيلة اجتماعية دعا إليها الإسلام .

وفيما يلي جملة من الأحاديث النبوية ذات العلاقة بالخدمة الاجتماعية في مصرف الزكاة.

1- دعم مؤسسات رعاية الفقراء واليتامى. بوب الإمام البخاري في صحيحه : باب الصدقة على اليتامى، و أخرج حديث: إبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم على المنبر و جلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ... فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين و اليتيم و ابن السبيل...»² الحديث.

وأخرج الإمام البخاري تحت باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر: أن زينب قالت لعبد الله: «سل رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أيجزي عني أن أنفق عليك و على يتامى في حجري من الصدقة ؟ فقال سلي أنت رسول الله صلى الله عليه و سلم فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فوجدت امرأة من الأنصار حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلنا: سل النبي صلى الله عليه و سلم أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري. وقلنا لا تخبر بنا. فدخل فسأله ، فقال : من هما ؟ قال: زينب

¹ محمد فتحي الدريني، - مقال تحت عنوان - المصالح العامة للأمة و الدولة هل تعد مصرفا من مصارف الأموال الزكوية شرعا ؟ الصفحة 297 و ما بعدها. المجمع الملكي للبحوث و الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت، ندوة : الزكاة و التكافل الاجتماعي في الإسلام.

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (1 / 453 - 454)، رقم الحديث (1465)، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى .

قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله، قال: نعم، ولها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة¹ .

2 - النفقة من الزكاة على أبناء السبيل كخدمة اجتماعية .

بواب الإمام البخاري رحمه الله فقال: باب استعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل. وأخرج عن أنس رضي الله عنه: أن ناسا من عربنة اجتوتوا المدينة، فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها²... الحديث».

3 - النفقة من الزكاة على غير المسلمين كخدمة اجتماعية.

بواب الإمام أبو داود في سننه فقال: باب الصدقة على أهل الذمة. وأخرج بإسناده: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «قدمت علي أمي راغبة³، وهي راغمة⁴ مشرقة، فقلت يا رسول الله إن أمي قد قدمت علي وهي راغمة مشرقة أفصلها قال: نعم فصلي أملك⁵».

قال الإمام العيني رحمه الله: «ويستفاد منه: أن الصلة للمشرك جائزة للقرابة والحرمة والذمام وأمرها - عليه السلام - بصلتها لأجل الرحم، وأما الزكاة فلا يجوز صرفها إلى أهل الذمة عند الجمهور، وأما في هذه الصورة فلا يجوز صرفها أيضا إلى أمها وإن كانت مسلمة، لوجوب نفقتها عليها. وقال زفر: الإسلام ليس بشرط في مصرف الزكاة وغيرها؟ لأن الله تعالى حيث ذكر الفقراء في الصدقات لم يقيد بصفة الإسلام، فإثبات إسلام الفقير يكون زيادة، فتجري

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (454/1) ، رقم الحديث : (1466) ، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الزوج و الأيتام في الحجر .

² أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (1 / 465 - 466) ، رقم الحديث (1501) ، كتاب الزكاة ، باب استعمال إبل الصدقة و ألبانها لابن السبيل .

³ قوله: "راغبة" نصب على الحال من الأم، وهو بالباء بمعنى طالبة بري وصلتي. ينظر العيني ، شرح سنن أبي داود : (6 / 422).

⁴ قوله: " وهي راغمة" جملة حالية أيضا وهو - بالميم - أي: كارهة للسلام، ساخطة علي، تريد أنها لم تقدم مهاجرة راغبة في الدين، كما كان يقدم المسلمون من مكة للهجرة، والإقامة بحضرة رسول الله - عليه السلام -، وقيل: هاربة. ينظر العيني ، شرح سنن أبي داود : (6 / 422).

⁵ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (2 / 416) ، رقم الحديث (3183) ، كتاب الجزية و الموادة ، باب ، وأبو داود سنن أبي داود : الصفحة (196) ، رقم الحديث : (1668) كتاب الزكاة ، باب الصدقة على أهل الذمة .

مجرى النسخ، قلنا: قوله عليه السلام: " خذها من أغنيائهم وردها في فقرائهم"¹ يقتضي أن لا يصرف إلا إلى المسلمين.

فإن قيل: هذا زيادة على النص بخبر الواحد وذلك لا يجوز. قلنا: الأصل هذا، إلا أن النص عام قد خص منه الفقير الحربي، وكذلك الوالدان والولد والزوجة مخصوصون بالإجماع، فيخص الباقي بخبر الواحد².

قلت: إعطاءه الزكاة على سبيل الاستمرار والترفة، وعده كواحد من المسلمين تصرف له فإن مذهب الجمهور راجح في عدم ظهور هذا المذهب كما حكاه العيني، وأما أن تصييه أموال الزكاة على شكل خدمات اجتماعية صحية مجانية أو غيرها من الخدمات الضرورية، كالطعام والشراب والمسكن والملبس والتعليم، وتقدم له من مؤسسات تدعم من صندوق الزكاة فلا بأس بذلك لأن الخدمة الاجتماعية خدمة عمومية ذات بعد إنساني. وما بوب به أبو داود في سننه يتخرج هذا المخرج . ثم إن تقديم الخدمات لغير المسلم قد يرجى بها إسلامه فتكون من باب الرفق والتأليف، وفي عالم اليوم يتلقى المسلم في بلاد غير المسلمين خدمات جليلة. فكيف يصوغ للمسلمين أن يقولوا لا يعطى غير المسلم من أموال الزكاة و لو على شكل خدمات، خصوصا إذا كان مواطنا كامل الحقوق والالتزامات.

¹ أصل الحديث في الصحيح أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (430/1)، رقم الحديث (1395)، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، و مسلم، صحيح مسلم: (30/1) رقم الحديث (19)، كتاب الإيمان، باب الدعاء للشهادتين و شرائع الإسلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولفظه في صحيح البخاري: (عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم).

² العيني ، شرح سنن أبي داود: (422/6) .

المطلب الثاني: الكفارات وأثرها في دعم الخدمة الاجتماعية ضوء السنة النبوية.

الفرع الأول: تعريف الكفارة لغة واصطلاحاً.

أولاً - الكفارة لغة. قال في لسان العرب: «والكفارة ما كفر به من صدقة أو صوم أو نحو ذلك قال بعضهم كأنه عُطِّي عليه بالكفارة وتكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها والاسم الكفارة والتكفير في المعاصي... وسميت الكفارات كفارات لأنها تُكْفَرُ الذنوب أي تسترها مثل كفارة الأيمان وكفارة الظهار والقتل الخطأ، وقد بينها الله تعالى في كتابه وأمر بها عباده¹» قال في الذخيرة: «وهي مأخوذة من الكفر بفتح الكاف وهو التستر ومنه سمي الزارع كافراً لستره الحب بالتراب والبحر كافراً لستره ما فيه والمشرك كافراً لستره الحق من الوحدانية وغيرها²» قال في المصباح المنير: «كفر الله عنه الذنب محاه ومنه الكفارة لأنها تكفر الذنب وكفر عن يمينه إذا فعل الكفارة³».

- ثانياً: الكفارة في الاصطلاح.

قال الإمام القرافي: «أصل الكفارة لزوال الإثم وستره⁴» وقيل هي: «ما يستغفر به الآثم، من صدقة وصوم ونحو ذلك⁵». و قيل هي: «اسم لعقوبة مقدرة شرعاً لستر الإثم المترتب على ارتكاب المحذور قولاً أو فعلاً⁶»، «وتسمى أيضاً الفدية ولعل هذه التسمية قليلة ولكن ربما سميت بذلك لأنها فداء للفعل المرتكب يدل لذلك قول الله تبارك و تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ الآية. [البقرة: 196]»⁷.

¹ ابن منظور، لسان العرب : (144/5) .

² القرافي، الذخيرة: (61/4)

³ الفيومي ، المصباح المنير : (8 / 119) .

⁴ القرافي، الذخيرة : (61/4) .

⁵ سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي: الصفحة: 321 .

⁶ محمد إسماعيل أبو الريش، الكفارات في الفقه الإسلامي: الصفحة 12 .

⁷ المرجع نفسه: الصفحة 15.

لكن تختلف الكفارة عن الفدية: أن الكفارة تجب عقوبة بخلاف الفدية فإنها ليس فيها معنى العقوبة، فهي بدل العبادة بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ الآية [لبقرة: 184].

ثم إن الكفارة مقدرة بخلاف الفدية وإن كانت مقدرة ابتداءً فإنها تقبل الزيادة والنقصان. والكفارة تجب على المسلم وعلى الذمي غير المسلم كما في المظاهر بخلاف الفدية فإنها تجب على المسلم فقط¹. وهناك فروق أخرى وبسطها في كتب الفقه، ذلك أن غرضنا هنا هو بيان المقاصد الاجتماعية للكفارات.

- الفرع الثاني: الكفارات المالية ومقاديرها في الكتاب والسنة.

أولاً - كفارة من أفطر في رمضان. عن أبي هريرة: «أن رجلاً أفطر في رمضان فأمره رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكفر بعرق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً فقال لا أجد فأتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بعرق تمر فقال خذ هذا فتصدق به فقال يا رسول الله ما أحد أحوج مني فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى بدت أنيابه ثم قال كله»²

ثانياً - كفارة اليمين. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حلف على يمين لم يحنث حتى نزلت كفارة اليمين فقال: صلى الله عليه وسلم (لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني)³.

ثالثاً - النذر .- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : « لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين »⁴.

¹ محمد إسماعيل أبو الريش ، الكفارات في الفقه الإسلامي : الصفحة : 20 و ما بعدها .بتصرف.

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (428/3) ، رقم الحديث (5368)، كتاب النفقات، باب نفقة المعسر على أهله و مالك، الموطأ : (399/1)، كتاب الصيام ، كفارة من أفطر في رمضان . عن أبي هريرة رضي الله عنه

³ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : 10 / 195 ، رقم الحديث : 4353 ، كتاب الأيمان ذكر ما يستحب للإمام عندما سبق منه من يمين إمضاء ما رأى خيراً له دون التعرج على يمينه التي مضت .

⁴ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (10 / 195) رقم الحديث (4353) أبو داود ، سنن أبي داود: الصفحة : 370 ، رقم الحديث : 3292 ، كتاب الأيمان و النذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . عن

رابعا - الإيلاء: عن عائشة قالت: «آلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من نسائه وحرم فجعل الحرام حلال وجعل في اليمين كفارة¹».

خامسا - الظهار: عن أبي سلمة ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان: أن سلمان بن صخر² الأنصاري أحد بني بياضة جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضي رمضان فلما مضى نصف من رمضان وقع عليها ليلا فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أعتق رقبة، قال: لا أجدها، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع، قال أطعم ستين مسكينا، قال: لا أجدها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لفروة بن عمرو أعطه ذلك العرق (وهو مكمل يأخذ خمسة عشر صاعا أو ستة عشر صاعا) إطعام ستين مسكين³».

سادسا - كفارة قتل الصيد إن كان له مثل قال يحيى: قال مالك: «أحسن ما سمعت في الذي يقتل الصيد فيحكم عليه فيه أن يقوم الصيد الذي أصاب فينظر كم ثمنه من الطعام؟ فيطعم كل مسكين مدا، أو يصوم مكان كل مد يوما، وينظر كم عدة المساكين فإن كانوا عشرة صام عشرة أيام وإن كانوا عشرين مسكينا صام عشرين يوما عددهم ما كانوا وأن كانوا أكثر من

عائشة رضي الله عنها مرفوعا، و أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح: (214/4)، رقم الحديث 6621 ، كتاب الأيمان و النذور ، موقوفا. بهذا اللفظ على أبي بكر رضي الله عنه . عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن يحنث في يمين = قط حتى أنزل الله كفارة اليمين وقال لا أحلف على يمين غير ما خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني ". و بلفظ قريب منه أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري مرفوعا ، و فيه قصة طويلة : (398/2)، رقم الحديث (3133) كتاب فرض الخمس. و لفظه عن أبي موسى : " و إني و الله غن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير و تحلفتها" .

¹ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي: (495/3) رقم الحديث : (1201)، كتاب الطلاق ، باب ما جاء في الإيلاء، وابن ماجه، سنن ابن ماجه : 670/1، رقم الحديث: 2072، كتاب الطلاق، باب الحرام . و صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : (188/2) .

² سلمة بن صخر بن سلمان بن الصمة بن الحارث بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي كان يقال له البياضي لأنه كان حالفهم ويقال اسمه سلمان وسلمة أصح وهو الذي ظاهر من امرأته قال البغوي: لا أعلم له حديثا مسندا إلا حديث الظهار، كان أحد البكائين. ينظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب : الصفحة (306) ، ترجمة رقم (1030) ، و ابن حجر ، الإصابة : (117/3) ، ترجمة رقم (3379)

³ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : 494/3 - 495 . رقم الحديث 1200 ، كتاب الطلاق باب، باب ما جاء في كفارة الظهار . قال الترمذي : هذا حديث حسن ، و صححه الشيخ الباني في صحيح سنن الترمذي: (614/1)

ستين مسكينا قال مالك: سمعت أنه يحكم على من قتل الصيد في الحرم وهو حلال، بمثل ما يحكم به على المحرم الذي يقتل الصيد في الحرم وهو محرم¹.

سابعا - كفارة الوطاء في الحيض - عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال « يتصدق بدينار أو بنصف دينار² » .

هذه بعض النماذج، وهناك دية القتل الخطأ، وسوف نتكلم عليها في مطلب الديات ومقاصدها التعويضية الخدمية في مكانها من الدراسة .

وهناك كفارات ظرفية مؤقتة بفعل معين كالغداء والتعويض المترتب عن المخالفات التي تقع في أعمال الحج، أو العمرة منها : كفارة الأذى بفعل المحذور، وكفارة ترك الواجب، وفدية المحصر وهدي المتمتع والقارن، ولا تحلو كلها من مقاصد اجتماعية تكافلية ومقاصد إغاثية.

الفرع الثالث: الكفارات المالية، ومقاصدها الخدمية من منظور السنة النبوية.

لا ينفك الإنسان في الغالب من أمره عن الذنب فهي له كالأمر الحتم³، قد جعل الله له مخرجا بأن جعل للذنوب مزيلات؛ منها التوبة، والاستغفار، والمصائب، والطاعات والكفارات المقدره في الشرع، من صيام، وإطعام، وهدي، وعتق، وجزاء صيد وغيرها والناظر في الكفارات المالية - المادية من إطعام وهدي وغيره - يتلمس أن للشارع الحكيم - والله أعلم - مقاصد أخرى، إضافة إلى قصد التطهير والمغفرة، منها أنها شرعت « لستر الذنوب وتغطية العيوب ودرا للتقصير

¹ مالك، الموطأ: (478/1). كتاب الحج، الحكم في الصيد .

² أخرجه النسائي، سنن النسائي: (168/1)، رقم الحديث (288)، كتاب الطهارة، باب ما يجب على من أتى حليلته في حال حيضتها بعد علمه بنهي الله عز وجل عن وطئها، و أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: 246 رقم الحديث: 2168، كتاب النكاح، باب في كفارة من أتى حائضا. و ابن ماجه، سنن ابن ماجه: 210/1 رقم الحديث: 640، كتاب الطهارة، باب في كفارة من أتى حائضا. و الدارقطني، سنن الدارقطني: (436/4)، رقم الحديث (3745)، كتاب النكاح، باب المهر. و الدارمي، سنن الدارمي: (719/1)، رقم الحديث (1145)، كتاب الطهارة، باب من قال عليه كفارة، كلهم من طريق مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الدارمي في سننه قال شعبة: " أما حفطي فهو مرفوع " . و صححه الشيخ ناصر الدين الألباني و قال في صحيح سنن أبي داود (15/2): وإسناده صحيح على شرط البخاري. و صححه أيضا الحاكم، ووافقه الذهبي وابن القطان وابن دقيق العيد وابن الترمذاني وابن حجر العسقلاني. وذكر الحلال عن أحمد قال: ما أحسن حديث عبد الحميد يعني: هذا الحديث قيل له: تذهب إليه؟ قال: نعم؛ إنما هو كفارة. وقواه ابن القيم.

³ قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الزهد والورع والعبادة: «والذنب للعبد كأنه أمر حتم، فالكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات ما يمحو السيئات» ينظر ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة: الصفحة: 87 .

الواقع من المكلف قبل ربه¹». وهذا لا يعني أنه ليس لها مقاصد اجتماعية فنستطيع أن نقول: أن لها مقاصد خدمية اجتماعية، ففيها ولا شك من الناحية الاجتماعية دفع المخمصة عن الجائع، وسد الخلة، وإشاعة الفرحة في قلوب الفقراء والمحتاجين، ثم إن تخصيص الغالب من الكفارات بالمال وتقديمه في الكفارة دليل جلي أن المقصود من هذه العقوبة المالية هو نفع المجتمع ومساعدة مادية للمحتاجين فيه.

يقول الأستاذ الجليل محمد أبو زهرة في هذا الصدد: «لقد جعل الإسلام كفارات الذنوب **تعاوناً اجتماعياً**، فمن أفطر في رمضان² فعليه عتق رقبة، أو صيام ستين يوماً أو إطعام ستين مسكيناً، و من قال لامرأته: أنت حرام علي كأمي لا يقربها إلا إذا أعتق رقبة أو صام ستين يوماً أو أطعم ستين مسكيناً ومن حلف وحنث في يمينه كان عليه عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم. وهكذا نجد الكفارات للذنوب تعاوناً اجتماعياً، و كأن الذنب الذي يرتكب، أو التقصير في عبادة هو اعتداء اجتماعي، فلا يكفر الاعتداء الاجتماعي إلا تعاون اجتماعي يسد النقص و يزيل الخلل»³.

والكفارة المالية هي قسيم الكفارة البدنية، ذلك أن الفقهاء يقسمون الكفارة إلى قسمين مالية وبدنية؛ و يقصدون بالكفارة المالية الإطعام و الفدية والنسك والعتق والبدنية كالصوم وتستوفني هنا عدة مسائل نظر فيها سادتنا الفقهاء إلى المقصد الشرعي من الحكم الذي يحقق الخدمة الاجتماعية للفرد والجماعة.

أولاً- الناظر لمذهب المالكية يرى أن المالكية يقدمون الإطعام على غيره في الكفارة، وهو نظر سديد يحقق قصد الشارع من حفظ الأبدان ومساعدة المحتاجين والفقراء والمساكين، ونظر المالكية في تقديم الإطعام إطلاع منهم على سر من أسرار الشريعة المطهرة والتي لها مقاصد وحكم في أحكامها .

¹ محمد أبو الريش، الكفارات في الفقه الإسلامي: الصفحة 18 .

² يقصد المؤلف عامداً انتهاكاً لحرمة الشهر كما هو مقرر عند الفقهاء .

³ أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، الصفحة: (21)

في باب الكفارة في رمضان من كتاب الصيام من المدونة قال: «قلت: وكيف الكفارة في قول مالك؟ فقال: الطعام لا يعرف غير الطعام ولا يأخذ مالك بالعتق ولا بالصيام. قلت: وكيف الطعام عند مالك؟ فقال: مدا مدا، لكل مسكين¹».

ثانيا - أن بعض الفقهاء يميز تعجيل الكفارة المالية قبل شرطها أو وقتها بخلاف البدنية فلا يميز التقديم، وهو مذهب الشافعي، وقد أشار الإمام القرافي² في فروقه إلى هذا المذهب فقال: «الفرق الرابع والخمسون بين قاعدة ما ليس بواجب في الحال والمال، و بين قاعدة ما ليس بواجب في الحال واجب في المال. فالأول لا يجزئ عن الواجب والثاني قد يجزئ عنه . ويتضح الفرق بذكر ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الزكاة إذا عجلت قبل الحول، إما بالشهر ونحوه عندنا، وإما في أول الحول عند الشافعي، فهذا المعجل ليس بواجب، فإن دوران الحول شرط في الوجوب، والمشروط لا يوجد قبل شرطه، فإذا دار الحول، وتوجه الخطاب بوجوب الزكاة أجزأ عنه ما تقدم، مع أنه غير واجب، فما الفرق بين هذا المخرج، وبين ما إذا نوى بإخراجه صدقة التطوع، فإنه لا يجزئ عنه؟ والفرق أن صدقة التطوع ليست بواجبة في الحال، ولا في المال، فلم تجز عنه، وأما المعجل للزكاة فهو قاصد بالمخرج الواجب على تقدير دوران الحول، ولم يقصد التطوع، فإذا قصد به الواجب في المال، فما أجزأ عن الواجب إلا واجب³».

وعلى هذا المذهب أجاز بعض الفقهاء، تقديم الزكاة قبل الحول وهو أيضا لفتة مصلحة تخدم الكثير من القضايا الاجتماعية المستعجلة في حياة الناس والتي تكون على شكل خدمات.

¹ سُحْنُون، المدونة: (1 / 218).

² هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي ولد سنة (626 هـ)، نسبته إلى قبيلة سُنهاجة (من برابرة المغرب) وينسب إلى القرافة (الحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة. من أعيان علماء المالكية، له مصنفات جليلية في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق مطبوع، و (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام و (الذخيرة في فقه المالكية، مطبوع و (شرح تنقيح الفصول، في الأصول، مطبوع، وغيرها قلت: وكان مع تبخره في عدة فنون، من البارعين في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية وغيرها، توفي رحمه الله سنة (684 هـ)، انظر ترجمته في: الزركلي، الأعلام: (1/ 95)، وابن فرحون، الديباج المذهب: الصفحة (128).

³ القرافي، الفروق: (2/ 45)

جاء في كتاب الفقه الإسلامي وأدلته: «والإطعام عند المالكية أفضل الخصال، والكفارة واجبة عندهم على التخيير لا على الترتيب⁽¹⁾» يقول الأستاذ أبو زهرة رحمه الله: «والكفارات عقوبات قدرها الشارع الحكيم عند ارتكاب أمر فيه مخالفة لأوامر الله تعالى، وهذه الكفارات بالنسبة للأغنياء تكون دائما صدقات مالية.

1 - فمن أفطر في رمضان عن عجزه، وعدم قدرة على الوفاء في المستقبل عليه فدية عن كل يوم يفطره؛ إطعام مسكين.

2 - ومن حلف على أمر يريد أم يفعله ثم حنث في يمينه، ولم يفعله ن كان عليه إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم.

3 - ومن تعمد الإفطار في رمضان كان عليه صوم شهرين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.

4 - ومن افتري وقال إن امرأته كأمه، فإنه لا يقربها إلا بعد صوم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.

ولا شك أن هذه العقوبات المالية مألها إلى الفقراء الذين ينتفعون بها و ذلك في سد خلل اجتماعي².

والشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله يقترح إنشاء مؤسسة الكفارات عن طريق إنشاء صناديق خاصة تكون تابعة للمؤسسات المتخصصة في الخدمة الاجتماعية، حيث أن من وجبت عليه الكفارة فإنه يأخذ هذه الكفارة لهذه الصناديق الخاصة و التابعة لمؤسسة الخدمة الاجتماعية وهذا يصب في خدمة مؤسسة الخدمة الاجتماعية .

بل نزيد عليه فنقول أنه لا بأس أن تدفع الكفارة نقدًا لهذه الصناديق عن طريق الحساب الجاري إذا كانت كفارة مالية. ففيه الكثير من الفوائد وتقريب الخدمة، حيث يتيسر للمحتاجين الحصول عليها عن طريق التوجه لهذه الصناديق المتابعة للمؤسسة، وقد يمكن تحويلها إلى منح شهرية إذا كانت ذات بال.

¹ وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي و أدلته : (3 / 113)

² أبو زهرة تنظيم الإسلام للمجتمع : الصفحة : (167) .

يقول الشيخ أبو زهرة في هذا الصدد: « وقد يقول قائل عن هذا كله يذهب هباء، لأن الذين يقومون بحق الله تعالى عليهم يعطونه للمتسولين، وذلك يضر ولا ينفع ، وإن تشككوا في استحقاقهم ضنوا و شحوا، وقليل منهم الذين يتعرفون الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافاً. وإننا نقول إن الواجب حينذاك أن ننظم طريق جمع هذه الصدقات المنثورة من كفارات وندور وصدقات فطر وغيرها من صدقات التطوع، بأن نعد صناديق للإحسان، ولا يكون الجمع بتلك الصناديق التي يسير بها بعض الشبان في الطرقات، وينادون بها في المراكب العامة، وفي المنتديات العامة، ولكن يكون بطريقة أنظم وأحكم بأن تعد هذه الصناديق في الوحدات الاجتماعية، و يذهب إليها الذين يريدون التصدق تطوعاً، أو قياماً بحق عليه، ويضع ما يريد في هذه الصناديق »¹.

وهذا الاقتراح من الشيخ رحمه الله يتمشى وروح العصر الحديث فيمكن الآن أن تضخ الأموال عن طريق الأرصدّة البنكية ويمكن أن يستفيد منها المحتاجون أو المؤسسات الخدمية بشكل منظم وتكون فائدة ذلك أيسر بل أحسن من العطاء العشوائي و المباشر الذي قد لا يخدم الكثير من القضايا الحساسة حسب تقديرا المختصين في الخدمة الاجتماعية .

¹ أبو زهرة ، تنظيم الإسلام للمجتمع : الصفحة 167 - 168 .

المطلب الثالث: الأوقاف وأهميتها في دعم الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية
الفرع الأول: تعريف الوقف لغة واصطلاحاً.

أولاً - تعريف الوقف لغة: قال الجوهري: «وقفت الدار للمساكين وقفاً، وأوقفته بالألف لغة رديئة»¹.

قال في لسان العرب: «ووقف الأرض على المساكين وفي الصحاح للمساكين وقفاً حسبها ووقفت الدابة والأرض وكل شيء فأما أوقف في جميع ما تقدم من الدواب والأرضين وغيرهما فهي لغة رديئة»².

قال في تاج العروس: «ووقف الدار على المساكين، كما في العباب وفي الصحاح للمساكين: إذا حبسه هكذا في سائر النسخ، والصواب حسبها؛ لأن الدار مؤنثة اتفاقاً وإن صح ذلك بالتأويل بالمكان أو الموضع أو المسكن ونحو لك فلا داعي إليه قاله شيخنا كأوقفه بالألف والصواب كأوقفها كما في الصحاح. قال الجوهري: وهذه لغة رديئة وفي اللسان: تقول: وقفت الشيء أوقفه وقفاً ولا يقال فيه: أوقفت إلا على لغة رديئة»³. قال ابن قدامة في المغني: « والوقوف جمع وقف، ويقال منه: وقفت وقفاً. ولا يقال: أوقفت. إلا في شاذ اللغة»⁴.

قال الإمام الرضا: « الفقهاء بعضهم يعبر بالحبس وبعضهم يعبر بالوقف والوقف عندهم أقوى في التحبیس وهما في اللغة لفظان مترادفان يقال وقفته وأوقفته ويقال حبسته والحبس يطلق على ما وقف ويطلق على المصدر وهو الإعطاء»⁵.

ثانياً. الوقف في الاصطلاح: « يعرف الوقف بأنه : حبس المال للانتفاع المتكرر به في وجوه الخير »⁶. قال الإمام ابن قدامة رحمه الله : « معناه تحبیس الأصل و تسبیل الثمرة »⁷ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «و حقيقة الوقف شرعاً ورود صيغة تقطع تصرف الواقف في رقبة الموقوف

¹ الجوهري، الصحاح : (4/ 1440) .

² ابن منظور ، لسان العرب : (9 / 359) .

³ الزبيدي : تاج العروس : (1 / 6166) .

⁴ ابن قدامة ، المغني : (8/184) .

⁵ الرضا ، شرح حدود ابن عرفة : (2 / 539)

⁶ عبد المنعم زين الدين ، البنوك الوقفية : 1 / 197 .

⁷ ابن قدامة، المغني : (8/184) .

الذي يدوم الانتفاع به وتثبت صرف منفعته في جهة خير»¹. وقيل «وشرعا حبس المملوك وتسهيل منفعته مع بقاء عينه ودوام الانتفاع به»².

قال في المعجم الوسيط: «الموقوف عند الفقهاء العين المحبوسة إما على ملك الواقف وإما على ملك الله تعالى»³.

قال الإمام ابن عرفة: «إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا»⁴.

شرح التعريف: قال الإمام الرضاع في شرحه على حدود بن عرفة: قوله: "منفعة" أخرج به إعطاء ذات كالهبة. قوله: "شيء" أطلق الشيخ رحمه الله في الشيء ولم يقل: منفعة مالا ومتمول، لأن الشيء أعم، لكنه رأى تخصيصه بما في كلامه من بقاء ملكه، وذلك يخص الشيء بالمتمول (فإن قلت) الشيء يطلق على الأرضين والرباع والحيوان والطعام والعين، أما الأرض وما تعلق بها فلا شك في تعلق الحبس بها، والحيوان جائز على خلاف فيه، والطعام قالوا: لا يصح حبسه، فهو باطل، ويصح بيعه، وأما العين⁵ فوقع في السماع كراهية الحبس فيها قال: وإن وقع وفات كان ملكا لآخر العقب.

قوله: "مدة وجوده" أخرج به العارية والعمرى... وخروج العارية والعمرى ظاهر لأن المنفعة ليست مدة وجود ذلك...

قوله: "ولو تقديرا" حذف منه كان أي ولو كان اللزوم تقديرا أو الملك تقديرا فلزوم بقاء الملك من خاصية الحبس وإن كان عدم اللزوم في الملك تقديرا فليس من خاصية الحبس»⁶

¹ ابن حجر، فتح الباري: (5/403).

² المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: (ص 731).

³ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط: (2/1051).

⁴ الرضاع، شرح حدود ابن عرفة: (2/539).

⁵ قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «العين: من الأسماء المشتركة، والأصل فيها: العين الباصرة. ثم هي بالوضع العربي منقولة إلى مواضع، فيقال العين: (ويراد بها الذات) ويقال العين: ويراد بها منابع الماء. ويقال: في غير ذلك...» ينظر ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: الصفحة: (443). قلت والمراد بها هنا في عرف الفقهاء النقدين الذهب والفضة، وفي زماننا العملة الورقية.

⁶ الرضاع، شرح حدود بن عرفة: (2/539 - 540 - 541).

- الفرع الثاني: مشروعية الوقف في ضوء السنة النبوية.

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: « والوقف مستحب¹ » وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « وأشار الشافعي إلى أن الوقف من خصائص أهل الإسلام أي: وقف الأراضي والعقار قال: ولا نعرف أن ذلك وقع في الجاهلية². »

ولقد رغبت السنة النبوية في الوقف لما فيه من المصالح العامة التي ينتفع بها جمهور عريض من الناس، و لما فيه من دوام المنفعة واستمرارها ما دام الوقف موجودا، فقد ثبت في الحديث الصحيح: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخير فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول قال فحدثت به ابن سيرين فقال غير متأثل مالا³.

وفي رواية لهذا الحديث: عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن نافع عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بماله بثمغ⁴ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تصدق به تقسم ثمره وتحبس أصله لا يباع ولا يوهب⁵ »

¹ ابن قدامة ، المغني : (184/8).

² ابن حجر ، فتح الباري : (403/5) .

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (285/ 2)، رقم الحديث : (2737)، كتاب الشروط ، باب الشروط في الوقف . عن ابن عمر رضي الله عنهما . و في كتاب الوصايا : (297/2) ، رقم الحديث : (2772) ، باب الوقف كيف يكتب . و مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة (670)، رقم الحديث (163) كتاب الوصية ، باب الوقف ، زاد مسلم في روايته : " و لا يبتاع " .

⁴ قال الحموي :ثمغ :بالفتح ثم السكون والغين معجمة موضع مال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حبسه أي وقفه جاء ذكره في الحديث الصحيح، قال السهودي : " ثمغ " بالفتح والغين المعجمة مال في شامي المدينة قرب كومة أبي الحمراء أصابه عمر بن الخطاب من يهود بني حارثة وتصدق به كما يؤخذ من كلام ابن شبة وغيره. ينظر الحموي معجم البلدان : (84/2 - 85) . و السهودي ، خلاصة الوفاء : (2 / 574) .

⁵ أخرجه ابن حبان، صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان: (263/11) رقم الحديث : (4900) ، كتاب الوقف ، باب ذكر البيان بأن الأحباس في سبيل الله لا يجل بيعها ولا هبتها . و الدارقطني، سنن الدارقطني: (330/5) رقم الحديث : (4405) . و البيهقي ، السنن الكبرى : (160/5)، و اللفظ لابن حبان . قال الحافظ بن حجر في الفتح : =

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وحدیث عمر هذا أصل في مشروعیة الوقف ... قال أحمد... عن ابن عمر قال: أول صدقة أي موقوفة كانت في الإسلام صدقة عمر. وروی عمر بن شبة عن عمرو بن سعد بن معاذ قال سألتنا عن أول حبس في الإسلام فقال المهاجرون صدقة عمر، وقال الأنصار صدقة رسول الله صلى الله عليه و سلم. وفي إسناده الواقدي، وفي مغازي الواقدي: أن أول صدقة موقوفة كانت في الإسلام أراضي مخيريق¹ - بالمعجمة مصغر- التي أوصى بها إلى النبي صلى الله عليه و سلم فوقفها النبي صلى الله عليه و سلم قال: الترمذي لا نعلم بين الصحابة والمتقدمين من أهل العلم خلافا في جواز وقف الأرضين وجاء عن شريح² أنه أنكر الحبس³، ومنهم من تأوله، وقال أبو حنيفة: لا يلزم وخالفه جميع أصحابه إلا زفر بن الهذيل فحكى الطحاوي عن عيسى بن أبان قال: كان أبو يوسف يجيز بيع الوقف، فبلغه حديث عمر هذا فقال: من سمع هذا من بن عون فحدثه به بن عليّة، فقال: هذا لا يسع أحدا

= (401/5): «قال السبكي:» اغتبطت بما وقع في رواية يحيى بن سعيد عن نافع عند البيهقي تصدق بثمره وحبس أصله لا يباع ولا يورث وهذا ظاهره أن الشرط من كلام النبي صلى الله عليه و سلم بخلاف بقية الروايات فإن الشرط فيها ظاهره أنه من كلام عمر.»

¹ قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: مخيريق النضري الإسرائيلي من بني النضير ذكر الواقدي أنه أسلم، واستشهد بأحد وقال: الواقدي والبلاذري ويقال إنه من بني قينقاع ويقال: من بني القيطون، كان عالما، وكان أوصى بأمواله للنبي صلى الله صلى الله عليه و سلم وهي سبع حوائط الميثب والصائفة والدلال وحسنى وريقة والأعواف ومشرية أم إبراهيم فجعلها النبي صلى الله عليه و سلم صدقة. و قال ابن سعد: «أول صدقة في الإسلام وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم أمواله لما قتل مخيريق بأحد وأوصي إن أصبت فأموالي لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقبضها رسول الله صلى الله عليه و سلم وتصدق بها. و قال ابن سعد أيضا أن مخيريق: خرج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أحد ينصره وهو على دينه « ينظر: ابن حجر، الإصابة: (73/6)، و ابن سعد، الطبقات الكبرى: (431/1 - 432).»

² شريح بن الحارث أبو أمية القاضي الكندي حليف لهم من بني راثش، قال البخاري في التاريخ الكبير: عن سفیان: كان علقمة أعلم من شريح في الفرائض والفقه وكان شريح أعلم بالقضاء، سكن الكوفة، يروي عن عمر، روى عنه الشعبي وإبراهيم، ماتوهو ابن مائة وعشرين سنة ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: (4 / 2 / 228).

³ قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: «وأكثر أهل العلم من السلف ومن بعدهم على القول بصحة الوقف قال جابر: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ذو مقدرة إلا وقف ولم ير شريح الوقف وقال: لا حبس عن فرائض الله قال أحمد: وهذا مذهب أهل الكوفة وذهب أبو حنيفة إلى أن الوقف لا يلزم بمجردة وللواقف الرجوع فيه إلا أن يوصي به بعد موته فيلزم أو يحكم بلزومه حاكم وحكاه بعضهم عن علي وابن مسعود وابن عباس وخالفه أصحابه فقالا كقول سائر أهل العلم» ينظر: ابن قدامة، المغني: (185/8). و ينظر معه: الماوردي، الحاوي الكبير: (513/7).

خلافه ولو بلغ أبا حنيفة لقال به فرجع عن بيع الوقف حتى صار كأنه لا خلاف فيه بين أحد
«¹.

قال الثُّسُولِي فِي شَرْحِ التَّحْفَةِ: «إِنَّ الْوَقْفَ سَنَةَ قَائِمَةِ عَمَلِ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ
الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو
لَهُ»². وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ تَحْيِيسِ الْمَسَاجِدِ، وَالْقَنَاطِرِ، وَالطَّرِيقِ، وَالْمَقَابِرِ، وَإِنَّمَا خَالَفَ أَبُو
حَنِيفَةَ فِي لَزُومِ تَحْيِيسِ غَيْرِ مَا ذَكَرَ لِأَنَّهُ جَوَازُهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ بِجَوَازِهِ لَكِنَّهُ عِنْدَهُ إِنَّمَا يَلْزَمُ بِحُكْمِ
الْحَاكِمِ وَهُوَ قَبْلَ الْحُكْمِ عَلَى مَلِكِ الْوَأَقِفِ قَبْضُ أَمٍّ لَا . وَلَهُ الرَّجُوعُ عَنْهُ بِالْبَيْعِ وَالْهَبَةِ وَيُورِثُ عَنْهُ
عِنْدَهُ إِنْ مَاتَ قَالَهُ فِي الْمَعُونَةِ»³.

عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ⁴ [بِابِ الْمَصْطَلِقِ] قَالَ مَا تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا سِلَاحَهُ
وَبِغْلَةً بِيضَاءً وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً⁵، وَ لَفِظَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبِغْلَةً بِيضَاءً وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً»⁶.

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ فِي سَنَنِهِ: «عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ الزَّيْبَرَ جَعَلَ دَوْرَهُ صَدَقَةً عَلَى بَنِيهِ لَا تَبَاعُ
وَلَا تُورَثُ وَأَنَّ لِلْمَرْدُودَةِ مِنْ بَنَاتِهِ أَنْ تَسْكُنَ غَيْرَ مَضْرُوءَةٍ وَلَا مَضَارٍ بِهَا فَإِنْ هِيَ اسْتَعْنَتْ
بِزَوْجٍ فَلَا حَقَّ لَهَا»¹.

¹ ابن حجر، فتح الباري : (402/5) .

² أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : (1 / 670) ، رقم الحديث (1631) كتاب الوصية ، باب ما يلحق
الإنسان من الثواب بعد وفاته . و ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب بن لبان : (266/11)، رقم الحديث :
(4902) ، كتاب الوقف ، باب ذكر البيان بأن اتخاذ الأعباس في سبيل الله من خير ما يخلف المرء بعده .

³ الثُّسُولِي ، البهجة في شرح التحفة : (267/2 - 368) .

⁴ عمرو بن الحارث بن أبي ضرار بن عائذ بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي
المصطلقى أخو جويرية زوج النبي صلى الله عليه و سلم. ينظر ابن حجر : فتح الباري (360/5)، و الإصابة
(292/4)، رقم الترجمة : (5795).

⁵ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (335/2)، رقم الحديث (2912)، و الدارقطني، سنن الدارقطني: (327/5)،
رقم الحديث: (4397) ، كتاب الأعباس .

⁶ أخرجه أحمد ، المسند : (401/30) ، رقم الحديث : (18458) . و البيهقي ، السنن الكبرى : (160/5) .

وفي هذا الأثر عن الزبير بن العوام أهميته في باب رعاية المطلقة ومن لم تتزوج ، فمما لا شك فيه أنه إجراء يصب في مصلحة الكثير من المطلقات خصوصا بعد وفاة الأب، فوجود مثل هذه الأوقاف تحفظ كرامة البنات في حالة الوفاة، أو في حالة الطلاق ، فيكون لها جُنة من الضياع و التشرّد، وهو مقصد من مقاصد الخدمة الاجتماعية .

الفرع الثالث: الوقف وأهميته في دعم الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية.

لعبت الأوقاف في حياة المسلمين دورا هاما والناظر في التاريخ يجد ذلك الدور المشرف والمشرق، للوقف في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمسلمين. فقد كان الوقف خير داعم وممول لكثير من المؤسسات الاجتماعية، من مساجد، و مدارس: حنفية وشافعية ومالكية وحنبلية، ومستشفيات، وكانت تسمى البيمارستان، ودور أيتام. وعرف المسلمون أوقافا كثيرة على المراكز العلمية الكبرى و المساجد كأوقاف الحرمين شرفهما الله، وبيت المقدس حماها الله، ونجد الحديث عن هذه الأوقاف في عامة كتب التاريخ الإسلامي. كان الوقف عبر التاريخ الإسلامي الطويل مؤسسة مالية مهمة ولها استقلالها عن تصرفات السلاطين والأمراء والملوك، يديرها أهل الاختصاص من العلماء و الفقهاء، ولها مسؤول يسمى **ناظر الوقف** يشرف على رعاية الوقف وإدارة مداخله وصرفها إلى مستحقيها حسب ما تقتضيه الحاجة الوقفية .

والذي يعنينا هنا هو بيان أهمية الوقف في دعم الخدمة الاجتماعية، وما ورد في السنة النبوية من الحث على ذلك، فقد كانت استجابة المسلمين لأوامر دينهم الحنيف في مستوى حققت الكثير كل التطلعات والمقاصد التي يهدف إليها الوقف من مساعدة و إغاثة و دعم اجتماعي فوجدت مدارس خاصة بالأيتام و سُبلت الآبار والعيون للعموم المسلمين والمسافرين كما وجدت الرباطات ومنها الزوايا العلمية الصوفية فقد استفادت من الكثير من الأوقاف وكان للزوايا دورها الاجتماعي في كالتعليم والإصلاح ورعاية المحتاجين وتزويج غير القادرين و غيرها من المهام الأخرى .

¹ الدارمي، سنن الدارمي: (2080/4) ، رقم الحديث : (3344) كتاب الوصايا ، باب في الوقف . قال المحقق سنن الدارمي، حسين الدارمي: إسناد صحيح .

وقد استطاع الوقف أن يقف في مواجهة الكثير المعضلات الاجتماعية عن طريق مساهمته في إغاثة الفقراء والمحتاجين والمسافرين وطلبة العلم والحجاج والمعتمرين وغيرهم. وامتثالاً لنصوص السنة المرغبة في الوقف فقد قام المسلمون بتطوير الوقف إلى شكل مؤسسات مالية كانت تقوم بتمويل الكثير من المؤسسات الاجتماعية: من مدارس ومستشفيات صيدليات، وفنادق، وعيون مسبلة، وآبار على الطرقات العامة وغيرها كثير حتى إننا نجد في كتب الفقهاء الكلام على وقف غير المسلم، والوقف على الذمي، وقد وقع الخلاف في قبول وقفه من عدمه، مع اتفاقهم على عدم قبول تبرعه في الأمور الدينية، ولكن الإمام الرضا في شرح حدود بن عرفة قال: «وأما المنفعة العامة الدنيوية ففي ردها نظر ثم قال والأظهر إن لم يحتاج إليها ردت»¹، والخدمات الاجتماعية تندرج ضمن المنافع العامة التي تقدم لكافة الشرائح الاجتماعية داخل الدولة. فلا ضير في قبول الوقف الاجتماعي العام و المصالح العامة والله أعلم .

قال في التاج والإكليل، عند قول خليل في المختصر (و ذمي): «[قال] ابن عرفة: تبع ابن الحاجب ابن شاس في قوله: يجوز الوقف على الذمي، وقبله ابن عبد السلام، ولا أعرف فيها نصاً، والأظهر جريها على حكم الوصية، وفي نوازل ابن الحاج من حبس على مساكين اليهود والنصارى جاز، وذلك لقوله تعالى: { ويطعمون الطعام } إلى قوله تعالى { وأسيرا } ولا يكون الأسير إلا مشركاً وإن حبس على كنائسهم رد ذلك وفسخ»²

- الفرع الرابع: سبل و آليات تطوير عمل الوقف لدعم الخدمة الاجتماعية.

وفي وقتنا الراهن هناك طروحات مبتكرة من العلماء والباحثين لتطوير عمل الوقف بما يساعده على الاستمرار و ذلك عن طريق ما سماه بعضهم: تنمية الوقف، عن طريق الاستثمار في الأملاك الوقفية، فيصبح الوقف يمول نفسه بنفسه، ثم يساهم في خلق ثروة جديدة من خلال العوائد التي تتأتى عن طريق الممتلكات التي يتم استثمارها، فتأتي بعوائد و تلك العوائد تساهم

¹ الرضا، شرح حدود ابن عرفة : (543/2).

² العبدري، التاج و الإكليل لمختصر خليل : (23 /6) . و أيضا القراني ، الذخيرة : (302/6). فيه جواز الوقف على الذمي .

في تنمية البلد، تساهم في محاربة الفقر عن طريق توزيع جزء من هذه الإيرادات الوقفية على المستحقين، و جزء آخر يتمثل في مكافئة القائمين بالشأن الوقفي.

يقول الدكتور محمد بوجلال: «وقد اقترحت فكرة المضاربة الوقفية؛ يعني أن القائمين على إدارة الأملاك الوقفية العائد يأخذونه مضاربة، أي نسبة من الأرباح التي تتأتى من خلال استثمار هذه الممتلكات. و بذلك نكون قد أصبنا عدة أهداف الهدف الأول هو تحريك المال خلق مناصب شغل، محاربة الفقر، خلق دينامكية في القطاع الثالث - الخيري التطوعي - بحيث يصبح الوقف رافدا من روافد الاقتصاد الوطني.

وهذه فكرة جديدة لم تعرف في السابق، لأن الأوقاف في شكلها التقليدي كانت تتحدث عن الأوقاف العقارية، العقار لا يمكن أن يتحول إلى ثروة متجدد، يعني الأرض تبقى أرض، والعمارة عمارة... الخ أما الوقف النامي الذي هو تعبئة مدخرات في شكل نقدي ثم توظيفها في مشاريع تنموية تؤدي بالطبع إلى ما سميت به بالتراكم الأول و التراكم الثاني: التراكم في المنبع، والتراكم في المصب، التراكم في المنبع: أن الناس يعطون صدقاتهم في شكل نقدي لمؤسسة الوقف النامي، تقوم مؤسسة الوقف النامي عن طريق بتوظيف هذه الأموال عن طريق إدارة متخصصة بصيغة المضاربة الوقفية - وهذا مصطلح جديد أضفته للقاموس الاقتصاد الإسلامي - فإدارة الوقف النامي تقوم باستثمار تلك الأموال، وعائد تلك الأموال نسبة يتفق عليها مسبقا بين جمهور الواقفين ومؤسسة الوقف النامي أو القائمين على نظارة الوقف للأموال التي تتجمع لدى مؤسسة الوقف النامي والذي يمكن تسميته التراكم الأولي أو التراكم في المنبع، يتم استثماره هذه الأموال التي تستثمر تأتي بعوائد: هذه العوائد تقسم إلى ثلاثة أوجه:

- جزء منها يذهب إلى القائمين على مؤسسة الوقف النامي، أو الإدارة، مكافئة لهم و هي نسبة يأخذونها طبقا لعقد المضاربة المتعارف عليه في الفقه الإسلامي

- جزء آخر يحتفظ به داخل المؤسسة الوقفية في صورة اهتلاكات وأرباح غير موزعة لتعزيز المركز المالي للمؤسسة الوقفية .

- وجزء يتم توزيعه على أوجه البر التي وقف الواقفون الوقف لأجله و نحن أمام فكرة جديدة تفتح الأفاق للمؤسسة الوقفية¹».

كما أن هناك طروحات جديدة لتطوير عمل الوقف منها ما سماه بعضهم البنوك الوقفية أي التي تأسس بأموال الوقف، تخضع هذه البنوك هذه في تسييرها للنظام البنكي مع تجنب المعاملة بالربا، مع اللجوء إلى استثمار هذه الأموال الوقفية لغرض تنميتها، و ناتج الاستثمار و هو الربح يتم به سد الكثير من الحاجيات التي وقف لجلها الواقفون نقودهم .

ويطرح الدكتور عبد المنعم زين الدين في دراسة له حول موضوع البنوك الوقفية نظريات جديدة في استثمار أموال الوقف و يدعو لضرورة تجاوز الأنماط القديمة لاستثمار الوقف وفق مقتضيات العصر حيث يقول: «كان تفكير الفقهاء منصرفا إلى استثمار مال الوقف لضمان استمراره أكثر من تفكيرهم بتنميته لزيادة رأس ماله، يدل على ذلك أنهم تحدثوا عن تمويل الوقف عند تدمره أو تعطله، و استبداله إذا انقطعت منفعته و لم يتحدثوا عن تخصيص جزء من إيراداته لزيادة رأس ماله»².

وقال في موضع آخر: «الأصول الوقفية القائمة إما أن تكون موقوفة للاستغلال، وإما للانتفاع المباشر، فإن كانت للانتفاع المباشر كالدار للسكنى، أو السيارة للتنقل، أو الكتب للمطالعة هذه ينتفع بها حسب شرط الواقف ولا تستغل، وأما الموقوفة للاستغلال أي أن الواقف وقفها بقصد الحصول على ريعها ثم صرفه على جهات محددة فقد اتفق الفقهاء على أنه يجب على الناظر أن يستغلها؛ لأن قصد الواقف لا يتحقق إلا بالاستغلال.

وللواقف أن يشترط في ماله الموقوف ما يشاء مما لا يخالف الشريعة الإسلامية، و من أهم ما يحقق له اشتراطه أن يشترط ما يضمن بقاء وقفه وتنميته من خلال عدة أساليب منها: استثماره بالصيغ التي يراها مناسبة، أو حسب ما يراه الناظر مناسبا. ومما يدل على مشروعية استثمار أموال الوقف أمور، منها :

¹الدكتور محمد بوجلل، عضو المجلس الإسلامي العلى، مقابلة في بيته برج بوغريجيوم : 2019/ 04 /07 . بعد صلاة الظهر .

²عبد المنعم زين الدين، البنوك الوقفية دراسة فقية اقتصادية و نموذج مقترح : (207/1).

1 - استثمار أموال الوقف وسيلة لحفظ الأوقاف من الخراب، وطريقة هامة لبقائها، حيث أن بقاء أصل الموقوف على حالة ينتفع بها هو الهدف الأول من الوقف، و تحدث الفقهاء عن استثمار هذه الأصول إن احتاجت لنفقة أو إصلاح كوسيلة لاستمرار الانتفاع بها¹.

المطلب الرابع: النذور.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٠] .

- الفرع الأول: تعريف النذر لغة، و اصطلاحا.

أولاً : النذر لغة قال ابن سيده: « النَّذْرُ النَّحْبُ، و جمعه نذور، وقد نذر على نفسه يَنْذِرُ وَيَنْذُرُ نَذْرًا وَنُدُورًا، وَالتَّذِيرَةُ الْإِبْنُ يُجْعَلُهُ أَبُوهُ قَيْمًا أَوْ خَادِمًا لِكَنِيسَةٍ وَ قَدْ نَذَرَهُ وَفِي

التَّنْزِيلِ ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥]»².

وقال الأزهري : « قال الليث: النذر: ما ينذره الإنسان، فيجعله على نفسه نجباً واجباً، وجعل الشافعي في كتاب جراح العمد ما يجب في الجراحات من الديات نذراً، وهي لغة أهل الحجاز، كذا أخبرني عبد الملك عن الشافعي؛ وأهل العراق يسمونه: الأزش»³.

ب . النذر في اصطلاح: قال الإمام المنوفي رحمه الله في الكفاية: « وشرعا التزام ما يلزم من القرب»⁴ قال الإمام الرضاع في شرح الحدود: «إيجاب امرئ على نفسه لله تعالى أمراً»⁵

قال الإمام القرافي رحمه الله: « وقال عرفة النذر ما كان وعدا على شرط فمن قال لله علي دينار صدقة فليس بنذر فإن قال إن شفي الله مريضني فهو نذر وبه قال ش ولم يجب الوفاء بغير المعلق وإن استحبه لعدم تناول النصوص إياه قال وقال جماعة من الفقهاء الوعد المجرد يسمى نذرا»⁶.

¹ المرجع نفسه : الصفحة : 196 .

² ابن سيده ، المحكم : 61/ 10

³ الأزهري ، تهذيب اللغة : 57 / 5 .

⁴ المنوفي، كفاية الطالب الرباني: (54/3) .

⁵ الرضاع ، شرح حدود بن عرفة : (1 / 218) .

⁶ القرافي ، الذخيرة : (71/4) .

الفرع الثاني: النذور أنواعها وأحكامها: «وأما المنذور فنوعان: مبهم ومعين، فالمبهم: ما لا يبين نوعه كقوله: لله علي نذر، وحكمه أن فيه في رأي المالكية¹ كفارة يمين. والمعين: أربعة أنواع: .

- الأول : قرية، فيجب الوفاء بها.

- الثاني : معصية، فيحرم الوفاء بها .

- الثالث : مكروه، فيكره الوفاء به.

الرابع : مباح، فيباح الوفاء به وتركه²، وليس على من تركه شيء .

وأما الصيغة، فنوعان أيضاً: مطلق ومقيد.

فأما المطلق فما كان شكراً لله على نعمة أو لغير سبب، مثل لله علي أن أصوم كذا أو أصلي كذا، وهو مستحب عند المالكية، ويجب الوفاء به.

- وأما المقيد: فهو المعلق بشرط، كقوله: إن قدم فلان أو شفى الله مريضى فعلي كذا. وحكمه: أنه يلزم الوفاء به بتحقيق الشرط. وهو مباح عند المالكية وقيل: «مكروه»⁽³⁾

فما يلتزمه الإنسان من النذور ذات الوصف المالي فإن لها أثراً ولا شك في دعم الخدمة الاجتماعية، وكل ما يصب في الصالح العام و يساهم في ترميم العجز المادي للأسر الفقيرة فإن مقصده تضامني وتكافلي دعت إليه السنة، مهما كانت صيغته سواء نذراً أو كفارة أو غيرها لأننا هنا ننظر إلى النتيجة والحصيلة الاجتماعية على أرض الواقع المعيش، وحسب استقرايلما تيسر من الأحاديث، فإن الاستنتاج الذي يتأكد بقوة أن كثيراً من الالتزامات ذات البعد المالي مقاصدها خدمية، وذات بعد تكافلي اجتماعي.

قال في كفاية الطالب: «وأما الصدقة إذا لم يسم شيئاً فيلزمه ثلث ماله كما سينص عليه أما

¹ قال المنوفي في الكفاية : (59/3) « ثم أشار إلى القسم الثالث بقوله: (وإن لم يسم لنذره مخرجاً من لأعمال) كقوله : لله على نذر ولم يسم هل هو صلاة أو صوم أو حج أو ما أشبه ذلك (فعليه كفارة يمين) على المذهب»

² و قال القراني في الذخيرة : (72/4) : « وأوجب ابن حنبل في نذر المباح كفارة يمين لأنها عنده واجبة في نذر المعصية ففاس المباح بطريق الأولى ولأن امرأة قالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف فقال عليه السلام أوف بنذك إلا أنه خير بين فعل المباح وبين الكفارة» .

³ الزحيلي، الفقه الإسلامي و أدلته : (468/3) .

إذا سمي فظاهر كلامه أنه يلزمه ما سماه ولو كان كل ماله، ع¹: فإن ذكر الدار ولم يكن عنده إلا هي لزمه ذلك وهذا بخلاف قوله بعد ومن جعل ماله صدقة أو هدياً أجزاءه ثلثه فقال الشيخ قوله ومن جعل إلى آخره يريد إذا جعله كله ولم يستثن منه شيئاً ولا سماه أما إذا سماه فإنه يلزمه ما سمي وهو الذي قال هنا هذا هو المشهور انتهى²»
أخرج مالك في الموطأ: «عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»³»

قال الإمام ابن بطلال: «العلماء متفقون أن الوفاء بالنذر إذا كان طاعة واجب لازم لمن قدر عليه؛ لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، وقوله: (يوفون بالنذر)، فمدحهم بذلك ، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من نذر أن يطع الله فليطعه) وإنما اختلفوا في اليمين بالطاعة، كالصدقة بالمال أو المشي إلى مكة ، فذهب مالك - رحمة الله - إلى أن اليمين بذلك كالنذر، و أن كفارتها الوفاء بها ، ورأى بعض العلماء أنها أيمان يكفرها ما يكفر اليمين وليست فيمعنى النذر فيلزم الوفاء بها، لأن النذر قصد به التبرر والطاعة لله عز وجل، وهذه الأيمان إنما قصد بها إلى أشياء من أمور الدنيا، كقولهم: مالي صدقة إن فعلت كذا . فافترقا لهذه العلة ، والله أعلم.»⁴

قال يحيى: وسمعت مالكا يقول: معنى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من نذر أن يعصي الله فلا يعصه"⁵ أن ينذر الرجل أن يمشي إلى الشام أو إلى مصر أو إلى الريدة أو ما أشبه ذلك

¹ صورة العين هكذا: "ع": يرمز به المصنف: لابن عمر، و هو يوسف بن عمر الفاسي، كان عالماً محققاً، عابداً، توفي سنة إحدى وستين وسبعمائة - 761هـ . قال الشيخ زروق: إن تقيده وتقييد الجزوي ومن في معناها لا ينسب إليهم تأليفاً، وإنما هي تقييد الطلبة. ينظر: المنوفي، كفاية الطالب الرباني . و معه حاشية العدوي: (10 / 1 - 11) ² المنوفي، كفاية الطالب الرباني: (57/3 - 58).

³ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (228/4) ، رقم الحديث : (6696) كتاب الأيمان و النذور، باب النذر في الطاعة، و مالك، الموطأ : (3 / 687)، كتاب النذور، ما يجوز من النذور في معصية الله . و هذا الحديث موجود في الطبعة التي حققها الأعظمي ؛ رواية يحيى بن يحيى ، و هو غير موجود في طبعة بشار عواد معروف للموطأ رواية يحيى بن يحيى .

⁴ ابن بطلال، شرح صحيح البخاري : 156. 155/6 .

⁵ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (228/4) ن رقم الحديث (6696)، كتاب الأيمان و النذور ، باب النذر في الطاعة ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

مما ليس لله بطاعة أن كلم فلانا أو ما أشبه ذلك فليس عليه في شيء من ذلك شيء أن هو كلمه أو حنث بما حلف عليه لأنه ليس لله في هذه الأشياء طاعة وإنما يوفى لله بما له فيه طاعة»¹.

عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل² على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد». قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم». قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوف بندرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»⁴.

وحاصل ما نصل إليه أن النذر إذا كان طاعة لله و لا معصية فيه فيجب الوفاء به، وكل نذر كان له تعلق بالإطعام أو الكسوة أو الإصلاح فهو يصب في مصب دعم الخدمة الاجتماعية و هو الملحظ الذي رمنا الإشارة إليه و هو أن وراء الأوامر النبوية مقاصد فيها المعونة و المساعدة للمجتمع فهي بذلك خدمة اجتماعية دينية .

¹ مالك، الموطأ : (687/3 - 688).

² هو كردم بن سفيان بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم الثقفي... أخرج أحمد من طريق ميمونة بنت كردم عن أبيها أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نذر نذره في الجاهلية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أوثن أو لنصب؟ قال: لا ولكن لله، قال: أوف بندرك. ينظر: ابن حجر، الإصابة: (296/5)، ترجمة رقم (7384)

³ بوانة بالضم وتخفيف الواو، هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر وقريب منها ماءة تسمى القصيبة وماء آخر يقال له الجاز، و بوانة أيضا ماء بنجد لبني جشم وقال أبو زياد بوانة من مياه بني عقيل، و بوانة أيضا ماء بنجد لبني جشم وقال أبو زياد بوانة من مياه بني عقيل. ينظر الحموي، معجم البلدان: (506 - 505/1).

⁴ أخرجه أحمد، المسند: (195/24)، رقم الحديث (15456) أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: (372)، رقم الحديث: (3313) كتاب الأيمان و النذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، و الأعظمي: المنة الكبرى شرح و تخريج السنن الصغرى للبيهقي: (544/8) كتاب الأيمان و النذور، باب من نذر أن ينحر بغير مكة فليصدق. قال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح. قال الأعظمي في المنة الكبرى: "هذا الحديث مما انفرد به أبو داود عن بقية الستة، و مسند الإمام أحمد". قلت: بل أصل متن الحديث أخرجه أحمد في المسند: (195/24) من طريق ميمونة بنت كردم عن أبيها.

المطلب الخامس : الديات ومقاصدها التعويضية كخدمة الاجتماعية في ضوء السنة .

الفرع الأول: تعريف الدية لغة و اصطلاحا.

أولا - الدية في اللغة. قال في المصباح المنير: «وَدَى القاتل القَتِيلَ يَدِيهِ دِيَةً، إذا أعطى وليه المال الذي هو بدل النفس وفاؤها محذوفة و الهاء عوض و الأصل وَدِيَةٌ مثل وَعْدَةٌ وفي الأمر: دِ القَتِيلَ بَدَالِ مكسورة لا غير، فإن وقفت قلت: دِهْ، ثم سمي ذلك المالدِيَةً تسمية بالمصدر والجمع دِيَاتٌ، مثل هبة وهبات و عدة وعدات، وأتَدَى الولي على افتعل إذا أخذ الدية ولم يثأر بقتيله¹»

قال في تاج العروس: «الدية، بالكسر: حق القَتِيلِ، والهاء عوض من الواو، ج[جمع] ديات. ووداه، كدعاه، يديه وديا ودية : إذا أعطى ديته إلى وليه؛ إذا أمرت منه قلت : د فلانا وللاثنين : ديا ، وللجماعة : دوا فلانا .²»

ثانيا - الدية في الاصطلاح.

قال الإمام الرضا رحمه الله في شرح الحدود: «الدية مال يجب بقتل آدمي حر عن دمه أو بجرحه مقدرا شرعا لا باجتهاد³» و قال أيضا: « قوله: أو بجرحه، يقال عليه أنه غير منعكس ببعض المنافع كما إذا لطمه على رأسه فأذهب سمعه فإنه لا جرح فيه وفيه دية مقدرة فلو قال بجرح أو ذهاب منفعة لصح⁴».

الفرع الثاني: نظام التعويض عن الضرر في ضوء السنة النبوية.

يقسم الفقهاء و القانونيون الضرر إلى قسمين ضرر مادي و ضرر أدبي، « و الضرر الأدبي هو ما يلحق الإنسان في شعوره وأحاسيسه، و عرضه، و سمعته، و اعتباره، من قذف أو تشهير، أو عاطفته من حذف أو حرمان، و هو كل ما يصيب الإنسان في ذمته الأدبية، و يشترط فيه أن يكون محققا و شخصا و أن لا يكون قد عوض عنه من قبل⁵»

¹ الفيومي ، المصباح المنير : 900/2 .

² الزبيدي، تاج العروس : 178 /40 .

³ الرضا ، شرح حدود ابن عرفة : 621/2 .

⁴ الرضا ، شرح الحدود : 621 /2 .

⁵ عوض أحمد إدريس، الدية بين العقوبة و التعويض في الفقه الإسلامي المقارن : الصفحة 494

وقد اختلف فقهاء القانون الوضعي في التعويض عن الضرر الأدبي والكثير منهم منع من التعويض عن الضرر الأدبي بحجة: «أن التعويض في المسؤولية مدنية يتم تقديره بقدر الضرر بعد تقويمه بالمال»¹ و هو متعذر هنا، و منهم من قال بجواز التعويض عن ضرر أدبي أدى إلى ضرر مادي حيث «أجاز التعويض في الضرر الأدبي الذي يصيب الجانب الاجتماعي من الذمة الأدبية، كالشرف و الاعتبار، لأنه يجر في العادة إلى ضرر مادي، و لم يجزه في الضرر الأدبي الذي يصيب العاطفة و الشعور، لأنه ينتهي إلى ضرر أدبي محض»²

أما في السنة النبوية المطهرة فإن الضرر الأدبي والنفسي، قابل للتعويض بصفة عامة، والدليل عليه ما ورد في قضاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعويض قوم قتلهم خالد بن الوليد حيث «بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم لِيَدِي قوما قتلهم خالدُ بن الوليد، فَأَعْطَاهُمْ مِئْلَةَ الكلبِ وعلبة الحالب ، ثم قال : هل بَقِيَ لكم شيء ؟ ثم أعطاهم بِرَوْعَةِ الخيل، ثم بقيت معه بقية فدفعها إليهم أي أعطاهم قيمة ما ذهب لهم حتَّى المِئْلَةَ ؛ وهي الظرف الذي يبلغ فيه الكلب، والعلبة، وهي محلَّب من خَشَب . ثم أعطاهم أيضاً بسبب رَوْعَةِ أصابت نساءهم وصبيانهم حين وردت عليهم الخيل وروى: بقيتُ معه بقيةً فأعطاهم إياها وقال: هذا لكم برَوْعَةَ صبيانكم ونسائكم»³.

والروعة: هي الفرع ويقابلها في عصرنا ما يسمى الآثار السيئة للصدمة النفسية الناجمة عن الغارات والحروب، والتي في الغالب يروح ضحيتها الأطفال الصغار والصبيان، لعدم اكتمال نموهم النفسي، وهذا السبق من قضاء علي رضي الله عنه مستمد من مشكاة النبوة وآثار المرحمة المحمدية. وهو سبق لم تعرفه البشرية حتى عصرنا الحاضر فليس هناك تعويض للنساء و الأطفال والنساء جراء الصدمات النفسية للحروب وروعاتها.

¹ المرجع نفسه : الصفحة 495

² المرجع نفسه : الصفحة 496

³ الزمخشري، الفائق في غريب الحديث: 81/4، و الطبري، تاريخ الرسل و الملوك : (67/3) ابن كثير ، البداية و النهاية : (600/6). مع اختلاف قليل في السياق .

ولقد ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تحدثت عن النظام التعويضي لمن تعرض لاعتداء أو حادث ألحق به ضرراً أو عاهة، قد اختلفت مآخذ الفقهاء في الأخذ بهذه الأحاديث، ومن ثم تعددت الآراء في فقه هذه الأحاديث، والذي يهمننا في هذه الدراسة هو بيان أن هذه الأحاديث تمثل ثروة قانونية للمسلمين رائعة كي يستعاض بها المسلمون عن نظام التأمين الوضعي الحديث، أو التعويض بالمفهوم الغربي لكن لا بد لها من مؤسسة مالية تحتضنها وإطار قانوني يوظفها، ومن ثم يتم الاستفادة من ريعها لتمويل الإعانات الموجهة للمعاقين والعاجزين، جراء الحوادث، وهذا النظام التعويضي النبوي لا ينبغي أن نفهم منه جانب العقوبة فقط، أو جانب التعبد كما يقول بعضهم، وإنما ينبغي أن نفهم منه القصد الحقيقي وهو الإعانة والإرفاق والمساعدة الاجتماعية، لذلك نجد السادة المالكية يقدمون في باب الكفارات الإطعام على غيره، وذلك للمقاصد الاجتماعية التي يحققها، فنظرة سريعة للأحاديث التي تتكلم عن المقادير المحددة كدية للأعضاء نجد أنها تلاحظ أهمية العضو وثمرته وقيمه، كما هو معمول به في بعض التشريعات الحديثة في نظام التأمين.

وسنورد جملة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن التعويضات المقدرة لشئى الحوادث من قتل أو جراح، وفي ضوئها نفهم المقصد الشرعي الذي من أجله شرعت هذه الديات. وليس غرضنا في الفروع الموالية وذكر أحاديث الديات والجراح وغيرها التقصي و ذكر ما فيها من الفقه والاختلاف، فقد تولى الفقهاء والمحدثون القدامى والمحدثون شرح ذلك في المطولات، وإنما الغرض هو ذكرها باختصار للتنبه على الجانب التعويضي المقصود في السنة النبوية، وأثر هذه التعويضات على الحياة الاجتماعية للفرد وكيف يمكن في عصرنا أن نحول هذه النصوص النبوية الشريفة إلى ثروة قانونية في باب التعويضات عن الأضرار تصير قوانين ملزمة، تنجر عنها فوائد وتعوضات تنعكس على الحياة الاجتماعية للمتضررين، و بالتالي نصل إلى فهم فلسفة الديات، و أنها جزء من مهام الخدمة الاجتماعية في منظور السنة النبوية حسب ما أراه و الله أعلم وأحكم .

و في البنود الموالية نقف على جوانب مهمة من التعويض الخدمي في ضوء السنة النبوية .

أولاً : دية النفس.

قد رفعت السنة النبوية التعويض عن النفس البشرية إلى أعلى مستوياته حيث أنها جعلت دية القتل الخطأ مائة من الإبل، على اختلاف بين أسنانها - أعمارها -، و هي بالقيمة النقدية في عصرنا تساوي ثروة محترمة تكفي لتغطية نفقات الأسرة مدة من الزمن يختلف تقديرها حسب مستوى النفقة، و على المتوسط لو فرضنا أن أسرة توفي الأب المعيل لأسرة تتكون من سبعة أفراد أو أكثر - الورثة أو العصبه - فإن الدية التي ورد العمل بها تكفيهم لسنين عديدة و تجعل منهم أغنياء وميسورين اجتماعياً.

لكن الملاحظ الموضوعي يقر أن النظام التعويضي الوضعي فيه ظلم كبير حيث أن ما تعطيه المؤسسات التأمينية للأسرة المتضررة من حادث الوفاة، أو العطب، سواء كان قتل خطأ أو حادث عمل، فإن التعويض الممنوح من المؤسسات التأمينية لا يفي النفقات الضرورية للأسرة المتضررة، إضافة إلى أن الكثير من الدول الإسلامية تركت العمل بالدية الشرعية و اكتفت بصلح لا تساوي قيمته التعويضية شيئاً يذكر .

و لتفادي الكثير من الغمط الواقع في حياة الناس، و ما انجر عليه من ويلات اجتماعية تعرض بسببها الكثير من الأسر الفقيرة للضياع والتشرد، بسبب فقد المعيل فإن الحل في تفعيل النظم المالية المتعلقة بالديات الواردة في السنة النبوية المطهرة حيث يمكن عن طريق الخبراء في الاقتصاد والإدارة والنظم المالية العصرية، أن يطوروا نظاماً تعويضياً خاصاً بالديات، و الجراح يرقى إلى مستوى مؤسسة مالية مستقلة، متخصصة في رعاية الأسر التي تعرضت لما يوجب الدية الشرعية، و تبناها الدولة، لأن النبي صلى الله عليه و سلم كان يشرف شخصياً على مثل هذه الأمور وكان يرأسل الأمراء و يحدد مقادير الديات في القتل الخطأ والجراح وغيرها ويشهد لذلك كتاب عمرو بن حزم في الديات¹ .

¹ كتاب عمرو بن حزم في الديات أخرجه سائر أئمة الحديث وقد اعتمنى يجمع طرقه الإمام النسائي في سننه و سنذكر بعض ألفاظه في موضعه. وقد نشر الدكتور عبد الله بن عساف اللحياني، - بمجلة الأحمديّة العدد السابع، 1422هـ، تصدر عن دار البحوث بديي -؛ دراسة نقدية تحت عنوان : أسانيد كتاب عمرو بن حزم رضي الله عنه . وقد تقصى الباحث أسانيد ومرويات كتاب عمر بن حزم و توصل الباحث في نهاية بحثه إلى جملة ملاحظات نورد أهمها :
أ - ثبوت أن النبي صلى الله عليه و سلم كتب لعمر بن حزم رضي الله عنه كتاباً ، حينما وجهه إلى اليمن =

و كما قلت فإن الدية الشرعية على العاقلة، و يمكن كما قلت استحداث طرق لتحصيلها ولو عن طريق فرض رسوم شهرية معقولة على أفراد عاقلة القاتل خصوصا الأغنياء، يراعى فيها مستوى دخل الفرد، و يكون تحصيلها لفائدة هذه المؤسسة المالية الخاصة بالديات، و يتم تحصيل الدية و لو على التراخي لسنين، و الدخل المتراكم في المصوب كل شهر يصرف لفائدة الأسرة المتضررة - أسرة المقتول خطأ - أو الجريح الخ .

قال الإمام ابن بطلال رحمه الله: «وأجمعوا أن الدية تقطع في ثلاث سنين للتخفيف على العاقلة ليجمعوها في هذه المدة.¹» مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الغرامة المفروضة على العاقلة مدة هذه السنوات الثلاث، و قد يزداد فيها للمصلحة، لا تتجاوز مقدار الدية الشرعية، وهي حسب المقادير المقدرة في الديات سواء جراحا أو قتل خطأ .

و الدية على العاقلة لحديث: أبي الزبير أنه سمع جابرا يقول: «كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة، ولا يحل لمولى أن يتولى مسلما بغير إذنه²»

قال الإمام النووي رحمه الله: «ومعناه أن الدية في قتل الخطأ وعمد الخطأ تجب على العاقلة وهم العصبات سواء الآباء والأبناء وان علوا أو سفلوا³»

= ب - لم تثبت رواية كتاب ابن حزم من طريق الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود عن الزهري، بل هي رواية أهلها الحفاظ، و قد أخرجها النسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، و هي رواية طويلة شاملة .

ت - الرواية المحفوظة للحديث هي : عن محمد بن بكر عن يحيى بن حمزة عن سليمان بن أرقم عن الزهري، و هي ضعيفة جدا لأن سليمان بن أرقم متروك، وهي متطابقة في ألفاظها مع الرواية السابقة.

ث - تبين من البحث أن أقوى الروايات المرسلة ؛ رواية الزهري التي يذكر فيها أنه وقف على كتاب ابن حزم و أنه قرأه بنفسه .

ج - لحديث عمرو بن حزم الطويل الذي رواه يحيى بن حمزة شواهد في السنة ، فما من فقرة أو جملة إلا و لها ما يشهد لها . و لعل من صحح الحديث نظر إلى هذه الجهة . قلت: هذه بعض النقاط . و من أراد التوسع فليراجع الدراسة المشار إليها آنفا .

¹ ابن بطلال، شرح صحيح البخاري : 8 / 550 .

² أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : 704 ، رقم الحديث : 1507 كتاب العتق ، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، والنسائي، سنن النسائي: 422/8، رقم الحديث: 4844 ، كتاب القسامة ، صفة شبه العمدة و على من دية الأجنة ... و اللفظ للنسائي ، زاد مسلم : " ثم أخبرت أنه لعن في الصحيفة من فعل ذلك " .

³ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي : 150/10 .

قال في المعتصر من المختصر: «فيه دليل [حديث: **على كل بطن عقولة**] على ما كان فقهاء الكوفة والمدينة عليه من تحميلهم الأرواح على عواقل الجاني الذين يجمعهم البطن الذي هو منه إلا أن يعجزوا عن ذلك فيضم إليهم أقرب البطون إليهم فيه حتى يعقلوا عنهم **الواجب** لأن في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **جنايات كل بطن على ذلك البطن** من غير اعتبار الأقرب فالأقرب بالجاني بخلاف ما قال غيرهم منهم الشافعي أن معرفة العاقلة أن ينظر إلى أخوة الجاني لأبيه فيحملون أرش جنايته فإن لم يحملوها رفعت إلى بني جده لأبيه ثم هكذا لا ترتفع إلى بني أب حتى يعجز من هو أقرب منه عما يحمل عن الجاني من ذلك لأن هؤلاء جميعا وإن تباينوا في القرابة من الجاني بالقرب والبعد فهم من أهل البطن الذي هو منه»¹

وهذا الذي ذكرته هو مجرد تصور فقط في مثل هذه السنة المتروكة دون مبرر ظاهر، لأنه من منطلق الواقع الذي نعيشه فإن المجتمع يمارس الكثير الأخطاء في حق ذرية القتل، فمن خلال ما نعيشه في واقعنا المعاصر خصوصا في القتل الخطأ الناجم عن حوادث المرور، فإن مجتمعنا الجزائري مثلا يكتفي في الغالب في باب الدماء، بمبلغ زهيد يسمى صلحا بين الأسرتين، لكن الشيء الذي نسيه المجتمع هو: ما مصير أولاد المقتول، إن كان المتوفى أبا، لا شك أنهم سيكونون عرضة للكثير من الضياع الاجتماعي وتردي الوضع المادي، نظر لعدم توفر الكافل والمعيل، ولو أن المجتمع قام بواجبه الاجتماعي ودفع الدية لكانت عوننا لهم بعد وفاة والدهم السنة النبوية المطهرة عندما رفعت سقف الدية إلى المستوى المطلوب ففيه مقاصد جمّة منها ردع الجناة، حفظ حقوق فقراء المسلمين من أطفال، وبنات، وأرامل، فمما لا شك فيه أن الديات من مقاصدها المقصد الخدمي الاجتماعي، ولو أننا أولينا باب الديات العناية اللازمة وفق ما يقتضيه مقتضيات العصر ومستجداته، فستحفظ، بمشيئة الله، حقوق الكثير من الشرائح الاجتماعية، خصوصا الهشة منها.

وهذه الخدمة الاجتماعية المتعلقة بالنظام التعويضي في باب الديات و العقول إنما هي في عنق الدولة و الحاكم و هو من يقع على عاتقه تفعيل هذه المؤسسات المالية وفق ما يراه مناسبا لخدمة المجتمع و الله تعالى أعلى و أعلم .

¹ الحنفي، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار: 2/ 108، باب في العاقلة.

وسوف نسوق جملة من الأحاديث النبوية الشريفة التي نتأكد في ضوءها على أن الديات هي مؤسسة نبوية اجتماعية ذات أبعاد خدمية ، قد أهملناها في عصرنا .

فمن الأحاديث الواردة في العقل و دية القتل :

عن « أبي جحيفة قال: سألت علياً رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن، وقال مرة ما ليس عند الناس فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن - إلا فهما يعطى رجل في كتابه - وما في الصحيفة قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.»¹

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «أجمع العلماء على القول بالعقل في الخطأ لثبات ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى مالك، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول: «أن في النفس مائة من الإبل، وفي الأنف إذا أذعى² [أوعى] جدعا مائة من الإبل، وفي المأمومة ثلث الدية، وفي الجائفة مثلها، وفي العين خمسون، وفي اليد خمسون، وفي كل أصبع مما هنالك عشر من الإبل، وفي السن خمس، وفي الموضحة خمس³» أرسل مالك حديث العقول، وزاد فيه معمر عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه عن جده، إن كان جده لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما الذي أدركه عمرو بن حزم، وفي إجماع العلماء على القول به ما يغني عن الإسناد فيه . واختلف العلماء في هذا الحديث في الإبهام وفي الأسنان على ما تقدم قبل هذا، وأجمعوا على ما في سائر الحديث من الديات، قال وجعل النبي صلى الله عليه وسلم في النفس مائة من الإبل، وقومها عمر بن الخطاب بالذهب والورق، فجعل على أهل الذهب ألف دينار⁴، وعلى أهل الورق اثنا عشر

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 274/4 - 275، رقم الحديث: 6903، كتاب الديات، باب العاقلة

² في الموطأ: " أوعى " و لعل ما في شرح ابن بطال خطأ مطبعي .

³ أخرجه مالك، الموطأ: 417 / 2 . كتاب العقول، ذكر العقول . طبعة بشار عواد معروف .

⁴ و هو ما يقابل أربعة كيلو غرامات و ربع الكيلو غرام، على أساس أن الدينار الشرعي الواحد يزن 4,25 غرام - ذكر هذا التقدير القضاوي في فقه الزكاة - 222/1، و هذا أخذاً في الاعتبار ان نصاب الزكاة في الذهب هو : 85 غرام، و في عصرنا و يقدر هذا المقدار 1000 دينار، بالنقود حسب سعر الذهب في السوق صعوداً و نزولاً، و هي نسبة تفوق الملياري سنتيم بالعملة الوطنية الجزائرية .

ألف درهم . وقال مالك : أهل الذهب أهل الشام ومصر وأهل الورق أهل العراق، كان صرفهم ذلك الوقت الدينار باثني عشر درهما ، وكانت قيمة الإبل ألف دينار، وإنما تقوم الأشياء بالذهب والورق خاصة على ما صنع عمر، هذا قول مالك والليث والكوفيين وأحد قولي الشافعي . وقال أبو يوسف ومحمد: يؤخذ في الدية أيضا البقر والخيل والشاة، وروي عن عمر أيضا، وبه قال الفقهاء السبعة المدنيون . وقد قال مالك: لا يؤخذ في الدية بقر ولا غنم ولا خيل إلا أن يتراضوا بذلك فيحوز، ولو جاز أن يقوم بالشاة والبقر والخيل لوجب تقويمها على أهل الخيل بالخيل، وعلى أهل الطعام بالطعام، وهذا لا يقوله أحد»¹

وفي رواية الإمام النسائي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كتب إلى أهل اليمن كتابا فيه الفرائض، والسنن، والديات، وبعث به مع عمرو بن حزم، فقرئت على أهل اليمن، هذه نسختها : من محمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والحارث بن عبد كلال قيل ذي رعين، ومعافر وهمدان.

أما بعد. وكان في كتابه: أن من اعتبط² مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود إلا أن يرضى أولياء المقتول، فإن في النفس الدية، مائة من الإبل، وفي الأنف إذا أوعب جدعه الدية، وفي اللسان الدية، وفي الشفتين لدية، وفي البيضتينالدية، وفي الذكر الدية، وفي الصلب الدية، وفي العينين الدية، وفي الرجل الواحدة نصف الدية، وفي المأمومة³ ثلث الدية، وفي الجائفة⁴: ثلث الدية وفي المُنْقَلَة⁵ خمس عشرة من الإبل، وفي كل أصبع من أصابع اليد والرجل : عشر من الإبل وفي السن خمس من الإبل، وفي الموضحة : خمس من الإبل، وأن الرجل يقتل بالمرأة، وعلى أهل

¹ ابن بطال شرح صحيح البخاري: (8 / 548. 549).

² قال السندي في حاشيته على النسائي: (8 / 429): «يقال عبطت الناقة إذا ذبحتها من غير مرض، أي من قتله بلا حناية ولا جريرة» .

³ أي الشجة التي تصل إلى أم الدماغ. ينظر السندي في حاشيته على النسائي : 429/8 .

⁴ أي الطعنة التي تصل جوف الرأس او جوف البطن . السندي ، الحاشية على النسائي : 429/8 .

⁵ و هي الشجة التي يخرج منها صغار العظم و ينقل عن مكانه . ينظر السندي، الحاشية على النسائي : 429 / 8

الذهب ألف دينار»¹. وساق الإمام النسائي بعده اختلاف الرواة في ألفاظه واستقصى ذلك غاية الاستقصاء .

وفي هذا الأدلة القاطعة على أن النظام التعويضي هو شأن من شؤون الدولة الذي ينبغي أن يكون نابعا من صميم دينها وما تمليه شريعة الإسلام هو اهتمام رسول الله شخصيا بمثل هذه الأمور و كان صلى الله عليه و سلم، يرأسل الأمراء و العمال في القطار الإسلامية و يحدد مقادير التعويضات و هذا الحديث يمثل نموذج لمدى عناية السنة النبوية بهذه الأمور .

وجاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن من قتل خطأ، فديته من الإبل مائة : ثلاثون بنت مخاض، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حقة ، وعشرة بني لبون ذكر»².

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «في دية الخطأ عشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون وعشرون بني مخاض ذكر، وهو قول عبد الله»³.

- وأخرج ابن حبان عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما افتتح مكة قال: «لا إله إلا الله صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة تحت قدمي هاتين إلا السدانة والسقاية، ألا إن قتيل الخطأ شبه العمد قتيل السوط و العصا [دية] مغلظة، منها أربعون في بطونها أولادها»⁴

¹ أخرجه النسائي، سنن النسائي: (8/ 428 - 429). رقم الحديث: (4868)، كتاب القسامة، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول و اختلاف الناقلين له. عن الحكم بن موسى قال حدثنا يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن جده.

² أخرجه أبو داود، سنن أبي داود : الصفحة : 497 . رقم الحديث : 4541 ، كتاب الديات ، باب الدية كم هي

³ أخرجه أبو داود سنن أبي داود : الصفحة : 497 . رقم الحديث : 4545 . كتاب الديات باب الدية كم هي والترمذي، سنن الترمذي : 10/4 ، رقم الحديث : 1386 ، كتاب الديات ، باب ما جاء في الدية كم هي من الإبلواللفظ لأبي داود . و النسائي ، سنن النسائي : 413/8 رقم الحديث 4816 ، كتاب القسامة ، ذكر أسنان دية الخطأ

⁴ أخرجه ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : 464/13 ، رقم الحديث 6011 ، كتاب الديات ، ذكر وصف الدية في القتل الخطأ الذي يشبه العمد .

ثانيا: دية الأعضاء .

لقد أولت السنة النبوية اهتماما بباب التعويض عن الأضرار اللاحقة بجسم الإنسان، لما للسلامة من العيوب من حسنات على المستوى الاجتماعي للفرد، و عليه فقد عوضت النقص الطارئ بغرامة يتلافى بها ذلك النقص على حسب أهمية العضو، فمن السنة في ذلك :
عن سليمان بن يسارقال: «إن زيد بن ثابت كان يقول في العين القائمة إذا طفئت: مائة دينار»¹.

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : «قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في العين القائمة السادة لمكانها بثلث الدية»².

- عن أبي غطفان بن طريف المري «بعثه مروان إلى ابن عباس يسأله : ماذا في الضرس؟ فقال ابن عباس : فيه خمس من الإبل . قال : فردني مروان إلى ابن عباس، وقال : أتجعل مقدم الفم مثلاً لاضرأس؟ ! فقال ابن عباس: لو لم تعتبر [ذلك] إلا بالأصابع، عقلها سواء»³

- وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«دية اليدين والرجلين سواء: عشرة من الإبل لكل إصبع»⁴ ولفظ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قال:«هذه و هذه سواء يعني الخنصر و الإبهام»⁵.

¹ أخرجه مالك، الموطأ : 2 / 427 ، كتاب العقول ، ما جاء في عقل العين إذا ذهب بصرها .

² أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : 499 ، رقم الحديث : 4567 ، كتاب الديات ، باب ديات الأعضاء .

³ أخرجه مالك ، الموطأ : 2 / 432 ، كتاب العقول ، العمل في عقل الأسنان .

⁴ أخرجه ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : 13 / 366 ، رقم الحديث : 6012 ، كتاب الديات ، باب ذكر الأخبار عما يجب على المرء من الدية في قطع أصابع أخيه المسلم .

⁵ أخرجه البخاري الجامع الصحيح : 4 / 271.272 ، رقم الحديث 6895 ، كتاب الديات باب دية الأصابع .

ثالثاً: دية الجراح. وكذلك في التعويض عن الجراح اللاحقة ببدن الإنسان من الجراح والشحاح ففيها: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «في المواضع¹ خمس خمس»².

رابعاً: دية الجنين. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها، فقتلتها وما في بطنها، فاخصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بغرة بغرة³ عبد أو أمة⁴».

وعن «أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قضى في جنين امرأة من بني لحيان بغرة عبد أو أمة ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ميراثها لبنيتها وزوجها وأن العقل على عصبتها»⁵

أخرج مالك في الموطأ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن انه كان يقول: الغرة تقوم خمسين دينارا أو ست مئة درهم، ودية المرأة الحرة المسلمة خمسمائة دينار أو ستة آلاف درهم. قال مالك فدية جنين الحرة عشر ديتها، والعشر خمسون دينارا أو ستمائة درهم⁶»

¹ قال ابن الأثير: «وفي حديث الشحاح ذكر [الموضحة] في أحاديث كثيرة. وهي التي تبدي وضخ العظم: أي بياضه. والجمع: المواضع. والتي فرض فيها خمس من الإبل هي ما كان منها في الرأس والوجه. فأما الموضحة في غيرها ففيها الحكومة». ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: 429/5. قلت: والحكومة تقدير من القاضي، يراه مناسبا كتعويض عن الجرح، ويستعين القاضي بالخبراء في زماننا.

² أخرجه أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: 499، رقم الحديث: 4566 كتاب الديات، باب ديات الأعضاء و الترمذي، سنن الترمذي: 13/4، رقم الحديث: 1390، كتاب الديات، باب ما جاء في الموضحة

³ قال الإمام الرصاص: «قال الشيخ رضي الله عنه: الغرة دية الجنين المسلم الحر حكما يلقي غير مستهل بفعل آدمي الغرة في اللغة معلومة وفي الشرع ما رسمها به قوله " دية " أتى بنجس الدية لأنها من الدية وظاهره أن حد الدية صادق مما ذكر وتقدم ما فيه ويظهر أنه لا بد من الزيادة وبذلك يكون حد الدية صادقا عليها ولذا حسن الإتيان بها في باب الدية قوله " الجنين " أخرج به غير الجنين والجنين معلوم شرعا قال رحمه الله قال في المدونة ما علم أنه حمل وإن كان مضغة أو علقة أو مصورا» ينظر الرصاص (المتوفى: 894هـ)، شرح حدود ابن عرفة: 623/2. 624.

⁴ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 257/4، رقم الحديث: 6904، كتاب الديات، باب جنين المرأة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁵ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 257/4، رقم الحديث: 6909، كتاب الديات، باب جنين المرأة و أن العقل على على الوالد وعصبة الوالد لا على الولد، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁶ أخرج هذا الأثر مالك الموطأ: (2/424)، كتاب العقول، عقل الجنين.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «واختلف العلماء في الغرة وقيمتها فقال مالك : الغرة تقوم بخمسين دينارا أو ست مائة درهم نصف عشر دية الحر المسلم الذكر وعشر دية أمه الحرة وهو قول ابن شهاب وربيعة وسائر أهل المدينة وقال أبو حنيفة وأصحابه وسائر الكوفيين قيمة الغرة خمسمائة درهم وهو قول إبراهيم والشعبي ... قال مالك إذا سقط الجنين فلم يستهل صارخا ففيه الغرة وسواء تحرك أو عطس ففيه الغرة أبدا، حتى يستهل صارخا "فإن استهل صارخا" ففيه الدية كاملة وقال الشافعي وسائر الفقهاء إذا علمت حياته بحركة أو بعطاس أو باستهلال أو بغير ذلك مما تستيقن به حياته ثم مات ففيه الدية "كاملة" ...

واختلفوا في الذي تجب عليه الغرة فقال مالك وأصحابه: هي في مال الجاني، وهو قول الحسن بن حي، ومن حجتهم في ذلك رواية من روى هذا الحديث فقال: الذي قضى عليه كيف أغرم وهذا يدل على أن الذي قضى عليه معين، وأنه واحد، وهو الجاني، لا يعطي ظاهر هذا اللفظ غير هذا، ولو أن دية الجنين قضى بها على العاقلة؛ لقال في الحديث فقال "الذين" قضى عليهم وفي القياس إن كان جان جنايته عليه إلا ما قام بخلافه الدليل الذي لا معارض له مثل إجماع لا يجوز خلافه وقال الشافعي وأبو حنيفة وأصحابهما الغرة على العاقلة...»¹

خامسا : قيمة الدية في عصرنا.

بما أن مسائل الدية في عصرنا أضحت من المسائل الشائكة التي تحير فيها الفقهاء والقضاة الشرعيون وذلك للمتغيرات التي طرأت عليها « ذلك أن الإبل قد طردتها من الميدان السيارات النارية ؛ فقلت الإبل وارتفعت قيمتها كثيرا وكذلك لغنم والبقر، ثم إن الذهب قد أصبح أهم سلعة استراتيجية مقياسية في عصر التضخم النقدي من العملات من العملات الورقية حيث حلت المطابع محل مناجم الذهب والفضة فأصبح قيمة الورق النقدي (أي قوته الشرائية) في هبوط مستمر ... إن قيمة مائة من الإبل في العصر الحاضر قد أصبح فيها بالنسبة للمكلف العادي إرهاق لا يطاق وكذلك ألف مثقال من الذهب ... بينما هبطت قيمة الفضة بالنسبة إلى الذهب فاختلفت النسبة بينهما اختلافا كبيرا... و ترتب على ذلك ان الحكم على المكلف في الدية بالإبل أو البقر أو الغنم أو بقيمتها في الأسواق المالية أصبح حملا مبهضا جدا ... ونظام العوائل القائم على العصبوبة والعصبية قد زال في مراكز التحضر ولم يبق له معالم واضحة

¹ ابن عبد البر التمهيد : (482/6 - 484).

... تجاه كل هذه المتغيرات أصبحت قضية الدية مشكلة من قضايا الساعة¹. «إنه يتعين في عصرنا أن يشرف عليها فريق من الخبراء و القضاة الشرعيين و تسن فيها القوانين التي يتم بموجبها تحديد مقدار الديات على حسب المتعلق من قتل أو جراح على أنواعها، ولا بأس يجتهد أهل الاجتهاد في أعمال القيمة في المسائل التي ورد فيها النص لأن العبرة هو تحقيق قصد الشارع من سد الخلة و إذهاب ضغائن النفوس، فكل ما يحقق قصد الشارع فلا بأس بهويتولى تحديد المقدار المالي للدية في عصرنا لجنة من الخبراء من اقتصاديين واجتماعيين وإداريين وغيرهم، مع مراعاة ماورد في السنة النبوية من الحكام وتحديد البدل والقيمة وفقا لذلك. فهذا أمير المؤمنين عمر كان يشرف على تقدير الدية حسب ما استجد في عصره رضي الله عنه وهو المحدث الذي يستقي من مشكاة النبوة رضي الله عنه و أرضاه

فقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قوم الدية أي أعمل فيها القيمة باعتبار أن أصلها هو الإبل بحسب أسنانها، فعندما ارتفعت قيمة الإبل زاد قيمة الدية. قال مالك رحمه الله إن عمر رضي الله عنه، قوم الدية على أهل القرى فجعلها على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم». قال مالك: فأهل الذهب: أهل الشام، وأهل مصر، وأهل الورق: أهل العراق².

وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخلت المنسوجات وكثرت في البلاد الإسلامية أضاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحلل و هي رداء و إزار³.

ويرى الشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله: أن الأصل في تقدير الدية هو قيمتها المالية، و ليست الأصناف مقصودة لذاتها، كما أن الأصناف التي حددها النبي صلى الله عليه و سلم كانت متقاربة في قيمتها المالية أو متساوية إذ لا يعقل أن يحدد النبي صلى الله عليه و سلم الدية من أصناف تتفاوت قيمتها تفاوتاً فاحشاً، إذن فالنتيجة التي نصل إليها هي أن القيمة المالية للأصناف هو الأساس في تحديد الدية وهذه القيمة تتغير من عصر إلى آخر، فالإبل كما يرى الزرقا لا يمكن اعتبارها دائماً هي الأصل في تقدير القيمة « ومعنى ذلك أن تقدير الدية بالإبل

¹ الزرقا، دية النفس الشرعية و كيف نقدرها في هذا العصر، مجلة المجمع الفقهي، العدد الثالث: الصفحة (81 - 82)

² أخرجه مالك الموطأ: (2/418)، كتاب العقول، العمل في الدية.

³ الزرقا، دية النفس الشرعية و كيف نقدرها في هذا العصر، مجلة المجمع الفقهي، العدد الثالث: الصفحة(69).

هو إلحاق لها بالأصول في التقدير على سبيل الاستثناء في خصوص الدية لغرض تيسير الأداء فهي أصل ملحق و ليست أصلا أصيلا وإنما الأصل الأصيل هو النقدان¹. ولقد اقترح الشيخ مصطفى الزرقا ثلاثة مسالك لتقدير الدية في عصرنا . مع التأكيد على أن هذه المقترحات تقابلة للتجديد من طرف خبراء المالية والاقتصاد، دعما لروافد تمويل الخدمة الاجتماعية من منظور السنة المشرفة .

وسأحاول أن اختصر هذه المسالك الثلاثة التي ذكرها الأستاذ الزرقا، لتقدير الدية في عصرنا. **المسلك الأول:** هو أن تقدر الدية **بمتوسط قيمة كل من ألف مثقال من الذهب، وعشرة آلاف درهم من الفضة (الدرهم الشرعي)**. فتقديرها بالذهب وحده إرهاب للمكلف وتقديرها بالفضة وحدها إجحاف في حق المتضرر، فيجمع بينهما ويؤخذ متوسط قيمتها في السوق.

المسلك الثاني: أن نعتبر مالية الإبل في الوقت والبيئة ، بمعنى أن ننظر إلى مبلغ ماليتها في الوفاء بالحاجات الأساسية في صدر الإسلام وللوصول إلى هذه القيمة، وجدنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدر عدد المشركين القادمين إلى بدر لقتال المسلمين بحسب ما كانوا ينحرون من الإبل لطعامهم كل يوم فقدر لكل مائة رجل بعيرا ، و كذلك خصص عمر للمقاتلين لكل مائة رجل بعيرا كطعام يومي .

عليه نستنتج أن مائة من الإبل (مقدار الدية) تكفي لإطعام عشرة آلاف شخص، يوما واحدا فماليتها وقيمتها الشرائية هي في إطعام عشرة آلاف شخص يوما واحدا. فيقدر الخبراء في كل بلد القيمة الغذائية للفرد ليوم واحد و يضرب في عشرة آلاف فنتحصل على مقدار تقريبي للدية، و يكون هذا المقياس ثابتا من حيث المبدأ متغيرا من حيث القيمة بالعملة الورقية من بلد لآخر.

- **المسلك الثالث:** وهو أن نجمع جميع الأصناف التي حددت لتدفع في الدية من إبل وبقر وغنم وفضة وذهب وحلل، وتقدر قيمتها في السوق المالية الحالية والنتيجة تقسم على العدد ستة (6) والنتيجة هي مقدار الدية².

¹ المرجع نفسه، الصفحة: 73.

² المرجع نفسه: الصفحة 74-76، بتصرف.

يقول الأستاذ مصطفى الزرقا: « إن المسلكين الأول والثالث على معقوليتهما سيختلف فيهما تقدير الدية بين يوم وآخر بسبب تقلب سعر الذهب باستمرار في أسواق المال العالمية أما المسلك الثاني فهو أعدل وأدق و تقدير مبلغ الدية فيه يستقر مدة طويلة ولا يحتاج إلى تعديل إلا كل بضع سنوات لذا أرى أن المسلك الثاني في تقدير الدية هو الأفضل والله سبحانه أعلى وأعلم¹ . »

قلت: والمعضلة الكبرى لم يتحدث عنها الأستاذ الزرقا رحمه الله؛ وهي ما هي طريقة تحصيل هذه الأموال، خصوصا في زمننا هذا الذي تغيرت في البنية الاجتماعية، وقد سبق وأشرنا إلى المقترح في ذلك، وهو أن تلحق هيئة تحصيل الديات التابعة لمؤسسة الخدمة الاجتماعية بالمنظومة المالية والمصرفية، ويتم تحصيلها بنظام الاقتطاع الشهري من دخل الفرد ومستحقاته المالية كالمنح مثلا، مع احتساب قدرة المساهمة لكل فرد وهو أمر ميسور في عالم اليوم، وبه يتم تحصيل الدية في وقت وجيز، والله تعالى أعلى وأعلم.

¹ المرجع نفسه: الصفحة: (76- 77). بتصرف

المطلب السادس: الحق من بيت المال لدعم الخدمة الاجتماعية.

الفرع الأول: المال العام في منظور السنة النبوية.

إن منظور السنة النبوية إلى المال العام هو أنه مال الله، وهو أصل قرآني، فالإنسان مستخلف فيه ليس له حق الاستبداد في التصرف، إلا وفق ما تمليه حدود الشريعة في تنظيماتها وتشريعاتها في باب الأموال والمعاملات، فعن مالك بن أوس بن الحدثان¹ رضي الله عنه قال: أرسل إلي عمر، فجيئته حين تعالي النهار وفيه حكاية تخاصم علي بن أبي طالب والعباس عم النبي عليه السلام في تركة النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم عمر في حديث طويل جرى بينهم: «... فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حياته. و عند أبي داود بلفظ ثم يجعل ما بقي أسوة المال..»². الحديث. ففي الحديث تسمية المال العام: مال الله، بمعنى ان من يليه يحكم و يتصرف فيه بما أمر الله بما يسد به حاجات خلق الله

إن للمال العام حرمة عظيمة في نظر الإسلام و ما فتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من استحلال المال العام و من الغلول في أحاديث كثيرة نورد بعضها منها: - عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من انتهب فليس منا»³ وعند

¹ هو مالك بن أوس بن الحدثان بن الحارث بن عوف النصرى يكنى أبا سعيد، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وذكره محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأحمد بن صالح المصري في الصحابة. قال ابن حجر: "وروى أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدثان قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: وجبت وجبت الحديث، قال بن رشد بن سألت أحمد بن صالح عن هذا الحديث فقال: هو صحيح، قال أبو عمر لا أحفظ له خبرا في صحبته أكثر مما ذكرت، قال البخاري: "وقال بعضهم له صحبة ولم يصح"، توفي سنة اثنتين وتسعين وقيل وخمسين وهو بن أربع وتسعين ينظر: ابن حجر الإصابة: 18/6. و البخاري، التاريخ الكبير: 7/4/1/305.

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 98/3، رقم الحديث 4033، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير. و أبو داود سنن أبي داود: الصفحة: 335، رقم الحديث: 2963، كتاب الخراج باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال. كلاهما عن مالك بن أوس بن الحدثان. في رواية البخاري بلفظ: "مجعل مال الله".

³ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 154/4. رقم الحديث: 1601، كتاب السير، با ما جاء في كراهية النهبة. قال

الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أنس، والحديث صححه الشيخ الألباني: في صحيح سنن الترمذي: (210/2).

ابن حبان: عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «من انتهب نهبه فليس منا»¹

وعن أبي هريرة، قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خير، ففتح الله علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع، والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له، وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد، من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله، فزُمي بسهم، فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتنتهب عليه نارا، أخذها من الغنائم يوم خير، لم تصبها المقاسم» قال: ففرع الناس، فجاء رجل بشراك، أو شراكين، فقال: أصبت يوم خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شراك من نار، أو شراكان من نار»²

وكما حذر رسول الله عليه الصلاة والسلام: من الغلول، تواعد من يتستر على من ينتهب المال العام فعن «سمره بن جندب قال: أما بعد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كتم غالا فإنه مثله»³.

و«عن عمرو بن شعيب: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين صدر من حنين وهو يريد الجعرانة سأله الناس حتى دنت به ناقته من شجرة فتشبكت بردائه حتى نزعته عن ظهره فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ردوا علي ردائي أتخافون أن لا أقسم بينكم ما أفاء الله عليكم والذي نفسي بيده لو أفاء الله عليكم مثل سمر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً فلما نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم قام في الناس فقال أدوا الخياط والمخيط فإن الغلول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة قال

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (574/11)، رقم الحديث (5170)، كتاب الغصب، ذكر الزجر عن انتهاب المرء مال أخيه المسلم. و ابن ماجه، سنن ابن ماجه (1299/2) رقم الحديث: (3937)، كتاب الفتن، باب النهي عن النهبة. عن عمران بن حصين. قال الأرنؤوط حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 71-72، رقم الحديث 115، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول و أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

³ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة 307، رقم الحديث: 2716، كتاب الجهاد، باب النهي عن الستر على من غل. قال الألباني: إسناده ضعيف. ينظر ضعيف سنن أبي داود: (353/2).

ثم تناول من الأرض وبرة من بعير أو شيئاً ثم قال والذي نفسي بيده مالي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم»¹

وردعا منه صلى الله عليه وسلم لأهل الغلول، وتجرىما لنكير صنيعهم، كان لا يصلي على الغالردعا، وتأديبا، لمن حضر من الناس، ولو كان المغلول حقيرا أو كبيرا نظرا منه عليه السلام للجرأة على انتهاك محارم الله، وصيانة للمال العام أن ينتهكه فيه المتخوضون.

فعن زيد بن خالد الجهني، أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي بخير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «صلوا على صاحبكم» فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم غل في سبيل الله، ففتشنا في متاعه، فوجدنا خرزا من خرز يهود، ماتساوي درهمين».²

قال الإمام ابن عبد البر: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث صلوا على صاحبكم فإن ذلك كان كالتشديد بغير الميت من أجل أن الميت قد غل لينتهي الناس عن الغلول لما رأوا من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على من غل وكانت صلاته على من صلى عليه رحمة فلهذا لم يصل عليه عقوبة له وتشديدا لغيره والله أعلم»³

بل أمر ولاية الأمور، والمسؤولين، أن ينزلوا العقوبة المناسبة بأهل الغلول، ليكونوا عبرة لغيرهم - فعن «عن صالح بن محمد بن زائدة⁴، قال أبو داود: وصالح هذا أبو واقد، قال: دخلت مع مسلمة أرض الروم فأتى برجل قد غل فسأل سالما عنه فقال سمعت أبي يحدث عن عمر بن

¹ أخرجه مالك الموطأ : 589/1 ، كتاب الجهاد ، ما جاء في الغلول . وأخرجه ابن حبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (149 / 11) ، رقم الحديث (4820) ، عن جبير بن مطعم وقال الأرنؤوط محقق ابن حبان : إسناده صحيح على شرط البخاري .

² أخرجه مالك ، الموطأ : 589 / 1 . 590 ، كتاب الجهاد ، ما جاء في الغلول . و ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (190/11) . رقم الحديث (4853) ، قال الشيخ الأرنؤوط : حديث صحيح .

³ ابن عبد البر ، التمهيد : (287/23) .

⁴ صالح بن محمد بن زائدة أبو واقد الليثي المدني قال البخاري : تركه سلمان بن حرب ، منكر الحديث ، يروى عن سالم عن ابن عمر عن عمر رفعه : من غل فأحرقوا متاعه ، وقال ابن عباس عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الغلول : ولم يحرق . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (291/4) ، و قال العجلي في الثقات : 465 / 1 : يكتب حديثه و ليس بالقوي .

الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه واضربوه »، قال: فوجدنا في متاعه مصحفا فسأل سالما عنه فقال: بعه، وتصدق بثمانه.¹ قال ابن عبد البر رحمه الله: « وقد اختلف العلماء في عقوبة الغال فذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم والليث بن سعد إلى أن الغال يعاقب بالتعزير ولا يحرق متاعه وقال الشافعي وداود بن علي إن كان عالما بالنهي عوقب وهو قول الليث قال الشافعي وإنما يعاقب الرجل في بدنه لا في ماله.

قال أبو عمر: اختلف العلماء في العقوبة في المال دون البدن أو البدن دون المال قد ذكرناه في غير هذا المكان وقال الأوزاعي: يحرق متاع الغال كله، إلا سلاحه، وثيابه التي عليه، وسرجه ولا تنتزع منه دابته، ويحرق سائر متاعه كله، إلا الشيء الذي غل، فإنه لا يحرق ويعاقب مع ذلك، وقول أحمد وإسحاق كقول الأوزاعي في هذا الباب كله وروي عن الحسن البصري إنه قال: يحرق رحله كله، إلا أن يكون حيوانا، أو مصحفا، وممن قال يحرق رحل الغال ومتاعه مكحول، وسعيد بن عبد العزيز، وحجة من ذهب إلى هذا القول حديث صالح المذكور وهو عندنا حديث لا يجب به انتهاك حرمة ولا إنفاذ حكم مع ما يعارضه من الآثار التي هي أقوى منه»².

¹ أخرجه الحاكم، المستدرک: (2/128)، كتاب الجهاد، أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: 306، رقم الحديث: (2713). كتاب الجهاد، باب في عقوبة الغال، والترمذي، سنن الترمذي: (4/61)، رقم الحديث (1461) كتاب الحدود، باب ما جاء في الغال وما يصنع به، قال الإمام الترمذي: «هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والعمل على هذا عند بعض أهل العلم وهو قول الأوزاعي و أحمد و أسحق، قال: وسألت محمدا عن هذا الحديث، فقال: إنما روى صالح بن محمد بن زائدة وهو: أبو واقد الليثي، وهو منكر الحديث، قال محمد: وقد روي في غير حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الغال فلم يأمر فيه بحرق متاعه»، و قال الحاكم صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و وافقه الذهبي . و قال الشيخ الألباني: إسناده ضعيف صالح هذا ضعفه الجمهور . ينظر ضعيف سنن أبي داود : (2/348).

² ابن عبد البر، التمهيد: (2/22. 23).

الفرع الثاني: مصارف الأموال العامة.

ولقد بينت السنة مصارف الأموال العامة، فهي تصرف في مصالح المسلمين عامة ومنها الخدمات الاجتماعية التي تقدم للناس سواء كانت خاصة أو عامة وقد مر معنا في حديث القسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **وَدَى الْقَتِيل مِائَةَ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ**¹، كما تصرف على شكل منح ومساعدات للأسر الفقيرة والمستشفيات العمومية وبرامج الغذاء والدواء و كل ما فيه مصلحة عمومية وكل شأن خاص أو عام .

مع مراعات تغطية كل عجز يلحق بالطبقات الهشة في المجتمع من فقراء ومساكين وأرامل وعاجزين ومكفوفين فلا بد من كفايتهم في أمر معاشهم وسكنهم من المال العام للأمة على شكل خدمات اجتماعية أو منح تعويضية.

كما تصرف أيضا الأموال العامة في خدمة التعليم بكل مستوياته ودعم المدرسين في كل المستويات وتحسين الخدمات الاجتماعية التي تقدم لهذه الطبقة الحية في المجتمع من أجل النهوض بالأمة إلى أفق أفضل.

كما تصرف الأموال العامة في خدمة البنية التحتية و المرافق العامة، مع ترقية وتحسين الخدمات الاجتماعية في الأرياف والقرى والبوادي.

كما يراعى في صرفها أهل الاستحقاق ومن لهم فضل على المجتمع كفئة المجاهدين والقائمين على حراسة الثغور فلهم الفضل العظيم على الأمة، وحاصل القول والذي يعيننا هو أن الخدمة الاجتماعية لها حظها من **المال العام** من منظور السنة النبوية المطهرة وفيما يلي جملة من الأحاديث التي تؤكد هذا الأمر .

عن «مالك بن أوس بن الحدثان قال ذكر عمر بن الخطاب يوماً الفيء فقال: «ما أنا بأحق بهذا الفيء منكم وما أحد منا بأحق به من أحد إلا أنا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعباله

¹ طرف من حديث أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : 272/4 . 273 ، رقم الحديث : 6898 ن كتاب باب القسامة عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه .

والرجل وحاجته¹». زاد الإمام أحمد في مسنده في هذه الرواية: بعد قوله: وحاجته «ووالله لئن بقيت لهم، ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال و هو يرعى مكانه²»

« أول من اتخذ بيت المال عمر بن الخطاب رضي الله عنه³ » و في هذا الحديث نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر اعتبارات لاستحقاق المال، منها:

- 1 - الرجل و قدمه، و المراد: السابقة بالهجرة و الإسلام .
- 2 - ما يقدمه الرجل من خدمات و التي عبر عنها عمر بالرجل و بلاؤه، أي باعتبار ما يقدم من خدمات للدولة و منها ، الخطط المتعلقة بزمانه .
- 3 - الجانب الاجتماعي و منها كثرة العيال و قتلهم، فيعطى كثير العيال أكثر من غيره ممن قل عياله .

4 - الحاجة وهي تعبير عن كل ما يحتاجه الإنسان من ضرورات وغيرها، كحاجة الكفيف إلى من يقوده، والعزب للزواج، وغيرها من الحاجات التي لا يمكن إحصاؤها.

فمن «نافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسة مائة، فقليل له: هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف فقال: إنما هاجر به أبواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه⁴»

« وكفالة الدولة الإسلامية للمحتاجين لا تقتصر على المسلمين دون الذميين بل تشملهم أيضا لأنهم من رعاياها و من حقهم عليها أن ترعاهم ، قال صلى الله عليه و سلم : كلكم راع ومستول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته قال فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة 343 ، رقم الحديث : 2950 ، كتاب الخراج ، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية و الحجبة عنه . قال الألباني في صحيح سنن أبي داود : (233/2): حسن موقوف.

² أخرجه أحمد ، المسند : 389/1 .

³ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الصفحة : (97) .

⁴ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح:(3 / 73) . رقم الحديث: (3912)، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه و أصحابه إلى المدينة.

وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته
فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»¹

كما أن رعاية الذمي عند الحاجة و العوز أمر يعتبر من الرحمة و الإحسان ، و الإسلام هو
دين الرحمة و الإحسان ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 134] وقال
النبي صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من
في السماء»² ومع هذه النصوص العامة توجد نصوص خاصة في الموضوع تدل على كفالة
الذمي من قبل الدولة الإسلامية . ومن ذلك ما رواه أبو عبيد في كتابه الأموال عن سعيد بن
المسيب أنه قال: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على أهل بيت من
اليهود فهي تجري عليهم) وروى الإمام محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة، أن النبي صلى
الله عليه وسلم ، بعث إلى أهل مكة مالا، لما قحطوا، ليوزع على فقرائهم. وأهل مكة كانوا
آنذاك مشركين حرييين ولم يكونوا ذميين، فأهل الذمة أولى بالرعاية من الحرييين لأنهم من رعايا
الدولة الإسلامية»³.

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (178/2) ، رقم الحديث : (2409) ، كتاب الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيده و لا يعمل إلا بإذنه .

² أخرجه أبو داود، سنن أبي داود : الصفحة : 535 ، رقم الحديث : 4941 ، كتاب الادب ، باب في الرحمة . هذا الحديث مشهور عند كافة المحدثين و يروى في المسلسلات .

³ عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين و المستأمنين في دار الإسلام : (102 / 103) .

المطلب السابع: كفالة الأقارب كخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ [الأنفال: 75] قَالَ تَعَالَى: ﴿ التِّي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُمَّهُنَّ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ [الأحزاب: 6]

و قالتعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبَذِيرًا ﴿٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦] .
و قال الله تعالى ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ [الروم: ٣٨] .

لقد صحت الأخبار عن الصادق المصدوق صلى الله عليه و سلم الدالة على ضرورة صلة الرحم و العناية بالأسرة، ليست الأسرة بمفهومها الغربي المصغر، وإنما الأسرة بمفهومها الواسع لتشمل قرابة الإنسان من جهة الأب و من جهة الأم، مهما قربوا أو بعدوا¹.

هذه الأسرة في المفهوم الإسلامي هي دعامة كل شيء فهي المدرسة وهي المحضن وهي المدرسة وهي المشفى، والمتنفس، فيها تربي المواهب وتصلق و فيها يتم إعداد رجال المستقبل، لذا فإن القصور والعجز الذي يلحق بعض أفرادها، أوجبت علينا الشريعة ترميمه قبل أن يتحول إلى مرض يعسر علاجه، فدعت السنة النبوية إلى كفالة الأقارب الضعفاء و حمايتهم من التشرذم والضياع، فألزمت أفراد الأسرة الكبيرة بجملة من التوصيات النبوية والتوجيهات الشريفة تكون

¹ قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه : (290/2) كتاب الوصايا : « باب إذا وقف أو أوصى لأقاربه ومن الأقارب ؟ وقال ثابت عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة: "اجعلها لفقراء أقاربك" فجعلها لحسان وأبي بن كعب، وقال الأنصاري: حدثني أبي عن ثمامة عن أنس مثل حديث ثابت قال: "اجعلها لفقراء قرابتك" قال أنس: فجعلها لحسان وأبي بن كعب وكانا أقرب إليه مني، وكان قرابة حسان وأبي من أبي طلحة واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام فيجتمعان إلى حرام وهو الأب الثالث وحرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، فهو يجمع حسان، وأبا طلحة، وأبي إلى ستة آباء إلى عمرو بن مالك وهو أبني بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار فعمرو بن مالك يجمع حسان وأبا طلحة وأبيا وقال بعضهم إذا أوصى لقرابته فهو إلى آباءه في الإسلام. »

كفيلة بدعم ذلك النقص والخلل الذي قد يطرأ على الحياة الأسرية والتزام هذه التوجيهات ستكون بإذن الله عوناً لتؤدي هذه المؤسسة الصغيرة دورها كما ينبغي فمن هذه التوجيهات:

أولاً - تفضيل الأقارب في الصدقة لما لها من دور في دعمهم اجتماعياً.

صلة القرابة والتعاون بين الأقارب وتقديم الخدمات لبعضهم البعض، عنوان صادق على سلامة الأسرة من الأمراض النفسية والاجتماعية، وهي بذلك تقدم القدوة للأجيال اللاحقة، وهي سبب في بسطة الرزق وسعة الحال، و الرابطة القوية في الأسرة من أعظم ما تستدفع به البلايا وتقاوم به صروف الدهر، فالأسرة المتراحة المتعاونة هي مثال على النجاح الحقيقي الذي دعت إليه تعاليم الإسلام .

- عن فاطمة بنت قيس قالت: «سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزكاة؟ فقال: إن في المال لحقاً سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية التي في البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ...﴾ الآية [البقرة: 177]»¹

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»².

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم سمعه يقول: «إن الصدقة و صلة الرحم يزيد الله بها في العمر و يدفع بها ميتة السوء و يدفع الله بها المكروه و المحذور»³.

وعن حميد بن عبد الرحمن عن أمه، أم كلثوم بنت عقبة، قال سفيان: وكانت قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح»¹.

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 39/3، رقم الحديث: 659، كتاب الزكاة، باب ما جاء أن في المال حقاً سوى الزكاة، والطبراني، المعجم الكبير: (24/403-404)، رقم الحديث (979)، عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها و الحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي: الصفحة (70).

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 4/89، رقم الحديث 5985، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

³ أخرجه أبو يعلى، مسند أبي يعلى: 7/139، رقم الحديث: 4104، قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف

وفي حديث صدقة أبي طلحة رضي الله عنه، بحائطة المسمى بيرحاء، حيث يحدثنا أنس بن مالك في حديث طويل وفيه: «...وإن أحب أموالي إلي: بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال: أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه²» .

- ثانيا - دعم الجوانب التربوية في الأسرة كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية. وذلك بغرس القيم الخلقية النبيلة داخل أفراد الأسرة لحفظ السلامة الاجتماعية والرابطة المرهية داخل الأسرة، وتلافي أسباب القطيعة المجران والعمو عن الزلات، وقد خذرت السنة النبوية من قطيعة الرحم لما لها ما آثار سلبية على نفسية الصغار ولما لها مفعول سلبي على الأداء الاجتماعي داخل المؤسسة الأسرية.

فقال عليه الصلاة والسلام: محمد بن جبير بن مطعم قال إن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع³»

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «ومعناه عند أهل السنة: لا يدخل الجنة إن أنفذ الله عليه الوعيد، لإجماعهم أن الله تعالى في وعيده لعصاة المسلمين بالخيار إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم. قال الطبري: فإن قال قائل: قد تقدم من قولك أن المتعاهد رحمة بأدنى البر كالسلام ونحوه غير مستحق اسم قاطع، فمن القاطع الذي جاء فيه الوعيد في هذا الحديث؟ قال: هو الذي يقطعهم بالهجرة لهم والمعادة، مع منعه إياهم معرفته ومعونته. وروى ابن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الله بن الوليد، عن أبيحجيرة الأكبر أن رجلا أتاه، فقال: إني نذرت ألا أكلم أخي. قال: إن الشيطان ولد له ولد فسماه نذرا، وإنه من قطع ما أمر الله به أن يوصل

¹ أخرجه ابن خزيمة، صحيح بن خزيمة: 77/4 - 78، رقم الحديث: 2386، كتاب الزكاة، باب أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح. قال الأعظمي إسناده صحيح. وأخرجه أحمد المسند: 36/24، رقم الحديث 15320 ولفظه عند أحمد: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقات أيها أفضل قال على ذي الرحم الكاشح.

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 1/452، رقم الحديث: 1461، كتاب الزكاة ن باب الزكاة على الأقارب

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 4/89، رقم الحديث 5984، كتاب الأدب، باب إثم القاطع.

حلت عليه اللعنة، وهذا في كتاب الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: 25].¹

ثالثا - المشاركة في المناسبات : حيث أن السنة دعت إلى ضرورة الإسهام من الأرقاب في المناسبات الأسرية لما فيها من تعزيز الشعور بالرضى، وتقوية رابطة القرابة، سواء كانت مناسبة فرح أو ألم، جاء في الحديث : عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نعي جعفر قال النبي صلى الله عليه و سلم : «اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد جاءهم ما يشغلهم»²

قال في تحفة الحوزي: «قال الطيبيدل على أنه يستحب للأقارب والجيران تهيئة طعام لأهل الميت انتهى. قال بن العربي في العارضة: « والحديث أصل في المشاركات عند الحاجة وصححه الترمذي...وقد كانت للعرب مشاركات ومواصلات في باب الأطعمة باختلاف الأسباب وفي حالات اجتماعها انتهى...وقال ابن الهمام: ويستحب لجيران أهل الميت والأقرباء الأبعد تهيئة طعام يشبعهم يومهم وليلتهم لقوله صلى الله عليه و سلم اصنعوا لآل جعفر طعاما وقال يكره اتخاذ الضيافة من أهل الميت لأنه شرع في السرور لا في الشرور وهي بدعة مستقبحة انتهى»³

وعليه فإن المطلوب على وجه الترغيب، أن يساهم الجيران والأقارب في كل مناسبة، سارة أو حزينة، بما تيسر من أطعمة، وحلويات، وخدمات للضيوف، وهذه الأعمال من شأنها أن تقوي الروابط الأخوية بين أفراد المحلة، وتدفع غوائل الشحناء، وأسباب البغضاء التي هيحالقة الدين، عياذا بالله.

¹ ابن بطال، شرح صحيح البخاري : 203/9 .

² أبو داود سنن أبي داود : الصفحة: 354، رقم الحديث 3132، كتاب الجنائز ، باب صنعة الطعام لأهل الميت، و الترمذي ، سنن الترمذي : 314/3 . رقم الحديث : 998، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الطعام يصنع لهل الميت . قال الإمام الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح وقد كان بعض أهل العلم يستحب أن يوجه إلى أهل الميت شيء لشغلهم بالمصيبة وهو قول الشافعي " . و حسنه الألباني .

³ المباركفوري ، تحفة الحوزي : 77/4 .

- خامسا كفالة البنات والأخوات الرفق بهن كخدمة اجتماعية في منظور السنة النبوية
إن البنات والأخوات في الغالب هن الحلقة الضعيفة في المجتمع بأسره، لما يكتنفهن في الغالب
من ضعف ولما جبلن عليه من رقة وقوة عاطفة، وفي المجتمعات الرجولية تنتهك حقوق البنات
وتداس، والكثير من الناس في غفلة عن المعاملة الحسنة للبنات اللاتي هن نساء الغد، والسنة
النبوية تلفت أنظارنا إلى أن التكفل الحسن والرعاية السليمة للبنات نفسيا وجسديا من شأنه
أن يخلق حضورا أوفر لتوازن نفسي وعقلي أكمل لهن، كلما تحققت واكتملت الرعاية
النفسية والجسدية للبنات قبل الزواج؛ كلما سعدت أمما وسُعد بها زوجة، والنتيجة أن تجني
الأمه السعادة في مستقبلها لما أسلفت من حسن معاملة و تربية بناتها والعكس بالعكس.
وقد سبقت السنة النبوية الكثير من التشريعات النظرية في المجال النفسي والاجتماعي بجملة
من الأحاديث والتوجيهات النبوية المباركة والتي نستطيع أن نستشف منها الروح النبوية الشفافة
في معاملة البنات.

ونظرا لما عُهد و عرف من حال بعض الأعراب ومن شابههم في ازدراء الأنوثة، والنظر إليها
نظرة غير عادلة، لما يرونه في الذكر من الحاجة إلى الحرب و التغلب والتكسب، كثرت الوصايا
النبوية بالبنات.

. فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء
يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه»¹

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يكون لأحدكم ثلاث
بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة ».²

=الحديث: 1691، كتاب الزكاة ، باب في صلة الرحم . و أحمد ، المسند : 381/12، رقم الحديث 7419 ، قال
الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند : إسناده قوي .

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 1055، رقم الحديث: 2631 ن كتاب البر و الصلة ، باب فضل الإحسان
إلى البنات .

²أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: 318/4 ، رقم الحديث 1012، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات
و الأخوات ، من طريق سهيل بن أبي صالح عن سعيد بن عبد الرحمن بن مُكمل عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه أبو
داود ، سنن أبي داود: الصفحة (554) رقم الحديث (5147)، كتاب الأدب، باب فضل من عال يتيما، و ابن أبي
شيبه المصنف: 96/13 - 97 ، رقم الحديث : كلاهما من طريق سهيل بن أبي صالح السمان، عن سعيد بن عبد
الرحمن بن مكمل و هو الأعشى ، عن أيوب بن بشير المعاوي و قال أبو داود الأنصاري، عن أبي =

وفي رواية أي داود قال: «من عال ثلاث بنات، فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن، فله الجنة و في رواية ثلاث أخوات أو ثلاث بنات، أو بنتان أو أختان»¹.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر ولده، يعني: الذكور عليها، أدخله الله الجنة»².

بل و تتعدى الخدمة والعناية بالجانب الاجتماعي إلى الأقارب وإن بعد نسبهم فقد كانت توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم يجعل الصدقة في الأقارب أكثر أجرا، ذلك أنه من غير المعقول أن يترك الناس قرابته عالة، ويغرب في الصدقة.

والمقصد من رعاية الأقارب صلة الرحم، وتوطيد الصلة، وإزالة الشحناء من النفوس وتعدية الخير و توريثه في الأسر لكي يصير عادة وسنة يقتدي فيها اللاحق بالسابق، كما في حديث زينب امرأة ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها و لامرأة من الأنصار حين سألتاه عن الصدقة على الأزواج و أيتام في الحجر فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لهما أجران : أجر القرابة، وأجر الصدقة»³. وفي رواية للبخاري باب الزكاة على الأقارب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: أيها الناس تصدقوا فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبم ذلك يا رسول الله قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء. ثم انصرف فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة

= سعيد الخدري. و أخرجه ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (189/2 - 190) رقم الحديث : (446)، من طريق سهيل بن أبي صالح عن أيوب بن بشير عن سعيد الأعشى : عن أبي سعيد الخدري قال الإمام الترمذي : وقد زادوا في هذا الإسناد رجلا، قلت يريد الترمذي : أيوب بن بشير المعاوي. قال الشيخ الأرنؤوط ضعيف لاضطرابه. و قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب (429/1): صحيح لغيره .

¹ أخرجه أبو داود ، سنن داود : الصفحة 554 ، رقم الحديث : 5147 ، كتاب الأدب ، باب في فضل من عال يتيما .الحديث السابق

² أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة 554 ، رقم الحديث 5146 ، كتب الأدب، باب في فضل من عال يتيما. قال الشيخ الألباني في ضعيف أبي داودن الصفحة (421) : ضعيف .

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : 454/1 ، رقم الحديث : 1466 ، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الزوج و الأيتام في الحجر .

ابن مسعود تستأذن عليه فقيل يا رسول الله هذه زينب فقال أي الزيانب فقيل امرأة ابن مسعود قال نعم ائذنوا لها فأذن لها قالت يا نبي الله إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي لي فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم»¹.

وكان التوجيه نفسه لأبي طلحة الأنصاري حين أراد أن يتصدق بجائظ له يسمى بيرحاء فجاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه أنه قال له عليه الصلاة والسلام : «...إني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبنو عمه»².

¹أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: 452/1، رقم الحديث:1462، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب.

²أخرجه البخاري ن الجامع الصحيح: 452 / 1، رقم الحديث: 1461، كتاب الزكاة ن باب الزكاة على الأقارب .

الفصل الرابع

وسائل تربية ثقافة الخدمة الاجتماعية

في نفوس الأفراد

ونماذج من سبل تطوير الخدمة الاجتماعية في

عصرنا.

المبحث الأول: أدوات تحفيز روح الخدمة الاجتماعية في نفسية الفرد

إنه لتحقيق مردود أفضل للخدمة الاجتماعية، وكذا فاعليتها الوظيفية والميدانية، فإنه لا بد من إشراك كل الوحدات الاجتماعية لوضع مخطط طويل المدى سواء في جوانب التنشئة الاجتماعية، أو العملية التربوية عن طريق إشراك كل المؤسسات ذات البعد التربوي والتوجيهي والإرشادي؛ ومنها المدرسة و المسجد، و المركز الثقافي والنوادي العامة، والمسرح، و السينما والكتب الموجهة للأطفال، الكل يتعاون على غرس قيمة الخدمة الاجتماعية في نفسية الفرد وتقوية الجوانب التي تساعد على ازدهارها في المجتمع و سنتطرق إلى البعض الذي نراه مهما في ضوء التوجيهات النبوية المباركة.

- المطلب الأول: الدافع الإيماني وأثره في دعم الخدمة الاجتماعية.

كثيرا ما نجد ارتباط بين عبارة الإيمان والعمل الصالح في القرآن والسنة، وذلك برهان ساطع على أهمية العمل كثمرة للإيمان تبرز في سلوك الفرد وهي المنجزات خصوصا ذات النفع الجماعي أي ذات البعد الاجتماعي، وكلمة العمل في الكتاب و السنة؛ عنوان عريض لأعمال لا يمكن أن يحصيها إلا خالق العباد سبحانه وتعالى، فالذي يضحي بنفسه وماله ووقته وكل مقدراته للخدمة المجتمع والمساهمة في رفع مقدراته يحتاج إلى دافع يدفعه للاستمرار في هذا العمل الذي غالبه تضحية و عطاء، فحب العطاء و البذل للآخرين إنما تنبع من نفسية المؤمن بالله الراغب فيما عند الله من الجزاء و الشكر، و قد ذكر الله من خلال و خصال الإيمان التي هي تعبير عنه وترجمة له؛ الإنفاق في سبيله، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: 2 - 4] فذكر الله سبحانه، صفتين دلتا على إيمانهم الحق، وهي قيامهم بحق الله و المتمثل في الصلاة، و قيامهم بواجبهم الاجتماعي تجاه المجتمع، وهو النفقة في سبيل الله والتي تجمع كثيرا من المعاني و منها الخدمات الاجتماعية التي يسهم فيها الفرد تجاه مجتمعه فهي من الإيمان. فالمسلم الذي ينطلق من هذا المنطلق الإيماني لا شك أنه لن تفتر له همة و لن تلين له قناة، وهو يمارس مهنة الخدمة الاجتماعية و يساهم في ترقية مجتمعه المجتمع الإسلامي في ضوء السنة النبوية المطهرة، مجتمع متراحم، يمثل كتلة واحدة، كالبنيان المرصوص، لذا فإن

التعاون، والتضامن، والنجدة، ركائز مهمة فيه، قل أن تجد في المجتمع المسلم تمثيلاً عملياً للمفهوم للفردية والأنانية وقد أكد هذا الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة :

فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»¹.

وجاء في التأكيد في السنة النبوية على ضرورة تكاتف أفراد المجتمع على الخدمات التي تعود بالفائدة على كل شرائح الاجتماعية، وذلك بالتعاون والتساند وقضاء الحوائج وابتكار الوسائل والأدوات المفضية إلى ذلك.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه فإن الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»².

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «وهذا حديث شريف يحتوى على كثير من آداب الإسلام وفيه أن المجازاة قد تكون في الآخرة من جنس الطاعة في الدنيا»³.

وفي لفظ عند مسلم: عن النعمان بن بشير مرفوعاً: «المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر»⁴.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة قوله تداعى أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم ومنه قولهم تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت قوله بالسهر والحمى أما السهر فلأن الألم يمنع النوم وأما الحمى فلأن فقد النوم يثيرها... قال

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (93/4)، رقم الحديث 6011، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري: 190/2، رقم الحديث: 2442، كتاب المظالم و الغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم و لا يسلمه، وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة: 531، رقم الحديث: 4893، كتاب الأدب، باب المؤاخاة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه. و اللفظ أبي داود.

³ ابن بطال، شرح صحيح البخاري: 571/6 - 572.

⁴ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة 1201، رقم الحديث 2586، كتاب البر و الصلة و الآداب، باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم و تعاضدهم.

القاضي عياض فتشبيهاه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا وقال بن أبي جمرة شبه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف فإذا أحل المرء بشيء من التكاليف شأن ذلك الإحلال الأصل وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب»¹.

إن وصول المجتمع إلى هذا المستوى المتألق من الخلق الراقي إنما هو نتيجة تربية إيمانية تكاملت في ظلال القرآن و هدي خير الأنام عليه أفضل الصلاة و السلام .

الفرع الأول: وسائل تقوية الدافع الإيماني كدافع لخدمة الجماعة :

أولا - القصة و حكايات الصالحين و أثرها في تربية النشء على الخدمة .

إن للقصة أثرا بليغا في تكوين الرغبات و التوجهات و صناعة القدوة في نفسية الفرد، وقد لفت القرآن الكريم إلى أهمية القصة وما فيها من عبرة ، فالاعتبار فيه العظة وفيه التعليم بقصص الأولين من الأنبياء والصالحين من عبادته، وفيه النموذج، والأسوة، قال الله تبارك و تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [يوسف: 111]

والقصص في القرآن الكريم إنما سبق للتعليم والعظة والاعتبار، والقصد هو خلق القدوة والمثال في نفسية الفرد ليسمو إلى خلق أعلى وسلوك أقوم؛ قال الحق تبارك و تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آقْتَدَهُ ﴾ [الأنعام: 90] .

¹ ابن حجر فتح الباري : 439/10 - 440 .

لقد كان من أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم التوجيهي والتربوي استعمال القصة¹ لما لقصص الصالحين من الأنبياء والأولياء، و الصحابة و التابعين والصالحين من هذه الأمة الدالة على عظيم فضل الله على المتصدقين؛ لها أثرها البالغ في نفوس الناشئة، و القصة و لا شك من أهم الوسائل التربوية، و قد كان من منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليم الصحابة بالقصة لأنها أرسخ في ذهن السامع و أقوى تأثيراً من غيرها فقد ثبت في كثير من الأحاديث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه: " أنه كان فيمن كان قبلكم" و السنة النبوية ثرية بالقصص النبوي الشريف، التي يمكن استثمارها في رياض الأطفال و المدارس الابتدائية و المؤسسات التعليمية، قصد صناعة جيل بناء و صاحب روح تتمتع بالمبادرة و التضحية، فالخدمة الاجتماعية ثقافة مجتمع و هي تصنع صنعا عن طريق تكاتف كل لأفراد المجتمع و طوائفه لأجل ترسيخ ثقافة التعاون و ثقافة التشارك و العمل الجماعي، و هل حث الإسلام على تأدية الشعائر الدينية جماعة إلا لأجل غرس مثل هذه المعاني في النفس و هناك جهود معاصرة في ميدان القصة النبوية لكن ما زالت تحتاج إلى مزيد العناية²، و هي جهود مباركة لكن نحتاج دوماً إلى عنصر الإبداع في طريقة عرض القصة النبوية لكي تؤتي أكلها و ثمارها المرجوة منها ن وفق لغة العصر و باستخدام أساليب العصر و لو عن طريق الرسوم المتحركة و الكتب المصورة للأطفال.

ونشير هنا إلى أمر بالغ الأهمية وهو أن ما كتبه المحذثون في تراجم الصحابة، و التابعين وتابع التابعين وسير العلماء والنبلاء، يعد ثروة هائلة للقصة الإسلامية، فلو يتم استغلالها كما ينبغي في تكوين قصص للناشئة لكان أكثر عائدة وفائدة على الأمة عوض أن تستغل هذه الكتب في الحرب الكلامية، والطائفية، و الجرح والتعديل، فهذه الكتب تحتاج في عصرنا إلى تهذيب

¹ كما في قصة : الثلاثة الذين آووا إلى الغار . أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : 134/2 ، رقم الحديث : 2272 ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرو فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل ، كذا قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهد : أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : 487/2 ، رقم الحديث : 3436، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله [مريم: ١٦] : ﴿ وَذَكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ، و حديث الأعمى و الأبرص و الأقرع: أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : 493/2 ، رقم الحديث : 3464، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص و أعمى و أقرع في بني إسرائيل . و غيرها من الأحاديث التي تشكل نموذجاً للقصة النبوية

² منها على سبيل المثال ما كتبه : محمد جميل زينو، المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، تحت عنوان: من بدائعالقصص النبوي الصحيح، الذي طبع بدار المنار للنشر، السعودية ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ / 1992م.

وإعادة صياغة ليتم استثمارها في تربية الناشئة على معالي الأخلاق ومنها خلق البذل والعطاء وترسيخ ثقافة الخدمة الاجتماعية ، وشحذ الهمة في طلب العلم و غيرها .
ويمكن للمتابع للأحاديث النبوية المطهرة أن يستخرج صورا عديدة من السيرة النبوية المشرفة و التي تمثل أساس ثري للقصة في ضوء السنة النبوية، و نسوق في هذا المقام نموذجا للقصة التي يمكننا أن نستخرجها من المرويات الحديثة، والمؤكد أن سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم هي أكمل تطبيق للتعاليم الدينية على أرض الواقع، ففي ميدان الخدمة الاجتماعية نجد في سيرته صلى الله عليه و سلم أكمل و أشمل صورها، و في ضوءها نستشف الأهداف التربوية والأبعاد التوجيهية للخدمة الاجتماعية .

ونورد هنا مثلا من القصص المستوحى من الحديث النبوي من كتاب: **من بدائع القصص النبوي الصحيح:**

«عن جابر رضي الله عنه قال: (كنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدبة شديدة (صخرة) فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا هذه كدبة عرضت في الخندق. الرسول صلى الله عليه وسلم: أنا نازل، (يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم و بطنه معصوبة بحجر).

قال جابر: ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذوقاً (يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول ، فيضرب ، فيعود كثيباً أهيل (تراباً ناعماً) [أو أهيم] جابر : يا رسول الله أئذن لي إلى البيت، جابر لأمرته (متأثراً) : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً (جوعاً) ، ما في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ .

المرأة: عندي شعير وعناق (الأنثى من ولد الماعز). يذبح جابر العناق، وتطحن امرأته الشعير ثم يجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

جابر لأمرته: طعيم لي (طعام قليل) فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان .

الرسول صلى الله عليه وسلم : كم هو ؟

جابر : سخلة وقليل من شعير .

الرسول صلى الله عليه وسلم : كثير طيب، قل لها لا تنزع القدر ولا الخبر من التنور حتى آتي

الرسول صلى الله عليه وسلم لصحبه : قوموا ، (ويقوم المهاجرون والأنصار) .

جابر لأمرته (في حيرة) ويحك قد جاء النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ومن معهم .

المرأة في دهشة : (هل سألك) .

جابر : نعم .

الرسول صلى الله عليه وسلم : ادخلوا ولا تضاغظوا (تزاحموا) يكسر الرسول الخبر ويجعل عليه اللحم ويغطي القدر والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويعرف حتى شبعوا وبقي منه .

الرسول للمرأة : كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم المجاعة¹ .

من فوائد القصة :

- 1- مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم القائد جنده في حفر الخندق ، وعدم تمييزه عليهم .
- 2- شكوى الصحابة لقائدهم من صخرة عجزوا عنها لما يعلمون من قوته، فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، وفتت الصخرة مع شدة جوعه .
- 3- حب الصحابة لقائدهم، وسعيهم لإطعامه وسد جوعه .
- 4- محافظة الصحابة على النظام ، وعدم الذهاب بدون إذن من القائد .
- 5- نساء الصحابة يتصفن بالإيثار والكرم والحب للرسول صلى الله عليه وسلم.
- 6- القائد المخلص لا يشبع وحده، بل يدعو أصحابه معه .
- 7- الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالنظام (ادخلوا ولا تضاغظوا).
- 8- إكرام الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالمعجزة، بتكثير الطعام حتى شبعوا جميعاً ومن حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يغطي القدر والتنور إظهاراً للبركة لا للإيجاد والخلق وهما من الله وحده ، محافظة على عقيدة الوحيد .
- 9- القائد العظيم في جنده أشبه بالأب في أسرته، يغرف لهم الطعام بيده، ويقدمه بنفسه.
- 10- اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بأفراد أمته كاهتمامه بجنده. «كلي هذا و أهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة¹» .

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح:(3/115)، رقم الحديث:(4101)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق و هي الأحزاب عن جابر رضي الله عنه . و قد ساق الأستاذ زينو الحديث مع بعض الزيادات للإيضاح و إضفاء الطابع القصصي على الحديث .

قصة أخرى: «جوع الصحابة والرسول صلى الله عليه وسلم: يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، ويأتيه أبو بكر الرسول صلى الله عليه وسلم: ما جاء بك يا أبا بكر؟ . أبو بكر رضي الله عنه: خرجت ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر في وجهه والتسليم عليه . (فلم يلبث أن جاء عمر رضي الله عنه).

الرسول صلى الله عليه وسلم : ما جاء بك يا عمر؟! عمر رضي الله عنه : الجوع يا رسول الله الرسول صلى الله عليه وسلم : وأنا قد وجدت بعض ذلك !! .

(ينطلقون إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان² الأنصاري، وكان رجل كثير النخل والشاء [ولم يكن له خدم فلم يجدوه)

الجماعة (لامراته) : أين صاحبك؟

المرأة : انطلق يستعذب لنا الماء . (فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقرية ماء عذب فوضها، ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وراح ويفديه بأبيه وأمه، انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو [عنقود البلح] فوضعه)

. النبي صلى الله عليه وسلم : أفلا تنقيت لنا من رطبة؟

أبو الهيثم: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا من رطبه وبسره [حلوه ومره].
(الرسول وصاحباها يأكلون منه ويشربون).

رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة!! ، ظل بارد ، ورطب طيب، وماء بارد .

¹ محمد بن جميل زينو، من بدائع القصص النبوي : الصفحة : 31 - 34 .

² هو مالك بن التيهان بفتح المثناة الفوقانية مع كسر الياء بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعمى أبو الهيثم الأنصاري حليف بني عبد الأشهل ، قال ابن عبد البر : وقالت طائفة من أهل العلم: إنه أنصاري من أنفسهم من الأوس، وهو مشهور بكنيته، أحد النقباء، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية وكان أحد الستة الذين لقوا قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة، وشهد أبو الهيثم مالك بن التيهان بداراً وأحداً والمشاهد كلها، توفي في خلافة عمر بالمدينة سنة عشرين. وقيل سنة إحدى وعشرين. وقيل: بل قتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين. وقيل: إنه شهد صفين مع علي ومات بعدها بيسير، قال ابن حجر: كأن الأصوب قول من قال سنة عشرين أو إحدى وعشرين انتهى.. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب : الصفحة (656) ، و ابن حجر الإصابة : (209/7)،

(ينطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً) .

النبي صلى الله عليه وسلم : لا تذبح لنا ذات در [حليب]

(يذبح لهم عناقاً أو جدياً ويأتيهم بها فيأكلون) .

النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك خادم ؟»

أبو الهيثم : لا . النبي صلى الله عليه وسلم : فإذا أتانا سبي (أسرى) فأتنا (يأتي لرسول الله

صلى الله عليه وسلم (خادمان) ليس معهم ثالث ، فيأتيه أبو الهيثم .

النبي صلى الله عليه وسلم : اختر منهما .

أبو الهيثم : يا رسول الله اختر لي .

النبي صلى الله عليه وسلم : إن المستشار مؤتمن ، خذا هذا فيني رأيتك يصلي واستوص به معروفاً

. (ينطلق أبو الهيثم فيخبر زوجته بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

المرأة : ما أنت ببالحق ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا بأن تعتقه .

أبو الهيثم : فهو عتيق (حر) .

النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان ، بطانة تأمره

بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً (إلا تقصر في إفساده) ومن يوق بطانة

السوء فقد وقى (أي حفظ) .¹

من فوائد القصة

أولاً - الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه يعانون الجوع ، ويسعون لسده بطريقة مشروعة

ثانياً - يجوز للرجل أن يذهب إلى بيت صاحبه لتناول الطعام بدون دعوة إن كان يعلم سعة

حاله ، وطيب نفسه .

ثالثاً - التنبيه على فضل النعمة مهما كانت ، والحث على شكر خالقها ، وعدم الانشغال بها عن

المنعم ، قال الله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : 7] .

¹ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (583/4) ، رقم الحديث (2369) ، كتاب الزهد . باب ما جاء في معيشة أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم . و الحاكم ، المستدرک : (131/4) ، كتاب الأطعمة ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، و صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن

الترمذي (551/2) .

رابعاً- إذا رأى الضيف إكراماً زائداً من صاحب البيت ، فحشي وقوعه في خطأ نصحه برفقه كقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تذبحن لنا ذات در) [أي ذات لبن] .

خامساً- المكافأة على المعروف مطلوبة، فرسول الكرم يكافئ صاحب البيت ويعدده بخادم سادساً- لا يحتاج أبو الهيثم إلى وساطة لطلب الخادم ، فعندما يلتقي الرسول [صلى الله عليه و سلم] به وقد جاءه خادمان، فسرعان ما يقول له : «اختر منهما» .

و إذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم.

سابعاً-العاقل يستشير من هو أتم نظراً : (يا رسول الله إختري لي) .

ثامناً- الصلاة علامة التقوى : (خذ هذا فإني رأيتك يصلي) .

تاسعاً-وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالخدم لا سيما المصلين : (استوص به معروفاً)

عاشراً - حب الصحابة لتحرير الأرقاء ، وموافقته لزوجته الصالحة على إعتاقه .

حادي عشر- على المسلم العاقل أن ينتقي أصحابه من أهل الصلاح ليذكروه بالخير، ويشجعوه عليه ، وأن يتعد عن قرناء السوء كيلا يذكروه بالشر ويحسنوه إليه، وكذلك شأن الزوجة الصالحة والشريرة لها تأثير على الزوج .¹

ثانيا - تربية الناشئة على حب الجود العطاء وخدمة الجماعة.

إن أشرف الأخلاق هو خلق البذل و العطاء، والإنسان الذي يمارس خلق العطاء، في توازن نفسي و راحة ضمير لأن راحة الضمير نتيجة لأداء الواجب تجاه المجتمع الذي يعيش فيه ، لذا فإن الذين يكتزون الثروات الطائلة وهم شاهدون على الحالة المتردية لفئات هشة في المجتمع هم من أكبر المعوقات التي تعوق العمل التنموي والعمل التطوعي في المجتمع، و المال إنما هو وسيلة و ليس غاية في حد ذاته، فأن يترك الغني الفقير يتضور جوعاً وهو يحتكر عليه القوت أو يحرمه فضل ماله ، فهذا سلوك متطرف وانحراف فطري عن جادة الصواب .

قال الإمام أحمد رحمه الله فيما حكاه البيهقي: «ثبت بجميع ما ذكرناه أن الجود من مكارم الأخلاق و البخل من أراذلها و ليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء و لا البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد من يعطي في موضع العطاء و البخيل الذي يمنع في

¹ المرجع نفسه : الصفحة : 35 - 37 .

موضع العطاء فكل من استفاد بما يعطى أجرا أو حمدا فهو الجواد و من استحق بالبخل ذما أو عقابا فهو البخيل و بسط الكلام فيه ¹»

و قد كان النبي صلى الله عليه و سلم مثالا عمليا لخلق العطاء و بذل المال في سبيله :
- فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما يسرني أن لي أحدا ذهباً تأتي علي
ثالثة وعندي منه دينار إلا دينار أرصده لدين علي»²

و بوب مسلم في صحيحه: باب في الكانزين للأموال و التغليظ عليهم، و أخرج بسنده: عن
الأحنف بن قيس رضي الله عنهما: «قدمت المدينة، فبينما أنا في حلقة فيها ملاً من قريش، إذ
جاء رجل أحسن الثياب، أحسن الجسد، أحسن الوجه، فقام عليهم، فقال: بشر الكانزين
برضف³ يحمى عليه، في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من غض كتفه
4 كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه، يتزلزل، قال: فوضع القوم رؤوسهم، فما
رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئاً، قال: فأدبر، فاتبعته، حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت
هؤلاء إلا كرهوا ما قتلهم، فقال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً، إن خليلي أبا القاسم - صلى
الله عليه وسلم - دعاني فأجبتة، فقال: «أترى أحدا؟» فنظرت ما علي من الشمس، وأنا
أظن أنه يبعثني في حاجة له، فقلت: أراه، فقال: «ما يسرني أن لي مثله ذهباً أنفقه كله إلا

¹ البيهقي، شعب الإيمان: 278/13.

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 384، رقم الحديث: 991، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا
يؤدي الزكاة. عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (434/1)، رقم الحديث: (1407) كتاب
الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز. قلت: و كأن البخاري رحمه الله بهذا التبويب يقيد العموم الواقع في حديث أبي
ذر في تحريم الكنز مطلقاً و هو مذهب عرف عن أبي ذر رضي الله عنه و مذهب الجمهور أن الكنز ما لم يؤد زكاته.

³ الرضف: الحجارة المحماة على النار واحدها رصفه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الأثر: (231/2).
⁴ النُّغْضُ والنَّغْضُ والناغِضُ: أغلى الكيف. وقيل: هو العظم الرقيق. ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث:
87/5.

⁵ أخرجه مسلم، صحيح مسلم: الصفحة: 385، رقم الحديث: 992، كتاب الزكاة، باب في الكانزين للأموال و
التغليظ عليهم.

قال الإمام النووي رحمه الله: «ظاهره أنه أراد الاحتجاج لمذهبه في أن الكنز كل ما فضل عن حاجة الإنسان هذا هو المعروف من مذهب أبي ذر ووري عنه غيره، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الكنز هو المال الذي لم تؤد زكاته، فأما إذا أدت زكاته فليس بكنز سواء أكثر أم قل وقال القاضي الصحيح أن إنكاره إنما هو على السلاطين الذين يأخذون لأنفسهم من بيت المال ولا ينفقونه في وجوهه وهذا الذي قاله القاضي باطل لأن السلاطين في زمنه لم تكن هذه صفتهم ولم يخونوا في بيت المال إنما كان في زمنه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم»¹.

وكما رغبت السنة في البذل و العطاء رهبت من الشح و نفرت منه لما فيه من أنانية و انطوائية لا تعكس الروح الاجتماعية في الفرد. فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»² و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المنفق والمتصدق كمثل رجل عليه جبتان أو جنتان من لدن تُدبهما إلى تراقيهما فإذا أراد المنفق، وقال الآخر: فإذا أراد المتصدق أن يتصدق سبغت عليه أو مَرَّت، وإذا أراد البخيل أن ينفق قلصت عليه وأخذت كل حلقة موضعها حتى بُجِنَ بَنَانُهُ وتعفو أثره . قال: فقال أبو هريرة: فقال: يوسعها فلا تتسع»³. و عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً و يقول الآخر : اللهم أعط ممسكاتلفاً»⁴

¹ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : 77/7 .

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم : الصفحة : 1040 ، رقم الحديث 2578 ، كتاب البر و الصلة، باب تحريم الظلم

³ أخرجه مسلم، صحيح مسلم : الصفحة : 393 ، رقم الحديث : 1021، كتاب الزكاة ، باب مثل المنفق و البخيل و البيهقي شعب الإيمان : (178/13 - 179)، باب في الجود و السخاء . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه . واللفظ لمسلم . وقد وقع في سياق لفظ البيهقي تقديم وتأخير فعنده: فإذا أراد المنفق أن ينفق سبغت عليه الدرع أو مدت حتى تُجِنَ بنانه ؟ وهذا خلاف لفظ مسلم فإن لفظه : "حتى تجن بنانه " هي للبخيل ، لا للمتصدق .

⁴ أخرجه مسلم، صحيح مسلم : الصفحة : 390 ، رقم الحديث : 1010 ، كتاب الزكاة ، باب في المنفق و الممسك ، والبيهقي شعب الإيمان : 179/13 - 180 ، باب في الجود و السخاء ، كلاهما عن أبي هريرة و اللفظ لمسلم .

وعن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله عز و جل من عابد بخيل»¹.

قال المباركفوري رحمه الله: «قوله: (قريب من الله) أي من رحمته، (قريب من الجنة) بصرف المال وإنفاقه فيما ينبغي (قريب من الناس) لأن السخي يحبه جميع الناس ولو لم يحصل لبعضهم نفع من سخاوته كحبه [م] العادل (والبخيل) هو الذي لا يؤدي الواجب عليه (بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار) معنى هذه الجملة ظاهر من ما قبلها والأشياء تتبين بأضدادها (والجاهل السخي) قال القاريء أراد به ضد العابد وهو من يؤدي الفرائض دون النوافل لأن ترك الدنيا رأس كل عبادة وإنما عبر عنه بالجاهل لأنه أراد به أنه مع كونه جاهلا غير عالم بما لم يجب عليه وجوب عين (أحب إلى الله عز و جل من عابد) أي كثير النوافل سواء يكون عالما أم لا (بخيل)، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأيضا البخيل الشرعي هو من ترك الواجب الشرعي المالي والسخي ضده ولا شك أن من قام بالفرائض وترك النوافل أفضل ممن قام بالنوافل وترك الفرائض قال وهذا الذي قررنا أولى من قول الطيبي يفهم منه أن جاهلا غير عابد أحب من عالم عابد رعاية للمطابقة فيا لها من حسنة غطت خصلتين ذميمتين ويا لها من سيئة غطت حسنتين كريمتين»².

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي : 4 / 342 ، رقم الحديث : 1961 ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في السخاء والطبري، تحذیب الآثار : 100/1 ، و البيهقي، شعب الإيمان : 293/13 ، رقم الحديث : 10356 ، ثلاثتهم بنفس الإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، إلا أن البيهقي زاد في آخر الحديث : " و أي داء أدوى من البخل " ، قال الترمذي : «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنما يروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل» . وقد روي أيضا عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه الطبراني، المعجم الكبير 27/3، رقم الحديث: 2363 ، و البيهقي شعب الإيمان : 292/13 ، رقم الحديث : 10352 ، و روي عن جابر رضي الله عنه أخرجه، البيهقي، شعب الإيمان : 292/13 رقم الحديث 10353.

² المباركفوري، تحفة الحوزي بشرح جامع الترمذي: (95/ 6 - 96). قال المباركفوري في شرح الترمذي : 96/6 : « قوله : " هذا حديث غريب " وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان : عن جابر بن عبد الله والطبراني في الأوسط عن عائشة . قال المناوي : بأسانيد ضعيفة يقوي بعضها بعضا. » .

المطلب الثاني: تشجيع المتبرعين بالمكافأة كدعم للخدمة الاجتماعية.

إن أرقى صور العطاء هو ما كان خالصا لوجه الله تعالى و هو عمل الأبرار من عباد الله تعالى قال الحق تبارك و تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان: 8 - 9].

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله والمعنى: إنهم يقولون ذلك لهم تأنيساً لهم، ودفعا لانكسار النفس الحاصل عند الإطعام، أي ما نطعمكم إلاّ استجابة لما أمر الله، فالطعم لهم هو الله فالقول قول باللسان، وهم ما يقولونه إلاّ وهو مضمّر في نفوسهم. وعن مجاهد أنه قال: ما تكلموا به ولكن علمه الله فأثنى به عليهم. فالقصر المستفاد من: "إنما" قصر قلب مبني على تنزيل المطعمين منزلة من يظن أن من أطعمهم يمنّ عليهم ويريد منهم الجزاء والشكر بناء على المتعارف عندهم في الجاهلية. والمراد بالجزاء: ما هو عوض عن العطية من خدمة وإعانة، وبالشكور: ذكرهم بالمزية¹.

وما ذهب إليه الإمام ابن عاشور رحمه الله، من أن القول كان باللسان قاله القرطبي أيضا. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «أي يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ} في الله جل ثناؤه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه. {لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً} أي مكافأة. {وَلَا شُكْرًا} أي ولا أن تشنوا علينا بذلك. قال ابن عباس: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا. وعن سالم عن مجاهد قال: أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله جل ثناؤه منهم فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب²».

و إذا كان أهل المعروف لا يطلبون ممن أحسن إليهم جزاء و لا شكورا، طلبا منهم لكمال الإخلاص و تجردا منهم لله عز وجل، فإن المجتمع مطالب و مأمور بشكرهم على معروفهم و الاعتراف بحسن صنيعهم، و المكافأة على المعروف مطلوبة من أهل الفضل من الناس، و قد مر معنا في قصة أبي الهيثم بن التيهان³ حين أكرم النبي صلى الله عليه و صاحبيه، و سأله النبي صلى الله عليه بعدها: هل لك خادم، فقال: لا و وعده النبي صلى الله عليه و سلم بخادم

¹ ابن عاشور، التحرير و التنوير: 385/29.

² القرطبي، الجامع لحكام القرآن: 460/21.

³ تقدمت ترجمته الصفحة: 131.

وعندما أعطاه الخادم أعتقه أبو الهيثم، وقد جاء في الحزب على شكر من أسدى المعروف
وقدم المساعدة أحاديث عدة منها

- عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استعاذ بالله فأعيذوه
ومن سأل بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا
ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»¹.

فالدعاء الخالص لله هو أعظم تشجيع و مساندة للمحسنين على فعل الخير بل ومن أعظم
أسباب استبقاء الإحسان واستمرار مردوده، حتى وإن كان المحسن كما ورد في القرآن الكريم لا
يريد منا جزاء و لا شكورا فهذا المقام هو مقام الأبرار و ليس كل الناس في هذه المرتبة من
الإيمان الراسخ، لذلك فإن الكثير من المحسنين يحتاجون إلى التشجيع و المساندة لكي يستمر
على فعل الخير، و إلا فإن بعض النفوس جبلت على حب الثناء و الذكر فإذا رأى كئودا
و صدودا من الناس فرمما كان ذلك سببا في انقطاعه عن فعل الخير، من شكر المعروف أن تقول
لفاعله جزاك الله خيرا، و تشني عليه بكل ما يعبر عن شكره و استحسان ما قام به .

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صنع إليه
معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء»².

قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «المعروف الإحسان والمراد من أحسن إليه إنسان بأي
إحسان فكافأه بهذا القول، فقد بلغ في الثناء عليه مبلغا عظيما، ولا يدل على أنه قد كافأه على
إحسانه؛ بل دل على أنه ينبغي الثناء على المحسن وقد ورد في حديث آخر: إن الدعاء إذا
عجز العبد عن المكافأة، مكافأة»³ .

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (199/8)، رقم الحديث (3408)، كتاب الزكاة، ذكر
الأمر بالمكافأة لمن صنع إليه معروف، و أبو داود، سنن أبي داود: الصفحة (197)، رقم الحديث: (1672) كتاب
الزكاة باب عطية من سأل بالله . و أحمد، المسند: (266/9)، رقم الحديث (5365)، كلهم عن ابن عمر رضي الله
عنه و اللفظ لأبي داود . قال الرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين

² أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (202/8)، رقم الحديث (3413)، كتاب الزكاة، باب ذكر
الشيء الذي إذا قاله المرء للمسدي إليه المعروف عند عدم القدرة على الجزاء يكون مبالغا في ثوابه، و الترمذي، سنن
الترمذي: (380/4)، رقم الحديث: (2035)، كتاب البر و الصلة، باب المتشبع بما لم يعطه .

³ الصنعاني، سبل السلام: (362/4).

قال في تحفة الأحوذى: «فقد أبلغ في الشاء» أي بالغ في أداء شكره وذلك أنه اعترف بالتقصير وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه ففوض جزاءه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى. قال بعضهم : إذا قصرت يداك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر والدعاء»¹

- وعن جابر: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به ومن لم يجد فليئن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور.»²

وبوب الترمذى في السنن: باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك و أخرج عن أبيهريزة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»³. وفي لفظي مسند الإمام أحمد: عن الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس»⁴.

قال في تحفة الأحوذى: «قال القاضي: وهذا إما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتنال أمره وأن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديا شكر نعمه، أو لأن من أحل بشكر من أسدى نعمة من الناس، مع ما يرى من

¹ المباركفوري ، تحفة الأحوذى : 185/6 .

² أخرجه الترمذى، سنن الترمذى: 379/4، رقم الحديث: 2034 ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه ، من طريق إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزيرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ، و أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : 524 رقم الحديث: (4813) ، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف. و أبو يعلى مسند أبي يعلى : (104/4)، كلاهما من طريق بشر بن المفضل ثنا عمارة بن غزيرة عن رجل من قومي عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ، و أخرجه ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (203/8 - 204) ، رقم الحديث (3415)، كتاب الزكاة، ذكر الأخبار بأن الحمد للمسدي المعروف يكون جزاء المعروف، من طريق : زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل الأنصاري : عن جابر بن عبد الله، و اللفظ للترمذى، و قال الترمذى حديث حسن غريب . وقال الألباني حسن لغيره، ينظر: المنذر الترغيب و التهيب (413/1). مع أحكام الألباني .

³ أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : 524 ، رقم الحديث : 4811 ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف و الترمذى سنن الترمذى : 339/4 ، رقم الحديث : 1954 ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك . قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . و أخرجه أحمد ، المسند : (322/13)، رقم الحديث (7939) و (166/36 - 167) رقم الحديث : 21847 . و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (776/1).

⁴ أحمد، المسند (166/36) ، رقم الحديث: 21846 .

حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء وتأذيه بالإعراض والكفران كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عنده الشكر والكفران انتهى»¹

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»².

قال الحافظ ابن حبان في صحيحه بعد إيرده هذا الحديث: «شكر الطاعم الذي يقوم بإزاء أجر الصائم الصابر: هو أن يطعم المسلم ثم لا يعصي باريه يقويه ويتم شكره بإتيان طاعاته بجوارحه لأن الصائم قرن به الصبر لصبره عن المحظورات وكذلك قرن بالطاعم الشكر فيجب أن يكون هذا الشكر الذي يقوم بإزاء ذلك الصبر يقاربه أو يشاركه وهو ترك المحظورات على ما ذكرناه»³.

فقد تأكد لنا في ضوء هذه الأحاديث أن من واجبنا تجاه المحسنين الذين يسهمون في دعم الخدمات الاجتماعية، أن نبادلهم بالشكر والعرفان لجميل صنائعهم و هي تلك الخدمات الجليلة التي يقدمها المحسنون للمجتمع، و لا بأس أن يتم تكريمهم في كل سانحة و هو هدي نبوي في إكرام من أحسن إلينا، و في هذا العمل تشجيع و استدامة لأعمال الخير في الأمة .

¹ المباركفوري ، تحفة الأحمدي : (87/6) .

² أخرجه ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (16/2) ، رقم الحديث (315) كتاب البر و الإحسان وابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة : (197/3) ، رقم الحديث (1898) ، كتاب الصيام ، باب ذكر البيان أن الصيام من الصبر على ما تأولت خبر النبي صلى الله عليه و سلم ، والترمذي ، سنن الترمذي : 653/4 ، رقم الحدث (2486) كتاب صفة القيامة ، باب ، و أخرجه ابن ماجة سنن ابن ماجة : (561/1) ، رقم الحديث (1764) كتاب الصيام ، باب فيمن قال الطاعم الشكر كالصائم الصابر . والحديث أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح (447/3) معلقا ، فقال : باب الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر فيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الترمذي حسن غريب . و قال الأعظمي في تحقيقه لابن خزيمة : إسناده صحيح .

³ ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (18/2) .

المبحث الثاني : تفعيل الخدمة الاجتماعية ميدانيا في ضوء السنة النبوية وأثرها في دعم الخدمة في واقعنا.

المطلب الأول: المبادرة الميدانية للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية.

إن الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نصروه، لم تكن نصرتهم شعارات رنانة وكلمات بلا مقابل، بل كانت نصرتهم له مضرب المثل في التضحية بالنفس و النفيس، نصرته له و لدينه، فلم تكفهم بذل نفوسهم فداء لدينهم و نصرته لنبئهم، فزادوا عليه التضحية و الفداء بأموالهم، وما يمتلكون فاقتموه فيما بينهم ، فهذا السلوك الفذ النادر إنما نبع من فهمهم لدينهم و استجابة لتعليمات النبي صلى الله عليه و سلم، الذي كانت سنته و هديه مضرب المثل في الخدمة الاجتماعية بعمقها الحقيقي، فجعلوا من الوافدين الجدد أصحاب ملكيات لا محتاجين يتكفون الناس، وفيه ما فيه من رعاية الجانب النفسي و الإيماني في نفوس الصحابة الكرام .

«عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما قدم المهاجرون المدينة من مكة وليس بأيديهم وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمؤنة وكانت أمه أم أنس أم سليم كانت أم عبد الله بن أبي طلحة فكانت أعطت أم أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاقا¹ فأعطاهن النبي صلى الله عليه وسلم أم أيمن² مولاته أم أسامة بن زيد . قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهل خيبر فانصرف إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم فرد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمه [المراد أم أنس] عذاقها فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن مكانهن من حائطه. وقال أحمد بن شبيب أخبرنا أبي عن يونس بهذا وقال: «مكانهن من خالصه»³

¹ العذاق جمع عذق، و هو النخلة و قد مر تفسيره، الصفحة :

² قال الإمام النووي : «هذا تصريح من ابن شهاب أن أم أيمن - أم أسامة بن زيد - حبشية وكذا قاله الواقدي وغيره ويؤيده ما ذكره بعض المؤرخين أنها كانت من سبي الحبشة أصحاب الفيل وقيل أنها لم تكن حبشية وإنما الحبشية امرأة أخرى واسم أم أيمن التي هي أم أسامة بركة كنيت بابنها أيمن بن عبيد الحبشي صحابي استشهد يوم خيبر قاله الشافعي.» ينظر، النووي، صحيح مسلم بشرح النووي : (100/12).

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (244/2) ، رقم الحديث (2630) ، كتاب الهبة ، باب فضل المنيحة .

زاد مسلم، قال ابن شهاب: «وكان من شأن أم أيمن أم أسامة بن زيد أنها كانت وصيفة لعبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه، حتى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة، ثم توفيت بعد ما توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخمسة أشهر».¹

ولقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في المبادرة إلى التضحية بكل ما يملكون من مال خدمة للدين و المجتمع، و لا نكاد نجد مثل هذا البذل الباذخ إلا في عهد صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أو في عمل من اقتفى أثرهم من صالحى هذه الأمة، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن أبا بكر تبرع بكل ماله لما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالصدقة .

- فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول:«أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجتت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله قلت : والله لا أسبقه إلى شيء أبدا .²

ففي هذا الحديث نلحظ مدى المسابقة إلى الأعمال الخيرية من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو يدل على مدى الانسجام العجيب و التوافق التام بين القول و العمل في حياة سادتنا من الصحب الكرام عليهم الرضوان، لقد أضحى انسجامهم مع تعاليم الدين وتوجيهات النبي الكريم أعمالا جليلة على أرض الواقع تمثلت في الخدمات الجليلة التي برهنوا بها عن مدى حبهم للعباء طاعة لله و رسوله صلى الله عليه و سلم .

لقد شهدت الوقائع على سموهم وعلو مكانتهم، بما امتحنوا به من مواقف أخرجت نفائس نفوسهم وبرهنت عن صفاء ضمائرهم وصحة عقائدهم، بما بذلوا من أموالهم وممتلكاتهم لإخوانهم المهاجرين ، وأي خدمة اجتماعية ترقى إلى هذا المستوى الرباني من تنازل عن المال

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم : الصفحة (848) ، رقم الحديث : (1771) كتاب الجهاد و السير ، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح .

² أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي : (614/5 - 615) ، رقم الحديث : (3675) ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما كليهما ، وأبو يعلى مسند أبي يعلى : (263/1) ، رقم الحديث : (159) . و قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

والمسكن بله الزوجات، لعمرى إنه الإيمان الحق وتربية الصدق إنها المدرسة المحمدية التي أخرجت هذا الجيل النموذجي الرائع .

عن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وكان سعد ذا غنى فقال لعبد الرحمن أقاسمك مالي نصفين وأزوجك قال بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا فأتى به أهل منزله فمكثنا يسيرا أو ما شاء الله فجاء وعليه وضر من صفرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مهيم قال يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار قال ما سقت إليها قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب قال أولم ولو بشاة¹ .»

بل وبلغ الأمر بهم أنهم إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة و البذل والعطاء ولم يجدوا ما يبذلونه، فإنهم يُخدمون أنفسهم بالأسواق وبعد ذلك، يقدمون ما تيسر للنبي عليه السلام، مساهمة منهم في سد حاجة ذوي الخصاصة.

فأخرج النسائي في سننه: تحت عنوان الباب، جهد المقل، عن أبي مسعود قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالصدقة فما يجد أحدنا شيئا يتصدق به حتى ينطلق إلى السوق فيحمل على ظهره فيجيء بالمد فيعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف اليوم رجلا له مائة ألف ما كان له يومئذ درهم»²

وأخرجه البخاري بلفظ: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فتحامل، فيصيب المُد، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف»³.

وقد جاء الحديث الآخر: «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الأعمال أفضل؟

¹ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (73/2)، رقم الحديث (2049)، كتاب البيوع، والترمذي، سنن الترمذي: (4/328)، رقم الحديث: (1933). كتاب البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ.

² أخرجه النسائي، سنن النسائي: (63/5)، رقم الحديث: (2528)، كتاب الزكاة، جهد المقل. و صححه الألباني في صحيح سنن النسائي: (203/2 - 204).

³ أخرجه البخاري، الجامع الصحيح: (438/1)، رقم الحديث (1416)، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار و لو بشق تمره و القليل من الصدقة. عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

قال: إيمان لا شك فيه... قيل فأى الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل... الحديث¹.

قال السندي في حاشيته على النسائي: «قال: جهد المقل» بضم الجيم أي قدر ما يحتمله حال من قل له المال، والمراد ما يعطيه المقل على قدر طاقته. ولا ينافيه حديث خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى لعموم الغنى للقلبي وغنى اليد².

والتعاون والارتفاق في باب الخدمات في حال الحضر والسفر في الحرب والسلام وقد مر معنا خدمة الصحابة والصحابيات في حال الحرب فقد أعطوا أروع الأمثلة. ففي الحديث:

- عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أراد أن يغزو فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عشيرة فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة كعقبة». يعني أحدهم. فضممت إلى اثنين أو ثلاثة قال: ما لي إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملي³.

قال في عون المعبود: «والمعنى لم يكن لي فضل في الركوب على الذين ضممتم إلي بل كان لي عقبة من جملي مثل عقبة أحدهم»⁴.

ففي هذا الحديث أن مال المسلم في باب المواساة والظروف الاستثنائية يصير مالا للجميع لا مزية له عليهم في الارتفاق بذلك المال، إلا الفضل والصدقة.

¹ أخرجه النسائي، سنن النسائي: (62/5)، رقم الحديث: (2525)، كتاب الزكاة، جهد المقل عن عبد الله بن حبشي الخثعمي، رضي الله عنه. و صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي: (202/2 - 203).

² النسائي، سنن النسائي بحاشية السندي: (62/5).

³ أخرجه أبو داود: الصفحة: (287 - 288)، رقم الحديث: (2534)، كتاب الجهاد، باب الرجل يتحمل بمال غيره يغزو. والحاكم المستدرک: (90/2) وأحمد، المسند: (148/23) رقم الحديث (14863) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي في التلخيص بhamش المستدرک و قال الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح.

قال في عون المعبود: (208/7) "و الحديث سكت عنه المنذري".

⁴ العظيم آبادي، عون المعبود: (208/7).

المطلب الثاني: التنشئة الاجتماعية السليمة ودورها في دعم الخدمة الاجتماعية.

«تؤسس نظريات التربية في المجتمعات الحديثة و المعاصرة، على أنظمة وضعية، أو مذاهب فلسفية، أو تجارب فردية، أ تطبيقات عملية، وتعد المؤتمرات، وتعرض الأبحاث والدراسات والقواعد التي تحدد النظم التربوية الناجحة، و التي تكفل في تصورهم، إيجاد المجتمع الأفضل أو الأصلاح، والذي يمكن أن يخدم أغراض الدول و يعمل على إنمائها، ولا تستهدف هذه السياسات تكوين الإنسان الصالح من قريب أو بعيد.. فالمواطن الصالح في فلسفة التربية البراجماتية (الأمريكية) هو الشخص الناجح الظافر بكل شيء ... ولذلك فإننا نجد المرأة الأمريكية تربي ابنها على حب الغلبة، إذ عليه أن يسعى جاهدا أن يصرع غيره، و يتفوق عليه في كل فعل وأمر وهذا الصراع الأناي يفسد علاقات الأخوة والمحبة، و يبيت في النفس الإيثار والتضحية... فتضيع في فلكه القيم الكبرى، مكارم الخلاق كالإحسان والعدل والمساواة والإيحاء»¹.

لكن في ظل التربية النبوية المباركة، فقد كان من هدي النبي صلى الله عليه و سلم إعداد الصغار إعداد متكاملا عقديا و تربويا اجتماعيا ومن وقت مبكر ليكونوا سواعد عاملة وعقول مفكرة في قابل الأيام فكان يحترمهم كما يحترم الكبار، ويعلمهم في مكان التعليم ليكون أرسخ في نفوسهم، ويكلفهم بما يطيقون من أعمال تدريبا لهم على الاستقلال في المستقبل وغيرها والأمة التي تعهد أطفالها الإعداد الاجتماعي الناجح تسعد بمستقبل مشرق.

« وقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدرّب أطفال المسلمين منذ صغرهم على تحمل المسؤوليات في مجال الأعمال المختلفة لتنمو شخصيتهم و ليعتمدوا على أنفسهم في تحمل أعباء الحياة و في إنجاز الأعمال الهامة التي تتطلبها منهم الدعوة الإسلامية في الدفاع عنها ونشرها بين الناس، ومن ناحية أخرى اعتماد كل منهم على نفسه في اتخاذ مهنة له يكسب منها رزقه ولا يكون عالة على غيره»².

¹ حسن الشرقاوي ، نحو تربية إسلامية:الصفحة: (17) .

² المرجع نفسه : الصفحة : (72) .

« إن الطفل سيصبح عضوا في الجماعة وفردا من أفراد المجتمع يسهم في تطوره عندما يصبح رجلا ويؤدي دوره الذي أعد له، وهو لن يستطيع أداء هذا الدور إلا إذا عاش بالفعل تلك الحياة الاجتماعية وتدرّب على الدور الذي سيقوم به في المستقبل. »¹.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله و هو يتحدث عن الأساليب التي تستخدم لمحاربة التشرد عند الأطفال : «العناية بإعداد كل إنسان للعمل، و تمكينه من العمل الذي يناسبه ، فإن القوى المعطلة تترى فيها عادة الخمول، و عدم الاعتماد على النفس، و يسودها الفقر من غير محاولة للعمل، وفي وسط تلك الحال العفنة تموت الكرامة و تهون النفس ، وتعود سلوك كل المسالك الذليلة المهينة، فيكون التسول والتسول والتشرد توأمان يرضعان من ثدي واحدة، وهو هوان النفس، ومن يتعود الهوان يستمرئه، ويترى عليه، ويكون مؤثرا في سلوكه في الحياة، بل في سلوك من يتربون على مائدته الذليلة ، وكذلك نجد أسرا يسيطر عليها الهوان ، فتدفع أولادها للتسول، مع أن الرجل قادر ، والمرأة تستطيع العمل الذي تحسنه النساء .

ولا علاج لهذا الداء - التشرد - إلا بالترغيب في العمل و الحمل عليه و تهيئة الأسباب ليشعروا بعزة العمل و نيل العيش المعروف بالجد.»²

لذا جاء في الحديث:«عن سمرة [بن جندب] عن النبي صلى الله عليه وسلمقال « المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بدا .» عند الترمذي : عن سمرة بن جندب : قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن المسألة كدُّ يَكُدُّ بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانا، أو في أمر لا بد منه .³

¹ حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام: الصفحة : (103)

² أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع : الصفحة 112 - 113 .

³ أخرجه ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (190/8 - 191) رقم الحديث (3397)، كتاب الزكاة ، باب المسألة . والترمذي، سنن الترمذي : 56/3 ، رقم الحديث : 681 ، كتاب الزكاة ، بما جاء في النهي عن المسألة . وأبو داود، سنن أبي داود: الصفحة (194)، رقم الحديث (1639)، كتاب الزكاة ، باب ما تجوز فيه المسألة . قال الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان إسناده صحيح .

وقوله في الحديث: " إلا أن يسأل الرجل سلطانا دليل قاطع على ضرورة توفير مؤسسات الخدمة الاجتماعية لحفظ كرامة الأفراد و صون عزتهم، ذلك أنهم عندما ينالون حقوقهم المادية وغيرها من المؤسسات أو الجمعيات الخيرية ، لا تعلق بهم منة الأفراد و استبقاء جميل الصنع في الذمة ، لذا فهذا دليل بالإشارة أن السلطان المراد منه و الله الهيئة المتخصصة في العون والإغاثة. ولا يترك الفرد لأمزجة الناس .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس خلق العزة و الاعتماد على الذات، و ذلك قصد ضمان التنشئة السليمة للفرد ليكون عضوا فاعلا في المجتمع و هذه التنشئة الاجتماعية السليمة هي من أجل الخدمات الاجتماعية التي تقدم للفرد لتستقيم حياته في مستقبله على أكمل وجه فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال: « أما في بيتك شي ». قال بلى جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء. قال « ائتني بهما ». فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال: « من يشتري هذين ». قال رجل أنا آخذهما بدرهم. قال « من يزيد على درهم ». مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأنتي به ». فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له « اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ». فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجه¹.

فهذا الحديث فيه تربية ميدانية لهذا الصحابي الجليل على خلق الاعتماد على النفس الذي يحقق السعادة والرضا في حياة الفرد والتي تعد من أهم ركائز السلامة والصحة النفسية، ذلك أن الإنسان يحصل سعادة ورضا بعد نجاحه في أي منجز يعود عليه بالفائدة في حياته الاجتماعية، والقائمون على مؤسسات الخدمة الاجتماعية ينبغي أن يعتنوا بمثل هذه الأحاديث لتوظيفها في

¹ أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : (194) رقم الحديث : (1641) ، كتاب الزكاة ، باب ما تجوز فيه المسألة . وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : (740/2) ، رقم الحديث (2198) ، كتاب التجارات ، باب بيع المزايمة والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه : الصفحة (169)

شحن الهمم للوصول إلى القناعة بأن العمل و الاجتهاد الفرديواختراع وظائف مناسبة لكل فرد
يعد أكبر دعم و توجيه من القائمين على الخدمة الاجتماعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: المدرسة و دورها الرائد في دعم الخدمة الاجتماعية.

الفرع الأول: المدرسة و دورها في التنشئة الاجتماعية الفاعلة.

المدرسة هي المركز الثاني المهم بعد الأسرة لدعم تنشئة اجتماعية سليمة، حيث في الجو المدرسي يتلقى الطفل الكثير من المبادئ والقيم التي من خلالها تصاغ أفكار الطفل وتوجهاته، ففي المدرسة هناك الجماعة المشاكلة له؛ وهم أصدقاءه، وفيها المعلم، والمشرف على المدرسية والتلميذ يبدأ في رسم خارطة التعامل مع هذه العناصر الجديدة عليه، كما أنه يتلقى في المدرسة المبادئ الخلقية والقيم المجتمعية ويتعلم التصرف الجماعي من خلال احتكاكه بزملائه فالعمل الناجح داخل الفريق المدرسي والذي يسعى بجد لتوفير الجو الصحي نفسيا وجسما للمتمدرس يعد من أهم ركائز نهضة الأمم، كما أنه يمكن استغلال المدرسة لتربية الطفل على الفكر الخدمي والتطوعي عن طريق تكليفهم بالأعمال التطوعية، غرس الأشجار سقيها تنظيف لوح المدرسة، القيام بالواجبات الاجتماعية كزيارة تلميذ مريض أو مواسة من توفي وليه من الزملاء، فكل عمل خيري سيرتسم في مخيلة الطفل و يتحول في داخلته إلى ثقافة و ممارسة بعد اكتمال نضجه.

وقد كانت الزاوية¹ في المورث الثقافي الجزائري، ولا تزال في العصر الحاضر، مدرسة للتنشئة الاجتماعية، وإعداد الرجال، حيث أن الطالب يتعلم و يعمل ويكسب قوته عن طريق المساهمة في الفلاحة من غرس و حرث و حصاد و غيرها كما يقوم الطالب في الزاوية بإعداد طعامه وغسل ثيابه وكل المهام وهذا فيه تربية على الخدمة لذا تجد غالب طلبة الزوايا قديما عمال أنفسهم يساهمون في تنمية المدرسة وكانوا بعدها سادة و قادة في الجيوش، والأمير عبد القادر بن محي الدين، والشيخ الحداد، وبوعمامة، رحمهم الله تعالى خير مثال على دور الزاوية في تنشئة الفرد تنشئة سليمة وفاعلة اجتماعيا.

¹ الزاوية : مصطلح اجتماعي يطلق على المدرسة التي يقصدها الطلاب من كل جهة لتعلم القرآن، و مبادئ الدين الحنيف، و للزاوية شيخ هو المشرف عليها، و لها طريقتها في التسيير و التعليم، للزاوية في الغالب أوقافها و و لها تبرعات من المحسنين، تسيير هذه الأوقاف من الشيخ أو من يعينه الشيخ و هو المقدم، و لها حضور اجتماعي في إصلاح ذات البين و تزويج النساء و إيواء المشردين، و لقد لعبت الزاوية دورا اجتماعيا مهما في تاريخ الجزائر فكانت مركزا لتخريج العلماء و المجاهدين الذين شكلوا النواة الأولى للثورة الجزائرية. فالمقراني و الحداد، و أولاد سيدي الشيخ، و الأمير عبد القادر، و من المعاصرين الشيخ الطاهر آيت علجت ... كلهم أبناء الزاوية الجزائرية.

ونعود إلى موضوعنا ونقول أن المدرسة النبوية المباركة كانت المثال والنموذج في ترسيخ تعاليم الدين، والقيم السامية، في نفوس الصحابة الكرام، وما أحوجنا في مدرسة اليوم أن نقلن الأطفال تلك التعاليم النبوية الكريمة و المتمثلة في قيم: التعاون، وإتقان العمل، والمساعدة الاجتماعية للفئات الهشة، وذوي الاحتياجات الخاصة، وقد مر معنا في تضاعيف البحث الأحاديث الدالة على الخدمة الاجتماعية و فضلها في الفصل الأول و الثاني .

- الفرع الثاني: الإعداد الاجتماعي الناجح للطفل المتمدرس.

ونؤكد هنا على أن الطفولة مرحلة مهمة لغرس القيم والأخلاق عن طريق توظيف الدرس النبوي في ضوء السنة النبوية، ومدى ضرورته لخلق منظومة قيمية داخل المدرسة، ويغتنم المربي كل الفترات، لو في الفترة المخصصة للعب داخل ساحة المدرسة، فالمربي الناجح يغتنم أي فرصة لتعمير رسالته والوصول لهدفه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان كلما أتاحت الفرصة يقوم بتوجيه الإرشاد والتعليم للطفل. ونلقي الضوء على جملة من المواقف النبوية مع الأطفال ليستفيد منها المربون في المدارس.

أولا - منادة التلميذ بأحسن أسمائه: ولا بأس أن ينادي المعلم التلميذ باسم فيه معاني الحيوية و البطولة، خصوصا إن كان له اسما غير موافق، فقد كان عليه السلام يحسن أسماء من يقدم عليه من الصبيان مع آبائهم للبيعة أو التعلم، لما للاسم من أثر على نفسية الطفل، فكان عليه السلام، يحسن معاملة الصغار و يناديهم و يتحاور معهم، ذلك الحوار و لو كان قصيرا في بعض الأحيان إلا أن له أثره في نفسية الطفل .

- عن يحيى بن عتبة بن عبد، عن أبيه قال : «دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام حدث ، فقال : ما اسمك ؟ فقلت : عثلة بن عبد قال : أنت عتبة بن عبد الله¹

- وعن عتبة رضي الله عنه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الرجل، وله الاسم لا يحبه، حوله، ولقد أتينا تسعة من بني سليم، أكبرنا العرباض بن سارية، فبايعناه جميعا معا²».

¹ الطبراني ، المعجم الكبير : (122/17) رقم الحديث : (300)، و ابن أبي عاصم ، الأحاد و المثاني:(55/3).

² ابن أبي عاصم الأحاد و المثاني : 55/3 .

عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما اسمك قال حزن قال أنت سهل قال لا أغير اسما سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد.¹ قال أبو داود في سننه: « وغير النبي صلى الله عليه وسلم ، اسم العاص، وعزيز، وعتلة وشيطان، والحكم، و غراب، و حباب، و شهاب، فسماه هشاما ، و سمى حربا سلما، وسمى المضطجع، لمنبث، وأرضا تسمى عفرة، سماها خضرة، وشعب الضلالة، سماه شعب الهدى، وبنو الزنية، سماهم بني الرشدة، وسمى بني مغبوية ، بني رشدة . قال أبو داود تركت أسانيدھا للاختصار.²»

ثانيا - التقدير و الاحترام.

وكان صلى الله عليه وسلم يعاملهم بتقدير و احترام، هو عنصر مهم لصنع الثقة بالنفس عن سهل بن سعد الساعدي: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتني بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله لا أوثر بنصبي منك أحدا قال فتله³ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده⁴».

ثالثا - تلقينهم الأخلاق القويمة :

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على تعليم صبيان المسلمين أمر دينهم و ما فيه منفعتهم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (126/4) رقم الحديث (6190) كتاب الأدب، باب اسم الحزن. عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنهما .

² أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة : (536) رقم الحديث (4956) ، كتاب الأدب ، باب في تغيير الاسم القبيح .

³ أي ألقاه، قال ابن الأثير : التلُّ الصَّبُّ فاستعاره للإلقاء . يقال تَلَّ يَتَلُّ إذا صَبَّ وتَلَّ يَتَلُّ إذا سَقَطَ . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر : (195/1).

⁴ أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة: (975) ، رقم الحديث : (2030) كتاب الأشربة ، باب استحباب إدارة الماء و اللبن و نحوهما عن يمين المبتدي .

بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.¹

رابعا - الرفق في التعليم و عدم العنف.

عن ابن مسعود قال: «كنت أرى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: يا غلام هل من لبن قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص فقلص، قال: ثم أتيت به بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله فإنك غليم معلم»²

فالمسح على رأس الغلام يخلق في نفسية الصبي الأناقة والميل لمن يعلمه وهو عنصر الثقة بين المعلم والمتعلم، وفي هذا الحديث إرشاد للمعلمين أن يستخدموا وسائل الرفق فإنه أوفق بالطفل وأحسن للتحصيل.

ونلاحظ في الحديث استخدام أسلوب المدح لما فيه من تقوية عزيمة المتعلم، فيسارع إلى التحصيل ليكون عند ظن معلمه.

- خامسا: الحرص على تعليم الأولاد الآداب العامة.

ومنها المشي والجلوس، والأكل، والدخول، والخروج، والاستئذان،... وغيرها، بوب الترمذي في سننه: باب ما جاء في التسليم على الصبيان، وأخرج بإسناده: شعبة عن سيار قال: «كنت أمشي مع ثابت البناني فمر على صبيان فسلم عليهم فقال ثابت: كنت مع أنس فمر

¹ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي: (667/4)، رقم الحديث (2516)، كتاب صفة القيامة، باب . و أحمد في المسند : (409/4)، رقم الحديث (2669)، عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا . قال الأرنؤوط : إسناده قوي ، وأخرجه الحاكم ن المستدرك : (542/3) عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعا . و صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (610/2).

² أخرجه ابن حبان ن صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (536/15) رقم الحديث (7061) كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة. باب ذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، و أحمد المسند : (82/6)، رقم الحديث : (3598). قال الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان: إسناده حسن رجاله ثقات غير أبي بكر بن عياش احتج به البخاري و روى له مسلم في المقدمة .

على صبيان فسلم عليهم وقال أنس: كنت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فمر على صبيان فسلم عليهم¹ .

وأخرج مسلم في صحيحه: « عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر على غلمان فسلم عليهم² .»

قال الإمام النووي في شرح مسلم: « وفي رواية: مر بصبيان فسلم عليهم. الغلمان هم الصبيان بكسر الصاد على المشهور وبضمها، ففيه: استحباب السلام على الصبيان المميزين والندب إلى التواضع، وبذل السلام للناس كلهم، وبيان تواضعه صلى الله عليه و سلم وكمال شفقتة على العالمين، واتفق العلماء على استحباب السلام على الصبيان ولو سلم على رجال وصبيان فرد السلام صبي منهم هل يسقط فرض الرد عن الرجال ففيه وجهان لأصحابنا أصحابهما يسقط ومثله الخلاف في صلاة الجنائز هل يسقط فرضها بصلاة الصبي الأصح سقوطه ونص عليه الشافعي ولو سلم الصبي على رجل لزم الرجل رد السلام هذا هو الصواب الذي أطبق عليه الجمهور وقال بعض أصحابنا لا يجب وهو ضعيف أو غلط³ »

وكان صلى الله عليه وسلم يؤدبهم و يعلمهم آداب المجالس ومنها مجلس الطعام.

عمر بن أبي سلمة قال: « كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي: يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك⁴ .»

¹ أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح : (140/4) ، رقم الحديث : (6247) ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان ، الترمذي ، سنن الترمذي : (57/5) ، رقم الحديث : (2696) ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في التسليم على الصبيان . والدارمي ، سنن الدارمي : (1722/3) ، رقم الحديث : (2678) ، كتاب الاستئذان ، باب في التسليم على الصبيان ، جميعهم عن شعبة بهذا الإسناد . و اللفظ للترمذي .

² أخرجه ، مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : (1036) ، رقم الحديث : (2168) ، كتاب السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان .

³ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : (14 / 149) .

⁴ أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : (972) ، رقم الحديث : (2022) كتاب الأشربة ، بابداب الطعام و الشراب و أحكامهما

سادسا - مداعبة الصبيان وأثره الطيب على نفسية الصغار.

ولا بأس أن يداعب المعلم الطفل الصغير، ليأنس إليه و تركز النفس إلى تعليمه، فالنفوس تنفر من غلب عليه خلق الغلظة والشراسة .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يداعب الصبيان الصغار، لما في مداعتهم من أثر حسن والنبي عليه كان يعلم الصبي و الغلام ، و مع ذلك فكان يؤكد على حقهم في اللعب و المرح الذي هو الوسط الذي يتعلمون به الكثير من الأشياء . فقد ثبت في الصحيح : « عن ابن شهاب أن محمود بن الربيع الذي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه من بثرهم أخبره: أن عبادة بن الصامت أخبره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن¹ .»

وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالطنا كثيرا حتى إن كان يقول لأخ صغير لي : (يا أبا عمير ما فعل النغير؟) وحضرت الصلاة فنضحنا بساطا لنا فصلى عليه و صففنا خلفه² .

سابعا - تخصيص فترات معينة للعب داخل المدرسة.

كان صلى الله عليه وسلم يقر اللعب للصغار، و فيه دعوة لنا أن نوفر أماكن للعب الأطفال لما للمرح واللعب من فوائد تربوية ونفسية لدى الطفل . يؤكد علماء النفس والتربية على أهمية اللعب فيقول في هذا الصدد الأستاذ محمد طلعت عيسى: «نظرا لأن الطفل كائن يلعب دافع حب الاستطلاع فيه دورا بالغ الأهمية؛ نظرا لأنه يتذوق من جمال الطبيعة ما لا يتذوقه الكبار، فإن المتنزعات والحدائق وشواطئ الاستحمام عناصر هامة في النشاط الترويحي للطفولة لما لها من آثار نفسية و اجتماعية و أخلاقية... كما تعتبر ألعاب الحركة كالجري والعدو والوثب والتدحرج وقذف الأشياء وألعاب الاستطلاع التي تشبع ميل الطفل إلى الاطلاع كالكشافة والمرشدات؛ وألعاب التحطيم، والتركيب، التي يقوم

¹ أخرجه مسلم ، صحيح مسلم : الصفحة : (184)، رقم الحديث : (194)، كتاب الصلاة ، باب

² أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح: (114/4)، رقم الحديث(6129)، كتاب الأدب ،باب الانبساط للناس، و ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (6 / 251، 252)، رقم الحديث (2506) ، كتاب الصلاة ، ذكر إباحة صلاة المرء جماعة تطوعا . عن أنس بن مالك رضي الله عنه، و اللفظ لابن حبان .و ليس عند البخاري : زيادة و حضرت الصلاة ... الخ التي عند ابن حبان .

فيها الطفل بالفك وإعادة تركيب الأشياء المفككة بعضها إلى البعض الآخر من ألوان النشاط الترويحي العقلي التي تتفق مع خصائص هذه المرحلة. ويعتبر حرمان الطفل من ألوان النشاط سالفة الذكر نوعاً من الصد لدوافع اللعب والاستطلاع يؤدي إلى انحرافات مرضية نتيجة لانصراف طاقة الطفل الجسمية والعقلية إلى مسالك خفية لا سوية لا تتفق مع آداب المجتمع و قيمه ¹ .

وهذا يتفق مع ما تؤكد الأحاديث النبوية الشريفة من تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم عن لعب عائشة الدمى وهي صغيرة السن فأخرج النسائي في السنن الكبرى : «عن عائشة قالت كنت ألعب بالبنات في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكن لي صواحب يأتييني فيلعبن معي، فيتقمعن إذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن إلي فيلعبن معي ²».

وفي لفظ «عن عائشة قالت: قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة وقد نصبت على باب حجرتي عباءةً، وعلى عرض بيتها ستر أرميني ³ فدخل البيت، فلما رآه، قال لي: يا عائشة، مالي وللدنيا، فهتك العُرض حتى وقع الأرض وفي سهوتها ستر، فهبت ريحٌ، فكشفت ناحية عن بنات لعائشة لعبٌ، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي. ورأى بين ظهرانيهن فرس له جناحان، قال: و ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟! قالت: أوما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه ⁴».

بل كان صلى الله عليه وسلم يمر على الصبيان وهم يلعبون فيسلم عليهم، لما في هذا الفعل النبوي الشريف من تشجيعهم وإقرارهم على اللعب المباح.

¹ محمد طلعت عيسى و عدلي سليمان، خدمة الجماعة : الصفحة: (79).

² أخرجه البخاري، الجامع الصحيح : (115/4) ن رقم الحديث (6130)، كتاب الأدب ، باب الانبساط للناس ، و النسائي السنن الكبرى: (179/8)، رقم الحديث: (8897)، كتاب عشرة النساء، إباحة الرجل لزوجته اللعب بالبنات . عن عائشة رضي الله عنها .

³ أشار محقق السنن الكبرى: أن في نسخ أرميني - بالياء - .

⁴ أخرجه النسائي ، السنن الكبرى : (180/8)، رقم الحديث (8901)، كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته بالبنات .

أخرج أحمد عن أنس قال: «مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نلعب فقال : " السلام عليكم يا صبيان¹».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹أخرجه أحمد في مسنده: 20/ 248. رقم الحديث 12896 . و ابن أبي شيبة ، المصنف : (204/13)، رقم الحديث : (26288)، كتاب الأدب ، في السلام على الصبيان.

المبحث الثالث: تفعيل الطابع المؤسسي للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة.

المطلب الأول: السنة وفتح مجال الابتكار لتطوير وسائل الخدمة الاجتماعية.

لم تعرف البشرية حرية فكرية كما عرفها صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقد كانوا يتحاورون مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في ضوء ما رسخ في نفوسهم من قناعات أشربوها من أصول هذا الدين، والأمثلة من السنة كثيرة جداً، فكان الصحابة يبادرون بالعمال و كان رسول الله يصوب ما كان خطأً ويقر الصواب من أعمالهم .

وفي ميدان العمل الخيري، وخدمة المجتمع، دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسارعة في سن السنن الحسنة التي تسهم في خدمة المجتمع ورفقه.

فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: قال : «كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه قوم عراة محتابي النمار¹، أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما رأى بهم من الفاقة، فدخل

ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى، ثم خطب، فقال : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً² وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا³﴾ [النساء: 1] والآية التي في الحشر : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا

قَدَمَتْ لِغَدٍ⁴﴾ [الحشر: 18] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمره، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة، كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كوميئمن طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل كأنه مدهنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء²».

¹ أي لا يسبها. ومر الكلام على تفسيرها في الصفحة

² أخرجه : مسلم صحيح مسلم : (451/1)، رقم الحديث: (1017)، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة و لو بشق تمره أو كلمة طيبة و أ لها حجاب من النار . و ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (101/8)، رقم الحديث : (3308) كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، وأحمد، المسند : (509 /31)، رقم الحديث : (19174) =

فهذا الحديث أصل عظيم في اعتبار كل المبادرات الخيرية الفردية أو الجماعية، التي تصب في مجال النفع العام والخاص، و كذا كل ترقية و تطوير للخدمة الاجتماعية التي هي موضوع بحثنا؛ تعد من السنة الحسنة، التي رغب فيها النبي صلى الله عليه و سلم، و أن كل اجتهاد في تطوير الخدمة الاجتماعية لنفع الناس و إزالة أسباب تخلفهم و تطوير مهاراتهم، و سد حاجاتهم والبحث عن أسباب نهضتهم يعد من السنة الحسنة .

ويدخل في مجال السنة الحسنة التي حث عليها النبي صلى الله عليه و رغب فيها، كل من يساهم في تطوير برامج الخدمة الاجتماعية؛ عن طريق:

- العمل الميداني، مثل إحصاء المعوزين، والفقراء و المحتاجين، ومن ذوي الاحتياجات الخاصة
- وتسهيل سبل الحصول على المساعدة وفي وقتها ومكانها، عن طريق تطوير برامج مخصصة لهذا الغرض مع الاستعانة بالرقمنة، والوسائل الحديثة.
- حملات التوعية لفائدة الخدمة الاجتماعية التطوعية، والرسمية، عن طريق المحاضرات والندوات الفكرية، مع اغتنام المواسم والمناسبات الفاضلة والأيام الوطنية.
- الاهتمام بالشباب عن طريق تطوير مراكز لاستقبال الشباب العاطل عن العمل، وخلق فضاءات للعمل والمهنة الحرة؛ لكي لا يكون الشباب فريسة للضياع .
- إدخال مهام جديدة على منظومة تسيير المسجد بحيث يصبح فيه مكاتب للأخصائيين الاجتماعيين المتطوعين ويكون عملهم الإرشاد النفسي والتوجيه للشباب الواقع تحت الأزمات النفسية، أو الحوادث الطارئة أو النكسات بكل أنواعها.
- خلق متخصصين في الشأن الأسري - يسمى الأخصائي الأسري - يكون ملحق بوزارة الشؤون الدينية والشؤون الاجتماعية، يشرف على إعداد دورات تدريبية وتوجيهية للمقبلين على الزواج، وتوعية الشباب بالقوانين الأخلاقية وأسرار هذه المؤسسة الخطيرة في المجتمع.
- تطوير وسائل جباية المداخل المالية لمؤسسة الخدمة الاجتماعية عن طريق تفعيل القيمة نظير المقادير المحددة في الكتاب والسنة استجابة لمتطلبات المجتمع الصناعي المتحرك .

= و ابن الجعد، مسند ابن الجعد : (395/1 - 396) رقم الحديث : (531) . كلهم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه . و اللفظ لمسلم .

- وكذا تطوير طرق وصول المنح والمساعدات المالية لأصحابها عن طريق استخدام النظم المالية المعاصرة ومنها الحساب الجاري والرصيد البنكي، بحيث تدفع الكفارات المالية وغيرها من التبرعات المالية لهيئات مالية تابعة للشؤون الاجتماعية، وتصرف على شكل رواتب أو منح موسمية مع مراعاة، الدراسات الميدانية سالفه الذكر في تقديم من قامت الضرورة بتقديمه على غيره . وفي هذا العمل حفظ لكرامة المحتاج أرملة كانت أو غيرها .

- إعادة النظر من هيئات شرعية عليمه في كثير من الفتاوى الخاصة بالطلاق و استصدار قانون شرعي ملزم لكافة القضاة بالبلد، تحدد فيه و بصورة واضحة شروط وقوع الطلاق، خصوصا وقد كثر الخلاف بين الفقهاء في الكثير من القضايا الخطيرة المتعلقة بالطلاق، فالأسرة مؤسسة اجتماعية مهمة، وليس من السهل ترك هدمها لنظر بعض العاملين بالمساجد كأئمة لا يمتلكون الخبرة اللازمة للنظر في مسائل الأسرة، فاستصدار قانون قضائي ملزم يحجر على الكثير من الأئمة والمثقفين الكلام في الشأن الأسري، وأن يوكل الأمر إلى الهيئات المتخصصة لتدرس الأزمة داخل الأسرة من كل جوانبها ، ثم بعد ذلك يصدر القرار. هذا على سبيل المثال وقد مر معنا تأصيل بعض المقترحات في ضوء السنة النبوية، فهذه المهام التي يضطلع بها بعض أفراد المجتمع تعد من السنة، الحسنة شرط أن تحافظ في منحها على روح الشريعة الإسلامية و مقاصدها الكبرى.

ففي مجال رعاية الفئات الهشة من فقراء وبأصنافهم من يتامى، وأرامل، ومعاقين، و غيرهم نجد الكثير من القصور في توفير الخدمات اللازمة لهذه الفئات، فكم من ضعفاء ومحرومين راحوا ضحية التهميش وقلة المعطيات والبيانات، وكذا قلة أو انعدام ثقافة ممارسة الخدمة الاجتماعية أو غياب الثقافة القانونية الكفيلة بالحصول على المساعدة في الوقت المناسب. فتضافر الجهود لفتح قنوات التواصل مع كافة الشرائح الاجتماعية عن طريق ابتكار وسائل حديثة للتواصل والوصول إلى المعلومة وكذا المهارة في التحقيق في حالات المحتاجين يعد من السنة التي ينبغي إحيائها و قد توعده الله في كتابه من لا يحض على طعام المسكين ولا يعرف بحال المسكين فقد ذكر الله من خصال من أوتي كتابه بشماله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى

طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ الحاققة: [33 - 34]. يقول الإمام الطبري رحمه الله: « يقول تعالى

ذكره مخبرا عن هذا الشقي الذي أوتي كتابه بشماله: إنه كان في الدنيا لا يحضُّ الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة.¹»

قلت: فالحض يكون بالدعاء والحث بالوسائل المختلفة كالإعلام والكتابة والمحاضرة، والبحوث الفكرية التي تمكننا من إزاحة كل العوائق والمثبطات، وذلك عن طريق تنظيم الجهد تصفية النتائج وتحويل الجهود البشرية إلى مؤسسات عملية، لا تموت بموت الفرد الفرد، تكون هذه المؤسسات الخدمية ذات هيكلية واضحة، من خلال ذلك تستطيع المؤسسات الاجتماعية أن تنهض بدورها في خدمة المجتمع سواء في مجال التعليم، أو الصحة، أو الاقتصاد، أو الإدارة، أو غيرها من المؤسسات التي هي في خدمة المجتمع، و قد ثبت في أحاديث كثيرة و بألفاظ متظاهرة تدلنا على أن الدال على الخير بمعناه العام، و الذي يعني حصول المنفعة لمستحقها فله من اجر كفاعل الخير ، و ننسوق هنا جملة من الأحاديث الشريفة التي تؤكد ما قلناه سابقا.

-«عن أبي هريرة ،قال:جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث عليه، فقال رجل: عندي كذا وكذا، قال: فما بقي في المجلس رجل إلا قد تصدق بما قل أو كثر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سن خيرا، فاستن به، كان له أجره كاملا، ومن أجزور من استن به، لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن استن شرا، فاستن به، فعليه وزره كاملا، ومن أوزار الذي استن به، لا ينقص من أوزارهم شيئا²».

وفي مسند الإمام أحمد:«عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من سن سنة ضلال فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ومن سن سنة هدى فاتبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء³».

¹ الطبري، تفسير الطبري: (239 /23) .

²أخرجه أحمد، المسند: (16 /436 . 437) رقم الحديث 10749 . عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة و أخرجه و الطبراني ، المعجم الأوسط : (3/116)، رقم الحديث (2656). من طريق مؤمل عن حماد بن زيد عن أيوب به . و لفظ الطبراني : " سأل رجلٌ والنبي صلى الله عليه و سلم جالسٌ فأعطاه رجل ثم تتابع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من سن خيرا فاستن به من بعده كان له أجر ومثل أجر من استن به من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ... الحديث . قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق مسند أحمد : إسناده صحيح .

³أخرجه أحمد ، المسند : (16/326)، رقم الحديث : (10556) . عن يزيد [هو ابن هارون] أخبرنا سفيان قال سمعت الحسن يحدث عن أبي هريرة . قال محقق المسند : شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح و الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

- عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أبدو بي¹ فأحملني، قال: « لا أجد ما أحملك عليه، ولكن أنت فلانا فاعله أن يحملك ». فأتاه فحمله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دل على خير فله مثل أجر فاعله ».²

- وأخرج أبو يعلى، «عن أنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدال على الخير كفاعله و الله يحب إغاثة اللهفان³ .»

هذه الأحاديث ترشدنا وتدعونا صراحة إلى المساهمة الجادة في سن السنن الاجتماعية، التي لها من الأجر ما لا يعلمه إلا الله. و في ذلك فليتنافس أهل الجد و الابتكار ن و لهم من الجر على قدر اجتهادهم والله ذو الفضل العظيم.

¹ قال النووي في شرح مسلم : «قوله: " أبدو بي " هو بضم الهمزة وفي بعض النسخ بدع بي بحذف الهمزة وبتشديد الدال ونقله القاضي عن جمهور رواة مسلم قال والأول هو الصواب ومعروف في اللغة وكذا رواه أبو داود وآخرون بالألف ومعناه هلكت دابتي وهي مركوبي». ينظر النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : (3938/13).

² أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود : الصفحة: (553) ، رقم الحديث : (5129) ، كتاب الأدب ، باب الدال على الخير ، و اللفظ له . و الترمذي ، سنن الترمذي : (41/5) ، رقم الحديث: (2671) ن كتاب العلم ، باب ماجاء الدال على الخير كفاعله ، زاد الترمذي : أو قال عامله ، عن أبي مسعود رضي الله عنه ، و قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، و أخرجه الترمذي عن أنس حديث رقم: (2670) و قال: غريب من هذا الوجه .

³ أخرجه أبو يعلى ، مسند أبي يعلى : (275/7) ، رقم الحديث (4296) ، عن أنس رضي الله عنه ، و البزار ، مسند البزار : (65/14) رقم الحديث (7521) ، و أيضا أخرجه الترمذي : (41/5) ، و البزار (65/ 14) ، رقم الحديث: (7520) عن أنس و ليس في رواية عند البزار الترمذي - زيادة : " و الله يحب إغاثة اللهفان " ، و قال الترمذي : غريب من هذا الوجه من حديث أنس ، و في رواية الترمذي قصة للحديث ، كحديث أبي مسعود رضي الله عنه .

المطلب الثاني: أهمية العمل المؤسسي ومردوده على الخدمة الاجتماعية.

الفرع الأول: مفهوم المؤسسة و معالمها في ضوء السنة النبوية.

أولاً: مفهوم المؤسسة. يمكن أن أعرف المؤسسة بأنها: هيئة تجمع أشخاصاً معينين لخدمة أهداف معينة، ذات نظام داخلي، لها شخصيتها الاعتبارية أما القانون و الهيئات القضائية وتخضع في تسييرها لمجلس إداردة، و تتنوع من خاصة، إلى حكومية، إلى دولية، و كذا تختلف أنواعها حسب الأهداف التي تخدمها : من ثقافة، و فنون، و سياسة، و اقتصاد و إدارة و علوم و آثار، و خدمات ... و غيرها .

ولقد مرت معنا مقولة : جون مونييه¹ الذي يقول :

«rien n'est possible sans les hommes ,rien n'est durable sans les institutions.»

jean monnet .

وتعني عبارته: " لا شيء ممكن دون رجال ولا شيء مستدام دون مؤسسات " ².

ثانياً: معالم العمل المؤسسي في ضوء السنة النبوية.

إن المؤسسات في حاضرتنا أضحت الظاهرة المميزة له، فلا عجب إذا سميناها: " عصر المؤسسات و التجمعات " ، فالذي يحاول أن يعيش الفردية في زمن التحولات الكبرى للحياة البشرية، و على كل الأصعدة: السياسية و الاقتصادية و الثقافية ، لا شك انه سيعيش خارج إدارة الفعل ولن يكون له الحضور الفعلي لصناعة الفعل الحضاري الذي يفضله يصنع التميز والكينونة الحضارية للجماعة البشرية و الجماعة المسلمة خاصة.

ولا عجب أن نقول أن واضع اللبنة الأولى للفكر المؤسسي و العمل الجماعي المنظم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أنه و منذ أن أصبح للمسلمين كيان سياسي و دولة أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مؤسسة دينية لها عدة أهداف سياسية واجتماعية وتعليمية؛ ألا وهي مؤسسة المسجد. ثم أسس من بعدها عدة مؤسسات أخذت فيما بعد

¹ جان مونييه تقدمت ترجمته الصفحة: 234.

² استفدت هذه العبارة من فضيلة الدكتور محمد بوجلal. أثناء مقابلة في بيته، بمدينة برج بوعرييج بتاريخ : 07/ 04/ 2019م، على الساعة الثانية زوالاً. تباحثت معه مسائل الوقف و منها نظريته حول الوقف النامي. و البروفسور محمد بوجلal متخصص في المالية و الاقتصاد الإسلامي و عضو بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر .

أبعادا تنظيمية منها بيت المال وتنظيم الخراج والجزية، و المؤسسة العسكرية، والحسبة، والتجارة حيث عين مشرفا على السوق لتنظيم التجارة،... ومنها المؤسسات المالية الاجتماعية كمؤسسة الوقف وغيرها¹ كما أن النبي صلى الله عليه و سلم أسس لفكرة التنظيم و الجمل الجماعي هاتين الخاصتين التي يقوم عليهما أي عمل مؤسسي، فكان يأمر الجماعة المسافرة أن تؤمر أحدا عليها، و هو ما يشبه وكالات الأسفار في عصرنا الحاضر حيث يشرف على توجيه السفر و توفير مستلزماته مختصون بالسفر كما هو الحال في زماننا وهو المقصد من الإمارة في السفر في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يؤمر صلى الله عليه و سلم الصحابة بالاجتماع و عدم التفرق في الشعاب و الأودية إذا نزلوا منزلا معينا و في هذا التوجيه النبوي بعد جمعا للطاقات البشرية لكي تتلاقح الأفكار و يخلق الإبداع، لأن الحضارة إنما تنشأ من الاحتكاك بين البشر و تبادل الخبرات، وهو المعبر عن بالعمران، و التفرق إنما داعيته التوحش و البداوة، و النبي صلى الله عليه و سلم كان يؤسس أمة جديدة لتكون نموذجا حضاريا سباقا في صناعة المؤسسات و الحضارة ، ولا عجب أن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، خريج المدرسة النبوية المحمدية من أبرع الناس في صناعة المؤسسات الخدمية و تدوين الدواوين في صدر دولة الإسلام .

بل رغبتنا النبي صلى الله عليه وسلم في أن نأكل جماعة، وأن لا نأكل منفردين، لأن البركة مع الجماعة. فعن عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كلوا جميعا ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة»².

- وعن وحشي [بن حرب] قال: قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: «تجتمعون على طعامكم أو تفرقون؟» قالوا: نتفرق قال: «اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم»¹

¹ ومن أحسن الكتب المصنفة في بيان المؤسسات والوظائف الشرعية التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كتاب: نظام الحكومة النبوية المسمى: الترتيب الإدارية للإمام المحدث عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسيني الفاسي رحمه الله .

² أخرجه ابن ماجة سنن ابن ماجة : (26/5)، رقم الحديث : (3287)، كتاب الأئمة ، باب الاجتماع على الطعام و الديلمى، الفردوس: (242/3). رقم الحديث : (4711)، و قال الألباني ضعيف جدا ، ينظر ضعيف ابن ماجة : (266).

النبي صلى الله عليه وسلم عندما رغب في الجماعة و العمل الجماعي، وحذر من الفرقة والتفرد إنما ذلك ليؤكد لنا أن في الجماعة و العمل الجماعي المنظم من الفضائل و الحسنات والبركة والاستمرار، ما يعود بالفائدة المعبرة على المجتمع، عكس العمل الفردي الذي يتميز بالارتجال والضعف وعدم الديمومة .

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة» .

- وعن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال على المنبر: الجماعة رحمة والفرقة عذاب² .

وهناك أحاديث أخرى في الحض على الجماعة ولزومها، لكن معظم المصنفين حملوها على الجانب السياسي، أي لزوم الجماعة من الناحية السياسية وعدم شق عصا الطاعة على الإمام و لا شك أن من معاني أحاديث الجماعة الحض على ذلك، لكن الذي نؤيده أن الجماعة في الأحاديث ذات بعد أشمل و أوسع لمعاني أخرى، تشمل الحياة الإسلامية كلها، لتدلنا من باب التنبيه على أهمية العمل المؤسسي و العمل الجماعي المنظم، وفي أحاديث الجماعة و الحض على لزومها تأكيد لنا نحن المسلمين أن نؤسس لفكر المؤسسات، ونحن نشهد التطور والابتكار الناتج عن العمل المؤسسي في الدول المتطورة صناعيا و اقتصاديا و علميا، وما مرد ذلك إلا للمؤسسات الكثيرة التي يعسر إحصاؤها في الدول الغربية، و قد أسهمت بدور فاعل في تذليل الكثير من الصعاب وتقريب الخدمات من المواطن، ذلك أنه كلما كان مستوى الخدمات للفرد أفضل كان مردوده أحسن وأكمل والعكس .

ونحن المسلمين في ضوء الخصوصية المجتمعية والثقافية والفكرية ملزمين أن نلج عالم المؤسسات عن طريق مؤسسة الكثير من القطاعات الخدمية، والفرائض ذات البعد الاجتماعي التكافلي في الإسلام، ذلك قصد إعطائها نجاعة ومردود أفضل، وقدوتنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعانا إلى الاجتماع على كل أمر يهم المسلمين ونشارك جميعنا فيه كل حسب وسعه وطاقته .

¹ أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : (27/12)، رقم الحديث : (5224)، كتاب الأطعمة ذكر الأمر بالاجتماع على الطعام رجاء البركة في الاجتماع عليه .

² أخرجه القضاعي، مسند الشهاب : (1 / 43)، رقم الحديث (15) . قال محقق مسند الشهاب : إسناده حسن و رجاله ثقات .

الفرع الثاني : درو العمل المؤسسي في دعم الخدمة الاجتماعية .

بعد أن تأكد لنا أهمية المؤسسة في دعم الخدمة الاجتماعية فأن من المؤسسات التي نرى أن هناك الكثير من التكاليف الشرعية في القرآن و السنة يمكن تحويلها إلى مؤسسات خدمية ومؤسسات مالية تسهم في تقديم المساعدة للمحتاجين منها :

1 - مؤسسة التكفل واستثمار أموال اليتيم.

قد مر معنا في الفصول السابقة ما ورد من الترغيب في خدمة اليتيم و السهر عليه وما رتب الله من الأجر العظيم جراء ذلك، لكن ليس في السنة تقييد لكيفية التكفل والقيام بأموال اليتامى، فباب الابتكار والاجتهاد مفتوح للناس ليخترعوا السبل الأنجع لحفظ أموال اليتيم وتنميتها، ليس عن طريق التجارة الفردية، والسوق التقليدية، والادخار التقليدي، وإنما الذي حض عليه القرآن والسنة هو حفظ ماله وتنميته أما الطريقة فيتم تكييفها حسب مقتضيات العصر.

ففي عالم اليوم لا بأس أن يصبح الكفيل مؤسسة وليس فرد بعينه فتودع أموال اليتيم في المؤسسات المالية الحديثة سواء بنوك ذات طابع إسلامي أو شركات ذات أسهم وفق الشروط الشرعية للاستثمار، ومنها أيضا البورصات و التعامل بالسندات و الطرق الشرعية في المشاركة سواء المضارب أو المراجعة أو غيرها من الصيغ التي يراها الخبراء كفيلة بحفظ مال اليتيم وتنميته حاصل القول أن حفظ مال اليتيم نتجاوز فيه العمل الفردي إلى المؤسسة فتصبح المؤسسة هي كافل اليتيم .

2 - مؤسسة أموال الزكاة .

كانت الزكاة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم تابعة لمؤسسة بيت المال و كانت ذات طابع مؤسسي يتولى جمعها السعاة و يتولى تنظيمها بيت المال تحت إشراف و نظر من النبي صلى الله عليه و سلم بل كانت تستثمر أموالها في عهده عليه السلام حيث كانت إبل الصدقة تستخدم للنسل والدر، وهو لون من الاستثمار.

ومع تعاقب الأزمنة، والمتغيرات التي طرأت على العالم الإسلامي منها التغيرات السياسية التي طرأت على العالم الإسلامي، أصبحت الزكاة في غالب الدول الإسلامية شأنًا فرديًا محضًا خصوصًا مع غلبة العالم الغربي على العالم الإسلامي في العصر الحديث، وحلول الكثير من التشريعات الإدارية والقوانين الغربية محل التشريع الإسلامي، وبالتالي لم تجد الزكاة لها محلًا في

القوانين المدنية الحديثة. ذلك أنها أنظمت في الغالب مستمدة من القوانين الغربية التي لا توجد فيها تشريع الزكاة .

وأمام المقننين في عصرنا واجب عظيم وهو العودة بأموال الزكاة إلى المنظومة والدورة المالية العامة للدولة، وإدخالها عن طريق القوانين و التشريعات لتصبح لها الصيغة الإلزامية على أصحاب الأموال، و تتمكن مؤسسة الزكاة بعد ذلك من تحصيل مداخيلها بسهولة ويسر وذلك بسبب أن المعاملات المالية في العصر الحديث أصبحت ذات بعد مركزي حيث أن كل الأموال والمعاملات المالية تمر على المؤسسات الإدارية للدولة و بالتالي يتمكن الخبراء من جباية الزكاة بسهولة، خصوصاً زكاة بالنقود، فيمكن تحصيلها آلياً عند حلول الحول، و تودع في صناديق خاصة تسمى صندوق الزكاة يتولى إدارته و تسيير مداخله هيئة خاصة تابعة للشؤون الاجتماعية لدعم المؤسسات الخدمية و تقديم المساعدة اللازمة في حينها و وقتها .

وإذا أخذنا بقول من يقول بأخذ الزكاة من الثروات الباطنية لصالح الفئات المعنية بالزكاة فإن مردود الزكاة سوف يرتفع و تتحول مؤسسة الزكاة إلى أداة لدعم كل مؤسسات الدول في حال العجز . أما بقية أنواع الأموال الزكوية كزكاة الماشية و المحاصيل الزراعية فيتم تطوير طرق تتولى جبايتها مؤسسة الزكاة، عن طريق استخدام الطرق الحديثة من إحصاء و غيره لتحصيل مداخيلها.

3- مؤسسة تحصيل أموال الكفارات والتبرعات.

وهي إلى عبارة صندوق محلي، حيث يمكن في كل مدينة أن ينشأ صندوق خاص بجمع أموال الكفارات والتبرعات والصدقات، ولا بأس أن تدفع قيمة الكفارة نقوداً لهذا الصندوق. ويستفيد من مداخيله الفقراء والمحتاجين وإذا كانت مداخيله وفيرة فيمكن تخصيص منح شهرية أو موسمية للعائلات المعوزة ، كما يمكن أن يكون هذا الصندوق تحت تصرف مؤسسة اجتماعية تابعة للرعاية الاجتماعية .

4- مؤسسة أموال الديات . - التأمين الإسلامي.-

نظراً لخصوصية المجتمع الحديث و زيادة استخدام المركبات في التنقل و ما انجر عن هذه الأخيرة من حوادث مرور تودي سنوياً بأرواح الآلاف من الناس ، فإن الأمر أصبح يحتاج من المفكرين إلى حلول ، وبما أن الفقهاء المعاصرين أدرجوا حوادث المرور ضمن قائمة القتل الخطأ ، وما

ينجر عنه من تبعات و منها الدية للقتيل فإن الواجب على العلماء التفكير في إيجاد صيغ لتحصيل الدية لفائدة الأسرة التي تضررت من فقد المعيل ،خصوصا إذا تأكدنا أن من مقاصد الدية في السنة النبوية هو مقصد تعويضي عن الضرر الذي لحق بالأسرة من جراء فقد فرد من أفرادها خصوصا إذا كان المعيل الوحيد للأسرة .

وعليه فلا بد من وجود مؤسسة مالية تابعة للدولة، تتولى تحصيل أموال الدية من عصبة القتال خطأ، وترد على أولياء القتيل حسب ما ينص عليه تشريع الميراث في الشريعة الإسلامية، كما أنه يمكن توسيع دائرة تحصيلها لتشمل عمود النسب مهما بعد لغرض الوفاء بالدية، ويشرف على تحديد مقدارها خبراء في المالية و الاقتصاد،و يتم تحصيلها بالتدرج و لو لسنين ليستفيد منها أبناء القتيل على شكل مداخيل، ولو شهرية، لتسهم في تخفيف وطأة الحياة الاجتماعية خصوصا إذا كان المقتول في الحادث ترك أولادا صغارا لا معيل لهم، ثم إن المؤسسات التأمينية في عصرنا إنما تدفع مبلغ زهيد جدا كتعويض عن الضرر الناجم عن الحادث، وهو لا يفي بمصاريف سنة واحدة لأسرة متوسطة. كما أن جلسات الصلح التي يشرف عليها أئمة المساجد في الغالب إنما يتم فيها الصلح على مبلغ زهيد يختلف من منطقة إلى أخرى، لا يفي بالغرض الذي شرعت من أجله الدية . وعليه فلا بد من إعادة النظر من العلماء في هذه الجزئية و وضع أطر جديدة لتفعيل نظام لتحصيلها إحياء لسنة نبوية اجتماعية تكافلية مباركة و الله الموفق .

خاتمة وفيها أهم نتائج البحث .

الحمد لله الذي أمدنا بعون و توفيق منه لبحث هذا الموضوع ،الاجتماعي في السنة النبوية المطهرة، و الذي هو من الأهمية بمكان، وقد بذلت قصارى جهدي في محاولة استقراء كتب الحديث خصوصا الكتب الستة، لجمع وترتيب الأحاديث الشريفة التي لها تعلق بنظام ونظريات الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية، و في ضوء ما تم استعراضه في الفصول السابقة يمكن القول أنني توصلت إلى النتائج التالية :

أولا - أن مضامين الخدمة الاجتماعية لها حضورها القوي في السنة النبوية المشرفة، أحيانا على شكل توجيهات عامة، يمكن للمسلمين تطوير الخدمة الاجتماعية على منوالها. وأحيانا على شكل مؤسسات اجتماعية أخذت طابع التكوين الأولي لها حسب مقتضيات العمران البشري في زمن النبوة.

ثانيا - أن السنة النبوية قد جعلت من الخدمة الاجتماعية واجبا إما في عنق الحكام أو على سبيل التكافل الاجتماعي بين الأفراد و هي : من فروض الكفائية التي لا ينبغي إهمالها. ثالثا - أن الخدمة الاجتماعية كمصطلح وظيفي و مضمون ممارس في السنة النبوية، إنما أخذ أزهى أشكاله، وأحسن تطبيق له على أرض الواقع في عصر النبوة ، بما أنتج لنا ذلك النظام الخدمي، من إنسان متكامل التناغم في الغالب، ومتوازن في عقله وجسمه وعواطفه وروحه مع نفسه ومع كونه و مجتمعه.

رابعا - أن الفئات الهشة في المجتمع النبوي مكفولة الحقوق و تلقى أحسن الرعاية و العون لمساعدتها على أداء دورها في كامل شروط الكرامة الإنسانية .

خامسا - أن هناك فرقا بين الخدمة و التشجيع على الانحراف و الرذيلة، فالكثير من الخدمات المقدمة في المجتمع الغربي لفئات البغاة و الزناة و القتلة، إنما تعد في نظر السنة انتهاكا للحقوق الاجتماعية، فمن حق المجتمع أن يمارس المناعة الذاتية ضد كل الأشكال المهددة لبقائه و توازنه. لذا فليس هناك تناقض البتة بين العقوبة والحق في الحياة الذي تتكلم عنه المنظمات الحقوقية.

سادسا - الخدمة الاجتماعية النبوية لها تميزها من جهة مقصدها و طريقتها و أهدافها فهي خالصة لله ، متقيدة بضوابط الشارع الحكيم ، و أهدافها الوصول بالإنسان إلى أقصى درجات

الراقي جسديا وعقليا ، روحيا للقيام بمهمة الخلافة على أكمل وجه ، وليس مقصدها دنيوي صرف، فهي ربانية المصدر والوجهة .

سابعاً - في ضوء الأحاديث وردت في تضاعيف هذه الدراسة يمكننا في ضوئها، أن نشكل رؤية إسلامية للخدمة الاجتماعية النبوية، و عليه نستطيع أن نصل بجهود متواصلة من الباحثين أن نحدد الجوانب المميزة للخدمة النبوية ذات الأبعاد الربانية و الأخلاقية.

ثامناً - أن أراقي صور الإنسانية في بعدها التكافلي و التضامني و التراحمي التي يتبجح بها الغرب إنما نجدها في السنة النبوية بما سجلته من سبق في شتى مجالات الخدمة الاجتماعية، فشكلت الفارق في المحتوى و السابق .

تاسعاً - أن السنة النبوية قد زرعت البذور الأولى للفكر المؤسسي و العمل الإداري المنظم، بما دعت إليه و رغبت فيه من العمل الجماعي و ترسيخ مبدأ التشاور في المجتمع.

عاشراً - أنه يمكننا أن نضع عدة نظريات ذات بعد عالمي في الخدمة الاجتماعية أصولها مستقاة من السنة النبوية ، كمبدأ عمومية الخدمة الاجتماعية، و أنها غير عنصرية، و هناك الكثير من المبادئ و الأصول الخدمية ذكرناها في تضاعيف الدراسة حسب المطالب و الفصول ..

التوصيات.

لعل أهم توصية أسجلها هنا هو ضرورة تكثيف الأبحاث في الجوانب الاجتماعية في ضوء السنة النبوية. فالسنة النبوية ثرية جدا بالنظريات الاجتماعية التي تحتاج أن يزاح عنها الغبار وتبرز للوجود.

والتوصية الثانية هي: جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بالخدمة الاجتماعية في مصنف واحد يسمى على سبيل المثال: معجم أحاديث الخدمة الاجتماعية، و يمكن أن يستعان في ذلك بالمخابر البحثية ليكون هذا المعجم، مفتاحا بيد الدارسين لهذا الحقل المعرفي الذي يحتاج دوما للتجديد.

والله أسأل التوفيق في المبدأ والختام و الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فرغت من تحريرها ليلة التاسع من محرم 1441هـ

الموافق ل 08 /سبتمبر 2019 م .

فهرس الفه ررس .

- 1 - فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- 2 - فهرس أطراف الحديث النبوي الشريف.
- 3 - فهرس الأثر .
- 4 - فهرس أسماء علم المنزج له.
- 5 - فهرس المصنفين والأمر أجمع.
- 6 - فهرس الموضوعات.

أولاً - فهرس الآيات القرآنية .

الآية القرآنية مع رقمها..... رقم الصفحة

316، 88	﴿ وَعَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: 26].....
180	﴿ فَآتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ [الروم: 38].....
33	﴿ وَعَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ الآية [النساء: 2].....
185، 354	﴿ أَنْفُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: 18] ..
22	﴿ وَالْبَدَنَاتِ جَعَلْنَا لَكُم مِّنْ شَعْتِرِ اللَّهِ ﴾ [الحج: 36].....
9	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]
212	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: 186].....
88، 35	﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [البقرة: 83].....
106، 103	﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: 5].....
34، 35	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴾ [الماعون: آية 1].....
88	﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: 36].....
159	﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المجادلة: ١١].....
171	﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٧].....
35	﴿ فَاَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: آية 9].....
85	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقْكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ [النحل: 70].....
316	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ ﴾ [الأنفال: 75]
319	﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ [الرعد: 25].....
316	﴿ النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: 6].....

315	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]
43	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: ٤٨]
88	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ [النحل: 90]
43	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠]
359	﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: 33 - 34]
179,261	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ [التوبة: 60]
325	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: 2 - 4]
290	﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥]
136	﴿ أَوْ أَمْضَى حُقُبًا ﴾ [الكهف: 60]
151,202	﴿ أَوْ اطَّعْتُمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [البلد: 14 - 16]
210	﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: 6] .
327	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْبَدَهُ ﴾ [الأنعام: 90]
22	﴿ وَالْبَدَنَتِ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِ اللَّهِ ﴾ [الحج: 36]
141	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: 30]
89	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢]
83	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ [النحل: 76]
274	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [البقرة: 184]
212	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: 60]
209	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: 23 - 24] .
212	﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الأنعام: ٦٣]
151	﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ [طه: 81]
44	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٣٤]

202	﴿ فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ [البلد: 11 - 18]
88	﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴾ [النور: 22]
47	﴿ وَلَا تَأْكُلُوها إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ﴾ [النساء: 6]
239/241	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [آل عمران: 104]
327	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: 111]
137	﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا جَاءْنَا نَا ﴾ [الكهف: 62]
76	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ [الفتح: 17]
22/317	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: 177]
240	﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ [التوبة: 122]
195	﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ ﴾ [الشورى: 30]
290	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ﴾ [البقرة: 270]
103	﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ... ﴾ [الأنحزاب: 4 - 5] ..
47	﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: 6]
273	﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ [البقرة: 196]
240	﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: 159]
320/210	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ [لقمان: 14]
85	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر: 67]
212	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [يونس: 22 - 23]
250	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: 267]
123	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحریم: 6]
48	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ ﴾ [النساء: 29]
151	﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: 51]

151	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168]
357/184	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]
76	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]
47/44	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ قُلُوبُهَا لِإِصْلَاحِ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٢٠]
179	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 215]
337/151/42	﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِينَتِنَا وَيَتِيمَا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]

عبد القادر للعطوم الإسلامية

تأنيباً - فهرس أطراف الأحاديث النبوية.

طرف الحديث الشريف الصفحة.

(حرف الألف)

- 107 1- أُبَيِّنِي لَا تَرْمُوا الْجَمْرَةَ
- 70 2- اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا
- 45 3- اتَّجَرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى
- 335 4- اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ
- 127 5- أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدْحٍ فَشَرِبَ
- 363 6- اجْتَمَعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ
- 40 7- أَحَبُّ بَيْوتِكُمْ إِلَى اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ
- 157 8- احْتِكَارُ الطَّعَامِ فِي الْحَرَمِ
- 113 9- اخْتَارُوا لِنُطْفِكُمْ
- 205 10- إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ عَلَى مَاشِيَةٍ
- 205 11- إِذَا أَتَيْتَ عَلَى رَاعٍ فَنَادَهُ ثَلَاثَ مَرَارٍ
- 119 12- إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ سَبْعَ سِنِينَ فَأَمْرُوهُ بِالصَّلَاةِ
- 177 13- إِذَا تَدَارَأْتُمْ فِي طَرِيقٍ
- 74 14- إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَيِّتَ أَوْ الْمَرِيضَ
- 112 15- إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخَلَقَهُ فَرُوجُوهُ
- 73 16- إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى مَرِيضٍ
- 166 17- إِذَا دَعَى أَحَدَكُمْ إِلَى وِلِيمَةٍ

- 18- إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه 217 ، 219
- 19 - إذا صلى أحدكم بالناس، فليخفف 76- 77
- 20 - إذا عاد الرجل أخاه المسلم..... 54
- 21- إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين 51
- 22 - إذا مر أحدكم بحائط 206
- 23 - إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث 285
- 24 - إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه 311
- 25- أربعون خصلة أعلاهن: منيحة العنز 159
- 26- استأذن أبي النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل بينه وبين قميصه 150
- 27 - استعمل رجلاً من الأزد على الصدقة 263
- 28- استعمل رجلاً من بني عبد الأشهل على الصدقة 264
- 29- استعملني عمر على الصدقة 262
- 30- أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيراً 232
- 31- أسلمت على ما سلف لك من خير 19
- 32 - أصابتنا سنة، فلم يكن فيمالي شيء أطمع أهلي 207
- 33- اصنعوا لآل جعفر طعاما 319
- 34- أصيب سعد يوم الخندق 71،72
- 35- أعتق رقبة، قال: لا أجدها 275
- 36- أعرضوا علي رقاكم 69
- 37- أفضل الصدقة على ذي الرحم 317
- 38- أكرموا أولادكم 121
- 39 - أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن لحوم الأضاحي؟ 199

- 40- لى رسول الله صلى الله عليه و سلم من نسائه 275
- 41- لا من ولي يتيما له مال فليتجر فيه 45
- 42- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام 240
- 43- أما إنك لو أعطيتها أخوالك 162
- 44- أمر من كل جاد عشرة أوسق من التمر 249
- 46 - أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نتصدق 342
- 47- أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة..... 24
- 48 - أنا و كافل اليتيم في الجنة هكذا 36
- 49 - أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب 82
- 50 - إن أبوا إلا أن تأخذوا منهم كرها 173
- 51 - إن أبوا أن يبيعوا إلا أن تأخذوا كرها 173
- 52 - إن أحب البلاد إلى الله مساجدها 237
- 53 - إن أفضلكم من تعلم القرآن 116
- 54 - إن أشكر الناس لله عز وجل 339
- 55 - إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو 210
- 56 - إن أم سعد ماتت فأبي الصدقة أفضل 143
- 57- أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته: أنها زنت 101
- 58 - إن الدعاء إذا عجز العبد عن المكافأة 338
- 59 - إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا 137
- 60 - إن الله قد أوجب لها بها الجنة 25
- 61- إن الله أنزل الداء والدواء 53
- 62 - أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج يوما عاصبا رأسه 243

- 63 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قضى فيمن زنى 91
- 64 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب 351
- 65 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على غلمان فسلم 353
- 66 - إن شجرة كانت تؤذي المسلمين 179
- 67 - إن الصدقة و صلة الرحم يزيد الله بها في العمر 317
- 68 - أن ضمادا قدم مكة وكان من أزد شنوءة 68
- 69 - أن غلاما ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض 58
- 70 - إن فيك صدقة كثيرة 83
- 72 - إن في الحبة السوداء 63
- 73 - أن في النفس مائة من الإبل 300
- 74 - إن في المال لحقا سوى الزكاة 317
- 75 - إن لكل داء دواء 255 ، 53
- 76 - إن المؤمن يشرب في معي واحد 172
- 77 - إن المسألة كد يكذبها الرجل وجهه 346
- 78 - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما اسمك 350
- 79 - أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الأعمال أفضل 343
- 80 - إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف 172
- 81 - أنوفد ثقيفما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم 251
- 82 - إنه من لم يسأل الله 213
- 83 - أنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث 198
- 84 - إن هذا الطاعون رجز 215
- 85 - التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني 191

- 86 - أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة 320
- 87 - أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار 142
- 88 - إن مما أخاف عليكم من بعدي 270
- 89 - إن من أبواب الصدقة التكبير 84
- 91 - أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى النبي - صلى الله عليه وسلم 98 ، 99
- 92 - أن من ضيق منزلا أو قطع طريقا 177
- 93 - إن الناس لكم تبع 136
- 94 - أن ناسا من عرينة اجتووا المدينة 271
- 95 - أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس رجلا 227
- 96 - إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد 137
- 97 - إنما الولاء لمن أعتق 108
- 98 - إني أرى أن تجعلها في الأقربين 323
- 99 - إني أوعك كما يوعك رجلان 50
- 100 - إني ذكرت و أنا في العصر شيئا من تبر 208
- 101 - أني كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي 200
- 102 - إني لا أدري لعسى أن تمضي وأبقى بعدك 179
- 103 - أولم و لو بشاة 164
- 104 - أولم على زينب، أولم بشاة 164
- 105 - أي الصدقة أعجب إليك 143
- 106 - أي الصدقة أفضل ؟ قال خدمة عبد في سبيل الله 191
- 107 - إياكم وسوء ذات البين 241
- 108 - إياكم والإفراد 30
- 109 - أيعجز أحدكم ؟ لأن يأخذ حبالا 245

- 110 - أيكم أطفقلا : أو في الطب خير.....53
- 111- أيما رجل أضاف قوما 172
- 112 - أيما قرية أتتموها 11
- 113 - أيما مسلم كسا مسلما ثوبا..... 145
- 114 - أيها الناس تصدقوا 322

(حرف الباء)

- 115- بئس العبد المحتكر 156
- 116 - بخ ذلك مال رابح 318
- 117- البر حسن الخلق 126
- 118 - بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله 160
- 119 - بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أبي بن كعب طيبا 64 . 65
- 120 - بعث النبي صلى الله عليه وسلمفينا ساعيا 264
- 121 - بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد 230
- 122 - بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدي قوما 295
- 123 - بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش 142
- 124 - بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك 178

(حرف التاء)

- 125 - تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء 112
- 126 - تخيروا لنطفكم لا تضعوها إلا في الأكفاء 113
- 127 - تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء 53، 71
- 128 - ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم 328

- 129- تصدق به تقسم ثمره وتحبس أصله 285
- 130 - تعلموا من أنسابكم 102
- (حرف الجيم)
- 131 - جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث عليه 363
- 132 - الجماعة رحمة 365
- (حرف الحاء)
- 133 - حبس في المدينة في تهمة 228
- (حرف الخاء)
- 134 - خذوا عني، خذوا عني 91
- 135- خيرهم لمسكين ویتيم وضعيف 34
- 136 - خيركم من تعلم القرآن 117
- (حرف الدال)
- 137 - الدال على الخير كفاعله 363
- 138 - دب إليكم داء الأمم قبلكم 242
- 139 - دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال: "هل فيكم 107
- 140 - الدعاء هو العبادة..... 214
- 141 - دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام حدث 352
- 142 - دعها عنك فإن من القرفالتلف 222
- 143 - داووا مرضاكم بالصدقة 55
- 144 - دية اليدين والرجلين سواء 304

(حرف الذال)

145- ذهب المفطرون اليوم بالأجر 183

(حرف الراء)

146 - الراحمون يرحمهم الرحمن 316..

147 - رب عذق مذلل 43

148 - رخص النبي صلى الله عليه و سلم لآل حزم 68

149 - ردوا علي ردائي أتخافون أن لا أقسم بينكم ... 311

150 - رفع القلم 46

151 رمي أبي يوم الأحزاب علي أكحله 65

152 - روحوا القلوب 130

(حرف السين)

153 - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة ؟ 170 ...

154- سألت عليا رضي الله عنه هل عندكم شيء..... 301

155 - الساعي علي الأرملة والمسكين 26

156- سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله 246

157 - السخي قريب من الله قريب من الجنة 337

158 - السفر قطعة من العذاب 180

159 - الله صلى الله عليه و سلم ، أيجزي عني أن أنفق عليك 272.....

(حرف الشين)

160 - شر الطعام طعام الوليمة 167

161 - شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث علي جيش 194

(حرف الصاد)

162 - الصدقة برهان 41

163 - صلوا على صاحبكم 312

(حرف الضاد)

164 - الضيافة ثلاثة أيام 174

(حرف الطاء)

165 - الطاعم الشاكر 340

166 - الطاعون رجس أرسل على طائفة 215

167 - الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل 217

168 - الطاعون شهادة 218، 216

169 - طعام الوليمة أول يوم :حق 165

(حرف العين)

170 - عائد المريض في مخرفة الجنة 56

171 - العامل على الصدقة بالحق 262

172 - عرضت علي أعمال أمتي : حسنها وسيئها 177

173 - علموا صبيانكم الصلاة في سبع سنين 174

120 - علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين 120

175 - علموا، ولا تعنفوا 123

176 - علموا ويسروا 123

(حرف الغين)

177 - غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات 223

(حرف الفاء)

- 178 - فناء أمتي بالطعن والطاعون 214، 215
179 - في الإنسان ستونون ثلاثمائة مفصل 178
180 - في دية الخطأ عشرون حقة 302
181 - في الرقة ربع العشر 46
182 - في فضل بصرك على الضير البصر 79
183 - في كل ذات كبد رطبة أجر 184، 192
في المواضع خمس 304

(حرف القاف)

- 185 قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة أخي النبي صلى الله عليه وسلم 343
186 - قدمت مع عمومي المدينة، فدخلت حائطا 207
187 - قدمت علي أمي راغبة 271
188 - قضى النبي صلى الله عليه وسلم إذا تشاجروا 176
189 - قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قتل خطأ 302
190 - قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العين القائمة 303
191 - فقضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فيها بغرة 304
192 - قضى في جنين امرأة من بني لحيان 304

(حرف الكاف)

- 193 - كافل اليتيم، له أو لغيره 36
193 - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرنا بالصدقة 343
194 - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالطنا 354
195 - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة 72

- 196- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر 208
- 197- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالصدقة 343
- 198- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأمر سليم ونسوة معها 223
- 199 - فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم 309
- 200- كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الرجل، وله الاسم لا يحبه 350
- 201 - كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها ثم رخص فيها 200
- 202- كان يولم بالوليمة ما فيها خبز 164
- 203- كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة 298
- 204- كتب إلى أهل اليمن كتابا فيه الفرائض 301
- 205- كف عنا جشاءك 133
- 206- كلا، والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا 310
- 207- كل سلامي عليه صدقة كل يوم 181
- 208- كل غلام رهينة بعقيقته 168
- 209- كل من مال يتيمك غير مسرف 47
- 210- كلكم راع و كلكم مسؤول 314
- 211 - كلوا جميعا ولا تفرقوا 363
- 212- كنا نصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل ضريبر 80
- 213- كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم 184، 357
- 214- كنا يوم الخندق نحفر 329
- 215- كنت ألعب بالبنات في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم 355
- 216- كنت مع أنس فمر على صبيان فسلم عليهم 352- 353

(حرف اللام)

- 217- لا إله إلا الله صدق وعده ونصر عبده 218 302.
- لا أجد ما أحملك عليه 361.
- 219- لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا 274.
- 220 - لا تأكلوا إلا ثلاثة أيام 202
- 221- لا تباغضوا و لا تحاسدوا 239
- 222- لا حكرة في سوقنا 154
- 223- لا عدوى 220
- 224 - لا قدست أمة لا يعطى الضعيف فيها حقه 76
- 225- لا نذر في معصية 274
- 226- لا يحتكر إلا خاطئ 209.
- 227- لا يرحم الله من لا يرحم 41.
- 228 - لا يتم بعد احتلام 33
- 229- لا يزنى الزانى حين يزنى 90
- 230- لا يشكر الله من لا يشكر الناس 339
- 231- لا يصيب المؤمن من مصيبة 52
- 232- لا يفتح إنسان على نفسه باب مسألة 245
- 233- لا يكون لأحدكم ثلاث بنات 321
- 234- لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق 121
- 235- لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة 52
- 236- لا يمنع فضل الماء 145
- 237- لا يمنع نفع البئر 148

- 238- لقد كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم .. 223
- 239- لقيت بلالا - مؤذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. 183
- 240- لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه..... 165
- 242-لما قدم المهاجرون المدينة من مكة وليس بأيديهم .. 341
- 243- لما قدم النبي صلى الله عليه و سلم المدينة .. 169
- 244- لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة .. 213
- 245- لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت .. 162
- 246- لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها .. 249
- 247- لولا أن أكرم علما .. 222
- 248- لهما أجران .. 322
- 249- لولا أن أشق على أمتي .. 133
- 250- ليس المؤمن من يشبع و جاره جائع .. 151
- 251- ليس منا من لم يرحم صغيرنا .. 87، 86
- 252- ليس منا من لم يجعل كبيرنا .. 86
- (حرف الميم)
- 253- ما أكرم شاب شيخا .. 86
- 254- ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سلاحه .. 285
- 255- ما جاء بك يا أبا بكر .. 331
- 256- ما زنى **زان** وهو مؤمن .. 91
- 257- ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم .. 193
- 258- ما ظهر في قوم الزنى والربا .. 91
- 259- ما من أحد يبتلى من جسده .. 52

- 260- ما نحل والد ولدا 121
- 261- ما من رجل يعود مريضا 54
- 162- ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا 117
- 263- ما من مولود إلا يولد على الفطرة 125
- 264- ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان 335
- 265- ما يحل لنا من الميتة؟ قال: ما طعامكم؟ 203
- 266- ما يسرني أن لي أهدأ ذهباً 334
- 267- ما يسرني أن لي مثله ذهباً أنفقته كله 335
- 268- ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه الله 263
- 279- المؤمنون كرجل واحد 326
- 270- مثل المنفق والمتصدق كمثل رجل عليه جبتان 335 ، 192
- 271- مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نلعب 355
- 272- مع الغلام عقيقة 167
- 273- مع من خرجتن 190 ، 191
- 274- المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه 346
- 275- المسلم أخو المسلم لا يظلمه 94 ، 326
- 276- المسلمون شركاء في ثلاث 148 ، 149
- 277- من أحق الناس بحسن صحابتي 320
- 278- من احتكر طعاماً أربعين ليلة 152 ، 154
- 279- من احتكر طعاماً فهو خاطئ 156
- 280- من استعاذ بالله فأعيدوه ومن سأل بالله فأعطوه 337
- 281- منأصاب منه من ذي حاجة 206

- 282- من أعطي عطاء فوجد فليجز به 338
- 283- من أكل من هذا اللحم شيئا 133
- 284- من انتهب فليس منا 309
- 285- من انتهب نهبة 309
- 286- من تطبب ولا يعلم منه طب 256
- 287- من خرج في طلب العلم 132
- 288- في شيء من أسعار المسلمين 156
- 289- من دخل حائطا فليأكل 206 ، 205
- 290- من سره أن يبسط له في رزقه 317
- 291- من سلك طريقا يتغي فيه علما 132 ، 131
- 292- من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها 357 ، 185
- 293- من سن سنة ضلال فاتبع عليها 360
- 294- من صنع إليه معروف 338
- 295- من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة وبقي في بيته منه شيء 202
- 296- من عاد مريضا لم يزل في خُرفة الجنة 56
- 297- من عاد مريضا لم يحضر أجله 56
- 298- من عاد مريضا أو زار أخا له في الله 58
- 299- من عال جاريتين حتى تبلغا 321
- 300- من عال ثلاث بنات 321
- 301- المنفق على الخيل 192
- 302- من قاد أعمى أربعين خطوة 79
- 304- من قبض يتيما من بين المسلمين 42

- 305 - من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه 174
- 306 - من كان معه فضل ظهر 180
- 307 - من كانت له أنثى، فلم يئدها ولم يهنها 321
- 308 - من كانت له أرض فليزرعها 158
- 309 - من كتم غالا فإنه مثله 310
- 310 - من كسا خلقا كساه الله به حريرا 186
- 311 - من كسا مسلما ثوبا 186
- 312 - من مسح رأس يتيم 38
- 313 - من مشى مع أعمى ميلا 78
- 314 - من نذر أن يطيع الله فليطعه 292
- 315 - من نذر أن يعصي الله 292
- 316 - من ولاه الله عز وجل شيئا من أمر المسلمين فاحتجب 28
- 317 - من ولي من أمر المسلمين شيئا 29
- 318 - من يتتاع رومة غفر الله له 142
- 319 - من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن 25
- 320 - من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين 131
- (حرف النون)
- 321 - نذر رجلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا 293
- 322 - نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق 178
- 323 - نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل 250
- 324 - نضر الله امرءا سمع منا حديثا 131
- 325 - نعم حق الولد على الوالد 123

- 326 - نعم المنيحة اللقحة الصفي 16
- 327 - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الماء 145
- 328 - نهاكم أن تأكلوا لحوم نسككم 199
- (حرف الهاء)
- 329 - هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك 347
- 330 - هذه و هذه سواء يعني الخنصر 303
- 331 - هل عندك غنى يغنيك 204 ، 203
- (حرف الواو)
- 332 - وجدت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد 248
- 333 - ودى القتل مائة من إبل الصدقة 313
- (حرف الياء)
- 334 - يأتي على الناس زمان يغبط الرجل 97
- 335 - يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون 336 137
- يا ابن آدم مرضت فلم تعدني 55
- 337 - يا أبا ذر لا تحقرن من المعروف شيئاً 144
- 338 - يا أبا ذر إن للمسجد تحية 246
- 339 - يأيها الناس علموا أولادكم وأهاليكم القرآن 117
- 340 - يا رسول الله، غلام يتييم، و أم لي أرملة، أطعمنا أطعمك الله 252 ، 39
- 341 - يا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك 352 - 127 - 118
- 342 - يا غلام سم الله وكل بيمينك 354 ، 128
- 343 - يا غلام عندك لبن تسقينا 128
- 344 - يا غلام هل من لبن 352

- 345 - يامعشرالمهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم ما. 344
- 346 - يا نبي الله، إني أترك مالا، وإني لم أترك إلا بنتا واحدة 57
- 347 - يتصدق بدينار 176
- 348 - يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا..... 216
- 449 - يد الله مع الجماعة 364
- 350 - يد المعطي العليا وأبدأ بمن تعول 321
-

ثالثاً - فهرس الأثر

- 1 - اذهب فهو حر ولك ولاؤه 95
- 2 - أمر عمر فكتب له عيال أهل العوالي 96
- 3 - إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم 116
- 4 - إن زيد بن ثابت كان يقول في العين القائمة 303
- 5 - إن الرجل لتتبت لحيته 33
- 6 - أن الزبير جعل دوره صدقة على بنيه 285
- 7 - أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - و كان بدريا - مرض في يوم الجمعة 558
- أن عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان ينهى عن الحكرة 154
- 9 - أن عمر بن الخطاب كان يحمل في العام الواحد على أربعين 182
- 10 - أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب: أربعة دنانير . 175
- 11- إني قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم ليأخذ لضعيفكم 176
- 11- بئس الطعام طعام الوليمة، يدعى إليه الأغنياء 166
- 13- توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين 116
- 15 - جئت أو أقبلت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من صلاة الغداة 94
- 16 - ختني ابن عمر أنا ونعيما، فذبح علينا كبشا 170
- 17 - صليت مع علي العيد وعثمان محصور 199
- 18 - قال أبو هريرة: الوليمة حق وسنة 170
- 19 - قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى 96
- 20 - قسم مروطا بين نساء من نساء المدينة 190

- 21 - كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف 314
- 22 - ماذا في الضرس؟ فقال ابن عباس : فيه خمس من الإبل 303
- 23 - ما أنا بأحق بهذا الفيء منكم 314
- 24 - والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء 314
-

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

رابعاً - فهرس الأعلام المترجم لهم.

(حرف الألف)

- 1- ابن أبي الدنيا 50
- 2- ابن أبي زيد (القيرواني) 115
- 3- ابن أبي رمثة 59
- 4- أحمد بن الشلي الحنفي 228
- 5- ابن الأزرق 228
- 6- الأرقم بن أبي الأرقم 264
- 7- أسامة بن عمير 80
- 8- أبو أسيد الساعدي 165
- 9- أشهب (ابن عبد العزيز) 120
- 10- الأسلمي (ماعز بن مالك) 99

(حرف الباء)

- 11- بهيسة 150
 - 12- أبو بهيسة 150
- (حرف الثاء)
- 13- ثمامة بن أثال 229

(حرف الجيم)

- 14- جراد بن طارق 94
- 15- جرير بن عبد الله البجلي 184
- 16- أبو جعفر النحاس 48

17 - جفري لانج 22

18 - جون مونييه 235

19 - أبو جهم بن حذيفة 266

(حرف الحاء)

20 - الحارث بن كلدة 59

21 - حذيفة بن اليمان الأسدي 265

22 - حشرج بن زياد 189

23 - حصين بن مالك 186

24 - كهل بن مالك الهذلي 265

25 - أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس 82

26 - ابن الحنظلية (سهل الأنصاري) 191

(حرف الخاء)

27 - خالد بن البرصاء 265

28 - الخفاجي 229

(حرف الدال)

29 - ابن الدحداحة 43

30 - أبو الدرداء 53

(حرف الراء)

31 - أبو رافع 123

32 - الربيع بنت معوذ 223

33 - رفيدة الأنصارية 72

(حرف الزاي)

190 34 - أم زياد الأشجعية

(حرف السين)

95 35 - سُنين أبو جميلة

167 36 - سلمان بن عامر الضبي

275 37 - سلمان بن صخر الأنصاري. (سلمة)

190 38 - أم سليط

(حرف الشين)

284 39 - شريح (القاضي)

174 40 - أبو شريح العدوي

82 41 - أم شريك (غزية بنت دودان)

227 42 - ابن شعبان

47 43 - الشعبي. (عامر بن شراحيل)

(حرف الصاد)

311 44 - صالح بن محمد زائدة

227 45 - أبو صالح أيوب بن سليمان

(حرف الضاد)

117 46 - الضحاك بن قيس

(حرف الطاء)

155 47 - الطيبي

(حرف العين)

198 48 - عابس (ابن ربيعة)

- 49 - عباد بن شرحبيل 207
- 50 - عبد الله بن الهوزني 183
- 51 - عبد الملك ابن أبحر الكناني 59
- 52 - أبو عبد الله بن فرج مولى ابن الطلاع 227 ، 226
- 53 - أبو عبيد. (القاسم بن سلام) 44
- 54 - أم عطية الأنصارية 223
- 55 - عمر بن أبي سلمة 128
- 56 - أبو عمرو بن حفص 82
- 57 - عمرو بن الحارث 285
- (حرف الغين)
- 58 - غالب بن أبحر 207
- (حرف الفاء)
- 59 - فاطمة بنت قيس (القرشية) 82
- 60 - ابن فرحون 228
- 61 - الفجيع العامري 203
- 62 - فروة بن مسيك 220
- (حرف القاف)
- 63 - القرافي 278
- 64 - قيس بن بشر التغلبي 191
- 65 - قيس بن كثير 131
- (حرف الكاف)
- 66 - كافية بن سبع الأسدي 265

67 - كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة 193

68 - ابن كثير 31

69 - أبو كبشة السلولي 159

(حرف اللام)

70 - الليث (ابن المظفر) 93

71 - أم كلثوم بنت علي 190

(حرف الميم)

72 - محمد بن سليمان الحناط 83

73 - المختار الكنتي 137

74 - مخيريق 284

75 - أبو مريم الأزدي 28

76 - ماني 18

77 - مزدك 18

78 - المقدام أبو كريمة (بن معدي كرب) 172

79 - المقرئ 195

80 - أبو المليح (عامر بن أسامة) 80

81 - المهلب (ابن أبي صفرة) 160

(حرف النون)

82 - النواس بن سمعان الأنصاري 126

(حرف الهاء)

83 - هدرانوس 13

84 - أبو الهيثم بن التيهان 331

(حرف الواو)

85- ولسون (جون ألبرت) 16

(حرف الباء)

86 - يحيى بن عبد الله بن بجير 220

87 - أبو يوسف القاضي 48

عبد القادر للعطوم الإسلامية

جامعها - فهرس المصادر والمراجع.

(حرف الألف)

— القرآن الكريم. مصحف المدينة الالكتروني.

1- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط الطبعة، دون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

2- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الحافظ (ت 281هـ)، كتاب المرض والكفارات، تحقيق عبد الوكيل الندوي، الطبعة الأولى، (141هـ. 1991م)، الناشر الدار السلفية، الهند.

3 - ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام الحافظ، (159 . 235هـ) المصنف، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة و محمد بن إبراهيم اللحيان، الطبعة الأولى: 1425 هـ - 2004 م، مكتبة الرشد ناشرون. المملكة العربية السعودية .

4-، المصنف، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، (1427 هـ . 2006 م) شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية .

5 - ابن أبي حاتم محمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، ت 327 هـ الجرح و التعديل، الطبعة الأولى ، 1372 / هـ 1952م، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن، الهند . دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .

6، كتاب العلل، تحقيق فريق من الباحثين ، بإشراف: د/ سعد بن عبد الله الحميد، د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي ، الطبعة الأولى 1427 هـ - 2006 م ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية .

7- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي، (600هـ - 668 هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح و تحقيق: د/ نزار رضا، الطبعة دون ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

- 8- ابن أبي الدنيا أبوبكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي، (ت281 هـ) المرض و الكفارات، تحقيق : عبد الوكيل الندوي ، الطبعة الأولى، 1411 هـ 1991م، الدار السلفية، بمبائي، الهند .
- 9-، كتاب العيال، تحقيق : د.نجم عبد الرحمن خلف، الطبعة الأولى، 1990، دار ابن القيم ، الدمام.
- 10- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني(206 = 287 هـ)، الآحاد و المثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الولي ، 1411 هـ - 1991 م دار الـاية للطباعة و النشر و التوزيع ، الرياض ، السعودية .
- 11- ابن الأثير أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ، (544 هـ - 606 هـ) النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تحقيق : محمود محمد الطنـاجي ، طاهر أحمد الزاوي دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان .
- 12-، الشافي في شرح مسند الشافي تحقيق أحمد بن سليمان، و أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الأولى ، 1426 هـ - 2005م ، مكتبة الرشد ناشرون ، المملكة العربية السعودية .
- 13- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري، (555 - 630)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق و تعليق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- 14- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي الإمام، (164 هـ - 241)، مسند الإمام أحمد، حققه : أحمد محمد شاكر، و أكمله : حمزة أحمد الزين، الطبعة الأولى، (1416 هـ = 1995 م) دار الحديث، القاهرة .
- 15-، مسند الإمام أحمد، حققه: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، سعيد اللحام ، الطبعة الأولى 1419 هـ 1998 م، مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع ، بيروت .
- 16- ، كتاب فضائل الصحابة، حققه وخرج أحاديثه: وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى: (1403 هـ / 1983م)، طبع بدار العلم للطباعة و النشر، المملكة العربية السعودية.

- 17- العلل و معرفة الرجال، تحقيق و تخريج د/
وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الثانية ، 1422هـ. 2201م، دار الخاني، الرياض.
- 18- أحمد عيسى، تاريخ البيمارسانات في الإسلام، الطبعة، دون، كلمات عربية للترجمة و النشر، جمهورية مصر العربية .
- 19- أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م . عالم الكتب ، القاهرة .
- 20- الأعظمي محمد ضياء الرحمن الأعظمي، المنة الكبرى شرح و تخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية ، الرياض .
- 21- الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد، (282 هـ - 370 هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار، و الدكتور محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة .
- 22-.....الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، دراسة و تحقيق : د/
عبد المنعم طوعي بشناق، الطبعة ، دون ، دار البشائر الإسلامية ،
- 23-،تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ : إبراهيم الأبياري،
دار الكتاب العربي، 1967 م.
- 24- الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم (ت1420 هـ)، صحیح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002 م، دار الصميعی للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 25- صحیح الجامع الصغير و زيادته (الفتح الكبير)، الطبعة الثانية ، 1408هـ - 1988م، نشره: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت ، دمشق .
- 26- صحیح سنن أبي داود، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م،
مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض.

- 27..... صحيح سنن النسائي، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م
مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض.
- 28..... صحيح سنن الترمذي، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 1420
هـ - 2000م ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض.
- 29..... صحيح سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى للطبعة
الجديدة، 1417هـ-1997م، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض.
- 30..... ضعيف سنن الترمذي، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 1420 هـ -
2000م ، دار المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض .
- 31..... ضعيف سنن أبي داود ، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002م
مؤسسة غراس للنشر و التوزيع ، الكويت .
- 32..... ضعيف سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 1417هـ
-1997م، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض.
- 33..... ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، بإشراف :
محمد زهير الشاويش ، الطبعة الأولى 1399 هـ - 1997م، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- 34..... الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الطبعة الأولى، 1416 هـ -
1996م، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض.
- 35..... سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها
السيئ على الأمة ، الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988م، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية
السعودية .
- 36..... ، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال و
الحرام، الطبعة الأولى ، 1400 هـ - 1980م ، المكتب الإسلامي ، دمشق .
- 37..... ، ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، الطبعة
الرابعة ، 1419 هـ - 1998م، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية .

(حرف الباء)

38- بالي وحيد عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح، الطبعة دون، دار الضياء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية .

39 - الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، (ت 494 هـ)، المنتقى شرح موطأ مالك، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

40 - البخاري محمد بن إسماعيل، الإمام الحافظ، (ت 256 هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و سننه و أيامه، رقم كتبه و أبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، حققه محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى، 1400 هـ، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة.

41-.....، التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة الدكتور : محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

42-..... ، الأدب المفرد، حققه : عزت زينهم عبد الواحد و سليمان محمد القاطوني ، الطبعة الأولى ، 1428 هـ . 2007 م دار الغد الجديد القاهرة .

43- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري ، ضبط نصه و علق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية، (1423 هـ - 2003 م)، مكتبة الرشد الرياض.

44- البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي الإمام الحافظ، (ت 292 هـ) البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق عادل بن سعد، قدم له بدر بن عبد الله البدر و أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة دون، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة.

45 - البغوي الحسين بن مسعود، (436 - 516 هـ)، شرح السنة، حققه: وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية 1403 هـ - 1983 م ، المكتب الإسلامي ، بيروت

46- البلاذري أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان، الطبعة دون،(1407 هـ -

1987م)، حققه: عبد الله أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ن بيروت، لبنان.

47 - بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته و آثاره

الطبعة الأولى، (1417 هـ - 1996 م)، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت - لبنان

48 - ابن بلبان الأمير علاء الدين علي الفارسي، (ت739هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن

بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، 1414هـ-1993 م، مؤسسة الرسالة بيروت.

49-البوصيري شهاب الدين احمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد

المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف: أبو تميم ياسر بن إبراهيم

قدم له أحمد معبد، الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999م، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة

العربية السعودية.

50 - البيهقي أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد

عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، (1424هـ - 2003 م)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان

51 -، السنن الكبرى، الطبعة الأولى، 1352هـ مطبعة

مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن، الهند .

52 - ، شعب الإيمان تحقيق أبي المهاجر سعيد بسيوني

زغلول، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

53-، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: مختار أحمد

الندوي، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2003 م، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع، المملكة العربية

السعودية الرياض.

(حرف التاء)

54- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (209 . 279 هـ)، سنن الترمذي

تحقيق و شرح : أحمد محمد شاكر، و أكمل تحقيقه: محمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة

عوض . الطبعة الأولى 1382هـ - 1962، الطبعة الثانية، 1388 هـ - 1977م، مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده ، مصر .

55-،سنن الترمذي،اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بنحسن آل سلمان، الطبعة الأولى دون تاريخ، دار المعارف للنشر و التوزيع، الرياض.

56 - التسولي أبو الحسن علي بن عبد السلام، (ت 1258)، البهجة في شرح التحفة، على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام، للإمام أبي بكر محمد بم محمد بن أبي عاصم الأندلسي، (ت829هـ)، ضبطه و صححه محمد عبد القادر شاهين ، الطبعة الأولى (1418 هـ - 1998 م) ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

57-توفيق الواعي، أحمد أبو الفضل، أحمد رجائي الجندي، المرشد الإسلامي في الفقه الطبي، الطبعة الرابعة 1410هـ - 1990 م ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع المنصورة
58- ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي (ت 728 هـ)، الدليل و البرهان على صرع الجن للإنسان، حققه محمد بن الطاهر الزين، الطبعة الأولى : 1409 / 1989 م، مكتبة السندس.

59-.....، الزهد و الورع و العبادة، تحقيق حماد سلامة، الطبعة ،دون ، شركة الشهاب للنشر و التوزيع الجزائر .
(حرف الجيم)

60- ابن الجارود أبو محمد عبد الله بن الجارود الحافظ ، (ت 307هـ)،المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، علق عليه: عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م ، دار الجنان للطباعة و النشر و التوزيع، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان .

61 - الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات ،تحقيق : إبراهيم الأبيار بالطبعة الأولى 1405، دار الكتاب العربي - بيروت

62 - ابن الجعد أبو الحسن علي بن عبيد الجوهري الإمام الحافظ، (134 - 230هـ) مسند ابن الجعد، جمعه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، (214 - 317هـ)، حققه: د/عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، الطبعة الأولى، (1405هـ - 1985 م)، مكتبة الفلاح، الكويت .

63- جفري لانغ، الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام، ترجمة الدكتور منذر العبسي، الطبعة الثانية 1421هـ 2000م، دار الفكر، دمشق .

64 - جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعة، إفريقيا يراد لها أن تموت جوعاً ، الطبعة ، دون، الوفاء للطباعة و النشر .

65 - ابن جماعة أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم شيخ الإسلام و قاضي القضاة، (ت 733)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق و دراسة و تعليق : د/ فواد عبد المنعم أحمد ، قدم له فضيلة الشيخ : عبد الله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية بدولة قطر ، الطبعة الأولى ، (1405هـ = 1985 م) ، رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية بدولة قطر.

66- ابن الجنيد أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحنظلي (26هـ تقريباً)، **سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين**، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، الطبعة الأولى، (140 هـ - 1988م)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

67- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، 1380هـ ، منشورات الشريف الرضي.

68- جوزيف ف ريزو - روبرت ه زابل، ترجمة: زيدان السرطاوي و عبد العزيز الشخص، **تربية الأطفال والمراهقين المضطربين سلوكياً،** الطبعة الأولى 1420هـ = 1999م ، دار الكتاب الجامعي . العين ، دولة الإمارات العربية المتحدة .

- 69 - ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التميمي القرشي، (510 - 597 هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، الطبعة الأولى 1418هـ = 1997 م، دار الوطن، الرياض.
- 70 -، نزهة الأعيانلنواظر في علم الوجوه و النظائر، دراسة و تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م، مؤسسة الرسالة.
- 71 -، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الطبعة، دون، دار ابن خلدون، الإسكندرية.
- 72 -، الطب الروحاني، تحقيق: أبي المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة، 1406 هـ = 1986م، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.
- 73 -، (510 - 597 هـ)، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، قدم له و ضبطه: الشيخ خليل الميس، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- 74 - الجوهري إسماعيل بن حماد (292 هـ)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية: 1404هـ = 1984 م، دار العلم للملايين، بيروت.
- 75 - الجويني إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله، (ت 478)، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق و دراسة: د/ مصطفى حلمي، د/ فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية.
- (حرف الحاء)
- 76 - الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، المستدرک علی الصحيحين، و بذيله التلخيص للحافظ الذهبي، أشرف على الطبعة: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة، دون، دار المعرفة بيروت لبنان.

- 77 - ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد الإمام الحافظ ، (ت354 هـ)، الثقات طبع تحت مراقبة : محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، 1393هـ - 1973م ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند .
- 78- ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الحافظ، (773 هـ - 852 هـ)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، تحقيق : د/ سمير بن سليمان بن عبد الله العمران ، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م، دار العاصمة للنشر و التوزيع . المملكة العربية السعودية .
- 79 -، النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، الطبعة العاشرة 1427هـ ، دار ابن الجوزي . المملكة العربية السعودية
- 80 -، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحا و تحقيقا: عبد العزيز بن باز ، قام بإخراجه و صححه و أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة بيروت لبنان .
- 81-، تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد عوامة الطبعة الثالثة ، 1411هـ - 1991م ، دار القلم للطباعة للنشر و التوزيع، دمشق
- 82-، تهذيب التهذيب، اعتنى به : إبراهيم الزبيق ، عادل مرشد، الطبعة ، دون ، مؤسسة الرسالة .
- 83-، الإصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة ، دون ، طبعت هذه النسخة طبق النسخة المطبوعة سنة 1853 م في بلدة كلكتا، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- 84-، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة: دون، 1414هـ - 1993م ، دار الجيل، بيروت .
- 85- الحطاب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني ، ت954 هـ ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبطه و خرج آياته و أحاديثه، الشيخ زكريا عميرات، الطبعة، دون، دار عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع .
- 86- الحري إسحاق بن إبراهيم بن إسحاق، 198هـ - 285هـ، غريب الحديث، تحقيق : د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الطبعة الأولى ، 1405- 1985م ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .

87- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الإمام ، (ت 456)، المحلي ،
حققه صاحب الفضيلة : عبد الرحمن الجزيري، الطبعة الأولى سنة 1349هـ، إدارة الطباعة
المنيرية ، مصر .

88 - حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام مكانتها و أسس تربية الطفل، طبعة(1402 هـ
- 1982م)، دار المريخ للنشر، الرياض .

89 - حسن الشرقاوي، نحو تربية إسلامية ، الطبعة ، دون ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة
، الإسكندرية .

90- الحسيني أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسيني الدمشقي الشافعي،(715 هـ 765 هـ) ذيل
تذكرة الحفاظ للذهبي، الطبعة ، دون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

91- الحميدي محمد بن فتوح،(488هـ)، الجمع بين الصحيحين البخاري و مسلم ، تحقيق
: د/ علي حسين البواب، الطبعة دون، دار ابن حزم .

92 - الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي، معجم البلدان ، الطبعة
دون، دار صادر، بيروت .

93 - الحنفي أبو المحاسن يوسف بن موسى ، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار
الطبعة، دون ، الناشر عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة ، مكتبة سعد الدين دمشق .

94- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ت 745 هـ، تفسير البحر المحيط، دراسة و
تحقيق و تعليق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، 1413 هـ -
1993م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(حرف الخاء)

95- الخطابي، أبو سليمان حمد بن إبراهيم البستي (ت 388) غريب الحديث ، تحقيق :عبد
الكريم إبراهيم العزباوي، الطبعة الثانية : (1422 هـ - 2001 م)، جامعة أم القرى معهد البحوث
العلمية مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة .

96 - ابن خزيمة محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح بن خزيمة، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، (1400هـ - 1980م) .

97- الخزاعي أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت 789)، كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحرف و الصنائع و العمالات الشرعية تحقيق : الأستاذ الشيخ احمد محمد أبو سلامة ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري .

98- الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت 463)، موضع أوهام الجمع و التفريق، صححه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة، دون، 1379هـ - 1960م، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند.

99-..... كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، أخرجه: د/ عز الدين علي السيد ، الطبعة الثالثة : 1417هـ - 1997م، مكتبة الخانجي، القاهرة

100- الخطيب إبراهيم ياسين، أحمد محمد الزبدي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، 2000م ، الدار العلمية الدولية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن .

101- ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة بن خلدون، الطبعة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

102 - الخليلي الخليل بن عبد الله بن الخليل القزويني، (ت 446)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث ضبطه: الشيخ عامر أحمد حيدر، الطبعة، دون، 1414 هـ - 1993 م ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان .

103 - ابن الخوجة محمد الحبيب، محمد الطاهر ابن عاشور و كتابه مقاصد الشريعة، الطبعة دون، (1425هـ - 2004م)، طبعة وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، دولة قطر .

(حرف الدال)

104- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، 202 هـ - 275 هـ ، سنن أبي داود، اعتنى به فريق: بيت الأفكار الدولية .

105 - الدارقطني علي بن عمر الحافظ الناقد، (306 هـ - 385 هـ)، سنن الدارقطني، حققه و ضبط نصه و علق عليه : شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شليبي، عبد اللطيف حرز الله ، أحمد برهوم ، الطبعة الأولى 1424 هـ - 2004 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

106 -، سنن الدارقطني، حققه و ضبط نصه و علق عليه : شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شليبي، محمد كامل قره الطبعة الأولى 1424 هـ - 2004 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

107 - الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الإمام الحافظ ، (181 هـ - 255 هـ)، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م، دار المغني للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية

108- الدرويش عبد الله محمد ، بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد و منبع الفوائد، الطبعة ، دون ، 1414 هـ - 1994 م، دارالفكر للطباعة و النشر و التوزيع .بيروت لبنان

109-الدسوقي شمس الدين محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، و بهامشه الشرح الكبير للدردير مع تقريرات العلامة عليش ، الطبعة، دون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .

110-الديلمى أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمداني الملقب "إلكيا" (445 - 509 هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(حرف الذال)

111 - الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (673 هـ - 748هـ) تذكرة الحفاظ، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي ، تحت إعاونة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

112 -، المعين في طبقات المحدثين ، وضع حواشيه : محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة ، 1419 هـ 1998 م، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

113 - ، سير أعلام النبلاء ، حقق الكتاب و أخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ، 1403 هـ. 1983 م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

114، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، علق عليه و خرج نصوصه: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، المملكة العربية السعودية، جدة .

(حرف الراء)

115- رأفت فريد سويلم، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى 1425 هـ - 2004 م، دار ابن الجوزي، درب الأتراك .مصر.

116-الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين،(544 - 606 هـ)،المحصل في علم الأصول. دراسة وتحقيق: د/ طه جابر فياض العلواني، الطبعة، دون، مؤسسة الرسالة. 114 -

117 - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، راجعه علي سامي النشار، الطبعة، دون، (1402 هـ - 1982 م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- 118 - الرازي أبو بكر محمد بن زكريا (250هـ - 313هـ)، أخلاق الطبيب رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه، تقديم و تحقيق : د/ عبد اللطيف محمد العبد، الطبعة الأولى ، 1397هـ - 1977م ، مكتبة دار التراث القاهرة .
- 119- ابن رجب أبو الفرج زين الدين الحافظ، 736هـ - 795هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من الباحثين، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية .
- 120-، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى 1408هـ، دار المعرفة، بيروت.
- 121 - ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (520 هـ 595 هـ)، بداية المجتهد و نهاية المقتصد، الطبعة السادسة 1402هـ - 1982م ، دار المعرفة للطباعة و النشر بيروت ، لبنان .
- 122 - الرصاع أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري (ت: 894هـ)، شرح حدود بن عرفة الموسوم بـ : الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق بن عرفة الوافية، تحقيق : محمد أبو الأحفان و الطاهر المعموري ، الطبعة الأولى ، 1993م ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان
- (حرف الزاي)
- 123 - الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- 124 - الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة دون، 1385هـ - 1965م ، مطبعة حكومة الكويت .
- 125 - الزحيلي محمد، القواعد الفقهية و تطبيقاتها على المذاهب الأربعة، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م ، دار الفك، دمشق، سورية .
- 126 - الزركلي خير الدين ، الأعلام ، الطبعة الخامسة عشر، ماي 2002م ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان.

127- زرواتي رشيد: مدخل إلى الخدمة الاجتماعية، الطبعة الأولى، 1419 هـ. 2000م مؤسسة ابن سينا، بن عكنون، الجزائر .

128- الزمخشري جار الله محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، و علي محمد البجاوي، الطبعة، دون، 1414 هـ - 1993م، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان.

(حرف السين)

129- الساعاتي أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، الطبعة الأولى، التاريخ: دون ، دار إحياء التراث العربي .

130 - السباعي مصطفى، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة، دون، دار الوراق للنشر و التوزيع ، المكتب الإسلامي .

131- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي(ت771هـ) ، الأشباه و النظائر ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، الطبعة الأولى(1411 هـ - 1991م)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .

132- سحنون بن سعيد التنوخي، المدونة، أول طبعة للمدونة، التاريخ : دون، طبع بمطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر .

133السدحان عبد الله بن ناصر بن عبد الله، فضل كفالة اليتيم، الطبعة، دون،1421هـ الملكة العربية السعودية.

134- ابن سعد محمد بن منيع الزهري، ت 230 هـ، كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، الطبعة الأولى ، 1421 هـ - 2001م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

135- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الطبعة الثانية،1408 هـ - 1988 م، دار الفكر، دمشق، سورية.

- 136- السلمي محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن الأزدي، ولد سنة 325 هـ .، سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني، دراسة و تحقيق: سليمان آتش، 1408 هـ - 1988م، دار العلوم للطباعة و النشر الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- 137- سمير سرحان، المختار من إغاثة الأمة في كشف الغمة ، تحت إشراف : مكتبة الأسرة، جمعية الرعاية المتكاملة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر .
- 138- ابن السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، (ت 562 هـ) الأنساب ، تقديم و تعليق : عبد الله عمر الباروحي ، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م دار الجنان، بيروت، لبنان .
- 139- السمهودي، علي بن عبد الله بن احمد الحسيني - (مؤرخ المدينة) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، (844 - 922 هـ)، دراسة و تحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكني طبع على نفقة السيد : حبيب محمود أحمد و جعله وفقا لله تعالى .
- 140 - ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم و المحيط الأعظم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري الطبعة الأولى، 1391 هـ . 1971 م .
- 141 - ابن سيده علي بن إسماعيل، (ت 458 هـ)، المحكم و المحيط العظم، حققه: عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الأولى، 1377 هـ 1958م، مطبوعات جامعة الدول العربية.
- 142- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، الطبعة الرابعة عشر، 1415 هـ - 1995م، دار الشروق، القاهرة.
- 143- ابن سيد الناس أبو الفتح محمد بن محمد اليعمرى، ت 734 هـ، عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، حققه و خرج أحاديثه : محمد العيد الخطراوي، و محي الدين متو ، الطبعة : دون ، مكتبة دار التراث المدينة المنورة ، دار ابن كثير ، دمشق بيروت .
- 144- السيد عبد الحكيم عبد الله، إعجاز الطب النبوي، الطبعة الأولى، (1418 هـ 1998 م)، دار الآفاق العربي القاهرة.

145-السيوطي أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، حققه و علق عليه أبو اسحاق الحويني، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م، دار ابن عفان للطباعة و النشر، المملكة العربية السعودية.

146-، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة (1399هـ - 1979م)، دار الفكر .

(حرف الشين)

147- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس الإمام (ت 204هـ)، مسند الشافعي، ترتيب مسند الإمام المعظم المجتهد المقدم أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رتبته على الأبواب الفقهية: المحدث محمد عابد السندي، صححه و راجع أصوله: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، و السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة ، دون ، 1370هـ - 1951م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

148 -الشرييني لظفي، الاككتاب المرض و العلاج، الطبعة، دون، الناشر، منشأة المعارف الإسكندرية، جلال حزي و شركاه.

149 - الشريف حاتم بن عارف العوني ، شرح موقضة الذهبي، الطبعة الأولى، 1427 هـ، دار بن الجوزي المملكة العربية السعودية .

150 -شعبان عبد المعطي عطية، و أحمد حامد حسين ، و جمال مراد حلمي، المعجمالوسيط، الطبعة الرابعة، 1425هـ - 2004م، مكتبة الشروق الدولية .

151-الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني،(1173 - 1250هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق و تعليق : أبي حفص سامي بن العربي الأثري، الطبعة الأولى ، 1421 هـ - 2000م، دار الفضيلة للنشر و التوزيع ، الرياض.

152-.....، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه : خليل المنصور، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(حرف الصاد)

153. **الصنعاني محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني، الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كإسلافه بالأمرير (ت1182هـ)، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، حققه د. محمد إسحاق محمد إبراهيم الطبع: الأولى، 1432 هـ - 2011 م،: مكتبة دار السلام، الرياض .**

154. **سبل السلام بشرح بلوغ المرام، تعليق :**
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ، 1427 هـ - 2006 م ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض .

(حرف الطاء)

155. **الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة الطبعة الثالثة، دار الفكر.**

156. **الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (260 هـ - 360 هـ)، المعجم الأوسط، حققه: طارق بن عوض الله بن محمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الطبعة، دون رقم، تاريخ الطبع: 1415 هـ 1995 م ، دار الحرمين للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة .**

157. **المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية ، 1404 - 1983 ، مكتبة العلوم والحكم الموصل.**

158. **المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الطبعة ؟ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة .**

159. **المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م ، المكتب الإسلامي، بيروت.**

160. **مسند الشاميين، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي الطبعة، دون، مؤسسة الرسالة .**

161. **الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الإمام (224 هـ - 310 هـ)، تهذيب الآثار ، قرأه و خرج أحاديثه: محمود محمد شاكر ، الطبعة دون ، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية ، مصر .**

162 - الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، (239هـ - 321هـ)، شرح مشكل الآثار، حققه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994م، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع بيروت .

163- شرح معاني الآثار، حققه : محمد زهري النجار ، و محمد سيد جاد الحق، راجعه و رقم كتبه و أبوابه: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م، عالم الكتب .

164-الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود، ت 204هـ ، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق : د/ محمد عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م ، دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع،

(حرف العين)

165 - ابن عاشور محمد الطاهر شيخ الإسلام المالكي بجامع الزيتونة، (1879م - 1973 م) كشف المغطى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ، علق عليه و ضبط نصه: طه بن علي بوسريح التونسي، الطبعة الأولى، (1427 هـ - 2006 م) ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع .

166 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

167 - التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر ، 1984 م ، تونس .

168-عباس حسن، النحو الوافي، الطبعة الثالثة، التاريخ، دون، دار المعارف بمصر

169- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، (368هـ - 463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، تحقيق الدكتور عمر الجيدي سعيد أحمد أعراب، (1405 هـ - 1985م) ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب

170 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه و خرج أحاديثه : عادل مرشد ، الطبعة الأولى 1423 هـ 2002م ، دار الأعلام ، عمان، الأردن .

- 171- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الإمام الحافظ، (157هـ - 224 هـ) كتاب الأموال، حققه: أبو أنس سيد بن رجب، الطبعة الأولى 1428هـ - 2007م، دار الهدي النبوي للنشر و التوزيع ، جمهورية مصر العربية، المنصورة، دار الفضيلة للنشر و التوزيع، الرياض
- 172- العبدري أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم، (ت 897 هـ)، التاج والإكليل لمختصر خليل، الطبعة: دون، 1398 هـ، دار الفكر، بيروت
- 173- عبد الناصر سليم حامد ،معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية دار أسامة للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى 2012 ، عمان الأردن .
- 174- عبد الرزاق بن همام أبو بكر الصنعاني الإمام الحافظ، (126 هـ 211هـ)، المصنف، تحقيق و تخريج : حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، 1391هـ /1972م، من منشورات المجلس العلمي، و يطلب الكتاب من المكتب الإسلامي، بيروت لبنان .
- 175 - عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين و المستأمنين في دار الإسلام: (102- 103) مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ - 1982 م .
- 176 - عبد الله قاسم الوشلي، المسجد و نشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، الطبعة الأولى ، 1410هـ - 1990 م ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت لبنان .
- 177 - عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الإسلام، الطبعة: دون، دار السلام
- 178- عبد الله سهو الناصر، التسرب من التعليم الطريق المفتوح نحو عمل الأطفال، 2014م، المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية .
- 179 - عبد المنعم زين الدين، البنوك الوقفية : دراسة فقهية اقتصادية و نموذج مقترح ، الطبعة الأولى ، 1437هـ - 2016 م ، الوعي الإسلامي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، دولة الكويت .
- 180- عبد الناصر سليم حامد ، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى 2012، عمان، الأردن .
- 181- ابن العربي أبو بكر القاضي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلية المالكي (ت: 543هـ)، المسالك في شرح موطأ مالك ، قرأه وعلق عليه: محمد بن الحسين السليمانى

وعائشة بنت الحسين الشليماني، قدم له: يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م، دار الغرب الإسلامي.

182- العجلي أبو الحسن أحمد بن عبد الله صالح الكوفي نزيل طرابلس الغرب، معرفة الثقات، دراسة و تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، الطبعة دون، مطبعة المدني، القاهرة.

183- ابن عدي أبو أحمد عبد الله الجرجاني (277-365 هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال تحقيق: محمد أنس مصطفى الحن، الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م، دار الرسالة العالمية الجمهورية العربية السورية.

184- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (499-571 هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان

185- العشاب، أبو الحسن سعيد بن هبة الله البغدادي، (446 هـ - 495 هـ)، المغني في تدبير

الأمراض و معرفة العلل و الأعراض، حققه الدكتور: محمد ياسر زكور، الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.

186- العظيم آبادي أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق و ضبط: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية: 1388 هـ = 1969 م، المكتبة السلفية المدينة المنورة.

187- علي أوزاك، الزكاة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، ندوة تحت عنوان: عرض الجهود والأفكار المعاصرة في المؤتمرات والجامع والدراسات المتخصصة عن المفاهيمو التطبيقات الحديثة للزكاة، الجمع الملكي للبحوث والحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت.

188- عوض أحمد إدريس، الدية بين العقوبة و التعويض في الفقه الإسلامي المقارن الطبعة الأولى 1986، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

189 - العيني أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد، (ت 855 هـ) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه و صححه: عبد الله محمود محمد عمر، الطبعة الأولى، 1421 هـ -

2001 م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

190 - العيني أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد، (ت 855 هـ) ، شرح سنن أبي داود تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الطبعة الولي 1420 هـ - 1999م، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

191-، شرح سنن أبي داود، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999م، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية .

192- ابن العماد أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ، ت 845هـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط و محمود الأرنؤوط، الطبعة الأولى ، 1413 هـ - 1993 م ، دار ابن كثير ، دمشق. بيروت .

193- أبوعوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائني، (ت316)، مسند أبي عوانة ، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الطبعة الأولى 1419هـ1998م ، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت .

(حرف الغين)

194- غارودي روجي، الإرهاب الغربي، ترجمه إلى العربية : سلمان حرفوش، دار كنعان للدراسات و النشر و الخدمات الإعلامية، الطبعة الأولى، 2007.

(حرف الفاء)

195- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت395 هـ، معجم مقاييس اللغة تحقيق و ضبط :عبد السلام محمد هارون، الطبعة دون ، 1399 هـ /1979، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .

196 - ابن فرحون، أبو إسحاق إبراهيم بن نور الدين المالكي، ت 799 هـ ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة و تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى 1417 هـ -1996 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

197.....، الدبباج المذهب في معرفة أعيان المذهب الطبعة

، دون، دراسة و تحقيق : د/ محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع و النشر.

198فرانسيس مور لاييه، جوزيف كولينز، صناعة الجوع خرافة الندرة، ترجمة أحمد حسان

سلسلة كتب ثقافية تصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت ، 1983.

199- الفنجرى أحمد شوقى، الطب الوقائى فى الإسلام تعاليم الإسلام الطبية فى ضوء

العلم الحديث، الطبعة الثالثة، 1991م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

200 - الفيروزآبادى مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق

التراث فى مؤسسة الرسالة، تحت إشراف: محمد نعيم العرقسوسى الطبعة الثامنة، 1426 هـ/

2005 م، مؤسسة الرسالة.

201 - الفيومى أحمد بن محمد بن على، (ت770 هـ)، المصباح المنير فى غريب الشرح

الكبير، صححه الأستاذ الشيخ حمزة فتح الله، الطبعة الخامسة، 1992م ، المطبعة الأميرية

القاهرة .

(حرف القاف)

202ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينورى، فضل العرب و التنبه على علومها، تحقيق

الدكتور: وليد محمود خالص، الطبعة الأولى 1998 م، منشورات الجمع الثقافى، أبو ظبى .

الإمارات العربية المتحدة .، .

203.....غريب الحديث، تحقيق: الدكتور عبد الله لجبورى، الطبعة

دون 1977 م ، مطبعة العانى، بغداد .

204 القرطبى أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبى بكر، (ت671 هـ) ، الجامع لحكام

القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آى الفرقان ، حققه عبد الله بن عبد المحسن

التركى، و شاركه فى التحقيق محمد رضوان عرقسوسى ، الطبعة الأولى، 1427 هـ ، 2006م ،

مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان .

205 - ابن فرُّول أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزى الوهرانى، (505

-569هـ)، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، التحقيق و المقابلة و التعليق، أحمد عويس

جنيدى، أحمد فوزى إبراهيم، بمشاركة الباحثين بدار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف وئام محمد عبد العزيز ، خالد الرباط. الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 موزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . دولة قطر.

206- القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس، ت (626 - 684)، الذخيرة، تحقيق الأستاذ محمد بوخبزة، وسعيد أعراب، ومحمد حجي، الطبعة الأولى، 1994م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

207 -، الفروق، قدم له وحققه: عمر حسن القيام، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

208 - القرشي محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم الحنفي 696هـ-775 هـ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1993م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .

209 ابن قدامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي، (541 - 620 هـ)، المغني، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، و عبد الفتاح محمد الحلو الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1997م، دار عالم الكتب، للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض

210-القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي، مسند الشهاب، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

211- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، حققه ووضع فهرسه: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية 1402هـ - 1982م الناشرون، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.

212- القنوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، (ت 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، حققه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت.

213- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، الوفيات حققه و علق عليه : عادل نويهض، الطبعة الرابعة 1403 هـ - 1983 م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت .

214- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (691 هـ . 751 هـ)، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة ، دون، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع .

215 - زاد المعاد في هدي خير العباد، حققه: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الرناؤوط، الطبعة السادسة و العشرون، 1412 هـ - 1992 م، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية الكويت .
(حرف الكاف)

216- الكتاني محمد عبد الحي بن عبد الكبير الإدريسي الحسيني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، الطبعة الثانية ، دار الرقم بن أبي الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان.

217- فهرس الفهارس والأثبات وعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتنى به : د/ إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، 1402 هـ - 1982 م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت .

218- ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الإمام الحافظ، (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م ، الحقوق محفوظة لمؤسسة قرطبة للنشر و التوزيع، الفاروق الحديثية للطباعة و النشر القاهرة .

219 البداية والنهاية ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى: 1418هـ . 1998 م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، المهندسين ، جيزة .

220 - كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

(حرف اللام)

221 - ابن اللحام أبو الحسن علاء الدين علي بن عباس البعلبي الحنبلي، (752هـ - 803هـ) القواعد و الفوائد الأصولية و ما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، تحقيق و تصحيح : محمد حامد الفقي، الطبعة، دون ، 1375هـ - 1956م ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة .

(حرف الميم)

222 - ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (207هـ . 275هـ) ، سنن ابن ماجة حققه و رقمه : محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة دون، دار إحياء الكتب العربية .

223 سنن ابن ماجة، حققه: بشار عواد معروف الطبعة الأولى، 1418هـ . 1998 م ، دار الجيل ، بيروت .

224 - مالك بن أنس إمام دار الهجرة صاحب المذهب الفقهي، (93 - 179 هـ)، الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي، 152 - 244هـ ، حققه : الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية، 1417هـ / 1997م ، دار الغرب الإسلامي .

225 الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق و تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الرابعة ، 1414 هـ - 1994 م ، أشرف على إصداره الدكتور محمد علي محجوب، وزير الأوقاف ، رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة .

226 - ابن ماكولا أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر الأمير الحافظ 402هـ - 486 هـ، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب الطبعة : دون، دار الكتاب الإسلامي، الفاروق الحديثة للطباعة و النشر، القاهرة

227. **الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،(ت:450هـ)، **الحاوي الكبير**، الطبعة، دون، دار الفكر - بيروت.
228. **المباركفوري** أبو العلي محمد عبد الرحمن، الحافظ 1283 هـ / 1353 م ، **تحفة الأحوزي** بشرح **جامع الترمذي**، راجعه و صححه، عبد الوهاب عبد اللطيف، تاريخ الطبعة : ؟ دار الفكر للنشر و التوزيع.
229. **المباركفوري** صفى الرحمن، **الرحيق المختوم**، الطبعة: دون 1436 هـ . 2015م ، دار الكتاب الحديث .
230. **مجمع اللغة العربية**، قدم له: د/ إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**، الطبعة، دون، 1403 هـ - 198م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية.
231. **محمد حميد الله**، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة، الطبعة الخامسة، 1405 هـ - 1985م، دار النفائس، بيروت.
232. **محمد بن أحمد الصالح**، **الطفل في الشريعة الإسلامية** نشأته حياته حقوقه التي كفلها الإسلام . الطبعة الثانية 1403 هـ ، مطابع الفرزدق التجارية .
233. **محمد علي سعد الله** ، **تطور المثل العليا في مصر القديمة**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية ، 1989 م ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
234. **محمد عجاج الخطيب**، **السنة قبل التدوين**، الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988م، أم القرى للطباعة و النشر و التوزيع، الناشر مكتبة وهبة.
235. **محمد إسماعيل أبو الريش**، **الكفارات في الفقه الإسلامي**، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1997 م، مطبعة الأمانة، مصر
236. **محمد مخلوف**، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، الطبعة دون، (1349هـ)، المطبعة الوطنية الرباط .
237. **محمد جميل زينو**، **من بدائع القصص النبوي الصحيح**، الطبعة الأولى 1412 هـ /، 1992، مكتبة دار المنار للنشر.

- 238- محمد عماد الدين إسماعيل، الطفل من الحمل إلى الرشد، الطبعة الأولى 1409 هـ 1989 م، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت .
- 239 - محمد بن محمد بن علي بن همام بن راجي الله بن سرايا بن داود، (677هـ - 745هـ)، سلاح المؤمن في الدعاء والذكر، تحقيق : محيي الدين ديب، الطبعة دون سنة النشر 1414هـ 1993 م ، دار ابن كثير .
- 240- محمد طلعت عيسى و عدلي سليمان، خدمة الجماعة، ، الطبعة الأولى ، 1962 م مكتبة القاهرة الحديثة .
- 241 - مختار حمزة، سيكولوجية ذوي العاهات، الطبعة، دون، سنة 1956م، دار المعارف، مصر.
- 242 - المزني جمال الدين أبو الحجاج يوسف، (654 هـ - 742 هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه بشار عواد معروف، الطبعة الأولى 1413 هـ 1992 م، مؤسسة الرسالة بيروت .
- 243 - مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (206 هـ، صحيح مسلم ، المسمى : المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، اعتنى به : أبو قتيبة نضر محمد الفريابي ، الطبعة الأولى 1427 هـ / 2006 م ، دار طيبة للنشر و التوزيع الرياض .
- 244- مصطفى حسن أحمد، الإرشاد النفسي لأسر الأطفال غير العاديين، الطبعة الأولى، 1996 م، مراجعة و تقديم الدكتور عادل عز الدين الأشول رئيس قسم الصحة النفسية ، مركز الإرشاد النفسي بجامعة عين شمس .
- 245- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه و سلم من الأحوال و الأموال و الحفدة و المتاع ، تحقيق و تعليق محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

246- المقريري تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ)، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، المعروف بالخطط المقريرية، تحقيق: د/ محمد زينهم ، و سميحة الشراوي، الطبعة الأولى ، 1997م مكتبة مدبولي ، القاهرة .

247- ابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، الطبعة الأولى، (1429هـ- 2008م)، دار النوادر، دمشق، سوريا.

248 - المناوي محمد عبد الرؤوف، فيض القدير بشرح الجامع الصغير، الطبعة الثانية (1391 هـ . 1972م)، دار المعرفة للطباعة و النشر بيروت لبنان.

249- المناوي محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، 1410 هـ ، دار الفكر ، دمشق .

250 - المنذري عبد العظيم بن عبد القوي الإمام الحافظ، (581 . 656هـ)، الترغيب و التهيب، حكم على أحاديثه و آثاره و علق عليه المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى 1424 هـ ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض.

251- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

252- المنوفي، علي بن خلف المالكي المصري ، (857 . 939هـ)، كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، و بالهامش حاشية العدوي، حققه : أحمد حمدي إمام ، راجعه المستشار : السيد علي الهاشمي ، الطبعة الأولى ، 1409 هـ - 1989 م ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر .

(حرف النون)

253- ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي، (842هـ) توضيح المشتبه، حققه وعلق عليه محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة، دون، مؤسسة الرسالة.

254- الناصري سيد أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، الطبعة الثانية، 1991م، دار النهضة العربية القاهرة.

- 255- نجية إسحاق عبد الله محمد، سيكولوجية البغاء -دراسة ميدانية و نظرية - الطبعة الأولى،(1405 هـ - 1984م)، مكتبة الخانجي، بالقاهرة .
- 256- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت 303هـ) : كتابالسنن الكبرى، حققه : حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه شعيب الأرنؤوط، و قدم له عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى 1421 هـ 2001 م ، مؤسسة الرسالة .بيروت، لبنان
- 257- السنن المعروف بالختي، بيت الأفكار الدولية للنشر و التوزيع
- 258 -سننالنسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، حققه و رقمه و وضع فهارسه : مكتب تحقيق التراث الإسلامي، الطبعة ، دون ، دار المعرفة ، بيروت .
- 259 - أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصفهاني،(ت 420هـ)، موسوعة الطب النبوي، دراسة و تحقيق : د/ مصطفى خضر دونمز التركي، الطبعة الأولى، 1427 هـ - 2006 م ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ن بيروت ، لبنان .
- 260 -حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ،الطبعة الأولى ، 1409 هـ - 1988 م، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .
- 261 - النووي أبو زكريا محي الدين بن شرف الفقيه،(ت 676 هـ)،صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر، إدارة محمد عبد اللطيف، الطبعة الأولى 1347 هـ . 1929 م .
- 262، تهذيب الأسماء و اللغات،إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة ، دون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(حرف الهاء)

263 - الهندي علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري، (ت575هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، ضبطه و فسر غريبه : بكري حياني، صححه و وضع فهارسه : صفوة السقا، الطبعة الخامسة، 1405 هـ - 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

264- الهيثمي أبو بكر نور الدين علي بن سليمان الهيثمي الشافعي، (735 هـ - 807 هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: د/ حسين أحمد صالح الباكري، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مركز خدمة السنة و السيرة النبوية، المملكة العربية السعودية.

265- الهيثمي أبو بكر نور الدين علي بن سليمان الهيثمي الشافعي، (735 هـ - 807 هـ)، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة دون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(حرف الواو)

266 - الويسي محمد حمدان بن أحمد القسنطيني المدني (1856 م - 1920م)، فتح اللطيف الخبير في جواز التعزير بالمال وفيه الحكرة والتسعير، جمع و تقديم: لحسن بن علجية، طبعة خاصة 2015 م، دار مساحات المعرفة درارية، الجزائر.

267- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، الطبعة الثانية، (1405 هـ - 1985م)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق .

(حرف الياء)

268- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني التميمي الموصلي، (210 هـ - 307 هـ) ، مسند أبي يعلى الموصلي، حققه وخرج أحاديثه : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 . دار المأمون للتراث دمشق .

269 - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلية، 210هـ - 307هـ ، مسند أبي يعلى
الموصلية حقه و خرج أحاديثه : حسين سليم أسد، الطبعة الثانية ، 1412هـ -
1992م، دار الثقافة العربية دمشق.

(الدوريات ماجستير و دكتوراه).

01 - عفاف بنت إبراهيم بن عبد الله الدباغ، المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة
الاجتماعية، رسالة مقدمة إلى قسم خدمة الجماعة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في
الخدمة الاجتماعية تخصص خدمة الجماعة، إشراف الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن رجب،
1414هـ - 1993م، المملكة العربية السعودية ، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الخدمة
الاجتماعية للبنات بالرياض.

02 - العلي عبد الله بن صالح بن حسين، الحرب في الشريعة الإسلامية و القانون الدولي
العام، رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي المقارن ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية الشريعة
و الدراسات الإسلامية ن قسم الفقه و الأصول ، فرع الفقه ، المشرف الأستاذ الدكتور محمد
شعبان حسين . عام 1405 هـ - 1406 هـ .

03- غماري محمد، الخدمة الاجتماعية لرعاية الأحداث المنحرفين، رسالة ماجستير،
تخصص علم الاجتماع فرع الخدمة الاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف، بالمسيلة ، كلية
الآداب و العلوم الاجتماعية ، قسم علم الاجتماع .

04- القرشي طالب عبد الكريم كاظم، الظاهرة الاجتماعية عند إيميل دوركايم - تحليل
اجتماعي - ، مجلة دراسات إسلامية معاصرة ، العدد السادس ، السنة الثالثة ، 2012 م .

(المجلات)

01 - أحمد فهمي، مرصد الأحداث، مجلة البيان، العدد 160، الصفحة 96 . ذوالحجة
1421 هـ - مارس 2001م، السنة: 15.

02 - الزرقا مصطفى أحمد، دية النفس الشرعية كيف نقدرها في هذا العصر، مجلة المجمع
الفقهي الإسلامي ، العدد الثالث، السنة الثانية، 1409 هـ - 1989م

03 - عبد الله بن عساف اللحياني، أسانيد كتاب عمرو بن حزم رضي الله عنه دراسة نقدية بمجلة الأحمدية، العدد السابع، المحرم، 1422هـ، دار البحوث و الدراسات الإسلامية دبي.

04 - جمال السيد تفاحة، الصلابة النفسية و الرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين دراسة مقارنة، مجلة كلية التربية، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث، 2009، جامعة الاسكندرية.

05 - عبد الناصر صالح، الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية مع الأحداث المنحرفين في النظام القضائي القطري، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد الرابع عشر 2002. قطر .

الجرائد

01 - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 16، ربيع الأول 1430هـ - مارس سنة 2009م، مراسيم تنظيمية .

- (المواقع الإلكترونية)

01- علي بن نايف الشحود، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام. المكتبة الشاملة رابط تحميل الكتاب

<http://www.c5c6.com/upfile/download....ddd430a858.rar>

02 - يوسف عبد الوهاب المركز الدولي للأبحاث و الدراسات مداد <http://www.medadcenter.com> .

03 - مقال من الموقع الإلكتروني في مجلة نيويورك تايمز.

<https://www.washingtoncitypaper.com>

JOHN A. WILSON, 76, EXPERT ON EGYPT.

August 31, 1976, Page 29 Buy Reprints The New York Times

سأدرسا فهرس الموضوعات.

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
2	الفصل التمهيدي التعريف بالخدمة أنواعها و خصائصها و تاريخها
2	المبحث الأول: شرح و تعريف: مفاهيم ومفردات عنوان الدراسة
2	المطلب الأول: تعريف الخدمة الاجتماعية لغة واصطلاحا
2	الفرع الأول: الخدمة الاجتماعية لغة
4	الفرع الثاني: تعريف الخدمة الاجتماعية كمركب لقي
5	الفرع الثالث: المفهوم الإجرائي للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية
7	المطلب الثاني: التعريف بمصطلحي السنة، والدراسات الموضوعية
7	الفرع الأول: تعريف السنة لغة واصطلاحا
8	الفرع الثاني: مفهوم الدراسات الموضوعية
8	المطلب الثالث: مميزات وخصائص الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية
9	المطلب الرابع: أنواع وخصائص الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية
9	الفرع الأول: أنواع الخدمة الاجتماعية
10	الفرع الثاني: خصوصية الخدمة الاجتماعية في الإسلام من منظور السنة
11	الفرع الثالث: تقليد المجتمعات الغربية في تجربة الخدمة الاجتماعية و نتائجه
13	المبحث الثاني: نظرة في تاريخ الخدمة الاجتماعية
13	المطلب الأول: الخدمة الاجتماعية عند الرومان
15	المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية عند المصريين القدامى
17	المطلب الثالث : الخدمة الاجتماعية عند الفرس
18	المطلب الرابع: الخدمة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام
21	الفصل الأول: الخدمة الاجتماعية الخاصة في ضوء السنة النبوية

22	المبحث الأول: الخدمة الاجتماعية للأرملة في ضوء السنة النبوية....
23	المطلب الأول: تعريف الأرملة لغة و اصطلاحا.....
24	المطلب الثاني: خدمة الأرملة في ضوء السنة النبوية.....
28	المطلب الثالث: الخدمة الاجتماعية ودورها في رعاية الأرملة في ضوء السنة النبوية.....
33	المبحث الثاني: السنة النبوية ودعوتها لخدمة ورعاية اليتيم اجتماعيا.....
33	المطلب الأول: تعريف اليتيم لغة و اصطلاحا.....
33	الفرع الأول: تعريف اليتيم لغة.....
33	الفرع الثاني: اليتيم في الاصطلاح.
34	المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية المقدمة لليتيم في ضوء السنة النبوية....
34	الفرع الأول: الكفالة كخدمة اجتماعية لليتيم في ضوء السنة النبوية.....
35	1 - تعريف الكفالة لغة.....
35	2 . تعريف الكفالة اصطلاحا.....
35	أولا - الترغيب في كفالة اليتيم في ضوء السنة النبوية
37	ثانيا : صيغ كفالة اليتيم في ضوء السنة النبوية.....
38	الفرع الثاني: الخدمة النفسية لليتيم في ضوء السنة النبوية.....
41	الفرع الثالث: الخدمة المادية لليتيم و أثرها على حياته الاجتماعية.....
42	أولا : خدمة اليتيم من الجانب الجسمي.....
44	ثانيا: استثمار أمواله و ما ورد من الترهيب من أكل ماله.....
49	المبحث الثالث: الخدمة الاجتماعية ورعاية المرضى و ذوي الاحتياجات الخاصة في ضوء السنة النبوية
49	المطلب الأول : السنة النبوية و نظرتها للأمراض و الابتلاءات
49	الفرع الأول: تعريف المرض لغة واصطلاحا.....
49	الفرع الثاني: نظرة السنة للمرض كخدمة نفسية للمريض.....
52	الفرع الثالث: الأمر بالتداوي في السنة النبوية.....

54	الفرع الرابع: زيارة المريض ومقاصدها الخدمية في ضوء السنة النبوية.....
59	- المطلب الثاني : رعاية المريض كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية...
59	الفرع الأول: الطب في العهد النبوي
63	الفرع الثاني: أحاديث الطب في السنة النبوية، منهج التعامل معها.....
71	الفرع الثالث: الأمر بالعلاج وتوفير مراكزه للمرضى في ضوء السنة النبوية.....
73	الفرع الرابع: توفير الراحة للمريض والجو الصحي في ضوء السنة النبوية.....
75	المطلب الثالث : خدمة ذوي العاهات في ضوء السنة النبوية
75	الفرع الأول: تعريف العاهة
75	الفرع الثاني : الخدمة الاجتماعية لذوي العاهات في ضوء السنة النبوية.....
78	أولا : رعاية الأعمى كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.
78	أ - هداية الكفيف كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.....
79	ب - الرفق في معاملته من الناحية النفسية.....
83	ثانيا - الخدمات المقدمة الصم البكم في ضوء السنة النبوية
85	ثالثا - خدمة الشيخوخة في ضوء السنة النبوية
85	أ - إكرام فئة المسنين و توقيرهم في ضوء السنة النبوية
87	ب . خدمة المسن من الناحية المادية.....
89	المبحث الرابع: منهج السنة النبوية في خدمة اللقيط اجتماعيا.....
92	المطلب الأول: مفهوم الطفل اللقيط.....
92	الفرع الأول: تعريف الطفل لغة.....
93	الفرع الثاني : تعريف اللقيط لغة واصطلاحا.....
94	المطلب الثاني:الخدمة الاجتماعية للقيط في ضوء السنة النبوية.....
94	الفرع الأول: حق اللقيط في النفقة و الكفالة كخدمة اجتماعية من منظور السنة... ..
98	الفرع الثاني: حق اللقيط في الحياة كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.....
102	الفرع الثالث : استلحاق اللقيط كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.....
109	المبحث الخامس: الخدمة الاجتماعية و دورها في رعاية الأحداث من

- منظور السنة النبوية
- 110المطلب الأول: تعريف الأحداث لغة و اصطلاحاً.....
- 110الفرع الأول: الحدث لغة.....
- 110الفرع الثاني: تعريف الأحداث في الاصطلاح.....
- 111المطلب الثاني: خدمة الحدث بالتربية والتنشئة الصالحة وحمايته من الانحراف
كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.....
- 112الفرع الأول: الاهتمام بسلامة الأسرة كضمان للتنشئة الاجتماعية السليمة.
- 115الفرع الثاني: عناية السنة النبوية بغرس القيم الدينية و الخلقية في كيان الحدث العقلي
والنفسى كخدمة اجتماعية للأحداث.....
- 115أ - تعليم القرآن الكريم للأحداث.....
- 118ب - التربية الإيمانية كخدمة للأحداث.....
- 118ت - تربيتهم و تعويدهم على الصلاة.....
- 120ث - غرس القيم الخلقية في نفوسهم.....
- 122المطلب الثالث: تعليم الأحداث كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية..
- 1231 - التأكيد على حق الأحداث في التعليم.....
- 1232 - و الرفق بالأحداث أثناء تعليمهم.....
- 125- المطلب الرابع: أسباب جنوح الأحداث في ضوء السنة النبوية.....
- 125- الفرع الأول: سوء التربية والتنشئة الاجتماعية.....
- 126- الفرع الثاني: سوء معاملة الحدث وأثرها على تنشئته الاجتماعية.....
- 127أ - حسن معاملة الأحداث والرفق بهم، وأثره التربوي عليهم كخدمة اجتماعية.....
- 128ب - زرع و تعزيز الثقة في نفوس الأحداث.....
- 130المبحث السادس: الخدمة الاجتماعية المدرسية في ضوء السنة النبوية.....
- 130المطلب الأول: السنة النبوية و حثها على العناية بطلبة العلم.....
- 132المطلب الثاني: العناية بالأخلاق والآداب العامة من المعلم والمتعلم في
المدارس في ضوء السنة النبوية كخدمة مدرسية.....

- 132 الفرع الأول: حسن تأديب التلميذ و أثره على التنشئة الاجتماعية.....
- 134 الفرع الثاني : آداب المعلم ووقعها في نفسية التلميذ.....
- 136 المطلب الثاني: الخدمة الاجتماعية المقدمة للمتعلم وأثرها في التحصيل العلمي
.....
- 136 - الفرع الأول : خدمة الإطعام للطالب في ضوء السنة النبوية.....
- 137 . الفرع الثاني: العطلة المدرسية كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.....
- 139 الفصل الثاني : الخدمة الاجتماعية العامة و خدمة الأزمات في ضوء
السنة النبوية.....
- 141 المبحث الأول: نماذج الخدمات الاجتماعية العامة و أهميتها في منظور السنة
النبوية.....
- 141 المطلب الأول:الإطعام و سقي الماء و فضلها كخدمة اجتماعية عامة من
منظور السنة.....
- 141 الفرع الأول: فضل سقي الماء في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.....
- 150 الفرع الثاني : فضل بذل الطعام في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.....
- 152 الفرع الثالث: السنة النبوية وموقفها من احتكار الأطعمة والضروريات.....
- 152 أولا - المفهوم الفقهي للاحتكار.....
- 153 ثانيا - الاحتكار في ضوء السنة النبوية.....
- 157 ثالثا - منع الاحتكار في أماكن تجمع الناس كالحرمين والمجمعات والجامعات ومراكز البحث
العلمي.....
- 158 الفرع الرابع: أنواع المساعدات الغذائية كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية.....
- 158 أولا المنيحة و الصلات.....
- 158 أ - مفهوم المنيحة.....
- 161 ثانيا - الهبات و دورها في دعم الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية.....
- 163 ثالثا - طعام الوليمة و دوره في دعم الخدمة الاجتماعية.....
- 167 رابعا - طعام العقيقة.....

169خامسا . طعام القادم من سفر
170سادسا:طعام الختان
171	المطلب الثاني: رعاية الضيف والمسافر كخدمة اجتماعية عامة من منظورالسنة
176المطلب الثالث: خدمة المسافرين ومرافق السفر في ضوء السنة النبوية
176الفرع الأول: خدمة الطرقات العامة
176أولا: إصلاح الطريق و توسيعه
177ثانيا: إماطة الأذى عنه كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية
179- الفرع الثاني توفير الخدمات للمسافر في ضوء السنة النبوية
183	المطلب الرابع: كسوة العاري كخدمة عامة، التبرع بالملابس في ضوء السنةالنبوية
183الفرع الأول: مفهوم العري
183الفرع الثاني: كسوة العاري و التبرع بالملابس في ضوء السنة النبوية
188المبحث الثاني : نماذج من خدمة الأزمة في ضوء السنة النبوية
188المطلب الأول: مفهوم الحرب لغة و اصطلاحا
188الفرع الأول تعريف الحرب لغة
188الفرع الثاني : الحرب في الاصطلاح
189المطلب الثاني: الخدمة أثناء الحروب في ضوء السنة النبوية
189الفرع الأول : فضل الخدمة العامة في وقت الحروب
189أولا:التبرع بالعلاج في الحرب كخدمة اجتماعية من منظور السنة
190- ثانيا : توفير الماء و الطعام
191ثالثا توفير العدة للمقاتلين كخدمة في أثناء الحرب
195	المطلب الثالث:الخدمة الاجتماعية أثناء المجاعات والأزمات في ضوء السنةالنبوية
195الفرع الأول: تعريف المجاعة لغة واصطلاحا

195 أ . المجاعة لغة
195 الفرع الثاني: أسباب المجاعة في ضوء الواقع .
197 الفرع الثالث: طرق الإغاثة أثناء المجاعة كخدمة اجتماعية في ضوء السنة النبوية...
198 - أولا : فضل الإطعام في المجاعة كخدمة عامة من منظور السنة
203 ثانيا : الرخص و رفع الحرج عن الناس في أوقات المجاعة...
207 ثالثا : تحريم الاحتكار أوقات المجاعة .
209 رابعا . التضامن بين أفراد المجتمع في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية.....
212 - خامسا: الدعاء.....
214	المطلب الثالث: الخدمة الاجتماعية في حالات المرض و الوباء من منظور
	السنة
214 الفرع الأول : تعريف بالأوبئة في اللغة
214 الفرع الثاني: نظرة السنة النبوية إلى الأوبئة
217 الفرع الثالث: طرق التعامل مع الأوبئة في ضوء السنة النبوية كخدمة اجتماعية ...
222 الفرع الرابع: فضل التبرع بالتطبيب في أوقات الحروب والأوبئة كخدمة من منظور
	السنة
225	المطلب الرابع: الخدمة الاجتماعية للسجناء في ضوء السنة النبوية...
225 الفرع الأول: السجن في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم
229 الفرع الثاني: إرشاد السجن، ومساعدته على الاندماج اجتماعيا.....
233	الفصل الثالث: سبل تطوير الخدمة الاجتماعية و مواردها في ضوء السنة
	النبوية
234 المبحث الأول:مؤسسات الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية.....
237	المطلب الأول: مؤسسة المسجد و دورها في الخدمة الاجتماعية، من منظور
	السنة النبوية
239 أولا : هيئة الوسيط القضائي و إصلاح ذات البين
243 ثانيا : هيئة الإرشاد النفسي و الاجتماعي بالمسجد من منظور السنة النبوية

243	أولا : مفهوم الإرشاد النفسي و وسائله
244	ثانيا المسجد ودوره كمركز للإرشاد النفسي من منظور السنة النبوية.....
247	ثالثا - هيئة الإطعام والإغاثة بالمسجد من منظور السنة النبوية.....
250	رابعا - دار الضيافة من توابع المسجد كخدمة اجتماعية.....
252	المطلب الثاني: المؤسسة المالية لرعاية وكفالة اليتيم والأرملة.....
255	المطلب الثالث: مؤسسة الصحة ومكافحة الأمراض ومدى أهميتها في ضوء السنة النبوية.....
	المبحث الثاني: روافد تمويل مؤسسة الخدمة الاجتماعية في ضوء
258	السنة.....
258	المطلب الأول: مؤسسة الزكاة مقاصدها الخدمية من منظور السنة النبوية....
258	الفرع الأول: تعريف الزكاة، لغة، واصطلاحا.....
259	الفرع الثاني: المقاصد الخدمية للزكاة من منظور السنة النبوية.....
261	الفرع الثالث: الزكاة و دورها في دعم الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية....
261	أولا - عناية النبي صلى الله عليه و سلم بمؤسسة الزكاة.....
262	ثانيا عناية النبي صلى الله عليه و سلم بتعيين السعاة والعمال على الزكاة.....
268	ثالثا - الزكاة كمورد لدعم مؤسسات الخدمة الاجتماعية.....
270	1- دعم مؤسسات رعاية الفقراء واليتامى
271	2 - النفقة من الزكاة على أبناء السبيل كخدمة اجتماعية
271	3 - النفقة من الزكاة على غير المسلمين كخدمة اجتماعية.....
273	المطلب الثاني: الكفارات و أثرها في دعم الخدمة الاجتماعية ضوء السنة النبوية.....
273	الفرع الأول: تعريف الكفارة لغة واصطلاحا.....
274	- الفرع الثاني: الكفارات المالية ومقاديرها في الكتاب والسنة
274	أولا - كفارة من أظفر في رمضان

274 ثانيا - كفارة اليمين
274 ثالثا - النذر
275 رابعا - الإيلاء
275 خامسا - الظهر
275 سادسا - كفارة قتل الصيد إن كان له مثل
276 سابعا - كفارة الوطء في الحيض
276 الفرع الثالث: الكفارات المالية، ومقاصدها الخدمية من منظور السنة النبوية
281	المطلب الثالث: الأوقاف وأهميتها في دعم الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية
281 الفرع الأول: تعريف الوقف لغة واصطلاحا
283 الفرع الثاني: مشروعية الوقف في ضوء السنة النبوية.
286 الفرع الثالث: الوقف وأهميته في دعم الخدمة الاجتماعية من منظور السنة النبوية...
287 - الفرع الرابع: سبل و آليات تطوير عمل الوقف لدعم الخدمة الاجتماعية.....
290	المطلب الرابع: النذور
290 الفرع الأول: تعريف النذر لغة، و اصطلاحا.
291 الفرع الثاني: النذور أنواعها وأحكامها
294	المطلب الخامس: الدييات ومقاصدها التعويضية كخدمة الاجتماعية في ضوء السنة
294 الفرع الأول: تعريف الدية لغة و اصطلاحا.
294 الفرع الثاني: نظام التعويض عن الضرر في ضوء السنة النبوية.....
297 أولا: دية النفس.
303 ثانيا: دية الأعضاء
304 ثالثا: دية الجراح
304 رابعا: دية الجنين.
305 خامسا: قيمة الدية في عصرنا.

- 309المطلب السادس: الحق من بيت المال لدعم الخدمة الاجتماعية.....
- 309الفرع الأول: المال العام في منظور السنة النبوية.....
- 313الفرع الثاني: مصارف الأموال العامة.....
- 316المطلب السابع: كفالة الأقارب كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية..
- 317أولا - تفضيل الأقارب في الصدقة لما لها من دور في دعمهم اجتماعيا.....
- 318ثانيا - دعم الجوانب التربوية في الأسرة كخدمة اجتماعية من منظور السنة النبوية.
- 319ثالثا - المشاركة في المناسبات
- 320رابعا: كفالة الوالدين وخدمتهم من منظور السنة النبوية كخدمة اجتماعية.....
- 321خامسا كفالة البنات والأخوات الرفق بهن كخدمة اجتماعية في منظور السنة النبوية
- 324الفصل الرابع: وسائل ترسيخ ثقافة الخدمة الاجتماعية في نفوس الأفراد و نماذج من سبل تطوير الخدمة الاجتماعية في عصرنا.....
- 325المبحث الأول: أدوات تحفيز روح الخدمة الاجتماعية في نفسية الفرد.....
- 325المطلب الأول: الدافع الإيماني وأثره في دعم الخدمة الاجتماعية.....
- 327الفرع الأول: وسائل تقوية الدافع الإيماني كدافع لخدمة الجماعة
- 327أولا : القصة و حكايات الصالحين و أثرها في تربية النشء على الخدمة
- 333ثانيا - تربية الناشئة على حب الجود العطاء وخدمة الجماعة.....
- 337المطلب الثاني: تشجيع المتبرعين بالمكافأة كدعم للخدمة الاجتماعية.....
- 341المبحث الثاني : تفعيل الخدمة الاجتماعية ميدانيا في ضوء السنة النبوية ""
- 341و أثرها في دعم الخدمة في واقعنا
- 341المطلب الأول: المبادرة الميدانية للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية..
- 345المطلب الثاني: التنشئة الاجتماعية السليمة و دورها في دعم الخدمة الاجتماعية.....
- 349المطلب الثالث: المدرسة و دورها الرائد في دعم الخدمة الاجتماعية.....
- 349الفرع الأول: المدرسة و دورها في التنشئة الاجتماعية الفاعلة.....

350	- الفرع الثاني: الإعداد الاجتماعي الناجح للطفل المتمدرس.....
357	المبحث الثالث: تفعيل الطابع المؤسسي للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة.....
357	المطلب الأول: السنة وفتح مجال الابتكار لتطوير وسائل الخدمة الاجتماعية.
362	المطلب الثاني : أهمية العمل المؤسسي ومردوده على الخدمة الاجتماعية...
362	الفرع الأول: مفهوم المؤسسة و معالمها في ضوء السنة النبوية
362	أولاً: مفهوم المؤسسة:
362	ثانياً: معالم العمل المؤسسي في ضوء السنة النبوية.....
365	الفرع الثاني : درو العمل المؤسسي في دعم الخدمة الاجتماعية
365	1 - مؤسسة التكفل واستثمار أموال اليتيم.
365	2 - مؤسسة أموال الزكاة
366	3 - مؤسسة تحصيل أموال الكفارات والتبرعات
366	4 - مؤسسة أموال الديات . - التأمين الإسلامي
367	الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث

ملخص الدراسة.

- هذه دراسة موضوعية حديثة لعلم الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية، الغرض منها:
- بيان التطبيق النبوي الراشد لمضامين هذا النشاط، الذي أضحي علما تخصصيا من فروع علم الاجتماع، ومهنة لها فروعها المتعددة.
 - كذا إبراز ما تميزت به الخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية من خصائص و مميزات.
 - مع إيضاح ما يمكن أن تسهم به السنة في الدراسات المعاصرة، من إثراء وتكميل، لما حوته الأحاديث النبوية الشريفة من توجيهات تسهم في إثراء النظريات العلمية المستوحاة من كنوز السنة المطهرة، والتي تحتاج إلى مزيد الشرح و الإيضاح والتصنيف.
 - ولغرض الوصول إلى الهدف المسطر، وهو وضع تصور شامل للخدمة الاجتماعية في ضوء السنة النبوية، فقد تناولت الموضوع من الزوايا التالية: فصل تمهيدي تناولت فيه شرح وتعريف للمضامين والمصطلحات الواردة في عنوان الدراسة. مع نبذة موجزة عن تاريخ الخدمة الاجتماعية وخصائصها و أنواعها.
 - وفي الفصل الأول تناولت الدراسة موضوع الخدمة الاجتماعية الخاصة بالفئات الهشة من يتامى وأرامل ومسنين الخ...
 - وفي الفصل الثاني: تطرقت الدراسة لموضوع الخدمة العامة الموجهة لفئات واسعة في المجتمع حيث توفر للفرد الخدمات الضرورية، من مأكل وملبس الخ... وحاجياته في حال الأزمات كالحروب والمجاعات وحالات الأوبئة.
 - وفي الفصل الثالث: تناولت الدراسة سبل تطوير الخدمة الاجتماعية ومواردها في ضوء السنة النبوية حيث تم إيضاح المؤسسات الخدمية في ضوء السنة مع بيان موارد تمويلها.
 - وفي الفصل الرابع: أوضحت الدراسة وسائل ترسيخ ثقافة الخدمة الاجتماعية، وسبل تطويرها في عصرنا. ثم الخاتمة و فيها أهم نتائج البحث مع ذكر بعض التوصيات. ثم الفهارس.

Abstract:

This is a thematic study of the social service in light of the Hadiths and the Prophet's Sunnah. It aims at:

- Demonstrating the prophetic rational application of the contents of this activity which has become a specialized science of the branches of sociology, and a profession of multiple branches.
- Highlighting the characteristics and advantages of the social service in the light of the Prophet's Sunnah.
- Clarifying the enrichment and supplementation of the Prophet's Sunnah (the Hadiths of the Prophet) in contemporary studies, as it contains instructions which contribute to the enrichment of the scientific theories inspired by the Holy Sunnah, which need more explanation, clarification and classification.

In order to reach the goal, which is to develop a comprehensive concept of the social service in the light of the Prophet's Sunnah, this study has addressed the subject from the following angles:

An introductory chapter dealing with the explanation and definition of the contents and terms contained in the title of the study with a brief overview of the history of the social service, its characteristics and types.

In the first chapter, the study deals with the subject of the social service of the vulnerable groups: orphans, widows, the elderly, etc.

In the second chapter, the study deals with the subject of public service directed to large groups in society where it provides the individual with the necessary services, such as food, clothing, etc... and his needs in cases of crises such as wars, famines and epidemics.

In the third chapter, the study deals with the ways of developing the social service and its resources in the light of the Prophet's Sunnah.

In the fourth chapter, the study shows ways to consolidate the culture of social service, and ways to develop it in modern time. The chapter also has the conclusion which includes the most important results of the research with some recommendations, followed by the indexes.

Résumé

Il s'agit d'une étude objective du service social à la lumière de la sunnah du prophète . il vise a:

-montrer l'application rationnelle prophétique du contenu de cette activité qui est devenue une science spécialisée des branches de la sociologie et un métier à branches multiples .

Mettre en évidence les caractéristiques et les particularités du service social à la lumière de la sunnah du prophète.

-clarifier la contribution (enrichissement et supplémentassions) de la sunnah du prophète dans les études contemporaines, et ce en raison de ce que la sainte sunnah a contenu en tant qu'orientations susceptible d'enrichir les théories scientifiques dérivées du trésor de la sainte sunnah et qui nécessite davantage d'explication, de clarification et de classification.

Afin d'atteindre le but, qui est de développer un concept générale du service social à la lumière de la sunnah du prophète, cette étude a abordé le sujet sous les angles suivant:

Un chapitre d'introduction explique et définit le contenu et les termes figurant dans le titre de l'étude avec un bref aperçu de l'histoire du service social, de ses caractéristique et de ses tipes.

Dans le premier chapitre, l'étude traite le service social des groupes vulnérables : orphelins, veuves, personnes âgées, etc.

Dans le deuxième chapitre, l'étude traite des services publics destinés à de groupes de la société qui fournissent à l'individu les services nécessaires, tels que la nourriture, l'habillement, etc.

Ainsi que ses besoins en cas de crise, telle que la guerre, les famines et les épidémies.

Dans le troisième chapitre, l'étude traite les moyens de développer le service social et ses ressources à la lumière de la sunnah du prophete.

Dans le quatrième chapitre, l'étude montre les moyens de consolider la culture du service social et de le développer à l'époque moderne.

La conclusion inclut les résultat les plus importants de l'étude avec quelques recommandations, suivies des index.